

بِجَامِعِ الْبَيَانِ

عَنْ
تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ جَرِيرٍ الطَّبْرِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٣٠ هـ

الْجُزْءَانِ

١٢ - ١١

دار الفکر

جَامِعُ الْبَيَّانِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيرِ الطَّائِبِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣١٠ هـ

الجزء الحادي عشر

دار الفكر

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

المكاتب ، البناية المركزية - هاتف : ٢٤٤٧٣٩ - ص.ت. ، ١١/٧٠٦١
المطابع والمعمل ، نخارة حريك - شارع عبد النور - هاتف : ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
بَیروت } لبَنان
بَرقیاء ، فکسئی - تلکس ٤١٣٩٢ فکر FIKR 41392 LE



فهارس الجزء الحادي عشر
من
جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

- الفهرس الأول : للآيات المفسرة
الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة
الفهرس الثالث : للقوافي
الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية.

مشتی روحہ لکھا مہنہ ان کے لئے

نہ

نہ آقا رجا کے لئے نہ نالیہا کے لئے

رہے بلکہ ان کے لئے نہ کسی کے لئے نہ کسی کے لئے

۱۹۸۹ء

۴ مسقطاً متلی کلا : نالیہا کے لئے

۴ مسقطاً متلی کلا : نالیہا کے لئے

۴ مسقطاً متلی کلا : نالیہا کے لئے

۴ مسقطاً متلی کلا : نالیہا کے لئے



فهارس الجزء الحادى عشر من جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٩٣	إنما السبيل على الدين . . .	١	١١٦	إن الله له ملك السموات والأرض . . .	٥٤
٩٤	يعتذرون إليكم إذا رجعت . . .	١	١١٧	لقد تاب الله على النبي والمهاجرين . . .	٥٤
٩٥	سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم . . .	٢	١١٨	وعلى الذين خلفوا . . .	٥٦
٩٦	يحلفون لكم لترضوا عنهم . . .	٣	١١٩	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله . . .	٦٢
٩٧	الأعراب أشد كفرا ونفاقا . . .	٣	١٢٠	ما كان لأهل المدينة . . .	٦٤
٩٨	ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق . . .	٤	١٢١	ولا ينفقون نفقة صغيرة . . .	٦٦
٩٩	ومن الأعراب من يؤمن بالله . . .	٥	١٢٢	وما كان المؤمنون لينفروا كافة . . .	٦٦
١٠٠	والسابقون الأولون من المهاجرين . . .	٦	١٢٣	يا أيها الذين آمنوا قاتلوا . . .	٧١
١٠١	ومن حولكم من الأعراب . . .	٩	١٢٤	وإذا ما أنزلت سورة . . .	٧٢
١٠٢	وآخرون اعترفوا بذنوبهم . . .	١٢	١٢٥	وأما الذين في قلوبهم مرض . . .	٧٣
١٠٣	خذ من أموالهم صدقة . . .	١٦	١٢٦	أولا يرون أنهم يفتنون . . .	٧٣
١٠٤	ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة . . .	١٨	١٢٧	وإذا ما أنزلت سورة نظر . . .	٧٥
١٠٥	وقل اعملوا فسيرى الله عملكم . . .	٢٠	١٢٨	لقد جاءكم رسول من أنفسكم . . .	٧٦
١٠٦	وآخرون مرجون لأمر الله . . .	٢١	١٢٩	فإن تولوا فقل حسبي الله . . .	٧٧
١٠٧	والذين اتخذوا مسجدا ضارا . . .	٢٢		سورة يونس عليه السلام	
١٠٨	لا تقم فيه أبدا ، لمسجد أسس . . .	٢٦	١	الآن تلك آيات الكتاب الحكيم . . .	٧٩
١٠٩	أفمن أسس بنيانه على تقوى . . .	٣١	٢	أكان للناس عجباً أن أوحينا . . .	٨٠
١١٠	لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة . . .	٣٣	٣	إن ربكم الله . . .	٨٣
١١١	إن الله اشترى من المؤمنين . . .	٣٥	٤	إليه مرجعكم جميعا . . .	٨٤
١١٢	التائبون العابدون الحامدون . . .	٣٦	٥	هو الذى جعل الشمس ضياء . . .	٨٦
١١٣	ما كان للنبي والذين آمنوا . . .	٤٠	٦	إن في اختلاف الليل والنهار . . .	٨٦
١١٤	وما كان استغفار إبراهيم لأبيه . . .	٤٠	٧	إن الذين لا يرجون لقاءنا . . .	٨٧
١١٥	وما كان الله ليضل قوما . . .	٥٣	٨	أولئك مأواهم النار . . .	٨٧
			٩	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٨٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠	دعواهم فيها سبحانهك . . .	٨٨	٣٩	بل كذبوا بما يحيطوا بعلمه . . .	١١٨
١١	ولو يعجل الله للناس الشر . . .	٩١	٤٠	ومنهم من يؤمن به . . .	١١٨
١٢	وإذا مس الإنسان الضر دعانا . . .	٩٢	٤١	وإن كذبوك فقل لى عملى . . .	١١٨
١٣	ولقد أهلكنا القرون من قبلكم . . .	٩٣	٤٢	ومنهم من يستمعون إليك . . .	١١٩
١٤	ثم جعلناكم خلائف فى الأرض . . .	٩٣	٤٣	ومنهم من ينظر إليك . . .	١١٩
١٥	وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات . . .	٩٤	٤٤	إن الله لا يظلم الناس شيئا . . .	١٢٠
١٦	قل لو شاء الله ما تلوته عليكم . . .	٩٥	٤٥	ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا . . .	١٢٠
١٧	فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا . . .	٩٧	٤٦	ولما نرينك بعض الذى نعدهم . . .	١٢٠
١٨	ويعبدون من دون الله . . .	٩٧	٤٧	ولكل أمة رسول . . .	١٢١
١٩	وما كان الناس إلا أمة واحدة . . .	٩٨	٤٨	ويقولون متى هذا الوعد . . .	١٢١
٢٠	ويقولون لولا أنزل عليه آية . . .	٩٨	٤٩	قل لأملك لنفسى ضرّا ولا نفعاً . . .	١٢١
٢١	وإذا أذقنا الناس رحمة . . .	٩٩	٥٠	قل أرأيتم إن أتاكم عذابه . . .	١٢٢
٢٢	هو الذى يسيركم فى البر . . .	٩٩	٥١	أثم إذا ما وقع آمنتم به . . .	١٢٢
٢٣	فلما أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض . . .	١٠١	٥٢	ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا . . .	١٢٢
٢٤	إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه . . .	١٠١	٥٣	ويستنبئونك أحقّ هو ؟ . . .	١٢٣
٢٥	والله يدعو إلى دار السلام . . .	١٠٣	٥٤	ولو أن لكل نفس ظلمت . . .	١٢٣
٢٦	للذين أحسنوا الحسنى وزيادة . . .	١٠٤	٥٥	ألا إن لله ما فى السموات والأرض . . .	١٢٣
٢٧	والذين كسبوا السيئات جزاء . . .	١٠٩	٥٦	هو يحيى ويميت . . .	١٢٣
٢٨	ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول . . .	١١١	٥٧	يا أيها الناس قد جاءكم . . .	١٢٤
٢٩	فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم . . .	١١٢	٥٨	قل بفضل الله وبرحمته . . .	١٢٤
٣٠	هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت . . .	١١٢	٥٩	قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق . . .	١٢٧
٣١	قل من يرزقكم من السماء والأرض . . .	١١٣	٦٠	وما ظنّ الذين يفترون على الله . . .	١٢٨
٣٢	فذلكم الله ربكم الحق . . .	١١٤	٦١	وما تكون فى شأن، وما تتلو منه . . .	١٢٨
٣٣	كذلك حقّت كلمة ربك . . .	١١٤	٦٢	ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم . . .	١٣١
٣٤	قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق . . .	١١٤	٦٣	الذين آمنوا وكانوا يتقون . . .	١٣٣
٣٥	قل هل من شركائكم من يهدى . . .	١١٥	٦٤	لهم البشرى فى الحياة الدنيا . . .	١٣٣
٣٦	وما يتبع أكثرهم إلا ظنا . . .	١١٦	٦٥	ولا يحزنك قولهم إن العزة لله . . .	١٣٩
٣٧	وما كان هذا القرآن أن يفترى . . .	١١٧	٦٦	ألا إن لله من فى السموات . . .	١٣٩
٣٨	أم يقولون افتراه . . .	١١٧			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٧	هو الذي جعل لكم الليل . . .	١٣٩	٩٢	فاليوم ننجيك ببدنك . . .	١٦٤
٦٨	قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه . . .	١٤٠	٩٣	ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق . . .	١٦٦
٦٩	قل إن الذين يفترون على الله . . .	١٤١	٩٤	فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك . . .	١٦٧
٧٠	متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم . . .	١٤١	٩٥	ولا تكونن من الذين كذبوا . . .	١٦٩
٧١	واتل عليهم نبأ نوح . . .	١٤١	٩٦	إن الذين حقت عليهم كلمة ربك . . .	١٦٩
٧٢	فإن توليتم فاسألتكم من أجر . . .	١٤٤	٩٧	ولو جاءتهم كل آية حتى . . .	١٦٩
٧٣	فكذبوه فنجيناوه ومن معه . . .	١٤٤	٩٨	فلولا كانت قرية آمنت . . .	١٧٠
٧٤	ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم . . .	١٤٤	٩٩	ولو شاء ربك لآمن من في الأرض . . .	١٧٣
٧٥	ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون . . .	١٤٥	١٠٠	وما كان لنفس أن تؤمن . . .	١٧٤
٧٦	فلما جاءهم بالحق من عندنا . . .	١٤٥	١٠١	قل انظروا ماذا في السموات . . .	١٧٥
٧٧	قال موسى أتقولون للحق . . .	١٤٥	١٠٢	فهل ينتظرون إلا مثل أيام . . .	١٧٥
٧٨	قالوا أجبثنا لتلفتنا عما وجدنا . . .	١٤٦	١٠٣	ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا . . .	١٧٥
٧٩	وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم . . .	١٤٧	١٠٤	قل يا أيها الناس إن كنتم في شك . . .	١٧٦
٨٠	فلما جاء السحرة قال لهم موسى . . .	١٤٧	١٠٥	وأن أقم وجهك للدين حنيفا . . .	١٧٧
٨١	فلما ألقوا قال موسى ماجئتم به . . .	١٤٧	١٠٦	ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك . . .	١٧٧
٨٢	ويحق الله الحق بكلماته . . .	١٤٨	١٠٧	وإن يمسسك الله بضر . . .	١٧٧
٨٣	فأآمن لموسى إلا ذرية من قومه . . .	١٤٩	١٠٨	قل يا أيها الناس قد جاءكم . . .	١٧٨
٨٤	وقال موسى يا قوم إن كنتم . . .	١٥١	١٠٩	واتبع ما يوحى إليك واصبر . . .	١٧٨
٨٥	فقالوا على الله توكلنا . . .	١٥١	سورة هود عليه السلام		
٨٦	ونجنا برحمتك من القوم الكافرين . . .	١٥٣			
٨٧	وأوحينا إلى موسى وأخيه . . .	١٥٣	١	الكتاب أحكمت آياته . . .	١٧٩
٨٨	وقال موسى ربنا إنك آتيت . . .	١٥٦	٢	ألا تعبدوا إلا الله . . .	١٨٠
٨٩	قال قد أجيب دعوتكما فاستقيما . . .	١٦٠	٣	وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه . . .	١٨١
٩٠	وجاوزنا ببني إسرائيل البحر . . .	١٦٢	٤	إلى الله مرجعكم . . .	١٨٢
٩١	آلآن وقد عصيت قبل . . .	١٦٤	٥	ألا إنهم يثنون صدورهم . . .	١٨٣

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٧١ يجب على كل أهل جهة أن يقاتلوا من يليهم من الأعداء .	١ ما اعتذر به المتخلفون عن غزوة تبوك لرسول الله بعد مرجعه منها .
٧٦ ما ورد في معنى الرحمة المذكورة في قوله « بالمؤمنين رءوف رحيم » .	٦ من السابقون الأولون ؟
٧٩ تفسير السورة التي يذكر فيها يونس صلى الله عليه وسلم .	١٠ ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه من تعيين بعض أهل النفاق بأسمائهم .
٨٧ الأدلة لاتنفع إلا من خشى العقاب ولم يتبع هواه ، وكان ذا فطرة سليمة .	١٢ من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وحين رجع ربط نفسه في بعض السوارى تائباً ، وفيهم نزل « وآخرون اعترفوا » . . . الآية .
٨٨ الأعمال تصور يوم القيامة بصور تناسبها ، فتهدى عماها إلى منازلها .	١٦ ما ورد من الآثار في تفسير قوله « خذ من أموالهم صدقة » .
٩٦ العرب ربما يهزون غير المهموز وشواهد .	٢٣ بيان مسجد الضرار ومن بناه .
٩٩ جواز إضافة المكر إليه تعالى مراداً به الاستدراج .	٢٦ المسجد الذي أسس على التقوى .
١٠٤ المراد من الحسنى : الجنة ، ومن الزيادة : النظر إلى وجه الله .	٣٥ ما قالته الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند الدخول في الإسلام .
١١١ صيغتا فاعل وفعل لمعنى التكثير إذا كان الفعل لواحد .	٤٠ النهي عن الاستغفار للمشركين وسببه .
١٢٤ القرآن شفاء لداء الجهل .	٥٦ الثلاثة الذين تيب عليهم بعد حصول الضيق الشديد لهم وذكر حديثهم .
١٣٣ صفات أولياء الله .	٦٤ كان لايسوغ لأحد أن يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما غيره من الأئمة ففيه خلاف .
١٣٣ الرؤيا الصالحة من المبشرات .	٦٦ لايسوغ لأهل الإسلام أن ينفروا جميعاً للجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معه أحد .
١٤٠ المشركين ممن قالوا « اتخذ الله ولداً » بقولهم في الملائكة بنات الله .	
١٤١ ما أظهره نوح لقومه من الثقة بالله .	

الصفحة	الصفحة
١٦٢ عدد بني إسرائيل حين اجتمعوا بمصر مع يوسف ، وحين خرجوا منها مع موسى .	١٤٦ القول في تأويل قوله تعالى « قالوا أجمعنا لتلفتنا » . . . الآية ، والاستشهاد على ذلك من كلام العرب .
١٦٤ فرعون بعد غرقه أخرج على نجوة من الأرض لينظروا إليه هالكا .	١٤٩ أتباع موسى عليه السلام كانوا طائفة قليلة من بني إسرائيل ومن قوم فرعون .
١٧٠ ذكر قصة قوم يونس عليه السلام .	١٥١ ما دعا به قوم موسى .
١٧٦ ما في قوله تعالى « قل يا أيها الناس إن كنتم في شك » الآية ، من لطيف التلميح .	١٥٣ ما أمر الله به قوم موسى من اتخاذهم بيوتهم مساجد يصلون فيها .
١٧٩ تفسير السورة التي يذكر فيها هود صلى الله عليه وسلم .	١٥٦ ما دعا به موسى ربه على فرعون وقومه .
١٨١ فوائد الاستغفار .	

٣ - فهرس القوافى

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ل	د	أ		
١٠٠	زَجِلُّ	١٧٠	أَحَدُ	١٤٦	كِبْرِيَاءُ
١٥٧	مَجْهُولُ	١٧٠	الْجَلْدُ	٥٢	وَسَمَاءُ
٨٧	عَوَاسِلُ	١٠٢	وَتَوَدُّدُ	ب	
	م	٩٠	بِجْنَدَى	١٥٧	يَصَابُ
٨٥	وَحْمِيْمُ			٨٥	رَقِيبُ
١٥٩	رَاغِمُ	ر		٥٢	أَكْلِبُهُ
١٤٣	تُكْسُوا	٨٢	الْبَحْرِ	٩٧	يُعْتَبِ
١٤٣	غُمُوا	٩٦	المُشَهَّرِ	ت	
٥	الدَّمِ	١٨٦	أَطْمَارِي	١٤٦	اللَّفْتِ
١٤٠	بِنَاثِمِ	١٠٨	وَالْقَتَرَا	١٤٣	فَتَجَلَّتْ
	ن	٥٢	وَتَذَمُّرَا	ح	
٥٢	الْحَزِينِ	٩٦	الْأَبَاعِرَا	١٤٦	جَانِحُ
٨٦	رَمَانِي	ع		١١٠	الْأَمَادِيحُ
	هـ	٨٢	تَابِعُ	١٦٤	بَقِيرُ وَا حِ
٩١	التَّحِيَّةُ	٩١	تُبْعُ	١٤٢	وَرُمُحَا
	ى	١٤١	تُجْمَعُ	١٦٠	شَيْعَا
٩٧	الْمُتَوَالِيَا	٨٠	السَّمِيعِ	١٦٠	فَتَسْرِيحَا

٤ - فهرس الأحاديث

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
١٣٢	إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء...	٦١	أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك...
١٠٤	إني رأيت في المنام كأن جبرائيل...	٢٨	اختلف رجلان على عهد رسول الله ﷺ...
٤٢	إني استأذنت ربي في زيارة قبر أُمي...	١٠٦	إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار...
٣٠	اسمع الله قد أثنى عليكم الثناء...	١٠٦	إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل...
٧٦	إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح...	٤١	استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك...
٥١	الأواه: الخاشع المتضرع.	٣٥	أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به...
٤٢	أي عم إنك أعظم الناس عليّ حقاً...	٢٣	أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بذي أوان...
٤٣	بلى والله لأستغفرن لأبي كما استغفر...	٢٩	ألا أخبروني، فإن الله قد أثنى...
٥١	بينما رسول الله ﷺ جالس قال رجل:...	٦١	أمسك بعض مالك فهو خير لك.
	تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾	٦٠	أما هذا فقد صدق، قم حتى يقضي الله...
١٠٦	الحسنى وزيادة ﴿﴾...	٢٣	انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله...
١٦٣	جعل جبرائيل عليه السلام يدس...	٥٠	أن رجلاً كان يكثر ذكر الله و يسبح...
٥٠	دعه إنه أواه.	٤٢	أن رسول الله ﷺ أراد أن يستغفر لأمه...
١٣٥	ذهبت النبوة و بقيت المبشرات.	٥٠	أن النبي ﷺ دفن ميتاً فقال: يرحمك الله...
١٣٥	الرؤيا الحسنة هي البشرى يراها...	٢٨	أن النبي ﷺ سئل عن المسجد الذي أسس...
١٣٥	الرؤيا الصالحة يبشر بها العبد...	١٦٣	إن جبرائيل كان يدس في فم فرعون...
١٣٧	الرؤيا الصالحة يبشر بها المؤمن...	٧٨	إن الله رحيم يحب كل رحيم...
١٣٥	الرؤيا الصالحة يراها العبد...	٣١، ٣٠	إن الله قد أثنى عليكم في الطهور...
١٣٣	الرؤيا الصالحة يراها المؤمن...	٢٩	إن الله قد أحسن عليكم الثناء...
١٣٥	الرؤيا الصالحة يراها المسلم...	١٠٥	إن الله يبعث يوم القيامة منادياً...
٩٠	سألت رسول الله ﷺ عن تفسير سبحان الله...	٢٠	إن الله يقبل الصدقة و يأخذها...
	سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى ﴿الَّذِينَ﴾	٨٨	إن المؤمن إذا خرج من قبره صور...
١٣٤	آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى ﴿﴾...	١٣٨	إن الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه...
١٣٧	سألت النبي ﷺ عنها فقال: هي الرؤيا...	١٣٢	إن من عباد الله عباداً يغطهم...

مطلع الحديث

الصفحة

مطلع الحديث

الصفحة

سئل رسول الله ﷺ عن أولياء الله ...	١٣١	ما سألتني عنها أحد قبلك، هي الرؤيا ...	١٣٥، ١٣٦
سئل رسول الله ﷺ عن سبحانه الله، فقال ...	٩٠	ما سألتني عنها أحد منذ أنزلها الله ...	١٣٤
سأل عبادة بن الصامت رسول الله ﷺ عن هذه الآية (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم		ما طهوركم هذا الذي ذكر الله؟	٣١
البشرى) فقال رسول الله ﷺ: لقد سألتني		ما فعل كعب بن مالك؟	٥٩
عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك	١٣٣، ١٣٤	ما من يوم طلعت فيه شمس ...	١٠٤
سئل النبي ﷺ عن السائحين فقال: ...	٣٧	ما هذا الذي أثنى الله عليكم ...	٣٠
سئل النبي ﷺ عن سبحانه الله، قال: ...	٩٠	ما هذا الذي أثنى الله عليكم؟ قالوا: ...	٣٠
السائحون هم الصائمون.	٣٧	ما هذا الذي ذكركم الله به ...	٣١
قال لي جبريل: يا محمد لو رأيته ...	١٦٣	المسجد الذي أسس على التقوى مسجدي ...	٢٨
قام رسول الله ﷺ خطيباً يوم الجمعة ...	١٠	من لم يجمع على الصوم من الليل ...	١٤١
قد صدقتم فقوموا حتى يقضي الله ...	٥٨	نعم الرجال منهم عويم بن ساعدة ...	٣١
قلت يا رسول الله قول سبحانه الله ...	٩٠	هم الذين إذا رؤوا ذكر الله.	١٣٢
قيل لي لتنم عينك وليعقل قلبك ...	١٠٣	هو مسجدي هذا.	٢٨
كان رجل يطوف بالبيت ويقول ...	٥١	هو مسجدي هذا وفي كل خير.	٢٩
كن أبا خيثمة.	٥٩	هي الرؤيا الحسنة يراها العبد ...	١٣٦
لا آخذ منها شيئاً حتى أومر ...	١٧	هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم ...	١٣٤
لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم ...	١٤	هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم ...	١٣٤، ١٣٦
لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه ...	١٣٥	وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم ...	١٣
لما أطلق رسول الله ﷺ أبا لبابة ...	١٧	والذي نفس محمد بيده لا يتصدق رجل ...	٢٠
لما أغرق الله فرعون قال: آمنت ...	١٦٣	والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنه ...	٤١
لما بنى رسول الله ﷺ مسجد قباء ...	٢٤	والله لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم ...	١٣
لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه ...	٤١	يأتي من أفناء الناس ونوازع القبائل ...	١٣٢
لما قال فرعون لا إله إلا الله ...	١٦٣	يا عبادة لقد سألتني عن أمر ما سألتني عنه أحد ...	١٣٢
لما قدم النبي ﷺ على أهل قباء ...	٢٩	يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها ...	١٣٨
لما نزلت (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) ...	٢٩	يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك ...	٤١
لولا أن أشق على أمتي ما تخلفت ...	٦٥	يا معشر الأنصار ما هذا الطهور ...	٢٩
ما خلفك؟ ألم تكن ...	٥٩	يجزيك يا أبا لبابة الثلث.	١٥
ما سألتني عنها أحد قبلك الرؤيا ...	١٣٤	يمثل لكل قوم ما كانوا يعبدون ...	١١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَنتَظِرُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾

✽ يقول تعالى ذكره : ما السبيل بالعقوبة على أهل العذر يا محمد ، ولكنها على الذين يستأذنونك في التخلف خلافتك ، وترك الجهاد معك ، وهم أهل غنى وقوة وطاقة للجهاد والغزو نفاقا وشكا في وعد الله ووعيده (رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) يقول : رضوا بأن يجلسوا بعدك مع النساء وهن الخوالف خلف الرجال في البيوت ، ويتركوا الغزو معك (وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول : وختم الله على قلوبهم بما كسبوا من الذنوب (فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) سوء عاقبتهم بتخلفهم عنك ، وتركهم الجهاد معك ، وما عليهم من قبيح الثناء في الدنيا وعظيم البلاء في الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَمُتَرَدِّدُونَ إِلَى عَلِيمٍ الْغِيبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

✽ يقول تعالى ذكره : يعتذر إليكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المتخلفون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التاركون جهاد المشركين معكم من المنافقين بالباطيل والكذب إذا رجعت إليهم من سفرهم وجهادكم قل لهم يا محمد : (لَا تَعْتَذِرُوا لَنُؤْمِنَ لَكُمْ) يقول : لن نصدقكم على ما تقولون (قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ) يقول : قد أخبرنا الله من أخباركم ، وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم (وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ) يقول : وسيرى الله ورسوله فيما بعد عملكم ، أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه

(ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) يقول : ثم ترجعون بعد مما تكتم إلى عالم الغيب والشهادة ، يعنى الذى يعلم السر والعلانية الذى لا يخفى عليه بواطن أموركم وظواهرها (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فيخبركم بأعمالكم كلها سيئها وحسنها ، فيجازيكم بها الحسن منها بالحسن ، والسيئ منها بالسيئ .

القول في تأويل قوله تعالى :

سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَهُمْ بِجَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : سيعلف أيها المؤمنون بالله لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله (إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ) يعنى : إذا انصرفتم إليهم من غزوكم (لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ) فلا تؤنبوهم (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ) يقول جل ثناؤه للمؤمنين : فدعوا تأنيبهم وخلوهم ، وما اختاروا لأنفسهم من الكفر والنفاق . (إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَهُمْ بِجَهَنَّمَ) يقول : إنهم نجس وماؤاهم جهنم ، يقول : ومصيرهم إلى جهنم وهى مسكنهم الذى يأوونه فى الآخرة (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول : ثوابا بأعمالهم التى كانوا يعملونها فى الدنيا من معاصى الله ، وذكر أن هذه الآية نزلت فى رجلين من المنافقين قالا : ما حدثنا به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُعْرِضُوا) . . . إلى (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له : ألا تغزو بنى الأصفر لعلك أن تصيب بنت عظيم الروم ، فإنيهم حسان ، فقال رجلان : قد علمت يا رسول الله أن النساء فتنة ، فلا تفتننا بهن ، فأذن لنا ، فأذن لهما ، فلما انطلقا ، قال أحدهما : إن هو إلا شحمة لأول آكل ، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم ينزل عليه فى ذلك شىء ، فلما كان ببعض الطريق نزل عليه وهو على بعض المياه (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبَعُوكَ ، وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ) ونزل عليه (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ) ، ونزل عليه (لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) ونزل عليه (إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَهُمْ بِجَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) فسمع ذلك رجل ممن غزا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فأناهم وهم خلفهم ، فقال : تعلمون أن قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم قرآن ، قالوا : ما الذى سمعت ؟ قال ما أدري ، غير أنى سمعت أنه يقول : إنهم رجس ، فقال رجل يدعى مغشيا : والله لوددت أنى أجلد مئة جلدة ، وإنى لست معكم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما جاء بك ؟ فقال : وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسفعه الريح ، وأنا فى الكن ، فأنزل الله عليه (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِذْ ذُنُّ لِي وَلَا تَنْفِثْنِي . . . وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ) ونزل عليه فى الرجل الذى قال : لوددت أنى أجلد مئة جلدة قول الله (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمُ سُورَةٌ

تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ) فقال رجل مع رسول الله : لئن كان هؤلاء كما يقولون : ما فينا خير ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أنت صاحب الكلمة التي سمعت ، فقال : لا والذي أنزل عليك الكتاب ، فأنزل الله فيه (وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) وأنزل فيه (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب ، قال : سمعت كعب بن مالك يقول : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ، جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، وصدقته حديثي ، فقال كعب : والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسك من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن لا أكون كذبت ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي ، ما قال لأحد (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنُتَعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ) رَجَسَ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ... إلى قوله (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ

الْفَاسِقِينَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : يحلف لكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المنافقون اعتذارا بالباطل والكذب (لَنُتَعَرِّضُوا عَنْهُمْ) ، فإن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) يقول : فإن أنتم أيها المؤمنون رضيتهم عنهم ، وقبلتم معذرتهم ، إذ كنتم لاتعلمون صدقهم من كذبهم ، فإن رضاكم عنهم غير نافعهم عند الله ، لأن الله يعلم من سرائرهم ما لاتعلمون ، ومن خفي اعتقادهم ما تجهلون ، وأنهم على الكفر بالله ، يعني أنهم الخارجون من الإيمان إلى الكفر بالله ، ومن الطاعة إلى المعصية .

القول في تأويل قوله تعالى :

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : الأعراب أشد كُفْرًا ونِفَاقًا وأَجْدَرُ أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، وإنما وصفهم جل ثناؤه بذلك لجهلهم وقسوة قلوبهم ، وقلة مشاهدتهم لأهل الخير ، فهم لذلك أقسى قلوبا وأقل علما بحقوق الله ، وقوله (وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ) يقول : وأخلق أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، وذلك فيما قال قتادة : السنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ) قال : هم أقلّ علما بالسُّنَنِ .

حدثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مِقْرَن عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : جلس أعرابي إلى زيد بن صُوحان وهو يحدث أصحابه ، وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوند ، فقال : والله إن حديثك ليعجبني ، وإن يدك لترينني ، فقال زيد : وما يريك من يدي ، إنما الشمال ، فقال الأعرابي : والله ما أدري ألبين يقطعون أم الشمال ، فقال زيد بن صُوحان : صدق الله (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ، وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ) وقوله (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول : والله عليم بمن يعلم حدود ما أنزل على رسوله ، والمنافق من خلقه ، والكافر منهم لا يخفى عليه منهم أحد ، حكيم في تدبيره إياهم ، وفي حلمه عن عقابهم مع علمه بسرائرهم ، وخداعهم أوليائه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى ذكره : ومن الأعراب من يعدّ نفقته التي ينفقها في جهاد مشرك أو في معونة مسلم ، أو في بعض ما ندب الله إليه عباده مغرمًا ، يعني غرمًا لزمه لا يرجو له ثوابًا ، ولا يدفع به عن نفسه عقابًا ، (وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ) يقول : وينتظرون بكم الدوائر أن تدور بها الأيام والليالي إلى مكروه ونفي محبوب ، وغلبة عدوّ لكم ، يقول الله تعالى ذكره (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) يقول : جعل الله دائرة السوء عليهم ، ونزول المكروه بهم لا عليكم أيها المؤمنون ، ولا بكم ، والله سميع لدعاء الداعين ، عليم بتدبيرهم ، وما هو بهم نازل من عقاب الله ، وما هم إليه صائرون من أليم عقابه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ) قال : هؤلاء المنافقون من الأعراب الذين إنما ينفقون رياء اتقاء أن يغزوا ، أو يحاربوا ، أو يقاتلوا ، ويرون نفقتهم مغرمًا ، ألا تراه يقول (وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه عامة قراء أهل المدينة والكوفة (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) بفتح السين ، بمعنى النعت للدائرة ، وإن كانت الدائرة مضافة إليه ، كقولهم : هو رجل السوء ، وامرؤ الصديق ، كأنه إذا فتح مصدر من قولهم : سوته أسوءه سَوءًا ومساءة ومسائية . وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز

وبعض البصريين (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ) بضم السين كأنه جعله اسماً ، كما يقال عليه دائرة البلاء والعذاب ، ومن قال (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ) فضم ، لم يقل هذا رجل السُّوء بالضم ، والرجل السُّوء ، وقال الشاعر :

وَكُنْتُ كَذِئْبِ السُّوءِ لَمَّا رَأَى دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ
والصواب من القراءة في ذلك عندنا بفتح السين ، بمعنى : عليهم الدائرة التي تسوءهم سوءاً ، كما يقال هو رجلٌ صِدْقٌ على وجه النعت .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُبْقَى قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ
الرَّسُولِ إِلَّا نَهَا قُرْبَةً لَهُمْ سَيِّدٌ خَلَهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾

* يقول تعالى ذكره : ومن الأعراب من يصدق الله ويقرّ بوحْدانيته ، وبالبعث بعد الموت والثواب والعقاب ، وينوي بما ينفق من نفقة في جهاد المشركين ، وفي سفره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ) القربات : جمع قُرْبَةٍ ، وهو ما قربه من رضا الله ومحبته . (وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) ، يعني بذلك ، ويتبغى بنفقة ما ينفق مع طلب قربته من الله دعاء الرسول واستغفاره له .

وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على أن من معاني الصلاة الدعاء بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) يعني استغفار النبي عليه الصلاة والسلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) قال : دعاء الرسول ، قال هذه ثنية الله من الأعراب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) قال : هم بنو مقرن من مزينة وهم الذين قال الله فيهم (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ، تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا) قال : هم بنو مقرن من مزينة .

(١) البيت للفرزدق أورده صاحب اللسان في (سوا) ، وهو شاهد على أن السوء ، بفتح السين مصدر ساءه تسوءه ، ويقول : هذا رجل سوء ، ورجل السوء ، كما قال الفرزدق : ذئب السوء . وقال ابن بري : ولم يجوز الأخفش هذا رجل سوء (بضم السين) لأن السوء اسم للفطر وسوء الحال ، وإنما يضاف إلى المصدر الذي هو فعله ، كما يقال : رجل الضرب والطمع . فيقوم مقامه قولك رجل ضارب وطمعان ، فلهذا أجاز أن يقال : رجل السوء (بالفتح) ، ولم يجوز أن يقال هذا رجل السوء (بالضم) .
قال الله تعالى : (وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً) . وتقول في النكرة : رجل سوء (بالإضافة) وإذا عرفت قلت هذا الرجل السوء ، ولم تصف (اللسان) .

قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا) ثم استثنى فقال (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) . . . الآية .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا جعفر ، عن البخريّ بن المختار العبدى ، قال : سمعت عبد الله بن مغفل قال : كنا عشرة ولد مقررّين ، فنزلت فينا (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) . . . إلى آخر الآية ، قال الله : (أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ) يقول تعالى ذكره : ألا إن صلوات الرسول قربة لهم من الله ، وقد يحتمل أن يكون معناه : ألا إن نفقته التي يتفقهها كذلك قربة لهم عند الله ، (سَيَدْخِلُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ) يقول : سيدخلهم الله فيمن رحمه ، فأدخله برحمته الجنة ، إن الله غفور لما اجتروا ، رحيم بهم مع توبتهم وإصلاحهم أن يعذبهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : والذين سبقوا الناس أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم ، وفارقوا منازلهم وأوطانهم ، والأنصار الذين نصرروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) يقول : والذين سلكوا سبيلهم في الإيمان بالله ورسوله ، والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام ، طلب رضا الله ، (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) .

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) فقال بعضهم : هم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان أو أدركوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن إسماعيل ، عن عامر (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) قال : من أدرك بيعة الرضوان .

قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن عامر ، قال (الْمُهَاجِرُونَ السَّابِقُونَ) من أدرك البيعة تحت الشجرة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، قال (الْمُهَاجِرُونَ السَّابِقُونَ) الذين شهدوا بيعة الرضوان .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن مطرف ، عن الشعبي ، قال : المهاجرون السَّابِقُونَ : من كان قبل البيعة إلى البيعة فهم المهاجرون السَّابِقُونَ ، ومن كان بعد البيعة فليس من المهاجرين السَّابِقِينَ .

(١) في خلاصة الخرزجى : البخريّ بن أبي البخريّ مختار العبدى الكوفى . قال ابن عدى : لا أعلم له حديثاً منكراً ، توفي سنة ثمان وأربعين ومئة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل ومطرف عن الشعبي ، قال (السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) هم الذين بايعوا بيعة الرضوان .
حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن دواد ، عن عامر ، قال : فصل ما بين المهجرين بيعة الرضوان ، وهي بيعة الحديبية .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ومطرف ، عن الشعبي ، قال : هم الذين بايعوا بيعة الرضوان .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبث أبو زبيد ، عن مطرف ، عن الشعبي . قال : المهاجرون الأولون : من أدرك بيعة الرضوان .
وقال آخرون : بل هم الذين صلوا القبليتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن عثمان الثقفي ، عن مولى لأبي موسى ، عن أبي موسى ، قال : المهاجرون الأولون : من صلى القبليتين مع النبي صلى الله عليه وسلم .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن مولى لأبي موسى ، قال : سألت أبا موسى الأشعري ، عن قوله (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) قال : هم الذين صلوا القبليتين جميعا .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي هلال ، عن قتادة ، قال : قلت لسعيد بن المسيب : لم سموا المهاجرين الأولين؟ قال : من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم القبليتين جميعا ، فهو من المهاجرين الأولين .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : المهاجرون الأولون : الذين صلوا القبليتين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قوله (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) قال : هم الذين صلوا القبليتين جميعا .
حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عباس بن الوليد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن بعض أصحابه ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، وعن أشعث ، عن ابن سيرين في قوله (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ) قال : هم الذين صلوا القبليتين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا ابن عون ، عن محمد ، قال : المهاجرون الأولون : الذين صلوا القبليتين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله :

(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) قال : هم الذين صلوا القبليتين جميعاً ، وأما الذين اتبعوا المهاجرين الأولين والأنصار باحسان ، فهم الذين أسلموا لله إسلامهم ، وسلكوا منهاجهم في الهجرة والنصرة وأعمال الخير .

كما حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : مرّ عمر برجل وهو يقرأ هذه الآية (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) قال : من أقرأك هذه الآية ؟ قال أقرأني أبي بن كعب ، قال : لا تفارقني حتى أذهب بك إليه فأتاه فقال أنت : أقرأت هذا هذه الآية ؟ قال نعم ، قال : وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لقد كنت أرانا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا ، قال : وتصديق ذلك في أول الآية التي في أول الجمعة ، وأوسط الحشر ، وآخر الأنفال ؛ أما أول الجمعة (وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) ؛ وأوسط الحشر (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ) وأما آخر الأنفال (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الحسن بن عطية ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : مرّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) . . . حتى بلغ (وَرَضُوا عَنْهُ) قال : وأخذ عمر بيده فقال : من أقرأك هذا ؟ قال : أبي بن كعب ، فقال : لا تفارقني حتى أذهب بك إليه ، فلما جاءه قال عمر : أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا ؟ قال : نعم ، قال : أنت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : لقد كنت أظنّ أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا ، فقال أبي : بلى تصديق هذه الآية في أول سورة الجمعة (وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) . . . إلى (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ، وفي سورة الحشر : (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ) ، وفي الأنفال (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ) . . . إلى آخر الآية .

وروي عن عمر في ذلك ما حدثني به أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن حبيب بن الشهيد ، وعن ابن عامر الأنصاري ، أن عمر بن الخطاب قرأ (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) فرفع الأنصار ، ولم يلحق الواو في الذين ، فقال له زيد بن ثابت : والذين اتبعوهم باحسان ، فقال عمر : الذين اتبعوهم باحسان ، فقال زيد : أمير المؤمنين أعلم ، فقال عمر : اثنوني بأبي بن كعب ، فأتاه فسأله عن ذلك ، فقال أبي : (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) فقال عمر : إذا نتابع أبا ، والقراءة على خفض الأنصار عطفاً بهم على المهاجرين ، وقد ذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ (الأنصار) بالرفع عطفاً بهم على السابقين ، والقراءة التي لا تستجيز غيرها الخفض في الأنصار ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وأن السابق كان من الفريقين جميعاً من المهاجرين والأنصار ، وإنما قصد الخبر عن السابق من الفريقين دون الخبر عن الجميع ،

والحاق الواو في الذين اتبعوهم باحسان ، لأن ذلك كذلك في مصاحف المسلمين جميعا ، على أن التابعين باحسان غير المهاجرين والأنصار . وأما السابقون فإنهم مرفوعون بالعائد من ذكرهم في قوله (رضى الله عنهم ورضوا عنه) ومعنى الكلام : رضى الله عن جميعهم لما أطاعوه ، وأجابوا نبيه إلى ما أدهم إليه من أمره ونهيه ، ورضى عنه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم باحسان لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه وإيمانهم به وبنبيه عليه الصلاة والسلام ، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار يدخلونها خالدون فيها ، لا يثين فيها أبدا لا يموتون فيها ، ولا يخرجون منها ، ذلك الفوز العظيم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوهُمُ عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ

سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : ومن القوم الذين حول مدينتكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل مدينتكم أيضا أمثالهم أقوام منافقون ، وقوله (مرَدُّوا على النِّفَاقِ) يقول : مرنوا عليه ودرّبوا به ، ومنه شيطان مارد ومريد : وهو الخبيث العاتى ، ومنه قيل : تمرّد فلان على ربه : أى عتا ومرد على معصيته واعتادها .

وقال ابن زيد في ذلك ، ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النِّفَاقِ) قال : أقاموا عليه لم يتوبوا كما تاب الآخرون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النِّفَاقِ) أى لجوا فيه وأبوا غيره (لَا تَعْلَمُهُمْ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا تعلم يا محمد أنت هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم ممن حولكم من الأعراب ، ومن أهل المدينة ، ولكننا نحن نعلمهم .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ) . . . إلى قوله (نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) قال : فما بال أقوام يتكفون علم الناس فلان في الجنة ، وفلان في النار ، فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال لا أدري ، لعمرى أنت بنفسك أعلم منك بأعمال الناس ، ولقد تكلفت شيئا ما تكلفته الأنبياء قبلك ، قال نبي الله نوح عليه السلام (وما علمي بما كانوا يعملون) ، وقال نبي الله شعيب عليه السلام (بَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ، وما أنا عليكم بحفيظ) وقال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام (لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) وقوله (سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ) يقول : سنُعَذِّبُ هؤلاء المنافقين مرتين : إحداهما في الدنيا ، والأخرى في القبر .

ثم اختلف أهل التأويل في التي في الدنيا ما هي ؟ فقال بعضهم : هي فضيحتهم فضحهم الله بكشف أمورهم ، وتبيين سرائرهم للناس على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن عمرو العنقزي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس ، في قول الله (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ) . . . إلى قوله (عَذَابٌ عَظِيمٌ) قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً يوم الجمعة ، فقال « اخرج يا فلانُ فإنَّكَ مُنَافِقٌ » ، اخرج يا فلانُ فإنَّكَ مُنَافِقٌ » ، فأخرج من المسجد ناساً منهم فضحهم ، فلقبهم عمر وهم يخرجون من المسجد ، فاخْتَبَأَ مِنْهُمْ حِيَاءً أَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ الْجُمُعَةَ ، وَظَنَّ أَنَّ النَّاسَ قَدْ انْصَرَفُوا وَاخْتَبَثُوا هُمْ مِنْ عَمْرِ ، ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ بِأَمْرِهِمْ ، فَجَاءَ عَمْرٌ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا النَّاسُ لَمْ يَصِلُوا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : أَبْشِرْ يَا عَمْرُ ، فَقَدْ فَضَحَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ الْيَوْمَ ، فَهَذَا الْعَذَابُ الْأَوَّلُ حِينَ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَالْعَذَابُ الثَّانِي : عَذَابُ الْقَبْرِ .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، فيذكر المنافقين فيعذبهم بلسانه ، قال : وعذاب القبر ١ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : القتل والسبأ .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) بالجوع ، وعذاب القبر ، قال (ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) يوم القيامة .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا جعفر بن عون والقاسم ويحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالجوع والقتل ، وقال يحيى : بالخوف والقتل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : بالجوع ، والقتل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالجوع ، وعذاب القبر .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالجوع ، والقتل .

وقال آخرون : معنى ذلك : سنعذبهم عذاباً في الدنيا ، وعذاباً في الآخرة .

(١) يظهر أن في الكلام سقطاً والأصل : وقال آخرون : هي الخوف والجوع أو القتل والسبأ ذكر الخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) عذاب الدنيا ، وعذاب القبر (ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أسرَّ إلى حذيفة باثني عشر رجلاً من المنافقين ، فقال ستة منهم ، تكفيكم الدبيلة سراج من نار جهنم ، يأخذ في كتف أحدهم ، حتى يفضي إلى صدره ، وستة يموتون موتاً ، ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رحمه الله كان إذا مات رجل يرى أنه منهم ، نظر إلى حذيفة ، فإن صلى عليه صلى عليه وإلا تركه . وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة : أنشدك الله أمنهم أنا ؟ قال : لا والله ، ولا أؤمن منها أحداً بعدك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : عذاب الدنيا وعذاب القبر .

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن العلاء ، قالوا : ثنا بدل بن المحبر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : عذابا في الدنيا ، وعذابا في القبر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب النار .

وقال آخرون : كان عذابهم إحدى المراتين مصائبهم في أموالهم وأولادهم ، والمرّة الأخرى في جهنم : ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : أما عذاب في الدنيا : فالأموال والأولاد ، وقرأ قول الله (فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بالمصائب فيهم هي لهم عذاب ، وهي للمؤمنين أجر ، قال : وعذاب في الآخرة في النار (ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) قال النار .

وقال آخرون : بل إحدى المراتين : الحدود ، والأخرى : عذاب القبر ، ذكر ذلك عن ابن عباس من وجه غير مرضي .

وقال آخرون : بل إحدى المراتين : أخذ الزكاة من أموالهم ، والأخرى عذاب القبر . ذكر ذلك عن سليمان بن أرقم ، عن الحسن .

وقال آخرون : بل إحدى المراتين عذابهم بما يدخل عليهم من الغيظ في أمر الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : العذاب الذي وعدهم مرتين فيما بلغني عنهم ما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم في القبر إذا صاروا إليه ، ثم العذاب العظيم الذي يردون إليه عذاب الآخرة ويخلدون فيه .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال : إن الله أخبر أنه يعذب هؤلاء

الذين مردوا على النفاق مرتين ، ولم يضع لنا دليلا نتوصل به إلى علم صفة ذنوبك العذابين ، وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أثبتنا عنهم ، وليس عندنا علم بأيّ ذلك من بأيّ ، على أن في قوله جلّ ثناؤه (ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) دلالة على أن العذاب في المرتين كليهما قبل دخولهم النار ، والأغلب من إحدى المرتين أنها في القبر . وقوله (ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) يقول : ثم يردّ هؤلاء المنافقون بعد تعذيب الله إياهم مرتين إلى عذاب عظيم ، وذلك عذاب جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق ، ومنهم آخرون اعترفوا بذنوبهم ، يقول : أقرّوا بذنوبهم ، خلطوا عملا صالحا ، يعني جلّ ثناؤه بالعمل الصالح الذي خلطوه بالعمل السيئ : اعترفهم بذنوبهم وتوبتهم منها ، والآخرة السيئة هو تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خرج غازيا ، وتركهم الجهاد مع المسلمين .

فإن قال قائل : وكيف قيل : خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، وإنما الكلام : خلطوا عملا صالحا بآخر سيئ قيل : قد اختلف أهل العربية في ذلك ، فكان بعض نحوي البصرة يقول : قيل ذلك كذلك ، وجائز في العربية أن يكون بآخر كما تقول : استوى الماء والخشبة : أي بالخشبة ، وخلطت الماء واللبن ، وأنكر آخرون أن يكون نظير قولهم استوى الماء والخشبة . واعتلّ في ذلك بأن الفعل في الخلط عامل في الأول والثاني ، وجائز تقديم كل واحد منهما على صاحبه ، وأن تقديم الخشبة على الماء غير جائز في قولهم : استوى الماء والخشبة ، وكان ذلك عندهم دليلا على مخالفة ذلك الخلط .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أنه بمعنى قولهم : خلطت الماء واللبن ، بمعنى خلطته باللبن (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) يقول : لعلّ الله أن يتوب عليهم ، وعسى من الله واجب ، وإنما معناه : سيتوب الله عليهم ، ولكنه في كلام العرب على ما وصفت (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : إن الله ذو صفح وعفو لمن تاب عن ذنوبه وساتر له عليها ، رحيم به أن يعذبه بها .

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الآية ، والسبب الذي من أجله أنزلت فيه ، فقال بعضهم : نزلت في عشرة أنفس كانوا يخافوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، منهم أبو لبابة ، فربط سبعة منهم أنفسهم إلى السوارى عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم توبة منهم من ذنبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله :

(وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا) قال : كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فلما حضر رجوع النبي صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد ، وكان عمر النبي صلى الله عليه وسلم إذا رجع في المسجد عليهم ، فلما رآهم قال : من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسواري ؟ قالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله حتى تطلقهم . وتعذرهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم ، رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين ، فلما بلغهم ذلك ، قالوا : ونحن بالله لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله الذي يطلقنا ، فأنزل الله تبارك وتعالى (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) وعسى من الله واجب ، فلما نزلت ، أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأطلقهم وعذرهم .

وقال آخرون : بل كانوا ستة ، أحدهم أبو لبابة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ) . . . إلى قوله (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة تبوك ، فتخلف أبو لبابة وخمسة معه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا وأيقنوا بالهلكة ، وقالوا : نكون في الكن والطمأنينة مع النساء ، ورسول الله والمؤمنون معه في الجهاد ، والله لنوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يطلقنا ويعذرنا ، فانطلق أبو لبابة وأوثق نفسه ورجلان معه بسواري المسجد ، وبقي ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ، وكان طريقه في المسجد ، فرآهم فقال : من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسواري ؟ فقالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم وترضى عنهم ، وقد اعترفوا بذنوبهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا أطلقهم حتى أؤمر بإطلاقهم ، ولا أعذرهم حتى يكون الله هو يعذرهم ، وقد تخلفوا عني ورغبوا بأنفسهم عن غزو المسلمين وجهادهم ، فأنزل الله برحمته (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وعسى من الله واجب ، فلما نزلت الآية أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذرهم ، وتجاوز عنهم .

وقال آخرون : الذين ربطوا أنفسهم بالسواري كانوا ثمانية .

(١) الذي في الدر : أوثقوا أنفسهم وحلفوا أنهم لا يطلقهم أحد حتى . . . الخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم (وآخرُونَ اعترفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) قال : هم الثمانية الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى ، منهم كَرْدَم ومِرْدَاس وأبو لبابة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى : هلال ، وأبولبابة ، وكَرْدَم ، ومِرْدَاس ، وأبو قيس . وقال آخرون : كانوا سبعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وآخرُونَ اعترفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) ذكر لنا أنهم كانوا سبعة رهط تخلفوا عن غزوة تبوك . فأما أربعة فخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً : جند بن قيس ، وأبولبابة ، وحرام ، وأوس ، وكلهم من الأنصار ، وهم الذين قيل فيهم (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خلطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا) قال : هم نفر ممن تخلف عن تبوك : منهم أبولبابة ، ومنهم جند بن قيس تيب عليهم ، قال قتادة : وليسوا بثلاثة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (وآخرُونَ اعترفُوا بِذُنُوبِهِمْ) قال : هم سبعة ، منهم أبو لبابة كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك ، وليسوا بثلاثة .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وآخرُونَ اعترفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا) نزلت في أبي لبابة وأصحابه تخلفوا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ؛ فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ، وكان قريباً من المدينة ، ندموا على تخلفهم عن رسول الله ، وقالوا : نكون في الظلال والأطعمة والنساء ، ونبي الله في الجهاد والأواء ، والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى ، ثم لانطلقها حتى يكون نبي الله صلى الله عليه وسلم يطلقنا ويعذرنا ، وأوثقوا أنفسهم ، وبقي ثلاثة لم يوثقوا أنفسهم ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ، فمر في المسجد وكان طريقه ، فأبصرهم ، فسأل عنهم ، فقيل له : أبولبابة وأصحابه تخلفوا عنك يا نبي الله ، فصنعوا بأنفسهم ما ترى ، وعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : لا أطلقهم حتى أؤمر بإطلاقهم ولا أعذرهم حتى يعتذرهم الله ، قد رغبوا بأنفسهم عن غزوة المسلمين ، فأنزل الله (وآخرُونَ اعترفُوا بِذُنُوبِهِمْ) . . . إلى (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) وعسى من الله واجب فأطلقهم نبي الله وعذرهم .

وقال آخرون : بل عني بهذه الآية أبو لبابة خاصة وذنبه الذي اعترف به فتنب عليه منه ما كان من أمره في بني قريظة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وآخرون) اعتبرفوا بذنوبهم) قال : نزلت في أبي لبابة قال لبني قريظة ما قال .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وآخرون) اعتبرفوا بذنوبهم) قال أبو لبابة إذ قال لقريظة ما قال ، أشار إلى حلقه : إن محمدا ذابحكم إن نزلتم على حكم الله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وآخرون) اعتبرفوا بذنوبهم) فذكر نحوه ، إلا أنه قال : إن نزلتم على حكمه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ربط أبو لبابة نفسه إلى سارية ، فقال : لأحل نفسي حتى يحلني الله ورسوله ، قال : فحله النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه أنزلت هذه الآية (وآخرون) اعتبرفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن ليث ، عن مجاهد (وآخرون) اعتبرفوا بذنوبهم) قال نزلت في أبي لبابة .

وقال آخرون : بل نزلت في أبي لبابة بسبب تخلفه عن تبوك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الزهري : كان أبو لبابة ممن تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فربط نفسه بسارية ، فقال : والله لأحل نفسي منها ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت ، أو يتوب الله عليّ ، فكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خثر مغشيا عليه ، قال : ثم تاب الله عليه ، ثم قيل له : قد تيب عليك يا أبا لبابة ، فقال : والله لأحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يحلني ، قال : فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فحله بيده ، ثم قال أبو لبابة : يا رسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب ، وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال : « يَجْزِيكَ يَا أبا لُبَابَةَ الثُّلُثُ » .

وقال بعضهم : عني بهذه الآية الأعراب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وآخرون) اعتبرفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) قال : فقال : إنهم من الأعراب

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن حجاج بن أبي ذئب ، قال : سمعت أبا عثمان يقول : ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الأمة من قوله (وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) . . . إلى (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال : نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم في تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم الجهاد معه والخروج لغزو الروم حين شخص إلى تبوك ، وإن الذين نزل ذلك فيهم جماعة أحدهم أبو لبابة .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك ، لأن الله جل ثناؤه قال (وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) فأنخبر عن اعتراف جماعة بذنوبهم ، ولم يكن المعترف بذنبه ، الموثق نفسه بالسارية في حصار قريظة غير أبي لبابة وحده ، فإذا كان ذلك ، وكان الله تبارك وتعالى قد وصف في قوله (وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) بالاعتراف بذنوبهم جماعة ، علم أن الجماعة الذين وصفهم بذلك السبب غير الواحد ، فقد تبين بذلك أن هذه الصفة إذا لم تكن إلا لجماعة ، وكان لاجتماع فعلت ذلك فيما نقله أهل السير والأخبار ، وأجمع عليه أهل التأويل إلا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك صح ما قلنا في ذلك ، وقلنا : كان منهم أبو لبابة لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد خذ من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا منها صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم ، وتزكئهم بها ، يقول : وتنمئهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها ، إلى منازل أهل الإخلاص (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) يقول : وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم ، (وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ) منها (إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) يقول : إن دعائك واستغفارك طمأنينة لهم بأن الله قد عفا عنهم ، وقبل توبتهم (وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يقول : والله سميع لدعائك إذا دعوت لهم ، ولغير ذلك من كلام خلقه ، عليم بما تطلب لهم بدعائك ربك لهم ، وبغير ذلك من أمور عبادته .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : جاءوا بأموالهم ، يعني أبا لبابة وأصحابه حين أطلقوا ، فقالوا : يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا ، قال : ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا ، فأنزل الله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) يعني بالزكاة : طاعة الله والإخلاص (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) يقول : استغفر لهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وصاحبيه ، انطلق أبو لبابة وصاحباؤه بأموالهم ، فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : خذ من أموالنا فتصدق بها عنا ، وصل علينا ، يقولون : استغفر لنا وطهرنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا آخذُ منها شيئا حتى أؤمرَ ، فأنزل الله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) يقول : استغفر لهم من ذنوبهم التي كانوا أصابوا ؛ فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم جزءا من أموالهم ، فتصدق بها عنهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم ، قال : لما أطلق النبي صلى الله عليه وسلم أبا لبابة ، والذين ربطوا أنفسهم بالسوارى ، قالوا : يا رسول الله خذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها ، فأنزل الله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى حين عفا الله عنهم : يا نبي الله طهر أموالنا ، فأنزل الله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) ، وكان الثلاثة إذا اشتكى أحدهم اشتكى الآخرين مثله ، وكان عمى منهم اثنان ، فلم يزل الآخر يدعو حتى عمى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : الأربعة : جد بن قيس ، وأبو لبابة ، وحرام ، وأوس ، وهم الذين قيل فيهم (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) أي وقار لهم ، وكانوا وعدوا من أنفسهم أن ينفقوا ، ويجاهدوا ، ويتصدقوا .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک ، قال : لما أطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وأصحابه ، أتوا نبي الله بأموالهم ، فقالوا : يا نبي الله خذ من أموالنا فتصدق به عنا ، وطهرنا وصل علينا ، يقولون : استغفر لنا ، فقال نبي الله : لا آخذُ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شيئا حتى أؤمرَ فيها ، فأنزل الله عز وجل (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ) من ذنوبهم التي أصابوا (وَصَلْ عَلَيْهِمْ) يقول : استغفر لهم ، ففعل نبي الله صلى الله عليه وسلم الصلاة والسلام ما أمره الله به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً) أبو لبابة وأصحابه (وَصَلْ عَلَيْهِمْ) يقول : استغفر لهم لذنوبهم التي كانوا أصابوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) قال : هؤلاء ناس

من المنافقين ممن كان تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، اعترفوا بالنفاق وقالوا : يا رسول الله قد ارتبنا ونافقنا وشككنا ، ولكن توبة جديدة ، وصدقة نخرجها من أموالنا ، فقال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) بعد ما قال (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) .

واختلف أهل العربية في وجه رفع تركيهم ، فقال بعض نحوي البصرة : رفع تركيهم بها في الابتداء وإن شئت جعلته من صفة الصدقة ، ثم جئت بها توكيدا ، وكذلك تطهرهم ؛ وقال بعض نحوي الكوفة : إن كان قوله (تُطَهِّرُهُمْ) للنبي عليه الصلاة والسلام فالاختيار أن تجزم بأنه لم يعد على الصدقة عائد (وَتُزَكِّيهِمْ) مستأنف ، وإن كانت الصدقة تطهرهم وأنت تركيهم بها جاز أن تجزم الفعلين وترفعهما .

قال أبو جعفر : والصواب في ذلك من القول أن قوله (تُطَهِّرُهُمْ) من صلة الصدقة ، لأن القراء مجمعة على رفعها ، وذلك دليل على أنه من صلة الصدقة . وأما قوله (وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) فخير مستأنف ، بمعنى وأنت تركيهم بها ، فلذلك رفع .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) فقال بعضهم : رحمة لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) يقول : رحمة لهم .

وقال آخرون : بل معناه : إن صلاتك وقار لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) : أي وقار لهم .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته قراء المدينة (إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) بمعنى دعواتك . وقرأ قراء العراق وبعض المكيين (إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) بمعنى إن دعائك ، وكأن الذين قرءوا ذلك على التوحيد رأوا أن قراءته بالتوحيد أصبح ، لأن في التوحيد من معنى الجمع وكثرة العدد ما ليس في قوله (إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) إذ كانت الصلوات هي جمع لما بين الثلاث إلى العشر من العدد دون ما هو أكثر من ذلك ، والذي قالوا من ذلك إعادنا كما قالوا ، وبالتوحيد عندنا القراءة لالعة أن ذلك في العدد أكثر من الصلوات ، ولكن المقصود منه الخبر عن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وصلاته أنه سكن لهؤلاء القوم لا الخبر عن العدد ، وإذا كان ذلك كذلك ، كان التوحيد في الصلاة أولى .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٤﴾

و هذا خبر من الله تعالى ذكره أخبر المؤمنين به أن قبول توبة من تاب من المنافقين ، وأخذ الصدقة من أموالهم إذا أعطوها ليسا إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وأن نبي الله حين أبي أن يطلق من ربط نفسه بالسوارى من المتخلفين عن الغزو معه ، وحين ترك قبول صدقتهم بعد أن أطلق الله عنهم حين أذن له في ذلك إنما فعل ذلك من أجل أن ذلك لم يكن إليه صلى الله عليه وسلم ، وأن ذلك إلى الله تعالى ذكره دون محمد ، وأن محمدا إنما يفعل ما يفعل من ترك وإطلاق وأخذ صدقة وغير ذلك من أفعاله بأمر الله ، فقال جل ثناؤه : ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد مع المؤمنين الموثقوا أنفسهم بالسوارى ، القائلون لانطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ، السائلو رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ صدقة أموالهم أن ذلك ليس إلى محمد ، وأن ذلك إلى الله ، وأن الله هو الذي يقبل توبة من تاب من عباده ، أو يردّها ، ويأخذ صدقة من تصدّق منهم ، أو يردّها عليه دون محمد ، فيوجهوا توبتهم وصدقتهم إلى الله ، ويقصدوا بذلك قصد وجهه دون محمد وغيره ، ويخلصوا التوبة له ويريدوه بصدقتهم ، ويعلموا أن الله هو التواب الرحيم ، يقول المرجع بعبده إلى العفو عنهم إذا رجعوا إلى طاعته ، الرحيم بهم إذا هم أنابوا إلى رضاه من عقابه .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال الآخرون : يعنى الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء : يعنى الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون ، فما لهم ؟ فقال الله (أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ، ويأخذ الصدقات ، وأن الله هو التواب الرحيم) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني رجل كان يأتي حمادا ولم يجلس إليه ، قال شعبة ، قال العوام بن حوشب : هو قتادة ، أو ابن قتادة ، رجل من محارب قال : سمعت عبد الله بن السائب وكان جاره ، قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : ما من عبد تصدّق بصدقة إلا وقعت في يد الله ، فيكون هو الذي يضعها في يد السائل ، وتلا هذه الآية (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ، ويأخذ الصدقات) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله بن أبي قتادة المحاربي ، عن عبد الله بن مسعود قال : ما تصدّق رجل بصدقة إلا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل ، وهو يضعها في يد السائل ، ثم قرأ (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ، ويأخذ الصدقات) .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله ابن أبي قتادة ، عن ابن مسعود ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله بن أبي قتادة ،

قال : قال عبد الله : إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل ، ثم قرأ هذه الآية (هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عباد بن منصور ، عن القاسم ، أنه سمع أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ أَلَّاهُ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ ، وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ ، فَيُرَبِّهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مَهْرَهُ ، حَتَّى إِنْ أَلَّقْتُمَا لَتَصِيرُ مِثْلُ أَحَدٍ » وتصديق ذلك في كتاب الله (أَنْ أَلَّاهُ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) و (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ) .

حدثنا سليمان بن عمر بن الأقطع الربيعي ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن عباد بن منصور ، عن القاسم ، عن أبي هريرة ، ولا أراه إلا قد رفعه قال : إن الله يقبل الصدقة ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن القاسم بن محمد عن أبي هريرة قال : إن الله يقبل الصدقة إذا كانت من طيب ، ويأخذها بيمينه ، وإن الرجل يتصدق بمثل اللقمة ، فرببها الله له ، كما يربي أحدكم فصيله أو مهره ، فربو في كف الله ، أو قال في يد الله ، حتى تكون مثل الجبل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا يَتَصَدَّقُ رَجُلٌ بِصَدَقَةٍ فَتَقَعُ فِي يَدِ السَّائِلِ حَتَّى تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ » . حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) يعني إن استقاموا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقُلْ أَعْمَلُوا فَيَسِّرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَقُلْ) يا محمد لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك (اَعْمَلُوا) الله بما يرضيه من طاعته وأداء فرائضه (فَيَسِّرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ) يقول : فسيرى الله إن عملتم عملكم ، ويراه رسول الله (وَالْمُؤْمِنُونَ) في الدنيا (وَسَتُرَدُّونَ) يوم القيامة إلى من يعلم سرائركم وعلايتكم ، فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركم وظواهرها (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : فيخبركم بما كنتم تعملون ، وما منه خالصا ، وما منه رياء وما منه طاعة ، وما منه لله معصية ، فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم ، المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (وَقُلْ اَعْمَلُوا فَيَسِّرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) قال : هذا وعيد .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المتخلفين عنكم حين شخصتم لعدوكم أيها المؤمنون آخرون ، ورفع قوله آخرون عطفا على قوله : وآخرون اعترفوا بذنوبهم ، خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، وآخرون مرجون : يعني مرجئون لأمر الله وقضائه ، يقال منه أرجأته أرجئه إرجاء وهو مرجأ بالهمز ، وترك الهمز وهما لغتان معناهما واحد ، وقد قرأت القراء بهما جميعا . وقيل : عني هؤلاء الآخريين نفر ممن كان تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فندموا على ما فعلوا ولم يعتذروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مقدمه ، ولم يوثقوا أنفسهم بالسوارى ، فأرجأ الله أمرهم إلى أن صحت توبتهم ، فتاب عليهم ، وعفا عنهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : وكان ثلاثة منهم ، يعني من المتخلفين عن غزوة تبوك لم يوثقوا أنفسهم بالسوارى أرجئوا سبته لا يدرون أيعذبون أو يتاب عليهم ، فأنزل الله (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ) . . . إلى قوله (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية ، يعني قوله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموالهم ، يعني من أموال أبي لبابة وصاحبيه ، فتصدق بها عنهم ، وبقي الثلاثة الذين خالفوا أبا لبابة ، ولم يوثقوا ، ولم يذكروا بشيء ، ولم ينزل عذرهم ، وضاعت عليهم الأرض بما رحبت ، وهم الذين قال الله (وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ ، إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ، وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فجعل الناس يقولون : هلكوا إذ لم ينزل لهم عذر . وجعل آخرون يقولون : عسى الله أن يغفر لهم ، فصاروا مرجئين لأمر الله حتى نزلت (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) الذين خرجوا معه إلى الشام (مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ) ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم) ثم قال (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا) يعني المرجئين لأمر الله نزلت عليهم التوبة ، فعموا بها ، فقال (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم) . . . إلى قوله (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة (وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ) قال : هم الثلاثة الذين خلفوا .

(١) السبته : البرهة من الدهر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَخْرُوجُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ) قال : هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك من الأوس والخزرج .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَخْرُوجُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ) هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك من الأوس والخزرج .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، مثله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (وَأَخْرُوجُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ) هم الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة ، يريد غير أبي لبابة وأصحابه ، ولم ينزل الله عذرهم ، فضأقت عليهم الأرض بما رحبت ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين : فرقة تقول : هلكوا حين لم ينزل الله فيهم ما أنزل في أبي لبابة وأصحابه ، وتقول فرقة أخرى : عسى الله أن يعفو عنهم ، وكانوا مرجئين لأمر الله ، ثم أنزل الله رحمته ومغفرته ، فقال (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ) . . . الآية ، وأنزل (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَخْرُوجُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ) قال : كنا نحدث أنهم الثلاثة الذين خلفوا : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، رهط من الأنصار .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَخْرُوجُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ) قال : هم الثلاثة الذين خلفوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَأَخْرُوجُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ) ، إما يبعد بهم ، وإما يتوب عليهم) وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم ، حتى أتتهم توبتهم من الله .

وأما قوله (إِمَّا يَُْعَذَّبُهُمْ) فإنه يعنى : إما أن يحجزهم الله عن التوبة بخذلانه إياهم فيعذبهم بذنوبهم التي ماتوا عليها في الآخرة (وإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) يقول : وإما يوفقهم للتوبة فيتوبوا من ذنوبهم ، فيغفر لهم (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) يقول : والله ذو علم بأمرهم ، وما هم صائرون إليه من التوبة ، والمقام على الذنب ، حكيم في تدبيرهم ، وتدبير من سواهم من خلقه ، لا يدخل حكمه خلل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره : والذين ابتنوا مسجدا ضارا ، وهم فيما ذكرنا اثنا عشر نفسا من الأنصار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم ، قالوا : « أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعني من تبوك حتى نزل بذي أوان ، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة ، والحاجة ، والليلة المطيرة ، والليلة الشتية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه ، فقال : إني على جناح سفر وحال شغل ، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَلَوْ قَدْ قَدِمْنَا أَتَيْنَاكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ فَلَمَّا نَزَلَ بَذَى أَوَانُ أَتَاهُ خَيْرُ الْمَسْجِدِ ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدى ، أو أخاه عاصم بن عدى أخا بني العجلان ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُهُ فاهدماه وحرّقاها ، فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى ، فدخل أهله فأخذ سعفا من النخل ، فأشعل فيه نارا ، ثم خرجا يشتدّان حتى دخلا المسجد وفيه أهله ، فحرّقاها وهدماه ، وتفرّقا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا) إلى آخر القصة » وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا : خدام بن خالد بن عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة بن حاطب من بني عبيد وهو إلى بني أمية بن زيد ، ومعتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الأزعر من بني ضبيعة بن زيد ، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر وابناه : مجمع بن جارية ، وزيد بن جارية ، ونبئل بن الحرث وهم من بني ضبيعة وبندج وهو إلى بني ضبيعة ، وبجاد بن عثمان وهو من بني ضبيعة ، ووديعة بن ثابت وهو إلى بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر .

فتأويل الكلام : والذين ابتنوا مسجدا ضارا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرا بالله لمخادتهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويفرقوا به المؤمنين ليصلي فيه بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيختلفوا بسبب ذلك ويفرقوا ، (وَأَرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) يقول : وإعدادا له ، لأبي عامر الكافر الذى خالف الله ورسوله ، وكفر بهما وقاتل رسول الله ، من قبل ، يعنى من قبل بنائهم ذلك المسجد ، وذلك أن أبا عامر هو الذى كان حزب الأحزاب ، يعنى حزب الأحزاب لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما خذله الله ، لحق بالروم يطلب النصر من ملكهم على نبي الله ، وكتب إلى أهل مسجد الضرار يأمرهم ببناء المسجد الذى كانوا بنوه فيما ذكر عنه ليصلي فيه فيما يزعم إذا رجع إليهم ، ففعلوا ذلك ، وهذا معنى قول الله جل ثناؤه (وَأَرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَسْخَلُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى) يقول

جلّ ثناءؤه ، وليحلفن بانوه إن أردنا إلا الحسنى ببنائناه إلا الرفق بالمسلمين والمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلّة ، ومن عجز عن المسير إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه ، وتلك هي الفعلّة الحسنة (وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) في حلفهم ذلك ، وقيلهم ما بنيناها إلا ونحن نريد الحسنى ، ولكنهم بنوه يريدون ببنائنا السوأى ضرارا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكفرا بالله ، وتفريقا بين المؤمنين ، وإرصادا لأبي عامر الفاسق .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا) وهم أناس من الأنصار ابتنوا مسجدا ، فقال لهم أبو عامر : ابنوا مسجدكم ، واستعدوا بما استطعتم من قوّة ومن سلاح ، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم ، فأتي بجند من الروم ، فأخرج محمدا وأصحابه ؛ فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبيّ عليه الصلاة والسلام ، فقالوا : قد فرغنا من بناء مسجدنا ، فنحبّ أن تصلى فيه وتدعو لنا بالبركة ، فأنزل الله فيه (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ، لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) . . . إلى قوله (وَاللّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء ، خرج رجال من الأنصار منهم بخدج جدّ عبد الله بن حنيف ، ووديعه بن حزام ، ومجمع بن جارية الأنصاري ، فبنوا مسجد النفاق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبخدج : وَيْلَكَ مَا أَرَدْتَ إِلَى مَا أَرَى ، فقال : يارسول الله ، والله ما أردت إلا الحسنى وهو كاذب ، فصدقه رسول الله ، وأراد أن يعذره ، فأنزل الله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) يعنى رجلا منهم يقال له أبو عامر كان محاربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد انطلق إلى هرقل ، فكانوا يرصدون أبا عامر أن يصلى فيه ، وكان قد خرج من المدينة محاربا لله ولرسوله (وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى ، وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) قال أبو عامر الراهب انطلق إلى قيصر ، فقالوا إذا جاء يصلى فيه كانوا يرون أنه سيظهر على محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال المناقبون لمن حارب الله ورسوله لأبي عامر الراهب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
قال : ثنا أبو إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد
(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : نزلت في المنافقين ،
وقوله (وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : هو أبو عامر الراهب .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبیر
(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا) قال : هم بنو غنم بن عوف .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبیر
(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا) قال : هم حتى يقال لهم بنو غنم .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن
جبیر ، في قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا) قال : هم حتى يقال لهم بنو غنم .
قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت (وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ) أبو عامر الراهب انطلق إلى الشام ، فقال الذين بنوا مسجد الضرار : إنما بنيناها ليصلي فيه أبو عامر .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا
ضِرَارًا) . . . الآية ، عمد ناس من أهل النفاق ، فابتنوا مسجدا بقباء ليضاهوا به مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، ثم بعثوا إلى رسول الله ليصلي فيه ، ذكر لنا أنه دعا بقميصه ليأتيهم حتى أطلعه الله على ذلك .
وأما قوله (وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فإنه كان رجلا يقال له أبو عامر ، فر من المسلمين
فلحق بالمشركين فقتلوه بإسلامه ، قال : إذا جاء صلى فيه ، فأنزل الله (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ، كَلِمَ سَجْدًا
أُسِّنَ عَلَى التَّقْوَى) . . . الآية .
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك
يقول في قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا) هم ناس من المنافقين بنوا مسجدا بقباء
يضارون به نبي الله والمسلمين (وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) كانوا يقولون : إذا رجع أبو عامر
من عند قيصر من الروم صلى فيه ، وكانوا يقولون : إذا قدم ظهر على نبي الله صلى الله عليه وسلم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا
ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) قال :
مسجد بقاء ، كانوا يصلون فيه كلهم ، وكان رجل من رؤساء المنافقين يقال له أبو عامر أبو حنظلة غسيل
الملائكة وصيني وأخيه ، وكان هؤلاء الثلاثة من خيار المسلمين ، فخرج أبو عامر هاربا هو وابن بالين من
ثقيف وعلقمة بن علاثة من قيس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى لحقوا بصاحب الروم ، فأما

(١) كذا في الأصل ولعله مصحف ، والأصل : فبنوه بإشارته وقالوا إذا الخ .

علقمة وابن بالين فرجعا فبايعا النبي صلى الله عليه وسلم وأسلما ، وأما أبو عامر فتنصر وأقام . قال : وبني ناس من المنافقين مسجد الضرار لأبي عامر ، قالوا : حتى يأتي أبو عامر يصلى فيه وتفرقا بين المؤمنين يفرقون بين جماعتهم ، لأنهم كانوا يصلون جميعا في مسجد قباء ، وجاءوا يخدعون النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ربما جاء السيل يقطع بيننا وبين الوادى ، ويحول بيننا وبين القوم ، فنصلى في مسجدنا فإذا ذهب السيل صلينا معهم ، قال : وبنوه على النفاق ، قال : وأما مسجدهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وألقى الناس عليه التثنية والقمامة ، فأنزل الله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) لئلا يصلى في مسجد قباء جميع المؤمنين (وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) أبي عامر (وَلَيْسَ حَلِيفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن أبي جعفر ، عن ليث أن شقيقا لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر ، فقيل له مسجد بني فلان ، لم يصلوا بعد ، فقال : لأحسب أن أوصلى فيه فإنه بنى على ضِرَارٍ ، وكل مسجد بني ضرار أو رياء أو سمعة ، فإن أصله ينتهى إلى المسجد الذى بنى على ضرار .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا تقم يا محمد في المسجد الذى بناه هؤلاء المنافقون ضرارا وتفرقا بين المؤمنين ، وإرصادا لمن حارب الله ورسوله ، ثم أقسم جل ثناؤه فقال : (لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ) أنت فيه ، يعنى بقوله (أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى) ابتدئ أساسه وأصله على تقوى الله وطاعته من أول يوم ابتدئ في بنائه (أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) يقول : أولى أن تقوم فيه مصليا . وقيل : معنى قوله (مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) مبدأ أول يوم كما تقول العرب : لم أره من يوم كذا ، بمعنى مبدؤه ، ومن أول يوم يراد به من أول الأيام ، كقول القائل : لقيت كل رجل ، بمعنى كل الرجال .

واختلف أهل التأويل في المسجد الذى عناه بقوله (لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) فقال بعضهم : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فيه منبره وقبره اليوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن عثمان بن عبيد الله ، قال : أرسلنى محمد بن أبى هريرة إلى ابن عمر أسأله عن المسجد الذى أسس على التقوى ، أى مسجد هو ؟ مسجد المدينة ، أو مسجد قباء ؟ قال : لا ، مسجد المدينة .

قال : ثنا القاسم بن عمرو العنقزي ، عن الدراوردي ، عن عثمان بن عبيد الله ، عن ابن عمر وزيد بن ثابت وأبي سعيد ، قالوا : المسجد الذي أسس على التقوى : مسجد الرسول .

قال : ثنا أبي ، عن ربيعة بن عثمان ، عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع ، قال : سألت ابن عمر عن المسجد الذي أسس على التقوى ؟ قال : هو مسجد الرسول .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد ، قال : هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنا أبي ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد ، قال : هو مسجد الرسول .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، ثنا حميد الخراط المدني ، قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن ، قال : مررتي عبد الرحمن بن أبي سعيد ، فقلت : كيف سمعت أباك يقول في المسجد الذي أسس على التقوى ؟ فقال لي : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في بيت بعض نسائه ، فقلت : يا رسول الله ، أي مسجد الذي أسس على التقوى ؟ قال : فأخذ كفا من حصباء فضرب به الأرض ، ثم قال : هو مسجدكم هذا ، هكذا سمعت أباك يذكره .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أسامة بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، قال : المسجد الذي أسس على التقوى : هو مسجد النبي الأعظم .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن سعيد بن المسيب ، قال : إن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ، هو مسجد المدينة الأكبر .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، قال : قال سعيد بن المسيب ، فذكر مثله ، إلا أنه قال : الأعظم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن ابن حرمة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد ، قال : أحسبه عن أبيه ، قال : مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذي أسس على التقوى .

وقال آخرون : بل غني بذلك : مسجد قباء .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (كَلِمَتُ الْجِدِّ " أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) يعني مسجد قباء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس نحوه . حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية (كَلِمَتُ الْجِدِّ " أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) هو مسجد قباء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن صالح بن حيّان ، عن ابن بريد ، قال : مسجد قباء الذي أُسّس على التقوى ، بناه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : المسجد الذي أسس على التقوى : مسجد قباء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ابن الزبير : الذين بنى فيهم المسجد الذي أسس على التقوى : بنو عمرو بن عوف .

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لصحة الخبر بذلك عن رسول الله .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قال أبو كريب : ثنا وكيع ، وقال ابن وكيع : ثنا أبي ، عن ربيعة ابن عثمان التيمي ، عن عمران بن أبي أنس رجل من الأنصار ، عن سهل بن سعد ، قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد النبيّ ، وقال الآخر : هو مسجد قباء ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألاه ، فقال : هو مسجدي ، هذا اللفظ لحديث أبي كريب ، وحديث سفيان نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن عبد الله بن عامر الأسلمي عن عمران بن أبي أنس ، عن سهل بن سعد ، عن أبي بن كعب ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال : مسجدى هذا .

حدثني يونس ، قال : أخبرني ابن وهب ، قال : ثنا الليث ، عن عمران بن أبي أنس ، عن ابن أبي سعيد ، عن أبيه ، قال : تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ، فقال رجل : هو مسجد قباء ، وقال آخر : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله : هو مسجدى هَذَا .

حدثني بحر بن نصر الخولاني ، قال : قرئ على شعيب بن الليث ، عن أبيه ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سعيد بن أبي سعيد الخدري ، قال : تمارى رجلان ، فذكر مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا سبل بن محمد بن أبي يحيى ، قال : سمعت عمي أنيس بن أبي يحيى يحدث ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مَسْجِدِي هَذَا ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن أنيس ، عن أبيه ، عن أبي سعيد عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بنحوه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : أخبرنا أنيس بن أبي يحيى ، عن أبيه ،

عن أبي سعيد ، أن رجلا من بني خدره ، ورجلا من بني عمرو بن عوف ، امتريا في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال الخدرى : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال العوفى : هو مسجد قباء ، فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم وسألاه ، فقال : هُوَ مَسْجِدِي هَذَا ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ :
 يقول تعالى ذكره في حاضري المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم رجال يحبون أن ينظفوا مقاعدهم بالماء إذا أتوا الغائط ، والله يحب المتطهرين بالماء .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا همام بن يحيى ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب قال : لما نزل (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا الطُّهُورُ الَّذِي أَتَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَغْسِلُ أَثَرِ الْغَائِطِ » .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمْ الشَّاءَ فِي الطُّهُورِ ، كَمَا تَصْنَعُونَ ؟ قَالُوا : إِنْ نَغْسِلُ عَنَا أَثَرِ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : لما نزلت (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي أَتَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِيهِ ؟ قَالُوا : إِنْ نَسْتَطِيبُ بِالْمَاءِ إِذَا جِئْنَا مِنَ الْغَائِطِ » .

حدثني جابر بن الكردى ، قال : ثنا محمد سابق ، قال : ثنا مالك بن مغول ، عن سيار أبي الحكم ، عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، قال : قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أَلَا أَخْبِرُونِي ؟ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَتَى عَلَيْكُمْ بِالطُّهُورِ خَيْرًا ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ نَجِدُ عِنْدَنَا مَكْتُوبًا فِي التَّوْرَةِ الاسْتِنْجَاءَ بِالْمَاءِ » .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن رافع ، عن مالك بن مغول ، قال : سمعت سيارا أبا الحكم غير مرة ، يحدث عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، قال : « لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِ قَبَاءَ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَتَى عَلَيْكُمْ بِالطُّهُورِ خَيْرًا ، يَعْنِي قَوْلَهُ (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) قَالُوا : إِنْ نَجِدْهُ مَكْتُوبًا عِنْدَنَا فِي التَّوْرَةِ : الاسْتِنْجَاءُ بِالْمَاءِ » .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى بن رافع ، قال : ثنا مالك بن مغول ، عن سيار ، عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، قال يحيى : وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ

صلى الله عليه وسلم لأهل قباء: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَثَنَى عَلَيْكُمْ فِي الطُّهُورِ خَيْرًا، قَالُوا: إنا نجد مکتوبا علينا في التوراة: الاستنجاء بالماء، وفيه نزلت (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا)».

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا إسماعيل بن صبيح اليشكري، قال: ثنا أبو أويس المدني، عن شرحبيل بن سعد، عن عويم بن ساعدة، وكان من أهل بدر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء: «إِنِّي أَسْمَعُ اللَّهَ قَدْ أَثَنَى عَلَيْكُمْ الثَّنَاءَ فِي الطُّهُورِ، فَمَا هَذَا الطُّهُورُ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا نَعْلَمُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ جِيرَانًا لَنَا مِنَ الْيَهُودِ رَأَيْنَاهُمْ يَغْسِلُونَ أَدْبَارَهُمْ مِنَ الْغَائِطِ، فَغَسَلْنَا كَمَا غَسَلُوا».

حدثني محمد بن عمار، قال: ثنا محمد بن سعيد، قال: ثنا إبراهيم بن محمد، عن شرحبيل بن سعد، قال: سمعت نخزيمة بن ثابت يقول: نزلت هذه الآية (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) قال: كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أي، عن أي ليلي، عن عامر، قال: كان ناس من أهل قباء يستنجون بالماء، فنزلت (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ).

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا شاذان بن سوار، عن شعبة، عن مسلم القرقي، قال: قلت لابن عباس: أصب على رأسي وهو محرم، قال: ألم تسمع الله يقول (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ).

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حفص، عن داود وابن أبي ليلي، عن الشعبي، قال: لما نزلت (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء: «مَا هَذَا الَّذِي أَثَنَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ؟ قَالُوا مَا مِنَّا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَسْتَنْجِي مِنَ الْخَلَاءِ».

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن عبد الحميد المدني، عن إبراهيم ابن إسماعيل الأنصاري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعويم بن ساعدة: «مَا هَذَا الَّذِي أَثَنَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ؟ (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) قال: نوشك أن نغسل الأدبار بالماء».

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرحمن بن سعد، قال: أخبرنا أبو جعفر، عن حصين، عن موسى بن أبي كثير، قال: بدء حديث هذه الآية في رجال من الأنصار من أهل قباء (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: نستنجي بالماء.

حدثني المثنى، قال: ثنا أصبغ بن الفرج، قال أخبرني ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن أبي الزناد، قال: أخبرني عروة بن الزبير، عن عويم بن ساعدة من بني عمرو بن عوف، ومعن بن عدي من بني العجلان، وأبي الدحداح، فأما عويم بن ساعدة، فهو الذي بلغنا أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ الدِّينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ)،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نِعِمَّ الرَّجَالُ مِنْهُمْ عَوِيْمٌ بَنُ سَاعِدَةٍ ، لم يبلغنا أنه سمى منهم رجلاً غير عويم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن هشام بن حسان ، قال : ثنا الحسن ، قال : لما نزلت هذه الآية (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا هَذَا الَّذِي ذَكَرَكُمْ اللَّهُ بِهِ فِي أَمْرِ الطُّهُورِ ، فَأَتَيْتَنِي بِهِ عَلَيْهِكُمْ ؟ قَالُوا : نَغْسِلُ أَثَرِ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مالك بن مغول ، قال : سمعت سياراً أبا الحكم يحدث ، عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أو قال : قدم علينا رسول الله فقال : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَتَانِي عَلَيْهِكُمْ فِي الطُّهُورِ خَيْرٌ أَفْلاً تُخْبِرُونِي ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا نَجِدُ عَلَيْنَا مَكْتُوباً فِي التَّوْرَةِ : الاسْتِنْجَاءُ بِالْمَاءِ » قال مالك : يعني قوله (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا) .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، قال : لما نزلت هذه الآية (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا) سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا طُهُورُكُمْ ؟ هَذَا الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنَّا نَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ لَمْ نَدْعُهُ ، قَالَ : فَلَا تَدْعُوهُ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان في مسجد قباء رجال من الأنصار يوضئون سفلتهم بالماء يدخلون النخل والماء يجري ، فيتوضئون ، فأثنى الله بذلك عليهم ، فقال (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا) . . . الآية .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، قال : أحدث قوم الوضوء بالماء من أهل قباء ، فنزلت فيهم (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) وقيل : (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) وإنما هو المتطهرين ، ولكن أُدغمت التاء في الطاء ، فجعلت طاء مشددة لقرب مخرج إحداهما من الأخرى .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ) فقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ) على وجه ما لم يسم فاعله في الحرفين كليهما ، وقرأت ذلك عامة قراء الحجاز والعراق (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ

(١) في اللسان : السائلة : المقدمة والدير .

وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمَّنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ) على وصف من بناء الفاعل الذي أسس بنيانه ، وهما قراءتان متفقتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب ، غير أن قراءته بتوجيه الفعل إلى من إذ كان من المؤسس من أعجب إلى .

﴿فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَا : أَيْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَنَوْا الْمَسَاجِدَ خَيْرٌ أَيْهَا النَّاسُ عِنْدَكُمْ الَّذِينَ ابْتَدَعُوا بِنَاءَ مَسْجِدِهِمْ عَلَى اتِّقَاءِ اللَّهِ بِطَاعَتِهِمْ فِي بِنَائِهِ وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ ، وَرِضَا مِنْ اللَّهِ لِبَنَائِهِمْ مَا بَنَوْهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَفَعَلَهُمْ مَا فَعَلُوهُ خَيْرٌ ، أَمْ الَّذِينَ ابْتَدَعُوا بِنَاءَ مَسْجِدِهِمْ عَلَى شَفَا جَرْفٍ هَارٍ ، يَعْنِي بِقَوْلِهِ (عَلَى شَفَا جَرْفٍ) عَلَى حَرْفٍ جَرْفٍ ، وَالْجَرْفُ مِنَ الرُّكِيِّ مَا لَمْ يَبْنِ لَهُ جَوْلُ هَارٍ ، يَعْنِي مَتَهَوَّرٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ هَائِرٌ وَلَكِنَّهُ قَلْبٌ ، فَأُخْرِتْ يَأْوُهَا ، فَقِيلَ هَارٌ كَمَا قِيلَ : هُوَ شَاكُ السَّلَاحِ وَشَائِكٌ ، وَأَصْلُهُ مِنْ هَارٍ يَهْوِرُ فَهُوَ هَائِرٌ ، وَقِيلَ : هُوَ مِنْ هَارٍ يَهَارُ : إِذَا انْهَدَمَ ، وَمَنْ جَعَلَهُ مِنْ هَذِهِ اللُّغَةِ قَالَ : هَرَّتْ يَجْرُفُ ، وَمَنْ جَعَلَهُ مِنْ هَارٍ يَهْوِرُ قَالَ : هَرَّتْ يَجْرُفُ ، وَإِنَّمَا هَذَا مِثْلُ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : أَيْ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ ، وَأَيْ هَذَيْنِ الْبِنَائَيْنِ أَثْبَتٌ ، أَمَّنْ ابْتَدَأَ أُسَاسَ بِنَائِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعِلْمٍ مِنْهُ بِأَنْ يَبْنَاهُ اللَّهُ طَاعَةً وَاللَّهُ بِهِ رَاضٍ ، أَمْ مِنْ ابْتِدَآءِ بِنْفَاقٍ وَضَلَالٍ ، وَعَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنْهُ بِصَوَابِ فَعْلِهِ مِنْ خَطئِهِ ، فَهُوَ لَا يَدْرِي مَتَى يَتَبَيَّنُ لَهُ خَطْأُ فَعْلِهِ وَعَظِيمُ ذَنْبِهِ فَيَهْدِمُهُ كَمَا يَأْتِي الْبِنَاءُ عَلَى جَرْفٍ رَكِيَّةٍ لِحَابِسِ لِمَاءِ السِّيُولِ عَنْهَا وَلِغَيْرِهِ مِنَ الْمِيَاهِ ، تَرَى بِهِ التَّرَابَ مَتَنَاثِرًا لَا تَلْبِثُهُ السِّيُولُ أَنْ تَهْدِمَهُ وَتَنْثُرَهُ ، يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ (فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ) يَعْنِي فَانْتَشَرَ الْجَرْفُ الْهَارِي بِبِنَائِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ .

كما حدثني المشي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، فانهار به قواعده في نار جهنم .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (فانهار به) يقول : فخر به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (أَمَّنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ) ، . . إلى قوله (فانهار به في نار جهنم) قال : والله ماتناهي أن وقع في النار ، ذكر لنا أنه حفرت بقعة منه فروى منها الدخان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج ١ : بنو عمرو بن عوف استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في بنيانه ، فأذن لهم ، ففرغوا منه يوم الجمعة فصلوا فيه الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد ، قال : وانهار يوم الاثنين ، قال : وكان قد استنظرهم ثلاثا : السبت والأحد والاثنين فانهار به في نار جهنم ، مسجد المنافقين انهار فلم يتناه دون أن وقع في النار .

قال ابن جريج : ذكر لنا أن رجلا لا حفروا فيه ، فأبصروا الدخان يخرج منه .

حدثني المشي ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله الداناج ، عن طلق

(١) الذي تقدم له عن غير ابن جريج أن باي مسجد الضرار بنو غنم بن عوف ، وأن باي مسجد قباء بنو عمرو بن عوف ، فإن لم يكن مصحفا أو رواية فهو اشتباه .

ابن حبيب ، عن جابر ، قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا) قال : رأيت المسجد الذي بنى ضرارا يخرج منه الدخان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن مرزوق البصري ، قال : ثنا أبو سلمة ، قال : ثنا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله الداناج ، قال : ثنى طلق العنزي ، عن جابر بن عبد الله ، قال : رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار .

حدثني سلام بن سالم الخزاعي ، قال : ثنا جلف بن ياسين الكوفي ، قال : حججت مع أبي في ذلك الزمان ، يعني زمان بن أمية ، فررنا بالمدينة ، فرأيت مسجد القبلتين ، يعني مسجد الرسول ، وفيه قبلة بيت المقدس ؛ فلما كان زمان أبي جعفر ، قالوا : يدخل الجاهل فلا يعرف القبلة ، فهذا البناء الذي يرون جرى على يد عبد الصمد بن علي ، ورأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله في القرآن ، وفيه حجر يخرج منه الدخان ، وهو اليوم مزبلة .

قوله (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) يقول : والله لا يوفق للرشاد في أفعاله من كان بانيا بناءه في غير حقه وموضعه ، ومن كان منافقا مخالفا بفعله أمر الله وأمر رسوله .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

يقول تعالى ذكره : لا يزال بنيان هؤلاء الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا ريبة ، يقول : لا يزال مسجدهم الذي بنوه ريبة في قلوبهم ، يعني شكاً ونفاقاً في قلوبهم ، يحسبون أنهم كانوا في بنائه محسنين (إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) يعني إلا أن تتصدع قلوبهم فيموتوا ، والله عليم بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار من شكهم في دينهم ، وما قصدوا في بنائهم وأرادوه ، وما إليه صائر أمرهم في الآخرة وفي الحياة ما عاشوا ، وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم ، حكيم في تدبيره إياهم وتدبير جميع خلقه . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) يعني شكاً (إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) يعني الموت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) قال : شكاً في قلوبهم (إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) إلى أن يموتوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) يقول : حتى يموتوا .

حدثني مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، في قوله (إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) قال : إلا أن يموتوا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إلا أن تقطع قلوبهم) قال : يموتوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح عن أبي مجاهد (إلا أن تقطع قلوبهم) قال : يموتوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله : قال : ثنا سويد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة والحسن (لا يزال بنياهم الذي بسوا ربيبة في قلوبهم) قال : شكاً في قلوبهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق الرازي ، قال : ثنا أبو سنان ، عن حبيب (لا يزال بنياهم الذي بسوا ربيبة في قلوبهم) قال : غيظاً في قلوبهم .

قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إلا أن تقطع قلوبهم) قال : يموتوا .

قال : ثنا إسحاق الرازي ، عن أبي سنان ، عن حبيب (إلا أن تقطع قلوبهم) : إلا أن يموتوا . قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن السدي (ربيبة في قلوبهم) قال : كفر ، قلت : أكفر بجمع ابن جارية ؟ قال : لا ، ولكنها حزاة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي (لا يزال بنياهم الذي بسوا ربيبة في قلوبهم) قال : حزاة في قلوبهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لا يزال بنياهم الذي بسوا ربيبة في قلوبهم) لا يزال ربيبة في قلوبهم راضين بما صنعوا ، كما حجب العجل في قلوب أصحاب موسى ، وقرأ (وأشربوا في قلوبهم العجل يكفرهم) قال : حبه (إلا أن تقطع قلوبهم) قال : لا يزال ذلك في قلوبهم حتى يموتوا ، يعني المنافقين .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن السدي ، عن إبراهيم (ربيبة في قلوبهم) قال : شكاً ، قال : قلت يا أبا عمران تقول هذا وقد قرأت القرآن ؟ قال : إنما هي حزاة .

واختلفت القراء في قراءة قوله (إلا أن تقطع قلوبهم) فقرأ ذلك بعض قراء الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة (إلا أن تقطع قلوبهم) بضم التاء من قطع ، على أنه لم يسم فاعله ، وبمعنى : إلا أن يقطع الله قلوبهم . وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة (إلا أن تقطع قلوبهم) بفتح التاء من قطع على أن الفعل للقلوب ، بمعنى : إلا أن تقطع قلوبهم ، ثم حذف إحدى التائين . وذكر أن الحسن كان يقرأ (إلى أن تقطع قلوبهم) بمعنى : حتى تقطع قلوبهم ، وذكر أنها في قراءة عبد الله : (ولَوْ قُطِعَتْ قُلُوبُهُمْ) وعلى الاعتبار بذلك قرأ من قرأ ذلك (إلا أن تقطع) بضم التاء .

والقول عندى فى ذلك أن الفتح فى التاء والضم متقاربا المعنى ، لأن القلوب لا تتقطع إذا تقطعت إلا بتقطع الله إياها ، ولا يقطعها الله إلا وهى متقطعة ، وهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب فى قراءته . وأما قراءة من قرأ ذلك : إلى أن تُقَطَّعَ ، فقراءة لمصاحف المسلمين مخالفة ، ولا أرى القراءة بخلاف ما فى مصاحفهم جائزة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

يقول تعالى ذكره : إن الله ابتاع من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة وعدا عليه حقا ، يقول : وعدهم الجنة جل ثناؤه ، وعدا عليه حقا أن يوفى لهم به فى كتبه المنزلة ، التوراة والإنجيل والقرآن ، إذا هم وقوا بما عاهدوا الله ، فقاتلوا فى سبيله ونصرة دينه أعداءه ، فقتلوا وقتلوا ، (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) يقول جل ثناؤه : ومن أحسن وفاء بما ضمن وشرط من الله (فاستبشروا) يقول ذلك للمؤمنين ، فاستبشروا أيها المؤمنون الذين صدقوا الله فيما عاهدوا (ببئس بيعكم) أنفسكم وأموالكم بالذى بعتموها من ربكم به ، فإن ذلك هو الفوز العظيم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : ما من مسلم إلا والله فى عنقه بيعة وفى بها أو مات عليها فى قول الله (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) . . . إلى قوله (وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ثم حلاهم فقال (التائبون العابدون) . . . إلى (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) . حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) يعنى بالجنة .

قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن محمد بن يسار ، عن قتادة أنه تلا هذه الآية (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ) قال : ثامنهم الله فأغلى لهم الثمن . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزاري ، عن أبى رجاء ، عن الحسن أنه تلا هذه الآية (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) قال : بايعهم فأغلى لهم الثمن .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي وغيره ، « قالوا : قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اشترط لربك ولنفسك ما شئت ، قال : اشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون »

مِنْهُ أَنْفُسُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ ، قالوا : فإذا فعلنا ذلك فإذا لنا ؟ قال : الْجَنَّةُ ، قالوا : ربح البيع لانقيل ولا نستقيل ، فنزلت (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) . . . الآية .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبيد بن طفيل العبسي ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم ، وسأله رجل عن قوله (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ) . . . الآية ، قال الرجل : ألا أحمل على المشركين ، فأقاتل حتى أقتل ؟ قال : ويلك أين الشرط (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهِيُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

يقول تعالى ذكره : إن الله اشترى من المؤمنين التائبين العابدين أنفسهم وأموالهم ، ولكنه رفع ، إذ كان مبتدأ به بعد تمام أخرى مثلها ، والعرب تفعل ذلك ، وقد تقدم بياننا ذلك في قوله (صُمِّمَ بِكُمْ) (عُمِّي) بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، ومعنى التائبون : الراجعون مما كرهه الله وسخطه إلى ما يحبه ويرضاه . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن ثعلبة بن سهيل ، قال : قال الحسن في قول الله (التَّائِبُونَ) قال : تابوا إلى الله من الذنوب كلها .

حدثنا سوار بن عبد الله العنبري ، قال : ثني أبي ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن ، أنه قرأ (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ) قال : تابوا من الشرك ، وبرئوا من النفاق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي الأشهب ، قال : قرأ الحسن (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ) قال : تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا منصور بن هارون ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن أبي رجاء عن الحسن ، قال : التائبون من الشرك .

حدثنا الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ) قال الحسن : تابوا والله من الشرك ، وبرئوا من النفاق .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (التَّائِبُونَ) قال : تابوا من الشرك ثم لم ينافقوا في الإسلام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (التَّائِبُونَ) قال : الذين تابوا من الذنوب ثم لم يعودوا فيها .

وأما قوله (الْعَابِدُونَ) فهم الذين ذلوا خشية لله وتواضعا له ، فجدوا في خدمته .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الْعَابِدُونَ) : قوم أخذوا من أبدانهم في ليالهم ونهارهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل ، قال : قال الحسن في قول الله (العابدُونَ)
قال : عبدوا الله على أحيائهم كلها في السراء والضراء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني منصور بن هارون ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن
أبي رجاء ، عن الحسن (العابدُونَ) قال : العابدون لربهم .

وأما قوله (الحامِدُونَ) فإنهم الذين يحمدون الله على كل ما امتحنهم به من خير وشر .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الحامِدُونَ) قوم حمدوا الله على كل حال .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن ثعلبة ، قال : قال الحسن (الحامِدُونَ) : الذين حمدوا الله
على أحيائهم كلها في السراء والضراء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني منصور بن هارون ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن
أبي رجاء ، عن الحسن (الحامِدُونَ) قال : الحمدون على الإسلام .
وأما قوله (السَّائِحُونَ) فإنهم الصائمون .

كما حدثني محمد بن عيسى الدامغاني وابن وكيع ، قالا : ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عبيد بن عمير .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن عمرو ، عن عبيد بن
عمير ، قال : « سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السائحين ، فقال : هُمُ الصَّائِمُونَ » .

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا حكيم بن حزام ، قال : ثنا سليمان ، عن أبي صالح ،
عن أبي هريرة ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السَّائِحُونَ هُمُ الصَّائِمُونَ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن
أبي هريرة قال (السَّائِحُونَ) : الصائمون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ،
قال (السَّائِحُونَ) الصائمون .

قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثني عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، بمثله .
حدثني محمد بن عمار الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن
أبي عبد الرحمن ، قال : السياحة : الصيام .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير ، عن
ابن عباس ، قال : (السَّائِحُونَ) : الصائمون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، وإسرائيل عن أشعث ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس
قال : (السَّائِحُونَ) : الصائمون .

حدثنا الثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير ، قال :
(السَّائِحُونَ) : الصائمون .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أشعث بن أبي الشعثاء ، عن سعيد ابن جبیر ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، مثله .

قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن ، قال : (السَّائِحُونَ) : هم الصائمون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (السَّائِحُونَ) قال : يعنى بالسائحين : الصائمين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال (السَّائِحُونَ) هم الصائمون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (السَّائِحُونَ) الصائمون .

قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : كل ما ذكر الله في القرآن السياحة : هم الصائمون .

قال : ثنا أبي عن المسعودي ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن أبي عمرو العبدى ، قال (السَّائِحُونَ) : الذين يديمون الصيام من المؤمنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل ، قال : قال الحسن (السَّائِحُونَ) الصائمون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني منصور بن هارون ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن

أبي رجاء ، عن الحسن ، قال (السَّائِحُونَ) : الصائمون ، شهر رمضان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاک ، قال (السَّائِحُونَ) : الصائمون .

قال : ثنا أبو أسامة ، عن جوير ، عن الضحاک ، قال : كل شيء في القرآن (السَّائِحُونَ) فإنه

الصائمون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاک (السَّائِحُونَ)

الصائمون .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک

يقول في قوله (السَّائِحُونَ) يعنى : الصائمين .

حدثنا ابن وكيع قال : ثنا ابن نمير ويعلى وأبو أسامة ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، قال (السَّائِحُونَ)

الصائمون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عبيدة ، قال : ثنا عمرو أنه سمع وهب بن منبه

يقول : كانت السياحة في بني إسرائيل ، وكان الرجل إذا ساح أربعين سنة رأى ما كان يرى السائحون

قبله ، فساح ولد بغى أربعين سنة فلم ير شيئا ، فقال : أى ربّ أرايت إن أساء أبوأى وأحسنّت أنا ؟ قال : فأرى ما أرى السائحون قبله .

قال ابن عيينة : إذا ترك الطعام والشراب والنساء فهو السائح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : السائحون قوم أخذوا من أبدانهم صوما لله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إبراهيم بن يزيد ، عن الوليد بن عبد الله ، عن

عائشة ، قالت : سياحة هذه الأمة : الصيام .

وقوله (الرَّآكِعُونَ السَّاجِدُونَ) يعنى : المصلين الراكعين فى صلاتهم ، الساجدين فيها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزارى ، عن

أبى رجاء ، عن الحسن (الرَّآكِعُونَ السَّاجِدُونَ) قال : الصلاة المفروضة .

وأما قوله (الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ) فإنه يعنى أنهم يأمرّون الناس بالحق

فى أديانهم ، واتباع الرشد والهدى والعمل ، وينهونهم عن المنكر ، وذلك نهيم الناس عن كلّ فعل وقول نهى الله عباده عنه .

وقد روى عن الحسن فى ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور بن هارون ، عن

أبى إسحاق الفزارى ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) لآله إلا الله (وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ) عن الشرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل ، قال : قال الحسن ، فى قوله (الْآمِرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ) قال : أما إنهم لم يأمرّوا الناس حتى كانوا من أهلها (وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ) قال : أما

إنهم لم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنى إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية ،

قال : كلّ ما ذكر فى القرآن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فالأمر بالمعروف : دعاء من الشرك إلى الإسلام ،

والنهى عن المنكر : نهى عن عبادة الأوثان والشياطين .

وقد دللنا فيما مضى قبل على صحة ما قلنا من أن الأمر بالمعروف هو كلّ ما أمر الله به عباده أو رسوله

صلى الله عليه وسلم . والنهى عن المنكر هو كلّ ما نهى الله عنه عباده أو رسوله . وإذا كان ذلك كذلك ولم

يكن فى الآية دلالة على أنها عني بها خصوص دون عموم ، ولا خبر عن الرسول ، ولا فى فطرة عقل ،

فالعموم بها أولى لما قد بينا فى غير موضع من كتبنا .

وأما قوله (وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) فإنه يعنى : المؤدّونَ فَرَائِضَ اللَّهِ ، المنهون إلى أمره

ونهيّه ، الذين لا يضيعون شيئا ، ألزمهم العمل به ، ولا يركبون شيئا نهاهم عن ارتكابه .

كالذى حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس

(وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) يعنى : القائمون على طاعة الله ، وهو شرط اشترطه على أهل الجهاد إذا وفوا الله بشرطه ، وفى لهم شرطهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس (وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) قال : القائمون على طاعة الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن ثعلبة ، بن سهيل ، قال : قال الحسن ، فى قوله (وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) قال : القائمون على أمر الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور ، بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزارى ، عن أبى رجا ، عن الحسن (وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) قال : لفرائض الله .

وأما قوله (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) فانه يعنى : وبشر المصدقين بما وعدهم الله إذا هم وفوا الله بعهده أنه موف لهم بما وعدهم من إدخالهم الجنة .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوزة بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ) ... حتى ختم الآية ، قال : الذين وفوا ببيعهم (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ) ، حتى ختم الآية ، فقال : هذا عملهم وسيرهم فى الرخاء ، ثم لقوا العدو فصداقوا ما عاهدوا الله عليه .

وقال بعضهم : معنى ذلك : وبشر من فعل هذه الأفعال ، يعنى قوله (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ) ... إلى آخر الآية ، وإن لم يَغزوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزارى ، عن أبى رجا ، عن الحسن (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) قال : الذين لم يَغزوا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٢﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٣﴾

يقول تعالى ذكره : ما كان ينبغى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به أن يستغفروا يقول : أن يدعوا بالمغفرة للمشركين ، ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم أولى قرين ، ذوى قرابة لهم (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) يقول : من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان وتبين لهم أنهم من أهل النار ، لأن الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك ، فلا ينبغى لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله .

﴿ فَإِنْ قَالُوا : فَإِنْ إِبْرَاهِيمَ قَدْ اسْتَغْفَرَ لِأَبِيهِ وَهُوَ مُشْرِكٌ ، فَلِمَ يَكُنْ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا لِمَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ) وَعَلِمَ أَنَّهُ لِلَّهِ عَدُوٌّ خَلَاهُ وَتَرَكَهُ وَتَرَكَ الاسْتَغْفَارَ لَهُ ، وَآثَرَ اللَّهُ وَأَمَرَهُ عَلَيْهِ ، فَتَبَرَّأَ مِنْهُ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ أَمْرُهُ .

واختلف أهل التأويل في السبب الذي نزلت هذه الآية فيه ، فقال بعضهم : نزلت في شأن أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته ، فنهاه الله عن ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية ، فقال : يا عم قل لا إله إلا الله كليمته أحتاج لك بها عند الله ، فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنَّكَ ، فنزلت (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) ، ونزلت (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمي عبد الله بن وهب ، قال : ثنى يونس ، عن الزهري ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عم قل لا إله إلا الله كليمته أشهدك لك بها عند الله ، قال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب ، وأبي أن يقول : لا إله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنَّكَ ، فأنزل الله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) وأنزل الله في أبي طالب ، فقال لرسول الله (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) . . . الآية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) قال : يقول المؤمنون ألا نستغفر لآبائنا وقد استغفر إبراهيم لأبيه كافرا ، فأنزل الله (وَمَا كَانَ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ) . . . الآية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن عمرو بن دينار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اسْتَغْفِرْ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ وَهُوَ مُشْرِكٌ » ، فلا أزال أستغفر لأبي طالب حتى ينهاني

عَنْهُ رَبِّي ، فقال أصحابه : لنستغفرنَ لآبائنا كما استغفر النبي صلى الله عليه وسلم لعمره ، فأنزل الله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) . . . إلى قوله (تَبَرَّأ مِنْهُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال : لما حضر أبا طالب الوفاة أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل بن هشام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَيْ عَمَّ لِنَكَ أَعْظَمُ النَّاسِ عَلَى حَقِّ وَأَحْسَنُهُمْ عِنْدِي يَدًّا ، وَلَأَنْتَ أَعْظَمُ عَلَى حَقِّ مِّنْ وَالِدِي ، فَقُلْ كَلِمَةً تَجِيبُ لِي بِهَا الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن محمد بن ثور . وقال آخرون : بل نزلت في سبب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه أراد أن يستغفر لها ، فنع من ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل ، عن عطية قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقف على قبر أمه حتى سحنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له ، فيستغفر لها ، حتى نزلت (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ) . . . إلى قوله (تَبَرَّأ مِنْهُ) .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس ، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى رسماً ، قال : وأكثر ظني أنه قال قبراً ، فجلس إليه ، فجعل يخاطب ، ثم قام مستعبراً ، فقلت : يا رسول الله ، إنا رأينا ما صنعت ، قال : لَأَنِّي اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّي فَأَذِنَ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي الْإِسْتِغْفَارِ لَهَا فَلَمْ يَأْذَنْ لِي ، فَا رَوَى بَاكِيًا أَكْثَرَ مِنْ يَوْمِئِذٍ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا) . . . إلى (أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْحَنِيمِ) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأمه ، فنهاه الله عن ذلك ، فقال : وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ قَدْ اسْتَغْفَرَ لِأَبِيهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ) . . . إلى (لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) .

وقال آخرون : بل نزلت من أجل أن قوماً من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين ، فنهوا عن ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني الثني ، قال : ثني عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . . . الآية ، فكانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية ، فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ، ولم ينههم أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) . . . الآية ، ذكر لنا أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : يا نبي الله ، إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ، ويصل الأرحام ، ويفك العاني ، ويوفى بالذم ، أفلا نستغفر لهم ؟ قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بلى والله لا استغفرون لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه ، قال : فأنزل الله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) . . . حتى بلغ (الجحيم) ، ثم عذر الله إبراهيم فقال (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبسّين له أنه عدو لله تبرأ منه) قال : وذكر لنا أن نبي الله قال : أوحى إلى كلمات ، فدخلن في أذني ، ووقرن في قلبي ، أمرت أن لا أستغفر لمن مات مشركا ، ومن أعطى فضل ماله فهو خير له ، ومن أمسك فهو شر له ، ولا يلوم الله على كفاف .

وختلف أهل العربية في معنى قوله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) فقال بعض نحوي البصرة : معنى ذلك : ما كان لهم الاستغفار ، وكذلك معنى قوله (وما كان لنفس أن تؤمن) وما كان لنفس الإيمان إلا باذن الله . وقال بعض نحوي الكوفة : معناه : ما كان ينبغي لهم أن يستغفروا لهم ، قال : وكذلك إذا جاءت أن مع كان ، فكلها بتأويل ينبغي ما كان لنبي أن يغفر ما كان ينبغي له ليس هذا من أخلاقه ، قال : فلذلك إذا دخلت أن تدل على الاستقبال ، لأن ينبغي تطلب الاستقبال . وأما قوله (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) فإن أهل العلم اختلفوا في السبب الذي أنزل فيه ، فقال بعضهم أنزل من أجل أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يستغفرون لموتاهم المشركين ظنا منهم أن إبراهيم خليل الرحمن ، قد فعل ذلك حين أنزل الله قوله خبرا عن إبراهيم ، قال : (سلام عليك سأستغفر لك ربّي لأنه كان بي حفيّا) ، وقد ذكرنا الرواية عن بعض من حضرنا ذكره ، وسند ذكره عن لم نذكره .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الخليل ، عن علي قال : « سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان ، فقالت : أيستغفر الرجل لوالديه وهما مشركان ؟ فقال : أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه ، قال : فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك له ، فأنزل الله (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه) . . . إلى (تبرأ منه) » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الخليل ، عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستغفر لأبويه وهما مشركان ، حتى نزلت (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه) إلى قوله (تبرأ منه) ، وقيل (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة) ، ومعناه : إلا من بعد موعدة ، كما يقال : ما كان هذا الأمر إلا عن سبب كذا ، بمعنى : من بعد ذلك السبب أو من أجله ، فكذلك قوله (إلا عن موعدة) : من أجل موعدة وبعدها .

وقد تأوّل قوم قول الله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا

أُولَى قُرْبَى) . . . الآية ، أن النهى من الله عن الاستغفار للمشركين بعد مآثمهم ، لقوله (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) وقالوا : ذلك لا يتبينه أحد إلا بأن يموت على كفره ، وأما وهو حي ، فلا سبيل إلى علم ذلك ، فللمؤمنين أن يستغفروا لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سليمان بن عمر الرقي ، ثنا عبد الله بن المبارك ، عن سفيان الثوري ، عن الشيباني ، عن سعيد بن جبير قال : مات رجل يهودى وله ابن مسلم ، فلم يخرج معه ، فذكر ذلك لابن عباس ، فقال : كان ينبغي له أن يمشى معه ويدفنه ، ويدعو له بالصالح ما دام حيا ، فاذا مات وكله إلى شأنه ، ثم قال (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ) لم يدع .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا فضيل ، عن ضرار بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : مات رجل نصراني ، فوكله ابنه إلى أهل دينه ، فأثبت ابن عباس ، فذكرت ذلك له فقال : ما كان عليه لو مشى معه وأجنته واستغفر له ، ثم تلا (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ) . . . الآية .

وتأول آخرون الاستغفار في هذا الموضع بمعنى الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا كثير بن هشام ، عن جعفر بن برقان ، قال : ثنا حبيب ابن أبي مرزوق ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : ما كنت أدع الصلاة على أحد من أهل هذه القبلة ، ولو كانت حبشية حبلى من الزنا ، لأنى لم أسمع الله يحجب الصلاة إلا عن المشركين ، يقول الله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . وتأوله آخرون بمعنى الاستغفار ، الذى هو دعاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عصمة بن راشد ، عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول : رحم الله رجلا استغفر لأبي هريرة ولأمه ، قلت : ولأبيه ؟ قال : لا إن أبى مات وهو مشرك . قال أبو جعفر : وقد دللنا على أن معنى الاستغفار : مسألة العبد ربه غفر الذنوب ؛ وإذا كان ذلك كذلك ، وكانت مسألة العبد ربه ، ذلك قد تكون في الصلاة وفي غير الصلاة ، لم يكن أحد القولين اللذين ذكرنا فاسدا ، لأن الله عمّ بالنهى عن الاستغفار للمشرك بعدما تبين له أنه من أصحاب الجحيم ، ولم يخص من ذلك حالا أباح فيها الاستغفار له .

وأما قوله (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) فإن معناه : ما قد بينت من أنه من بعد

ما يعلمون بموته كافرا أنه من أهل النار ، وقيل : أصحاب الجحيم لأنهم سكانها وأهلها الكائنون فيها كما يقال لسكان الدار : هؤلاء أصحاب هذه الدار ، بمعنى سكانها .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) قال : تبين للنبي صلى الله عليه وسلم أن أبا طالب حين مات أن التوبة قد انقطعت عنه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : تبين له حين مات ، وعلم أن التوبة قد انقطعت عنه ، يعني في قوله (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك في قوله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . . . الآية ، يقول : إذا ماتوا مشركين ، يقول الله (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) . . . الآية .
واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال بعضهم : معناه : فلما تبين له بموته مشركا بالله تبرأ منه ، وترك الاستغفار له .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه ، حتى مات ، فلما مات تبين له أنه عدو لله .
حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : لم يزل إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما مات لم يستغفر له .
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) يعني استغفر له ما كان حيا ، فلما مات أمسك عن الاستغفار له .

حدثني مظهر بن محمد الضبي ، قال : ثنا أبو عاصم وأبو قتيبة مسلم بن قتيبة ، قالا : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، في قوله (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال : لما مات .
حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ) قال : موته وهو كافر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .
قال : ثنا البراء بن عتبة ، عن أبيه ، عن الحكم (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ)
قال : حين مات ولم يؤمن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن عمرو بن دينار (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ
عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) : موته وهو كافر .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم عن جوير ، عن الضحاك في قوله (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ
أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال : لما مات .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ) لما
مات على شركه تبرأ منه .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت
الضحاك يقول في قوله (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ) كَانَ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَرْجُو أَنْ
يُؤْمِنَ أَبُوهُ مَا دَامَ حَيًّا ، فلما مات على شركه تبرأ منه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَلَمَّا تَبَيَّنَ
لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال : موته وهو كافر .

حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن
جبير ، عن ابن عباس ، قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما مات تبين له أنه عدو لله
فلم يستغفر له .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا أبو إسرائيل ، عن علي بن بذيمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس
(فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ) قال : فلما مات .

وقال آخرون : معناه : فلما تبين له في الآخرة ، وذلك أن أباه يتعلق به إذا أراد أن يجوز الصراط ،
فيمر به عليه ، حتى إذا كاد أن يجاوز حانت من إبراهيم التفاتة فإذا هو بأبيه في صورة قرد أو ضبع ، فخلى
عنه وتبرأ منه حينئذ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا حفص بن غياث ، قال : ثنا عبد الله بن سليمان ، قال : سمعت سعيد
ابن جبير يقول : إن إبراهيم يقول يوم القيامة : ربّ والدي ، ربّ والدي ، فإذا كان الثالثة أخذ بيده ،
فيلتفت إليه وهو ضبعان فيتبرأ منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن عبيد بن عمير ، قال : إنكم مجموعون يوم
القيامة في صعيد واحد يسمعكم الداعي ، وينفذكم البصر ، قال : فزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرّب ولا
نبي مرسل إلا وقع لركبته ترعد فرائضه ، قال : فحسبته يقول : نفسي نفسي ، قال : ويضرب الصراط

على جسر جهنم كحدّ السيف ، وحضر من له ؛ وفي جانيه ملائكة معهم خطاطيف كشوك السعدان ، قال : فيمضون كالبرق والريح والطير ، وكأجاويد الركاب ، وكأجاويد الرجال ، والملائكة يقولون : ربّ سلم سلم ، فناج سالم ، ومخدوش ناج ، ومكدوس في النار ، فيقول إبراهيم لأبيه : إني كنت آمرك في الدنيا فتعصيتني ولست تاركك اليوم ، فخذ بحقّي ، فيأخذ بضبعيه ، فيمسح بضبعه ، فاذا رآه قد مسح تبرأ منه .

ﷺ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول الله ، وهو خبره عن إبراهيم أنه لما تبين له أن أباه لله عدوّ تبرأ منه ، وذلك حال علمه ويقينه أنه لله عدوّ ، وهو به مشرك ، وهو حال موته على شركه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ :
اختلف أهل التأويل في الأوّاه ، فقال بعضهم : هو الدعاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، قال : الأوّاه : الدعاء .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله قال : الأوّاه : الدعاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني جرير بن حازم ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زرّ بن حبیش ، قال : سألت عبد الله عن الأوّاه ، فقال : هو الدعاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن ابن أبي عروبة ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله مثله .

قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عبد الكريم ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : الأوّاه : الدعاء . قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان وإسرائيل ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله مثله . حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علية ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، قال : نبئت عن عبيد بن عمير ، قال : الأوّاه : الدعاء .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا داود ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي ، عن أبيه ، قال : الأوّاه : الدعاء .

وقال آخرون : بل هو الرحيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيدين ، قال : سئل عبد الله عن الأوّاه ، فقال : الرحيم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت يحيى ابن الحزّار يحدث ، عن أبي العبيد بن رجل ضرير البصر ، أنه سأل عبد الله عن الأواه فقال : الرحيم .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربي ؛ وحدثنا خلاد بن أسلم ، قال أخبرنا النضر بن شميل جميعا ، عن المسعودي ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي العبيد بن أنه سأل ابن مسعود ، فقال : ما الأواه ؟ قال : الرحيم .
حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى بن الحزّار ، عن أبي العبيد بن ، أنه جاء إلى عبد الله ، وكان ضرير البصر ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، من نسأل إذا لم نسألك ، فكأن ابن مسعود رق له ، قال : أخبرني عن الأواه ، قال : الرحيم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم ، عن البطين ، عن أبي العبيد بن ، قال : سألت عبد الله عن الأواه ، فقال : هو الرحيم .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى بن الحزّار ، قال : جاء أبو العبيد بن إلى عبد الله ، فقال له ما حاجتك ؟ قال : ما الأواه ؟ قال : الرحيم .

قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى بن الحزّار ، عن أبي العبيد بن رجل من بني سوأة ، قال : جاء رجل إلى عبد الله فسأله عن الأواه ، فقال له عبد الله : الرحيم .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي وهاني بن سعيد ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن يحيى بن الحزّار ، عن أبي العبيد بن ، عن عبد الله ، قال : الأواه : الرحيم .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علية ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن يحيى بن الحزّار أن أبا العبيد بن رجل من بني نمير ، قال : يعقوب كان ضرير البصر ؛ وقال ابن وكيع : كان مكفوف البصر ، سأل ابن مسعود فقال : ما الأواه ؟ قال : الرحيم .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن زكريا ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، قال : الأواه : الرحيم .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، مثله .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، مثله .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : هو الرحيم .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كنا نحدث أن الأواه : الرحيم .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، إن إبراهيم لأواه ، قال : رحيم .

قال عبد الكريم الحزري ، عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود مثل ذلك .
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الكريم ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : الأواه : الرحيم .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيدين ، أنه سأل عبد الله ، عن الأواه ، فقال : الرحيم .

قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن شرحبيل ، قال : الأواه : الرحيم .
حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : الأواه : الرحيم بعباد الله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو خيثمة زهير ، قال : ثنا أبو إسحاق الهمداني ، عن أبي ميسرة ، عن عمرو بن شرحبيل ، قال : الأواه : الرحيم بلحن الحبشة .
وقال آخرون : بل هو الموقن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : الأواه : الموقن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن ابن مبارك ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الأواه : الموقن بلسان الحبشة .

قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن حسن ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : الأواه : الموقن بلسان الحبشة .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : سمعت سفيان ، يقول : الأواه : الموقن . وقال بعضهم الفقيه الموقن .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن جابر ، عن عطاء ، قال : الأواه : الموقن بلسان الحبشة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن رجل ، عن عكرمة ، قال : هو الموقن بلسان الحبشة .

قال : ثنا ابن نمير ، عن الثوري ، عن مجالد ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد ، قال : الأواه : الموقن .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن مسلم ، عن مجاهد ، قال : الأواه : الموقن .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قابوس ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : الأواه : الموقن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : موقن .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد :
أواه ، قال : مؤتمن موقن .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) قال : الأواه : الموقن . وقال آخرون : هي كلمة بالحبشية معناها : المؤمن .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) قال : الأواه : هو المؤمن بالحبشة . حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ) يعني : المؤمن التواب . حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا حسن بن صالح ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : الأواه : المؤمن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج : الأواه : المؤمن بالحبشة . وقال آخرون : هو المسيح الكثير الذكر لله .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، قال : الأواه : المسيح . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن الحسن بن مسلم بن يناق ، أن رجلا كان يكثر ذكر الله ويسبح ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال « إِنَّهُ أَوَّاهٌ » . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن حيان ، عن ابن لهيعة ، عن الحرث بن يزيد ، عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر ، قال : الأواه : الكثير الذكر لله . وقال آخرون : هو الذي يكثر تلاوة القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا المنهال بن خليفة ، عن حجاج بن أرطاة ، عن عطاء عن ابن عباس « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُفِنَ مَيْتًا ، فَقَالَ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنْ كُنْتَ لَأَوَّاهًا » يعني : تلاء للقرآن . وقال آخرون : هو من التأوه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي يونس القشيري ، عن قاص . كان بمكة أن رجلا كان في الطواف ، فجعل يقول : أوه ، قال : فشكاه أبو ذر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « دَعْنِهُ إِنَّهُ أَوَّاهٌ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن أبي يونس

الباهلي ، قال : سمعت رجلاً بمكة كان أصله رومياً يحدث عن أبي ذر ، قال : كان رجل يطوف بالبيت ويقول في دعائه أوّه أوّه ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إِنَّهُ أَوَّاهٌ » . زاد أبو كريب في حديثه ، قال : فخرجت ذات ليلة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلاً ومعه المصباح . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن جعفر بن سليمان ، قال : ثنا أبو عمران ، عن عبد الله ابن رباح ، عن كعب ، قال : الأَوَّاهُ : إذا ذكر النار قال أوّه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن عبد الصمد القمي ، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد الله ابن رباح ، عن كعب ، قال : كان إذا ذكر النار قال أوّه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن جعفر بن سليمان ، قال : أخبرنا أبو عمران ، قال : سمعت عبد الله بن رباح الأنصاري يقول : سمعت كعباً يقول : إن إبراهيم لأَوَّاه ، قال : إذا ذكر النار قال : أوّه من النار .

وقال آخرون : معناه أنه فقيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن جابر (إن إبراهيم لأَوَّاه) قال : فقيه .

وقال آخرون : هو المتضرع الخاشع .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا عبد الحميد بن بهرام ، قال : ثنا شهر بن حوشب ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، قال رجل : يا رسول الله ما الأَوَّاه ؟ قال : المتضرع ، قال : (إن إبراهيم لأَوَّاهٌ حَكِيمٌ) » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن عبد الحميد ، عن شهر ، عن عبد الله بن شداد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأَوَّاهُ : الخاشع المتضرع » .

وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب القول الذي قاله عبد الله بن مسعود الذي رواه عنه زر أنه الدعاء وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ، لأن الله ذكر ذلك ووصف به إبراهيم خليله ، صلوات الله عليه ،

بعد وصفه إياه بالدعاء والاستغفار لأبيه ، فقال (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فليمتا تبتين له أنه عدو لله تبرأ منه) وترك الدعاء والاستغفار له ، ثم قال : إن إبراهيم لدعاء ربه شاك له حلیم عن سبه وناله بالمكروه ، وذلك أنه صلوات الله عليه ، وعد أباه بالاستغفار له ، ودعاء الله له بالمغفرة عند وعيد أبيه إياه ، وتهده له بالشتم بعد ما ردد عليه نصيحته في الله ، وقوله (أرأيت أنت عن آلهمي يا إبراهيم ، لئن لم تنته لأرجمنك وأهجرني ملكياً) فقال له صلوات الله عليه (سلامٌ عليك سأستغفر لك ربّي إنّه كان يني حفيّاً . وأعدّز لكم) وما

تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَنْ لَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا) فوق لأبيه بالاستغفار له حتى تبين له أنه عدو لله ، فوصفه الله بأنه دعاء لربه حلیم عن سفه عليه ، وأصله من التأوه وهو التضرع ، والمسألة بالحزن والإشفاق ، كما روى عبد الله بن شدّاد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكما روى عقبة بن عامر الخبر الذي حدثنيه يحيى بن عثمان بن صالح السهمي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا ابن لهيعة ، قال : ثنا الحرث بن يزيد ، عن علي بن رباح ، عن عقبة بن عامر أنه قال لرجل يقال له ذوالبجادين : إنه أواه ، وذلك أنه رجل كان يكثر ذكر الله بالقرآن والدعاء ويرفع صوته ، ولذلك قيل للمتوجع من ألم أو مرض لم تأوه ؟ كما قال المثقب العبدى :

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلَيْلٍ تَأْوَهُ أَهْمَةُ الرَّجُلِ الْحَزِينِ ١

ومنه قول الجعدي :

ضَرُوحٌ مَرُوحٌ تَتَّبِعُ الْوُرُقَ بَعْدَمَا يَعْرَسُنْ تَشْكُو أَهْمَةً وَتَذَمُّرًا ٢

ولا تكاد العرب تنطق منه بفعل يفعل ، وإنما تقول فيه : تفعل يتفعل ، مثل تأوه يتأوه ، وأوه يؤوه ، كما قال الراجز :

فَأَوْهَ الرَّاعِي وَضَوْضَى أَكْلُبُهُ ٣

وقالوا أيضا : أوه منك ، ذكر الفراء أن أبا الجراح أوعده :

فَأَوْهٌ مِّنَ الذِّكْرِى إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا وَمِنْ بَعْدِ أَرْضِ بَيْنِنَا وَسَمَاءٍ ٤

قال : وربما أنشدنا : فأو من الذكرى بغير هاء ، ولوجاء فعل منه على الأصل لكان آه يثوه أوها ، ولأن معنى ذلك : توجع وتحزن وتضرع ، اختلف أهل التأويل فيه الاختلاف الذى ذكرت ، فقال ما قال : معناه الرحمة ، إن ذلك كان من إبراهيم على وجه الرقة على أبيه والرحمة له ولغيره من الناس .

(١) البيت للمثقب العبدى (اللسان : أوه) . قال : قال ابن سيده : وقد تأوه آها وآهة . قال المثقب : إذا ما قمت . . . البيت قال ابن سيده : وعندي أنه وضع الاسم موضع المصدر أى تأوه تأوه الرجل . قال : ويروى : تهوه هاهة الرجل الحزين . ويروى : آهة (بشد الهاء) من قولهم (أه بالتشديد) أى توجع .

(٢) البيت للناطقة الجعدي من رائيته المشهورة ، أوردها صاحب جمهرة أشعار العرب طبعة بولاق ص ١٤٥ : وروايته عنده ؛ ولعلها أوثق الروايات :

خَنُوفٌ مَرُوحٌ تَعَجِّلُ الْوُرُقَ بَعْدَمَا تُعْرَسُنْ تَشْكُو أَهْمَةً وَتَذَمُّرًا

وقال في شرحه : الخنوف : لينة اليدين في السير . والآهة : التأوه . ورواه ابن قتيبة في كتاب (المعاني الكبير طبع الهند سنة ١٩٤٩ ص ٢١٥) باختلاف في قوله « يعرسن شكوى » وقال في شرحه : الخنوف : التى ترمى يديها إلى وحشيها . والمروح : التى تمرح . والورق : القطا . تعجلهن : أى تدعرنهن إذا عرسن من آخر الليل ، توقظهن . آهة : يعنى تأوها . والضروح فى رواية الطبرى : وصف للناقة ، يقال ضرحت الدابة برجلها تضرح ضرحا وضراحا . فهى ضروح ، إذا رحمت ، وهو من صفات الخيل ، ولذلك كانت رواية خنوف أليق بالمقام . والمروح : من المرح ، وهو النشاط أو التبخر والاختيال . والنون فى « يعرسن » راجعة إلى الورق . والتذمر : التفضب ورفع الصوت . والعبارة الأخيرة من صفة الناقة .

(٣) أوه : تأوه وصاح : وضوضى : نبج وصاح . ولم نقف على قائله .

(٤) البيت فى (لسان العرب : أوه) قال : وأوه (بشد الواو وسكون الهاء) وأوه (بسكون الواو وكسر الهاء) : كلمة معناها التحزن . وأنشد الفراء فى أوه : « فأوه لذكرها إذا ما ذكرتها » . . . البيت . ويروى : فأو (بتشديد الواو المكسورة) ويروى : فأه لذكرها . وقوله « من الذكرى » : قال الفراء أنشدني أبو الجراح : « فأوه من الذكرى إذا ما ذكرتها » .

وقال آخرون : إنما كان ذلك منه لصحة يقينه وحسن معرفته بعظمة الله وتواضعه له .

وقال آخرون : كان لصحة إيمانه بربه .

وقال آخرون : كان ذلك منه عند تلاوته تنزيل الله الذي أنزله عليه .

وقال آخرون : كان ذلك منه عند ذكر ربه ، وكل ذلك عائد إلى ما قلت ، وتقارب معنى بعض ذلك من بعض ، لأن الحزين المتضرع إلى ربه ، الخاشع له بقلبه ، ينوبه ذلك عند مسألته ربه ودعائه إياه في حاجاته ، وتعتوره هذه الحلال التي وجه المفسرون إليها تأويل قول الله (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

يقول تعالى ذكره : وما كان الله ليضلَّ عليكم في اسغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال بعد إذ رزقكم الهداية ، ووفقكم للإيمان به وبرسوله ، حتى يتقدم إليكم بالنهي عنه ، فتتركوا الانتهاء عنه . فأما قبل أن يبين لكم كراهية ذلك بالنهي عنه ، ثم تتعدوا نهيه إلى ما نهاكم عنه ، فإنه لا يحكم عليكم بالضلال ، لأن الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور والمنهي ، فأما من لم يؤمر ولم ينه ، فغير كائن مطيعاً أو عاصياً ، فيما لم يؤمر به ولم ينه عنه (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بما خالط أنفسكم عند نهى الله إياكم عن الاستغفار لموتاكم المشركين من الجزع على ما سلف منكم من الاستغفار لهم قبل تقدمه إليكم بالنهي عنه ، وبغير ذلك من سرائر أموركم وأمور عباده وظواهرها ، فبين لكم حلمه في ذلك عليكم ليضع عنكم ثقل الوجد بذلك .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ) قال : بيان الله للمؤمنين في الاستغفار للمشركين خاصة ، وفي بيانه طاعته ومعصيته ، فافعلوا أو ذروا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ) قال : بيان الله للمؤمنين أن لا يستغفروا للمشركين خاصة ، وفي بيانه طاعته ومعصيته عامة ، فافعلوا أو ذروا .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا كَانَ

اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُسَيِّئَ كَلِمًا يَتَتَّقُونَ) قال : يبين الله للمؤمنين في أن لا يستغفروا للمشركين في بيانه في طاعته وفي معصيته ، فافعلوا أو ذروا .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِحْيٍ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾

يقول تعالى ذكره : إن الله أيها الناس له سلطان السماوات والأرض وملكهما ، وكل من دونه من الملوك فعبيده ومماليكه ، بيده حياتهم وموتهم ، يحيي من يشاء منهم ، ويميت من يشاء منهم ، فلا تجزعوا أيها المؤمنون من قتال من كفر بى من الملوك ، ملوك الروم كانوا أو ملوك فارس والحبشة أو غيرهم ، واجزؤهم وجاهدوهم في طاعتي ، فإني المعز من أشاء منهم ومنكم ، والمذل من أشاء ، وهذا حصن من الله جل ثناؤه المؤمنين على قتال كل من كفر به من المماليك ، وإغراء منه لهم بحربهم .

وقوله (وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يقول : وما لكم من أحد هو لكم حليف من دون الله يظاهركم عليه إن أنتم خالفتم أمر الله فعاقبكم على خلافكم أمره ، يستنقذكم من عقابه ، ولا نصير ينصركم منه ، إن أراد بكم سوءا ، يقول : فبالله فثقوا ، وإياه فارهبوا ، وجاهدوا في سبيله من كفر به ، فإنه قد اشترى منكم أنفسكم وأموالكم بأن لكم الجنة ، تقاتلون في سبيله (فَتُقَاتِلُونَ وَتُقْتَلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

يقول تعالى ذكره : لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام ، وأنصار رسوله في الله ، الذين اتبعوا رسول الله في ساعة العسرة منهم من النفقة والظهر والزاد والماء (مِّنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ) يقول : من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق ، ويشك في دينه ، ويرتاب بالذى ناله من المشقة والشدة في سفره وغزوه . (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) يقول : ثم رزقهم جل ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه ، وإبصار الحق الذى كان قد كاد يلتبس عليهم (إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) يقول : إن ربكم بالذين خالط قلوبهم ذلك لما نالهم في سفرهم من الشدة والمشقة ، رءوف بهم ، رحيم أن يهلكهم ، فيزع منهم الإيمان بعد ما قد أبلوا في الله ما أبلوا مع رسوله ، وصبروا عليه من البأساء والضراء .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (في ساعة العسرة) في غزوة تبوك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل (في ساعة العسرة) قال : خرجوا في غزوة تبوك الرجال الثلاثة على بعير ، وخرجوا في حر شديد ، وأصابهم يومئذ عطش شديد ، فجعلوا ينحرون إبلهم ، فيعصرون أكراشها ، ويشربون ماءها ، وكان ذلك عسرة من الماء ، وعسرة من الظهر ، وعسرة من النفقة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (ساعة العسرة) قال : غزوة تبوك . قال : العسرة : أصابهم جهد شديد حتى أن الرجلين ليشقان التمرة بينهما ولأنهم ليمصون التمرة الواحدة ويشربون عليها الماء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) قال : غزوة تبوك .

قال : ثنا زكريا بن علي ، عن ابن مبارك ، عن معمر ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) قال : عسرة الظهر ، وعسرة الزاد ، وعسرة الماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) . . . الآية ، الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، قبل الشأم في لحيان الحر على ما يعلم الله من الجهد أصابهم فيها جهد شديد ، حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما ، وكان النفر يتناولون التمرة بينهم بمصها هذا ، ثم يشرب عليها ، ثم يمصها هذا ، ثم يشرب عليها ، فتأب الله عليهم وأقفلهم من غزوهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحرث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عتبة بن أبي عتبة ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب راحة الله عليه في شأن العسرة ، فقال عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك في قيظ شديد ، فزلنا منزلا أصابنا فيه عطش ، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، حتى أن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء ، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى أن الرجل لينحر بغيره ، فيعصر فرثه فيشربه ، ويجعل ما بقي على كبده ، فقال أبو بكر : يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيرا ، فادع لنا ، قال : مُتَحِبُّ ذَلِكَ ؟ قال نعم ، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء ، فأظلت ثم سكبت ، فلكثوا ما معهم ، ثم رجعنا ننظر فلم نجد لها جاوزت العسكر .

حدثني إسحاق بن زيادة العطار ، قال : ثنا يعقوب بن محمد ، قال : ثنا عبد الله بن وهب ، قال : ثنا عمرو بن الحرث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن نافع بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قيل لعمر بن

الخطاب رحمة الله عليه : حدثنا عن شأن جيش العسرة ، فقال عمر : نخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

يقول تعالى ذكره : لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله في هذه الآية بما وصفهم به فيما قبل ، هم الآخرون الذين قال جل ثناؤه (وَأَخْرُوجُوا مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ ، إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ، وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فتاب عليهم عز ذكره ، وتفضل عليهم . وقد مضى ذكر من قال ذلك من أهل التأويل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . فتأويل الكلام إذا : ولقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفهم الله عن التوبة ، فأرجأهم عن تاب عليه ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن سمع عكرمة ، في قوله (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا) قال : خلفوا عن التوبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : أما قوله (خُلِفُوا) فخلفوا عن التوبة (حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) يقول : بسعتها غمًا وندما على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ) بما نالهم من الوجد والكرب بذلك ، (وَزَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ) يقول : وأيقنوا بقلوبهم أن لا شيء لهم يلجئون إليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء بتخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينجيهم من كربته ، ولا مما يحذرون من عذاب الله إلا الله ، ثم رزقهم الإنابة إلى طاعته ، والرجوع إلى ما يرضيه عنهم ، لينيبوا إليه ، ويرجعوا إلى طاعته ، والانتهاى إلى أمره ونهيه (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) يقول : إن الله هو الوهاب لعباده الإنابة إلى طاعته الموفق من أحب توفيقه منهم لما يرضيه عنه ، الرحيم بهم أن يعاقبهم بعد التوبة ، أو يخذل من أراد منهم التوبة والإنابة ولا يتوب عليه .

وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، في قوله

(وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) : قال كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن ربيعة ، وكلهم من الأنصار .

حدثني عبيد بن الوراق ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر بنحوه ، إلا أنه قال : ومرارة بن الربيع ، أو ابن ربيعة ، شك أبو أسامة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة وعامر (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : أرجئوا في أوسط براءة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : الذين أرجئوا في أوسط براءة ، قوله (وَأَخْرُجُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ) هلال بن أمية ، ومرارة بن ربيعة ، وكعب بن مالك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) الذين أرجئوا في وسط براءة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : كلهم من الأنصار : هلال بن أمية ، ومرارة بن ربيعة ، وكعب بن مالك .

قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : الذين أرجئوا .

قال : ثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : (الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) : كعب ابن مالك وكان شاعرا ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، وكلهم أنصار .

قال : ثنا أبو خالد الأحمر والحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : كلهم من الأنصار : هلال ابن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هاشم ، عن جوير ، عن الضحاك ، قوله (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : هلال بن أمية ، وكعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع : كلهم من الأنصار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) . . . إلى قوله (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) كعب بن مالك ، وهلال ابن أمية ، ومرارة بن ربيعة تخلفوا في غزوة تبوك . ذكر لنا أن كعب بن مالك أوثق نفسه إلى سارية ، فقال : لا أطلقها أو لا أطلق نفسي حتى يطلقني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله : والله لا أطلقه حتى يطلقه ربه إن شاء . وأما الآخر فكان تخلف على حائط له كان أدرك ، فجعله صدقة في سبيل الله ، وقال : والله لا أطعمه . وأما الآخر فركب المفاوز يتبع رسول الله ترفعه أرض وتضعه أخرى ، وقدماه تشلشلان دما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك ، قال (الثلاثة الذين خَلَفُوا) : هلال بن أمية ، وكعب بن مالك ، ومرارة بن ربيعة .

قال : ثنا أبو داود الحفري ، عن سلام أبي الأحوص ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة (وعلى الثلاثة الذين خَلَفُوا) قال : هلال بن أمية ، ومرارة ، وكعب بن مالك .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا ابن عون ، عن عمر بن كثير بن أفلح ، قال : قال كعب بن مالك : ما كنت في غزاة أيسر للظهر والنفقة مني في تلك الغزاة . قال كعب بن مالك : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : أتجهز غدا ثم ألقه ، فأخذت في جهازي ، فأمسيت ولم أفرغ ؛ فلما كان اليوم الثالث أخذت في جهازي ، فأمسيت ولم أفرغ ، فقلت : هيات ، سار الناس ثلاثا ، فأقمت ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعل الناس يعتذرون إليه ، فجئت حتى قمت بين يديه فقلت : ما كنت في غزاة أيسر للظهر والنفقة مني في هذه الغزاة ، فأعرض عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر الناس أن ألا يكلمونا ، وأمرت نساؤنا أن يتحولن عنا ، قال : فتسورت حائطا ذات يوم فإذا أنا بجابر بن عبد الله ، فقلت : أي جابر ، نشدتك بالله هل علمتني غششت الله ورسوله يوما قط ، فسكت عني ، فجعل لا يكلمني ، فبينما أنا ذات يوم ، إذ سمعت رجلا على الثنية يقول : كعب كعب حتى دنا مني ، فقال بشروا كعبا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ، وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام ، حتى إذا بلغ تبوك أقام بها بضع عشرة ليلة ولقيه بها وفد أذرح ووفد أيلة ، صالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ، ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ولم يجاوزها ، وأنزل الله (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) . . . الآية ، والثلاثة الذين خلفوا : رهط منهم كعب بن مالك ، وهو أحد بني سلمة ، ومرارة بن ربيعة ، وهو أحد بني عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية ، وهو من بني واقف ، وكانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ، في بضعة وثمانين رجلا ؛ فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، صدقه أولئك حديثهم ، واعترفوا بذنوبهم ، وكذب سائرهم ، فحلفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حبسهم إلا العذر ، فقبل منهم رسول الله وبأيعهم ، ووكلمهم في سرائرهم إلى الله ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلام الذين خلفوا ، وقال لهم حين حدثوه حديثهم واعترفوا بذنوبهم « قَدْ صَدَقْتُمْ فَتَقُومُوا حَتَّى يَنْقُضِيَ اللَّهُ فِيكُمْ » فلما أنزل الله القرآن تاب على الثلاثة ، وقال للآخرين (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ) . . . حتى بلغ (لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) قال ابن شهاب : وأخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان قائد كعب من بني حنينة ، قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم في غزوة تبوك ، قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك ، غير أنني قد تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحدا تخلف عنها إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون غير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توثقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدروا إن كانت بدر أذكر في الناس منها . فكان من خبري حين تخلفت عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط ، حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ومفازا ، واستقبل عدوا كثيرا ، فجلى للمسلمين أمرهم ، ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ ، يريد بذلك الديوان ، قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلا يظن أن ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وأنا إليهما أصعر ، فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم ، فلم أقض من جهازي شيئا ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا ، فلم ينزل ذلك يتامدى حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، وهمت أن أرتحل ، فأدركهم ، فباليتمنى فعلت ، فلم يقدر ذلك لي ، فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلا مغموصا عليه في النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفه ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينما هو على ذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كُنْ أَبَا خَيْشَمَةَ ، فإذا هو أبو خَيْشَمَةَ الْأَنْصَارِي ، وهو الذي تصدق بصاع التمر ، فلمزه المنافقون ، قال كعب : فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني همي ، فطفقت أتذكر الكذب ، وأقول بم أخرج من سخطه غدا ، وأستعين على ذلك بكل ذي رأى من أهلي ، فلما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلم قادمًا زاح عني الباطل ، حتى عرفت أنني لن أنجو منه بشيء أبدا ، فأجمعت صدقه ، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادمًا ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله حتى جئت ، فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ، ثم قال : تعال ، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : ما خلفك ، ألم تكن قد ابستعت ظهرك ؟ قال : قلت يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنني سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن

يسخطك علىّ ، ولئن حدثتكَ حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله ، والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قطّ أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمّا هذا فقد صدّق ، قم حتى يقضي الله فيك ، فقامت ، وثار رجال من بني سلمة ، فاتبعوني وقالوا : والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا ، لقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون ، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ، قال : فوالله ما زالوا يؤنبونني ، حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسي ، قال : ثم قلت لهم : هل لى هذا معى أحد ؟ قالوا : نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ، قال : قلت من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي ، قال : فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا لى فيهما أسوة ، قال : فضيت حين ذكر وهما لى ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخاف عنه ، قال : فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الأرض ، فهاهى بالأرض التى أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحبى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان ، وأما أنا ، فكنت أشبّ القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج وأشهد الصلاة وأطوف فى الأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى هل حرك شفّتيه بردّ السلام أم لا ؟ ثم أصلى معه وأسارقه النظر ، فاذا أقبلت على صلاتى نظر إلىّ وإذا التفت نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال ذلك علىّ من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحبّ الناس إلىّ ، فسلمت عليه ، فوالله ما ردّ علىّ السلام ، فقلت : يا أبأ قتادة أنشدك بالله هل تعلم أنى أحبّ الله ورسوله ؟ فسكت ، قال : فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناي ، وتوليت حتى تسورت الجدار ، فبينما أنا أمشى فى سوق المدينة ، إذا بنبطى من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدلّ على كعب بن مالك ، قال : فطفق الناس يشيرون له حتى جاءنى ، فدفع إلىّ كتابا من ملك غسان وكنت كاتباً ، فقرأته فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة ، فالحق بنا نواسك ، قال : فقلت حين قرأته . وهذا أيضا من البلاء ، فتأملت به التنور فسجرت به ، حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحى إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرک أن تعزل امرأتك ، قال : فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا بل اعزلها فلا تقر بها ، قال : وأرسل إلى صاحبى بذلك ، قال : فقلت لامرأتى : الحق بأهلك تكونى عندهم ، حتى يقضى الله فى هذا الأمر ، قال : فجاءت امرأة هلال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ فقال لا « وَلَكِنْ لَا يَتَقَرَّبُ بِسَّكَ » قالت : فقلت : إنه والله ما به حركة إلى شيء ، ووالله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، قال : فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه ، قال : فقلت

لأستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يدريني ماذا يقول لي إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ، فلبثت بعد ذلك عشر ليال ، فأكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ، قال : ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله عنا ، قد ضاقت على نفسي ، وضافت على الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر ، قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء فرج ، قال : وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، فذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلى فرسا ، وسعى ساع من أسلم قبلي ، وأوفى الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعته له ثوبي ، فكسوتهما إياه ببشارته ، والله ما أملك غيرها يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت أتأتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلقاني الناس فوجا فوجا يهتفوني بالتوبة ، ويقولون لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني ، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره ، قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة ، قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور : أبشرك بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك ، فقلت : أمن عندك يا رسول الله ، أم من عند الله؟ قال : لا بل من عند الله ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرّ استنار وجهه ، حتى كأن وجهه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه ، قال : فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إن من توبتي أن أنحاج من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك ببعض مالك فهو خير لك ، قال : فقلت : فإني أمسك سهمي الذي بخير ، وقلت : يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت ، قال : فوالله ما علمت أحدا من المسلمين ابتلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله عليه الصلاة والسلام أحسن مما ابتلاني ، والله ما تعمدت كذبة ، منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإني أرجو أن يحفظني الله فيما بقي ، قال : فأنزل الله (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ) . . . حتى بلغ (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا) . . . إلى (اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال كعب : والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كاذبه فأهلك كما هلك الذين كذبوه ، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرا ما قال لأحد (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ) ، فَأَعَرَّضُوا عَنْهُمْ ، لَئِنْهُمْ رَجَسُوا مَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) . . . إلى قوله (لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) قال كعب : خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبتهم حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ)

الَّذِينَ خَلَفُوا) وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عن حلف له واعتذر إليه ، فقبل منهم .

حدثنا المنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان قائد كعب من بنيه حين عمى ، قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فذكر نحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب ، عن أبيه ، قال : لم أتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة غزاها إلا بدرا ، ولم يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم أحدا تخلف عن بدر ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، ثم السلمي ، عن أبيه ، أن أباه عبد الله بن كعب ، وكان قائد أبيه كعب حين أصيب بصره ، قال : سمعت أبي كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه قال : ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها ، غير أني كنت تخلفت عنه في غزوة بدر ، ثم ذكر نحوه .

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٣﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين معرفهم سبيل النجاة من عقابه ، والخلاص من أليم عذابه : يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله ، اتقوا الله وراقبوه بأداء فرائضه وتجنب حدوده ، وكونوا في الدنيا من أهل ولاية الله وطاعته ، تكونوا في الآخرة مع الصادقين في الجنة ، يعني مع من صدق الله الإيمان به ، فحقق قوله بفعله ولم يكن من أهل النفاق فيه الذين يكذب قيلهم فعلهم .

ولأن معنى الكلام : وكونوا مع الصادقين في الآخرة باتقاء الله في الدنيا ، كما قال جل ثناؤه (وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ، فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ الصَّالِحِينَ) .

ولأنما قلنا : ذلك معنى الكلام ، لأن كون المنافق مع المؤمنين غير نافعه بأي وجه الكون كان معهم إن لم يكن عاملا عملهم ، وإذا عمل عملهم فهو منهم ، وإذا كان منهم كان لا وجه في الكلام أن يقال : اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . ولتوجيه الكلام إلى ما وجهنا من تأويله فسر ذلك من فسر من أهل التأويل بأن قال : معناه : وكونوا مع أبي بكر وعمر ، أو مع النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين رحمة الله عليهم .

ذكر من قال ذلك أو غيره في تأويله

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم ، عن نافع ، في قول الله (اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال : مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جوييه أبو يزيد ، عن يعقوب القمي ، عن زيد بن أسلم ، عن نافع ، قال : قيل للثلاثة الذين خلفوا (يا أيها الذين آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) محمد وأصحابه . حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن عبد الرحمن المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال : مع أبي بكر وعمر وأصحابهما رحمة الله عليهم .

قال : ثنا محمد بن يحيى ، قال : ثنا إسحاق بن بشر الكاهلي ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن أبي هاشم الرماني ، عن سعيد بن جبير ، في قول الله (اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال : مع أبي بكر وعمر رحمة الله عليهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال : مع المهاجرين الصادقين . وكان ابن مسعود فيما ذكر عنه يقرؤه (وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ) ويتأوله أن ذلك نهي من الله عن الكذب .

ذكر الرواية عنه بذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت أبا عبيدة ابن عبد الله بن مسعود يقول : قال ابن مسعود : إن الكذب لا يحلّ منه جدّ ولا هزل ، اقرءوا إن شئتم : (يا أيها الذين آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ) قال : وكذلك هي قراءة ابن مسعود من الصادقين ، فهل ترون في الكذب رخصة .

قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت أبا عبيدة ، عن عبد الله ، نحوه .

قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت أبا عبيدة يحدث ، عن عبد الله قال : الكذب لا يصلح منه جدّ ولا هزل ، اقرءوا إن شئتم (يا أيها الذين آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ) وهي كذلك في قراءة عبد الله ، فهل ترون من رخصة في الكذب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : لا يصلح الكذب في هزل ولا جدّ ، ثم تلا عبد الله (اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا) ما أدرى أقال (مِنَ الصَّادِقِينَ) أو (مَعَ الصَّادِقِينَ) وهو في كتابي : (مَعَ الصَّادِقِينَ) .

قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله ، مثله .

قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، مثله .

والصحيح من التأويل في ذلك هو التأويل الذي ذكرناه عن نافع والضحاك ، وذلك أن رسوم المصاحف

كلها مجمعة على (وكونوا مع الصادقين) ، وهى القراءة التى لأستجيز لأحد القراءة بخلافها ، وتأويل عبد الله رحمة الله عليه فى ذلك على قراءته تأويل غير صحيح ، أن القراءة بخلافها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ
عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا
يَغِيبُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾

يقول تعالى ذكره : لم يكن لأهل المدينة ، مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن حولهم من الأعراب سكان البوادي ، الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وهم من أهل الإيمان به أن يتخلفوا فى أهاليهم ولا دارهم ، ولا أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه فى صحبته فى سفره ، والجهاد معه ، ومعاونته على ما يعانیه فى غزوه ذلك ، يقول : إنه لم يكن لهم هذا بأنهم من أجل أنهم ، وبسبب أنهم لا يصيبهم فى سفرهم إذا كانوا معه ظمأ وهو العطش ولا نصب ، يقول : ولا تعب (ولا تخمصة فى سبيل الله) يعنى : ولا مجاعة فى إقامة دين الله ونصرته ، وهدم منار الكفر (ولا يَطَئُونَ مَوْطِئًا) يعنى أرضاً ، يقول : ولا يَطَئُونَ أرضاً يغيب الكفار وطؤهم إياها (ولا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا) يقول ولا يصيبون من عدو الله وعدوهم شيئاً فى أموالهم وأنفسهم وأولادهم إلا كتب الله لهم بذلك كله ثواب عمل صالح قد ارتضاه (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) يقول : إن الله لا يدع محسناً من خلقه أحسن فى عمله فأطاعه فيما أمره ، وانتهى عما نهاه عنه أن يجازيه على إحسانه ، ويثيبه على صالح عمله ، فلذلك كتب لمن فعل ذلك من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ما ذكر فى هذه الآية الثواب على كل ما فعل فلم يضيع له أجر فعله ذلك .

وقد اختلف أهل التأويل فى حكم هذه الآية ، فقال بعضهم : هى محكمة ، وإنما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، لم يكن لأحد أن يتخلف إذا غزا خلافة ، فيقعد عنه إلا من كان ذا عذر ، فأما غيره من الأئمة والولاة ، فإن لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف خلافة إذا لم يكن بالمسلمين إليه ضرورة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) هذا إذا غزا نبي الله بنفسه ، فليس لأحد أن يتخلف ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

«لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا تَخَلَّفْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَكِنِّي لِأَجِدُ سَعَةً فَأَنْطَلِقُ بِهِمْ مَعِيَ، وَيَشُقُّ عَلَيَّ أَوْ أَكْرَهُ أَنْ أَدْعَهُمْ بَعْدِي» .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : سمعت الأوزاعي ، وعبد الله بن المبارك ، والفزاري ، والسبيعي ، وابن جابر ، وسعيد بن عبد العزيز يقولون في هذه الآية (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) . . . إلى آخر الآية ، إنها لأول هذه الأمة وآخرها من المجاهدين في سبيل الله .

وقال آخرون : هذه الآية نزلت وفي أهل الإسلام قلة ، فلما كثروا نسخها الله ، وأباح التخلف لمن شاء ، فقال (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) فقرأ حتى بلغ (لينجزهم الله أحسن ما كانوا يعملون) قال : هذا حين كان الإسلام قليلا ، فلما كثر الإسلام بعد ، قال (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) ، فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة . . . إلى آخر الآية . والصواب من القول في ذلك عندي ، أن الله عني بها الذين وصفهم بقوله (وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم) . . . الآية ، ثم قال جل ثناؤه : ما كان لأهل المدينة الذين تخلفوا عن رسول الله ، ولا لمن حولهم من الأعراب الذين قعدوا عن الجهاد معه أن يتخلفوا خلافة ، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ندب في غزوته تلك كل من أطاق النهوض معه إلى الشخص إلا من أذن له ، أو أمره بالمقام بعده ، فلم يكن لمن قدر على الشخص التخلف ، فعدّ جل ثناؤه من تخلف منهم ، فأظهر نفاق من كان تخلفه منهم نفاقا ، وعذر من كان تخلفه لعذر ، وتاب على من كان تخلفه تفريطا من غير شك ولا ارتياب في أمر الله إذ تاب من خطأ ما كان منه من الفعل . فأما التخلف عنه في حال استغنائه فلم يكن محظورا إذا لم يكن عن كراهته منه صلى الله عليه وسلم ذلك ، وكذلك حكم المسلمين اليوم إزاء إمامهم ، فليس بفرض على جميعهم النهوض معه إلا في حال حاجته إليهم لما لا بد للإسلام وأهله من حضورهم واجتماعهم ، واستنهاضه إياهم ، فيلزمهم حينئذ طاعته ، وإذا كان ذلك معنى الآية لم تكن إحدى الآيتين اللتين ذكرنا ناسخة للأخرى ، إذ لم تكن إحداها نافية حكم الأخرى من كل وجه ، ولا جاء خبر يوجه الحجة بأن إحداها ناسخة للأخرى .

وقد بينا معنى المحمصة ، وأنها المجاعة بشواهد ، وذكرنا الرواية عن قال ذلك في موضع غير هذا ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا . وأما النيل : فهو مصدر من قول القائل : نالني ينالني ، ونلت الشيء : فهو منيل ، وذلك إذا كنت تناله بيدك ، وليس من تناول ، وذلك أن تناول من النوال ، يقال منه : نلت له أنول له من العطية ، وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : النيل مصدر من قول القائل : نالني بخير

ينولني نوالا ، وأنالني خيرا إنالة ، وقال : كأنّ النيل من الواو أبدلت ياء لحفها وثقل الواو ، وليس ذلك بمعروف في كلام العرب ، بل من شأن العرب أن تصحح الواو من ذوات الواو إذا سكنت ، وانفتح ما قبلها ، كقولهم : القول ، والعول ، والحول ، ولو جاز ما قال لحاز القيل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ

اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦١﴾

يقول تعالى ذكره : ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ، وسائر ما ذكر ، ولا ينالون من عدو نيلا ، ولا ينفقون نفقة صغيرة في سبيل الله ، ولا يقطعون مع رسول الله في غزوه واديا إلا كتب لهم أجر عملهم ذلك ، جزاء لهم عليه ، كأحسن ما يجزيهم على أحسن أعمالهم ، التي كانوا يعملونها وهم مقيمون في منازلهم . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً) . . . الآية ، قال : ما ازداد قوم من أهلهم في سبيل الله بعدا إلا ازدادوا من الله قربا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي

الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٦٢﴾

يقول تعالى ذكره : ولم يكن المؤمنون لينفروا جميعا . وقد بينا معنى الكافة بشواهد وأقوال أهل التأويل فيه ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع .

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عناه الله بهذه الآية ، وما انفروا الذي كرهه لجميع المؤمنين ، فقال بعضهم : هو نفر كان من قوم كانوا بالبادية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمون الناس الإسلام فلما نزل قوله (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ) انصرفوا عن البادية إلى النبي صلى الله عليه وسلم خشية أن يكونوا ممن تخلف عنه ، ومن عني بالآية ، فأنزل الله في ذلك عذرهم بقوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً) وكره انصراف جميعهم من البادية إلى المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً) ، فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ) قال : ناس من

أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي ، فأصابوا من الناس معروفا ، ومن الخصب ما ينتفعون به ، ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى ، فقال الناس لهم : ما نراكم إلا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا ، فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا ، وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال الله (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ) يبتغون الخير (لِيَتَفَقَّهُوا) وليسمعوا ما في الناس ، وما أنزل الله بعدهم (وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ) الناس كلهم (إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال في حديثه : فقال الله (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ) خرج بعض وقعد بعض ، يبتغون الخير .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحو حديثه ، عن أبي حذيفة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد نحو حديث المثنى ، عن أبي حذيفة ، غير أنه قال في حديثه : ما نراكم إلا قد تركتم أصحابكم وقال (لِيَتَفَقَّهُوا) ليسمعوا ما في الناس .

وقال آخرون : معنى ذلك : وما كان المؤمنون لينفروا جميعا إلى عدوهم ؛ ويتركوا نبيهم صلى الله عليه وسلم وحده .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) قال : لينذهبوا كلهم ، فلولوا نفر من كل حي وقبيلة طائفة ، وتخلف طائفة ليتفقهوا في الدين ، ليتفقه المتخلفون مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدين ، ولينذر المتخلفون النافرين إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) يقول : ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ، ويتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وحده (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ) يعني عصابة ، يعني السرايا ، ولا يتسروا إلا بأذنه ، فاذا رجعت السرايا ، وقد نزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون من النبي صلى الله عليه وسلم . قالوا : إن الله قد أنزل على نبيكم بعدكم قرآنا ، وقد تعلمناه فيمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم ويبعث سرايا آخر ، فذلك قوله (لِيَتَفَقَّهُوا في الدين) يقول : يتعلمون ما أنزل الله على نبيه ، ويعلمونه السرايا إذا رجعت إليهم لعلهم يحذرون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا

كافّةً) . . . إلى قوله (لَعَلَّهْمُ يَحْذَرُونَ) قال : هذا إذا بعث نبيّ الله الحيوش أمرهم أن لا يعروا نبيه وثقيم طائفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تتفقه في الدين ، وتنطلق طائفة تدعو قومها وتحذّرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم .

حدثنا الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) . . . الآية ، كان نبيّ الله إذا غزا بنفسه لم يحلّ لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه إلا أهل العذر ، وكان إذا أقام فأسرت السرايا لم يحلّ لهم أن ينطلقوا إلا بأذنه ، فكان الرجل إذا أسرى فنزل بعده قرآن ، تلاه نبيّ الله على أصحابه القاعدين معه ، فإذا رجعت السرية قال لهم الذين أقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنا ، فيقرءونهم ، ويفقهونهم في الدين . وهو قوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) يقول : إذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ) يعني بذلك أنه لا ينبغي للمسلمين أن ينفروا جميعا ونبيّ الله قاعد ، ولكن إذا قعد نبيّ الله تسرت السرايا ، وقعد معه معظم الناس .

وقال آفغرون : بل معنى ذلك : ما هؤلاء الذين نفروا بمؤمنين ، ولو كانوا مؤمنين لم ينفر جميعهم ، ولكنهم منافقون ، ولو كانوا صادقين أنهم مؤمنون لنفر بعض ليتفقه في الدين ، ولينذر قومه إذا رجع إليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنفي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) فإنها ليست في الجهاد ، ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين ، أجذبت بلادهم ، وكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ، ويعتلوا بالإسلام وهم كاذبون ، فضيقوا على أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم ، وأنزل الله يخبر رسول الله أنهم ليسوا مؤمنين ، فردّهم رسول الله إلى عشائهم ، وحذّر قومهم أن يفعلوا فعلهم ، فذلك قوله (وَلْيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) .

وقد روى عن ابن عباس في ذلك قول ثالث ، وهو ما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) . . . إلى قوله (لَعَلَّهْمُ يَحْذَرُونَ) قال : كان ينطلق من كلّ حيّ من العرب عصابة فيأتون النبيّ صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدونه من دينهم ، ويتفقهون في دينهم ، ويقولون لنبيّ الله : ما تأمرنا أن نفعله ، وأخبرنا ما نقول لعشائنا إذا انطلقنا إليهم ، قال فيأمرهم نبيّ الله بطاعة الله وطاعة رسوله ، ويبعثهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة ، وكانوا إذا أتوا قومهم نادوا : إن من أسلم فهو منا وينذرونهم ، حتى إن الرجل ليعترف أباه وأمه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم وينذرون قومهم ، فإذا رجعوا إليهم يدعونهم إلى الإسلام ، وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة .

وقال آخرون : إنما هذا تكذيب من الله لمنافيين أزرأوا بأعراب المسلمين ، وغزروهم في تخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم ممن قد عذره الله بالتخلف .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن سليمان الأحول ، عن عكرمة قال : لما نزلت هذه الآية (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ) . . . إلى (إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) قال ناس من المنافقين : هلك من تخلف ، فنزلت (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) . . . إلى (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) ، ونزلت (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً) . . . الآية .

حدثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا سليمان الأحول عن عكرمة ، قال : سمعته يقول : لما نزلت (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابَ أَلِيمٍ - وَمَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ) . . . إلى قوله (لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال المنافقون : هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه ، وقد كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا إلى البدو إلى قومهم يفقهونهم ، فأنزل الله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ، فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ) . . . إلى قوله (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) ، ونزلت (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ) . . . الآية .

واختلف الذين قالوا : عن ذلك النهي عن نفر الجميع في السرية ، وترك النبي عليه الصلاة والسلام وحده في المعين بقوله (لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) فقال بعضهم : عنى به الجماعة المتخلفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : معنى الكلام : فهلا نفر من كل فرقة طائفة للجهاد ، ليتفقه المتخلفون في الدين ، ولينذروا قومهم الذين نفروا في السرية إذا رجعوا إليهم من غزوهم ، وذلك قول قتادة ، وقد ذكرنا رواية ذلك عنه من رواية سعيد بن أبي عروبة .

وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) . . . الآية ، قال : ليتفقه الذين قعدوا مع نبي الله (وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) يقول : لينذروا الذين خرجوا إذا رجعوا إليهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن وقاتدة (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) قالوا : كافة ويدعوا النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون منهم : بل معنى ذلك : لتفقه الطائفة النافرة دون المتخلفة ، وتحذر النافرة المتخلفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ

كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ (قال : ليتفقہ الذین خرجوا بما یریہم اللہ من الظہور علی المشرکین والنصرة ، وينذروا قومہم إذا رجعوا إلیہم .

﴿ وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال : تأويله : وما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ، وأن الله نهي بهذه الآية المؤمنين به أن يخرجوا في غزو وجهاد وغير ذلك من أمورهم ، ويدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيدا ، ولكن عليهم إذا سري رسول الله سرية أن ينفر معها من كل قبيلة من قبائل العرب وهي الفرقة طائفة ، وذلك من الواحد إلى ما بلغ من العدد ، كما قال الله جل ثناؤه (فَلَا تُولُوا نَفَرًا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ) يقول : فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة ، وهذا إلى هاهنا على أحد الأقوال التي رويت عن ابن عباس ، وهو قول الضحاك وقتادة .

وإنما قلنا : هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب ، لأن الله تعالى ذكره حظر التخلف خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين به من أهل المدينة . مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن الأعراب لغير عذر يعذرون به إذا خرج رسول الله لغزو وجهاد عدو قبل هذه الآية بقوله (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) ، ثم عقب ذلك جل ثناؤه بقوله (وما كان المؤمنون لينتفروا كافة) فكان معلوما بذلك إذ كان قد عرفهم في الآية التي قبلها اللان لازم لهم من فرض النفر ، والمباح لهم من تركه في حال غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشخصه عن مدينته لجهاد عدو ، وأعلمهم أنه لا يسعهم التخلف خلافه إلا لعذر بعد استنهاضه بعضهم وتخليفه بعضهم أن يكون عقيب تعريفهم ذلك تعريفهم الواجب عليهم عند مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدينته ، وإشخاص غيره عنها ، كما كان الابتداء بتعريفهم الواجب عند شخصه وتخليفه بعضهم .

وأما قوله (لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) .

﴿ فإن أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : ليتفقہ الطائفة النافرة بما تعاین من نصر الله أهل دينه وأصحاب رسوله على أهل عداوته والكفر به ، فيفقه بذلك من معاينته حقيقة علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان من لم يكن فقهه ، ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاینوا ، ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك ، إذا هم رجعوا إلیہم من غزوهم (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) يقول : لعل قومهم إذا هم حذروهم ما عاینوا من ذلك يحذرون ، فيؤمنون بالله ورسوله ، حذرا أن ينزل بهم ما نزل بالدين أخبروا خبرهم .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب ، وهو قول الحسن البصري الذي رويناه عنه ، لأن النفر قد بينا فيما مضى أنه إذا كان مطلقا بغير صلة بشيء أن الأغلب من استعمال العرب إياه في الجهاد والغزو ، فإذا كان ذلك هو الأغلب من المعاني فيه ، وكان جل ثناؤه قال (فَلَا تُولُوا نَفَرًا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) علم أن قوله : ليتفقہوا إنما هو شرط للنفر لا لغيره ، إذ كان يليه دون غيره من الكلام .

﴿ فَإِنْ قَالَ قَاتِلْ : وَمَا تَنْكَرُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : لِيَتَفَقَّهَ الْمُتَخَلِّفُونَ فِي الدِّينِ ؟ قِيلَ : نَنْكَرُ ذَلِكَ لِاسْتِحَالَتِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ نَفَرَ الطَّائِفَةِ النَّافِرَةِ لَوْ كَانَ سَبِيلاً لَتَفَقَّهَ الْمُتَخَلِّفَةُ ، وَجِبَ أَنْ يَكُونَ مَقَامُهَا مَعَهُمْ سَبِيلاً لَجَهْلِهِمْ ، وَتَرَكَ التَّفَقُّهُ ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مَقَامَهُمْ أَوْ أَقَامُوا وَلَمْ يَنْفَرُوا لَمْ يَكُنْ سَبِيلاً لِمَنْعِهِمْ مِنَ التَّفَقُّهِ ، وَبَعْدَ ، فَإِنَّهُ قَالَ جَلَّ ثَنَاهُ (وَلَيْسُنْذِرُ أَهْلَ قَوْمِهِمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) عَطْفًا بِهِ عَلَى قَوْلِهِ (لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) وَلَا شَكَّ أَنَّ الطَّائِفَةَ النَّافِرَةَ لَمْ يَنْفَرُوا إِلَّا وَالْإِنذَارُ قَدْ تَقَدَّمَ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهَا ، وَلِلْإِنذَارِ وَخَوْفِ الْوَعِيدِ نَفَرَتْ ، فَمَا وَجَّهَ الْإِنذَارُ الطَّائِفَةَ الْمُتَخَلِّفَةَ الطَّائِفَةَ النَّافِرَةَ ، وَقَدْ تَسَاوَتَا فِي الْمَعْرِفَةِ بِالْإِنذَارِ اللَّهُ إِلَاهُهَا ، وَلَوْ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا جَائِزَةً أَنْ تُوصَفَ بِالْإِنذَارِ الْآخَرَى ، لَكَانَ أَحَقُّهُمَا بِأَنْ يُوصَفَ بِهِ الطَّائِفَةُ النَّافِرَةُ ، لِأَنَّهَا قَدْ عَايَنْتْ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ وَنَصْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ ، مَا لَمْ تَغَايِنِ الْمَقِيمَةَ ، وَلَكِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ كَمَا قُلْنَا مِنْ أَنَّهَا تَنْذِرُ مَنْ خِيَهَا وَقَبِيلَتَهَا ، مَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ إِذَا رَجَعَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ مَا أَنْزَلَ بِمَنْ عَايَنْتَهُ مِنْ أَظْفَرِ اللَّهِ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَظَائِرِهِ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٧٢﴾

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَاتِلُوا مَنْ وَلِيَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ دُونَ مَنْ بَعُدَ مِنْهُمْ ، يَقُولُ لَهُمْ : ابْدَعُوا بِقِتَالِ الْأَقْرَبِ فَلِأَقْرَبِ إِلَيْكُمْ دَارًا دُونَ الْأَبْعَدِ فَلِأَبْعَدِ ، وَكَانَ الَّذِينَ يَلُونَ الْمُخَاطَبِينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ يَوْمَئِذٍ الرُّومَ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا سُكَّانَ الشَّامِ يَوْمَئِذٍ ، وَالشَّامُ كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنَ الْعِرَاقِ . فَأَمَّا بَعْدُ أَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْبِلَادَ ، فَإِنَّ الْفَرَضَ عَلَى أَهْلِ كُلِّ نَاحِيَةٍ قِتَالُ مَنْ وَلِيَهُمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ دُونَ الْأَبْعَدِ مِنْهُمْ مَا لَمْ يَضْطُرَّ إِلَيْهِمْ أَهْلُ نَاحِيَةٍ أُخْرَى مِنْ نَوَاحِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ اضْطُرُّوا إِلَيْهِمْ لَزِمَ عَوْنُهُمْ ، وَنَصْرُهُمْ ، لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَدُ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ، وَلِصِحَّةِ كَوْنِ ذَلِكَ ، تَأَوَّلَ كُلُّ مَنْ تَأَوَّلَ هَذِهِ الْآيَةَ ، أَنَّ مَعْنَاهَا إِيْجَابُ الْفَرَضِ عَلَى أَهْلِ كُلِّ نَاحِيَةٍ قِتَالُ مَنْ وَلِيَهُمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن شبيب بن غرقدة ، عن عروة البارقي ، عن رجل من بني تميم ، قال : سألت ابن عمر ، عن قتال الديلم ، قال : عليك بالروم .

حدثنا ابن بشار وأحمد بن إسحاق وسفيان بن وكيع ، قالوا : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن يونس عن الحسن (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) قال : الديلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الربيع ، عن الحسن أنه كان إذا سئل عن قتال الروم والديلم تلا هذه الآية (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، قال : ثنا عمران أخى ، قال : سألت جعفر بن محمد بن علي بن

الحسين ، فقلت : ما ترى في قتال الديلم ؟ فقال : قاتلوهم ورابطوهم ، فإنهم من الذين قال الله (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَكُونُونَ كُفَّارًا) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن الربيع ، عن الحسن أنه سئل عن الشام والديلم ، فقال (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَكُونُونَ كُفَّارًا) : الديلم .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد ، قال : سمعت أبا عمرو ، وسعيد بن عبد العزيز يقولان : يربط كل قوم ما يليهم من مسالحهم وحصونهم ، ويتأولان قول الله (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَكُونُونَ كُفَّارًا) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَكُونُونَ كُفَّارًا) : كان الذين يلوونهم من الكفار العرب ، فقاتلهم حتى فرغ منهم ، فلما فرغ قال الله (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) . . . حتى بلغ (وَهُمْ صَاغِرُونَ) قال : فلما فرغ من قتال من يليه من العرب أمره بجهاد أهل الكتاب ، قال : وجهادهم أفضل الجهاد عند الله .

وأما قوله (وَلَيَسْجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) فإن معناه : وليجد هؤلاء الكفار الذين تقاتلونهم فيكم : أى منكم شدة عليهم . (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) يقول : وأيقنوا عند قتالكم إياهم أن الله معكم وهو ناصركم عليهم ، فإن اتقيتم الله وخفتموه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، فإن الله ناصر من اتقاه ومعينه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِلَّا مَنَّا الَّذِينَ آمَنُوا

فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٧٤﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا أنزل الله سورة من سور القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله في هذه السورة من يقول : أيها الناس أيكم زادته هذه السورة إيماناً ؟ يقول تصديقاً بالله وبآياته ، يقول الله : فأما الذين آمنوا من الذين قيل لهم ذلك ، فزادتهم السورة التي أنزلت لإيماناً وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين .

فإن قال قائل : أو ليس الإيمان في كلام العرب : التصديق والإقرار ؟ قيل : بلى . فإن قيل : فكيف زادتهم السورة تصديقاً وإقراراً ؟ قيل : زادتهم إيماناً حين نزلت ، لأنهم قبل أن تنزل السورة لم يكن لزمهم فرض الإقرار بها ، والعمل بها بعينها إلا في جملة إيمانهم بأن كل ما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله فحق ، فلما أنزل الله السورة لزمهم فرض الإقرار بأنها بعينها من عند الله ، ووجب عليهم فرض الإيمان بما فيها من أحكام الله وحدوده وفرائضه ، فكان ذلك هو الزيادة التي زادهم نزول السورة حين نزلت من الإيمان والتصديق بها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا) قال : كان إذا نزلت سورة آمنوا بها ، فزادهم الله إيماناً وتصديقاً ، وكانوا يستبشرون .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله : (فزادتهم إيماناً) قال : خشية .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٧٥﴾

يقول تعالى ذكره : وأما الذين في قلوبهم مرض : نفاق وشك في دين الله ، فإن السورة التي أنزلت زادتهم رجساً إلى رجسهم ، وذلك أنهم شكوا في أنها من عند الله ، فلم يؤمنوا بها ولم يصدقوا ، فكان ذلك زيادة شك حادثة في تنزيل الله لزمهم الإيمان به عليهم ، بل ارتابوا بذلك ، فكان ذلك زيادة نين من أفعالهم إلى ما سلف منهم نظيره من النين والنفاق ، وذلك معنى قوله (فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا) يعني هؤلاء المنافقين أنهم هلكوا (وَهُمْ كَافِرُونَ) يعني وهم كافرون بالله وآياته .

القول في تأويل قوله تعالى :

أُولَٰئِكَ يَفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (أُولَٰئِكَ يَفْتَنُونَ) فقراءته عامة قراء الأمصار (أُولَٰئِكَ يَفْتَنُونَ) بالياء ، بمعنى أولاً يرى هؤلاء الذين في قلوبهم مرض النفاق . وقرأ ذلك حمزة (أُولَٰئِكَ يَفْتَنُونَ) بالتاء ، بمعنى أولاً ترون أنتم أيها المؤمنون أنهم يفتنون ؟

والصواب عندنا من القراءة في ذلك : الياء على وجه التوبيخ من الله لهم ، لإجماع الحجة من قراء الأمصار عليه وصحة معناه . فتأويل الكلام إذا : أولاً يرى هؤلاء المنافقون أن الله يختبرهم في كل عام مرة أو مرتين ، بمعنى أنه يختبرهم في بعض الأعوام مرة ، وفي بعضها مرتين ، ثم لا يتوبون ، يقول : ثم هم مع البلاء الذي يحل بهم من الله ، والاختبار الذي يعرض لهم لا يفتنون من نفاقهم ، ولا يتوبون من كفرهم ، ولا هم يتذكرون بما يرون من حجج الله ، ويعاينون من آياته ، فيتعظوا بها ، ولكنهم مصرّون على نفاقهم . واختلف أهل التأويل في معنى الفتنة التي ذكر الله في هذا الموضع أن هؤلاء المنافقين يفتنون بها ، فقال بعضهم : ذلك اختبار الله إياهم بالقحط والشدة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أُولَٰئِكَ يَفْتَنُونَ) يفتنون في كل عام مرة أو مرتين قال : بالسنة والجوع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (يُفْتَنُونَ) قال : يُبْتَلَوْنَ (في كل عام مرة أو مرتين) قال : بالسنة والجوع .

حدثني المثنى ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أُولَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ في كل عام مرة أو مرتين) قال : يُبْتَلَوْنَ بالعذاب في كل عام مرة أو مرتين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (يُفْتَنُونَ في كل عام مرة أو مرتين) قال : بالسنة والجوع .

وقال آخرون : بل معناه : أنهم يختبرون بالغزو والجهاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أُولَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ في كل عام مرة أو مرتين) قال : يُبْتَلَوْنَ بالغزو في سبيل الله في كل عام مرة أو مرتين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، مثله .

وقال آخرون : بل معناه : أنهم يختبرون بما يشيع المشركون من الأكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيفتن بذلك الذين في قلوبهم مرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن جابر ، عن أبي الضحى ، عن حذيفة (أُولَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ في كل عام مرة أو مرتين) قال : كنا نسمع في كل عام كذبة أو كذبتين ، فيضل بها فئام من الناس كثير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن جابر ، عن أبي الضحى ، عن حذيفة ، قال : كان لهم في كل عام كذبة أو كذبتان .

والأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال : إن الله عجب عباده المؤمنين من هؤلاء المنافقين ، ووبخ المنافقين في أنفسهم بقلة تذكركم ، وسوء تآمرهم لمواعظ الله التي يعظهم بها ، وجائز أن تكون تلك الموعظ الشدائد التي ينزلها بهم من الجوع والقحط ، وجائز أن تكون ما يريهم من نصرة رسوله على أهل الكفر به ، ويرزقه من إظهار كلمته على كلمتهم ، وجائز أن تكون ما يظهر للمسلمين من نفاقهم ، ونخب سرائرهم بركونهم إلى ما يسمعون من أراجيف المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولا خبر يوجب صحة بعض ذلك دون بعض من الوجه الذي يجب التسليم له ، ولا قول ذلك أولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله ، وهو : أُولَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ في كل عام مرة أو مرتين بما يكون زاجرا لهم ، ثم لا ينزجرون ولا يتعظون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا
صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا ما أنزلت سورة من القرآن فيها عيب هؤلاء المنافقين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هذه السورة ، وهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر بعضهم إلى بعض ، فتناظروا هل يراكم من أحد إن تكلمتم أو تناجيتهم بمعاب القوم يخبرهم به ، ثم قاموا فانصرفوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يستمعوا قراءة السورة التي فيها معابهم ، ثم ابتداء جل ثناؤه قوله (صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) فقال : صرف الله عن الخير والتوفيق والإيمان بالله ورسوله قلوب هؤلاء المنافقين ذلك (بَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) يقول : فعل الله بهم هذا الخذلان ، وصرف قلوبهم عن الخيرات من أجل أنهم قوم لا يفقهون عن الله مواعظه ، استكبارا ونفاقا .

واختلف أهل العربية في الجالب حرف الاستفهام ، فقال بعض نحوي البصرة ، قال : نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ؟ كأنه قال : قال بعضهم لبعض ، لأن نظرهم في هذا المكان كان إيماء وتنبيها به ، والله أعلم . وقال بعض نحوي الكوفة : إنما هو : وإذا ما أنزلت سورة قال بعضهم لبعض : هل يراكم من أحد ؟ وقال آخر منهم : هذا النظر ليس معناه القول ، ولكنه النظر الذي يجلب الاستفهام كقول العرب : تناظروا أيهم أعلم ، واجتمعوا أيهم أفقه : أي اجتمعوا لينظروا ، فهذا الذي يجلب الاستفهام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس ، قال : لاتقولوا : انصرفنا من الصلاة ، فإن قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ، ولكن قولوا : قد قضينا الصلاة . قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمير بن تميم الثعلبي ، عن ابن عباس ، قال : لاتقولوا : انصرفنا من الصلاة ، فإن قوما انصرفوا ، فصرف الله قلوبهم .

قال : ثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس ، قال : لاتقولوا انصرفنا من الصلاة ، فإن قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ، ولكن قولوا : قد قضينا الصلاة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ) . . . الآية ، قال : هم المنافقون .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ) ممن سمع خبركم رأيكم أحد أخبره إذا نزل شيء يخبر عن كلامهم ، قال : وهم المنافقون ، قال : وقرأ (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا) . . . حتى بلغ (نَظَرَ

بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَكَذَا يَتَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ) أخبره بهذا ، أكان معكم أحد سمع كلامكم ، أحد يخبره بهذا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا شعبه ، قال : ثنا أبو إسحاق الهمداني ، غم عن حدثه ، عن ابن عباس ، قال : لا تقل انصرفنا من الصلاة ، فإن الله غير قوما فقال (انصرفوا صرّف الله قلوبهم) ولكن قل : قد صاينا .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾

يقول تعالى ذكره للعرب : (لَقَدْ جَاءَكُمْ) أيها القوم (رَسُولٌ) الله إليكم (مِنْ أَنْفُسِكُمْ) تعرفونه لا من غيركم ، فتهموه على أنفسكم في النصيحة لكم (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) : أي عزيز عليه عنكم ، وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والأذى (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) يقول : حريص على هدى ضلالتكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ) : أي رفيق (رَحِيمٌ) .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، في قوله (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) قال : لم يصبه شيء من شرك في ولادته .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، في قوله (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) قال : لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية ، قال : وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي أَخْرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ » .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) قال : جعله الله من أنفسهم ، ولا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة .

وأما قوله (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : ما ضللتكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق بن غنام ، قال : ثنا الحكم بن ظهير عن السدي ، عن ابن عباس ، في قوله (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) قال : ما ضللتكم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : عزيز عليه عنت مؤمنكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) عزيز عليه عنت مؤمنهم .

❦ وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قول ابن عباس ، وذلك أن الله عم بالخبر عن نبي الله أنه عزيز عليه ما عنت قومه ، ولم يخص أهل الإيمان به ، فكان صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله به عزيزا عليه عنت جميعهم .

❦ فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يوصف صلى الله عليه وسلم بأنه كان عزيزا عليه عنت جميعهم وهو يقتل كفارهم ، ويسبي ذراريهم ، ويسلبهم أموالهم ؟ قيل : إن إسلامهم لو كانوا أسلموا كان أحب إليه من إقامتهم على كفرهم وتكذيبهم إياه حتى يستحقوا ذلك من الله ، وإنما وصفه الله جل ثناؤه بأنه عزيز عليه عنتهم ، لأنه كان عزيزا عليه أن يأتوا ما يعنتهم ، وذلك أن يضلوا فيستوجبوا العنت من الله بالقتل والسبي . وأما « ما » التي في قوله (ما عَنِتُّمْ) فإنه رفع بقوله (عَزِيزٌ عَلَيْهِ) لأن معنى الكلام : ما ذكرت عزيز عليه عنتكم .

وأما قوله (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) فإن معناه : ما قد بينت ، وهو قول أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) حريص على ضالهم أن يهديه الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) قال : حريص على من لم يسلم أن يسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

❦ يقول تعالى ذكره : فإن تولى يا محمد هؤلاء الذين جئتهم بالحق من عند ربك من قومك ، فأدبروا عنك ، ولم يقبلوا ما أتيتهم به من النصيحة في الله ، وما دعوتهم إليه من النور والهدى ، فقل حسبي الله ، يكفيني ربي (لا إله إلا هو) لا معبود سواه (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) وبه وثقت ، وعلى عونته اتكلت ، وإليه وإلى نصره استندت ، فانه ناصرى ومعينى على من خالفنى ، وتولى عنى منكم ومن غيركم من الناس (وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) الذى يملك كل ما دونه ، والملوك كلهم ممالكه وعبيده ، وإنما عني بوصفه جل ثناؤه نفسه بأنه رب العرش العظيم ، الخبر عن جميع ما دونه أنهم عبيده وفي ملكه وسلطانه ، لأن العرش

العظيم إنما يكون للملوك ، فوصف نفسه بأنه ذو العرش دون سائر خلقه ، وأنه الملك العظيم دون غيره ، وأن من دونه في سلطانه وملكه جار عليه حكمه وقضاؤه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ) يعنى الكفار تولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه في المؤمنين . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عبيد بن عمير ، قال : كان عمر رحمة الله عليه لا يثبت آية في المصحف حتى يشهد رجلان ، فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ) فقال عمر : لأسألك عليهما بيعة أبدا ، كذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، عن زهير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح الحنفي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ يُحِبُّ كُلَّ رَحِيمٍ ، يَضَعُ رَحْمَتَهُ عَلَى كُلِّ رَحِيمٍ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَنَرَحِمُ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا ، قَالَ : وَأَرَاهُ قَالَ : وَأَزْوَاجَنَا ، قَالَ : لَيْسَ كَذَلِكَ ، وَلَكِنْ كُونُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) » أراه قرأ هذه الآية كلها .

حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، قال : آخر آية نزلت من القرآن (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) . . . إلى آخر الآية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا شعبة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، عن أبي ، قال : آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا شعبة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن أبي ، قال : أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) . . . إلى آخر الآيتين .

حدثني أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن محمد ، قال : ثنا أبان بن يزيد العطار ، عن قتادة ، عن أبي ابن كعب ، قال : أحدث القرآن عهدا بالله الآيتان (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ) . . . إلى آخر السورة .

(١٠) سُورَةُ يُنُسُ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا تَشْعُرُ وَانْتَهَ

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : تأويله أنا الله أرى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يحيى بن داود بن ميمون الواسطي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، في قوله (الرَّ) : أنا الله أرى .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى عن ابن عباس ، قوله (الرَّ) قال : أنا الله أرى .

وقال آخرون : هي حروف من اسم الله الذي هو الرحمن .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الله بن أحمد بن شبيب ، قال : ثنا علي بن الحسين ، قال : ثنا أبي ، عن يزيد ، عن عكرمة عن ابن عباس (الرَّ ، وحم ، ونون) حروف الرحمن مقطعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عيسى بن عبيد عن الحسين بن عثمان ، قال : ذكر سالم بن عبد الله (الرَّ ، وحم ، ونون) فقال : اسم الرحمن مقطع ، ثم قال الرحمن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبي حماد ، قال : ثنا مندل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال (الرَّ ، وحم ، ونون) هو اسم الرحمن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو الكلبي ، عن أبي عوانة ، عن إسماعيل بن سالم ، عن عامر أنه سئل عن (الرَّ ، وحم ، وص) قال : هي أسماء من أسماء الله مقطعة بالهجاء ، فإذا وصلتها كانت اسما من أسماء الله تعالى .

وقال آخرون : هي اسم من أسماء القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الرَّ) اسم من أسماء القرآن . وقد ذكرنا اختلاف الناس ، وما إليه ذهب كل قائل في الذي قال فيه ، وما الصواب لدينا من

القول في ذلك في نظيره ، وذلك في أول سورة البقرة ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع ، وإنما ذكرنا في هذا الموضع القدر الذي ذكرنا لمخالفة من ذكرنا قوله في هذا ، قوله في (الم) ، فأما الذين وفقوا بين معاني جميع ذلك ، فقد ذكرنا قولهم هناك مكتفيا عن الإعادة ههنا .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ :

اختلف في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تلك آيات التوراة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) قال : التوراة والإنجيل .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ) قال : الكتب التي كانت قبل القرآن .

وقال آخرون : معنى ذلك : هذه آيات القرآن .

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوله هذه آيات القرآن ، ووجه معنى تلك إلى معنى هذه ، وقد بيّنا وجه توجيه تلك إلى هذا المعنى في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ، والآيات الأعلام ، والكتاب اسم من أسماء القرآن ، وقد بيّنا كل ذلك فيما مضى قبل .

ولمّا قلنا : هذا التأويل أولى في ذلك بالصواب ، لأنه لم يجز للتوراة والإنجيل قبل ذكر ولا تلاوة بعده ، فيوجه إليه الخبر ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : والرحمن هذه آيات القرآن الحكيم . ومعنى الحكيم في هذا الموضع : المحكم صرف مفعّل إلى فعليل ، كما قيل عذاب أليم ، بمعنى مؤلم ، وكما قال الشاعر :

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ

وقد بيّنا ذلك في غير موضع من الكتاب ، فعناه إذا : تلك آيات الكتاب المحكم الذي أحكمه الله وبيّنه لعباده ، كما قال جل ثناؤه (الرَّ . كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) .

القول في تأويل قوله تعالى

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ

صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١﴾

يقول تعالى ذكره : أكان عجبا للناس إيحائنا القرآن على رجل منهم بانذارهم عقاب الله على معاصيه ، كأنهم لم يعلموا أن الله قد أوحى من قبله إلى مثله من البشر ، فتعجبوا من وحيينا إليه . وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) البيت لعمر بن عبد يكر ب الزبيدي (اللسان : سمع) . وهو شاهد على أن السمع بمعنى المسمع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاک عن ابن عباس ، قال : لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك ، أو من أنكر منهم ، فقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد ، فأنزل الله تعالى (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ) . . . وقال (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : عجت قريش أن بعث رجل منهم ، قال : ومثل ذلك (وإلى عاد أخاهم هودًا - وإلى ثمود أخاهم صالحًا) قال الله (أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ) .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ : يقول جل ثناؤه : أكان عجا للناس أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ، وأن بشر الذين آمنوا بالله ورسوله أن لهم قدم صدق عطف على أنذر .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (قَدَمٌ صِدْقٌ) فقال بعضهم : معناه : أن لهم أجرا حسنا بما قدّموا من صالح الأعمال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاک (أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : ثواب صدق .

قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد (أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : الأعمال الصالحة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يقول : أجرا حسنا بما قدّموا من أعمالهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن حبان ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن الوليد بن عبد الله ، عن أبي مغيث عن مجاهد (أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : صلاتهم ، وصومهم ، وصدقهم ، وتسبيحهم حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَدَمٌ صِدْقٍ) قال : خير .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَدَمٌ صِدْقٍ) مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قال : (قَدَمَ صِدْق) ثواب صدق عند ربهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ) قال : القدم الصدق : الثواب الصدق بما قدموا من الأعمال .
وقال آخرون : معناه : أن لهم سابق صدق في اللوح المحفوظ من السعادة .
ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس قوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يقول : سبقت لهم السعادة في الذكر الأول .

وقال آخرون : معنى ذلك : أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم شفيع لهم قدم صدق .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن فضيل بن عمرو بن الجون ، عن قتادة أو الحسن (أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : محمد شفيع لهم .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) : أي سلف صدق عند ربهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عينة ، عن زيد بن أسلم ، في قوله (أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .
قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب ، قول من قال معناه : أن لهم أعمالا صالحة عند الله يستوجبون بها منه الثواب ، وذلك أنه محكى عن العرب هؤلاء أهل القدم في الإسلام : أي هؤلاء الذين قدموا فيه خيرا ، فكان لهم فيه تقديم ، ويقال له عندى قدم صدق وقدم سوء ، وذلك ما قدم إليه من خير أو شر ، ومنه قول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلَقْنَا
لأَوَّلِنَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَابِعُ^١
وقول ذى الرمة :

لَكُمْ قَدَمٌ لَا يُنْكِرُ النَّاسُ أَنَّهَا
مَعَ الْحَسَبِ الْعَادِي طَمَّتْ عَلَى الْبَحْرِ^٢

(١) البيت لحسان بن ثابت (ديوانه طبع ليدن سنة ١٩١٠) بمعنى لجنة جب التذكارية (ص ٥٨ من قصيدة له أحد عشر بيتا ، وهو العاشر فيها) يذكر الأيام الأولى من تاريخ المسلمين في المدينة : ويذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، والبيت خطاب للرسول .
(٢) البيت للذي الرمة ، أنشده الزمخشري في الأساس (قدم) قال : ولفلان قدم في هذا الأمر : سابقة وتقدم . وله قدم صدق : قال ذو الرمة : لكم قدم . . . البيت . والبيت في ديوانه طبعة كيمبرج . وروايته فيه « طمت على الفخر » . وقال في شرحه : أي لكم سوابق تقدمت من الخير والفعل والحسب : ما يمدد الإنسان من مفاخره . والعادى : القديم .

فتأويل الكلام إذا : وبشر الذين آمنوا أن لهم مقدمة خير من الأعمال الصالحة عند ربهم .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ :

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة (إنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ) بمعنى : إن هذا الذي جئنا به ، يعنون القرآن لسحر مبين . وقرأ ذلك مسروق وسعيد بن جبير وجماعة من قراء الكوفيين (إنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ) وقد بينت فيما مضى من نظائر ذلك أن كل موصوف بصفة نزل الموصوف على صفته ، وصفته عليه ، فالقارئ مخير في القراءة في ذلك ، وذلك نظير هذا الحرف (قال الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ) ولساحر مبين ، وذلك أنهم إنما وصفوه بأنه ساحر ، ووصفهم ما جاءهم به أنه سحر يدل على أنهم قد وصفوه بالسحر ، وإذا كان ذلك كذلك فسواء بأي ذلك قرأ القارئ لاتفاق معنى القراءتين ، وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عما ترك ذكره وهو : فلما بشرهم وأنذرهم وتلا عليهم الوحي ، قال الكافرون إن هذا الذي جاءنا به لسحر مبين .

فتأويل الكلام إذا : أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم ، أن أنذر الناس ، وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ، فلما أتاهم بوحي الله ، وتلاه عليهم ، قال المنكرون توحيد الله ورسالة رسوله إن هذا الذي جاءنا به محمد لسحر مبين : أي يبين لكم عنه أنه مبطل فيما يدعيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : إن ربكم الذي له عبادة كل شيء ، ولا تنبغي العبادة إلا له هو الذي خلق السموات السبع ، والأرضين السبع في ستة أيام ، وانفرد بخلقها بغير شريك ، ولاظهر ، ثم استوى على عرشه مدبرا للأمور ، وقاضيا في خلقه ما أحب ، لا يضاده في قضائه أحد ، ولا يتعقب تدبيره متعقب ، ولا يدخل أموره خلل (ما مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ) يقول : لا يشفع عنده شافع يوم القيامة في أحد إلا من بعد أن يأذن في الشفاعة (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ) يقول جلّ جلاله : هذا الذي هذه صفته سيدكم ومولاكم لا من لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يدبر ، ولا يقضى من الآلهة والأوثان فاعبدوه ، يقول : فاعبدوا ربكم الذي هذه صفته ، وأخلصوا له العبادة ، وأفردوا له الألوهة والربوبية بالذلة منكم له دون أوثانكم ، وسائر ما تشركون معه في العبادة (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) يقول : أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج ، فتنبهون إلى الإذعان بتوحيد ربكم ، وإفراذه بالعبادة ، وتجمعون الأنداد وتبرعون منها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذکر من قال ذلك

حدثنا ابن وکیع ، قال : ثنا ابن نمیر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد (یُدَبِّرُ الْأَمْرَ)
قال : یقضیه وحده .

حدثنا ابن حمید ، قال : ثنا حکام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ،
عن مجاهد (یُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) قال : یقضیه وحده .

حدثنی المثنی ، قال : ثنا أبو حذیفه ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد (یُدَبِّرُ الْأَمْرَ)
قال : یقضیه وحده .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنی حجاج ، عن ابن جریج ، عن مجاهد ، مثله .

القول فی تأویل قوله تعالى :

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : إلى ربكم الذي صفته ما وصف جل ثناؤه في الآية قبل هذه معادكم أيها الناس يوم
القيامة جميعا (وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا) فأخرج وعد الله مصدرا من قوله (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ) لأن فيه معنى
الوعد ، ومعناه : يعدكم الله أن يحييكم بعد مماتكم وعدا حقا . فلذلك نصب وعد الله حقا (إِنَّهُ يَبْدَأُ
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) يقول تعالى ذكره : إن ربكم يبدأ إنشاء الخلق وإحداثه ثم يعيده ، فيوجدّه
حيا كهيئته يوم ابتدأه بعد فنائه وبلائه .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد
(يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) قال : يحييه ثم يميتّه .

قال أبو جعفر : وأحسبه أنه قال : ثم يحييه .

حدثنا ابن وکیع ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جریج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد
(يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) قال : يحييه ثم يميتّه ، ثم يحييه .

حدثنی المثنی ، قال : ثنا أبو حذیفه ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد « إِنَّهُ يَبْدَأُ
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ » : يحييه ثم يميتّه ، ثم يبدؤهُ ا ثم يحييه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد بنحوه .

(۱) لعله تفسیر للبدء .

وقرأت قرآء الأمصار ذلك (إِنَّهُ يُبْدَأُ الْخَلْقَ) بكسر الألف من إنه على الاستئناف. وذُكر عن أبي جعفر الرازي أنه قرأه أنه بفتح الألف من أنه كأنه أراد حقا أنه يبدأ الخلق ثم يعيده ، فأن حينئذ تكون رفعا ، كما قال الشاعر :

أَحَقُّ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ زَائِرًا أبا حَبَّةٍ إِلَّا عَلَى رَقِيبٍ ١

وقوله (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ) يقول : ثم يعيده من بعد مماته كهيئته قبل مماته عند بعثه من قبره ، ليجزي الذين آمنوا ، يقول : ليشيب من صدق الله ورسوله ، وعملوا ما أمرهم الله به من الأعمال ، واجتنبوا ما نهاهم عنه على أعمالهم الحسنة بالقسط ، يقول : ليجزيهم على الحسن من أعمالهم التي عملوها في الدنيا الحسن من الثواب ، والصالح من الجزاء في الآخرة ، وذلك هو القسط ، والقسط العدل والإنصاف .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِالْقِسْطِ) بالعدل .

وقوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ) فإنه جل ثناؤه ابتداء الخبر عما أعد الله للذين كفروا من العذاب ، وفيه معنى العطف على الأول ، لأنه تعالى ذكره عم بالخبر عن معاد جميعهم كفارهم ومؤمنهم إليه ، ثم أخبر أن إعادتهم ليجزي كل فريق بما عمل ، المحسن منهم بالإحسان والمسيء بالإساءة ، ولكن لما كان قد تقدم الخبر المستأنف عما أعد للذين كفروا من العذاب ما يدل سامع ذلك على المراد ابتداء الخبر ، والمعنى العطف ، فقال : والذين جحدوا الله ورسوله وكذبوا بآيات الله ، لهم شراب في جهنم من حميم ، وذلك شراب قد أغلى واشتد حره حتى أنه فيما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ليتساقط من أحدهم حين يديه منه فروة رأسه ، وكما وصفه جل ثناؤه (كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ) وأصله مفعول صرف إلى فاعل ، وإنما هو محموم : أي مسخن ، وكل مسخن عند العرب فهو حميم ، ومنه قول المرقش :
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهَا مِقْطَرَةٌ فِيهَا كِبَاءٌ مُّعَدٌّ وَحَمِيمٌ ٢

يعنى بالحميم : الماء المسخن . وقوله (عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : ولهم مع ذلك عذاب موجه سوى الشراب من الحميم (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) بالله ورسوله .

(١) الشاهد في هذا البيت أن « حقا » مصدر منصوب جار مجرى الظرف ، ويؤيد ذلك أن العرب نطقت قبله في بني قولهم « أفى الحق أفى مغرم بك هائم » والمصدر من قوله : « أن لست . . . الخ » مرفوع : إما على أنه فاعل بالظرف ، وهو مذهب سيبريه والأخفش والكوفيين وإما على أنه مبتدأ أو الظرف قبله خبره ، وهو مذهب الخليل ؛ وإما على أنه فاعل للمصدر ، لأنه نائب عن فعله حق ، وهو مذهب المبرد . (انظر خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى ١ : ١٩٣) . وفي الحماسة (٣ : ١٧١) بيته يشبه هذا البيت ، لعبد الله ابن الدمينه وهو :

أَحَقُّ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ وَارِدًا وَلَا صَادِرًا إِلَّا عَلَى رَقِيبٍ

(٢) البيت للمرقش الأصغر (اللسان : قطر) . قال : والمقطرة : الحجر . وأنشد أبو عبيد للمرقش الأصغر : في كل يوم . . . البيت . والحميم : الماء الحار تحم به . والكباء : نوع من البخور . وقد سبق الكلام على هذا البيت في (ج ٧ : ٢٣٤) .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض (هو الذي جعل الشمس ضياءً والنهار (والقمر نوراً) بالليل ، ومعنى ذلك : هو الذي أضواء الشمس وأنار القمر (وقدره منازل) يقول : قضاه فسواه منازل لا يجاوزها ، ولا يقصر دونها على حال واحدة أبداً ، وقال (وقدره منازل) فوحده ، وقد ذكر الشمس والقمر ، فإن في ذلك وجهين : أحدهما أن تكون الهاء في قوله (وقدره) للقمر خاصة ، لأن بالأهلة يعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس . والآخر : أن يكون اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ، كما قال في موضع آخر (والله ورسوله أحق أن يرضوه) وكما قال الشاعر :

رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيًّا وَمِنْ جُولِ الطَّوِيِّ رَمَانِي

وقوله (لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) يقول : وقد رذل ذلك منازل لتعلموا أنتم أيها الناس عدد السنين : دخول ما يدخل منها ، وانقضاء ما يستقبل منها وحسابها ، يقول : وحساب أوقات السنين وعدد أيامها ، وحساب ساعات أيامها (ما خلق الله ذلك إلا بالحق) يقول جل ثناؤه : لم يخلق الله الشمس والقمر ومنازلهما إلا بالحق ، يقول الحق تعالى ذكره : خلقت ذلك كله بحق وحدي بغير عون ولا شريك (يفصل الآيات) يقول : يبين الحجج والأدلة (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) إذا تدبروها ، حقيقة وحدانية الله ، وصحة ما يدعوهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم ، من خلع الأنداد ، والبراءة من الأوثان .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦﴾

يقول تعالى ذكره منها عباده على موضع الدلالة على ربوبيته ، وأنه خالق كل ما دونه ، إن في اعتقاب

(١) البيت أنشده الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ٥٩ : ٢٤ الورقة ١٣٣ ، قال عند قوله تعالى : (جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل) : لم يقل : وقدرها ، فإن شئت جعلت تقدير المنازل للقمر خاصة ، لأن به تعلم الشهور ، وإن شئت جعلت التقدير لهما جميعاً ، فاكتفى بذكر أحدهما من صاحبه ، كما قال الشاعر : « رمانى بأمر . . . البيت » . وهو مثل قوله . (والله ورسوله أحق أن يرضوه) ولم يقل : أن يرضوها . وأنشد البيت صاحب اللسان في « جول » قال ابن بري : البيت لابن أحرر . وقيل : هو للأزرق بن طرفة بن العمد الفراسي ؛ أي رمانى بأمر عاد عليه قبحه ، لأن الذي يرمى من جول البئر يعود ما رمى به عليه . ويروى ومن أجل الطوى قال : وهو الصحيح ، لأن الشاعر كان بينه وبين خصمه حكومة في بئر ، فقال خصمه : إنه لص ابن لص فقال هذه القصيدة . وبعد البيت :

دَعَانِي لِبَصَا فِي نُصُوصٍ وَمَا دَعَا بِهَا وَالِدِي فِيمَا مَضَى رَجُلَانِ

والجول : قال أبو صبيد : هو كل ناحية من نواحي البئر إل أعلاها من أسفلها . والطوى : البئر المبطنة نواحيها بالحجارة .

الليل والنهار ، واعتقاب النهار الليل إذا ذهب هذا جاء هذا ، وإذا جاء هذا ذهب هذا وفيما خلق الله في السماوات من الشمس والقمر والنجوم وفي الأرض من عجائب الخلق الدالة على أن لها صانعا ليس كمثله شيء ، آيات : يقول لأدلة وحججا وأعلاما واضحة لقوم يتقون الله ، فيخافون وعيده ، ويخشون عقابه على إخلاص العبادة لربهم .

﴿ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : أَوْ لَادِلَالَةٍ فِيمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى صَانِعِهِ إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ ؟ قِيلَ : فِي ذَلِكَ الدَّلَالَةِ الْوَاضِحَةِ عَلَى صَانِعِهِ لِكُلِّ مَنْ صَحَّتْ فِطْرَتُهُ ، وَبَرَى مِنَ الْعَاهَاتِ قَلْبُهُ ، وَلَمْ يَقْصِدْ بِذَلِكَ الْخَبَرَ عَنْ أَنَّ فِيهِ الدَّلَالََةَ لِمَنْ كَانَ قَدْ أَشْعَرَ نَفْسَهُ تَقْوَى اللَّهِ ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ : إِنْ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِمَنْ اتَّقَى عِقَابَ اللَّهِ ، فَلَمْ يَحْمِلْهُ هَوَاهُ عَلَى خِلَافِ مَا وَضَحَ لَهُ مِنَ الْحَقِّ ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ كُلَّ ذِي فِطْرَةٍ صَحِيحَةٍ عَلَى أَنَّ لَهُ مَدِيرًا يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ الْإِذْعَانُ لَهُ بِالْعِبَادَةِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿١﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢﴾

﴿١﴾ يقول تعالى ذكره : إن الذين لا يخافون لقاءنا يوم القيامة ، فهم لذلك مكذبون بالثواب والعقاب ، متنافسون في زين الدنيا وزخارفها ، راضون بها عوضا من الآخرة ، مطمئنين إليها ساكنين (والذين هم) عن آيات الله ، وهي أدلته على وحدانيته ، وحججه على عباده في إخلاص العبادة له (غافلون) معرضون عنها لاهون ، لا يتأملونها تأمل ناصح لنفسه ، فيعلموا بها حقيقة ما دلهم عليه ، ويعرفوا بها بطول ما هم عليه مقيمون (أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ) يقول جل ثناؤه : هؤلاء الذين هذه صفتهم مأواهم مصيرها إلى النار نار جهنم في الآخرة (يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) في الدنيا من الآثام والأجرام ، ويجترحون من السيئات والعرب تقول : فلان لا يرجو فلانا : إذا كان لا يخافه . ومنه قول الله جل ثناؤه (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) . ومنه قول أبي ذؤيب :

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَتَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلٍ
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد :

(١) البيت أنشده صاحب اللسان ونسبه لأبي ذؤيب (اللسان : رجا) قال : قال ثعلب : قال القراء : الرجا في معنى الخوف لا يكون إلا مع الجحد ، تقول : مارجوتك : أي ما خفتك ، ولا تقول : رجوتك في معنى : خفتك . وأنشد لأبي ذؤيب : إذا لسعت البيت . . . أي لم يخف ولم يبال . والنوب : هنا معناه السوء : شبه النحل الصغيرة العاسلة في سواد لونها بالنوب . والعوامل التي تفرز العسل . ويروى : عوامل بالميم ، أي تعمل في غلية النحل ، وقد سبق الاستشهاد بالبيت في (ج ٥ : ٢٦٤) .

(واطمأنوا بها) قال : هو مثل قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) . .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا) قال : هو مثل قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ) قال : إذا شئت رأيت صاحب دنيا لها يفرح ، ولها يحزن ، ولها يسخط ، ولها يرضى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا) . . الآية كلها ، قال : هؤلاء أهل الكفر ، ثم قال (أُولَئِكَ مَا وَآهَمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝

يقول تعالى ذكره (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) إن الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات ، وذلك العمل بطاعة الله والانتهاز إلى أمره (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) يقول : يرشدهم ربهم بإيمانهم به إلى الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) ، تجرى من تحتهم الأنهار في جنات النعيم) بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ صَوَّرَ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ ، فَيَقُولُ لَهُ مَا أَنْتَ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاكَ أَمْرًا صَدَقَ ، فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ ، فَيَكُونُ لَهُ نُورًا وَقَائِدًا إِلَى الْجَنَّةِ . وَأَمَّا الْكَافِرُ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ صَوَّرَ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةٍ سَيِّئَةٍ وَبِشَارَةٍ سَيِّئَةٍ ، فَيَقُولُ مَا أَنْتَ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاكَ أَمْرًا سَوًّا ، فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ فَيَسْطَلِقُ بِهِ حَتَّى يُدْخِلَهُ النَّارُ » .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) قال : يكون لهم نورا يمشون به .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
وقال ابن جريج (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) قال : يمثل له عمله في صورة حسنة ، وريح طيبة ، يعارض صاحبه ، ويبشره بكل خير ، فيقول له من أنت ؟ فيقول : أنا عمك فيجعل له نورا من بين يديه حتى يدخله الجنة ، فذلك قوله (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتهنة ، فيلازم صاحبه ويلاده حتى يقذفه في النار .

وقال آخرون : معنى ذلك : بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه ، يقول بتصديقهم هداهم .

ذكر من قال ذلك

.....

وقوله (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ) يقول : تجري من تحت هؤلاء المؤمنين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم أنهار الجنة (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) يقول : في بساتين النعيم الذي نعم الله به أهل طاعته والإيمان به * فإن قال قائل : وكيف قيل تجري من تحتهم الأنهار ، وإنما وصف جل ثناؤه أنهار الجنة في سائر القرآن أنها تجري تحت الجنات ، وكيف يمكن الأنهار أن تجري من تحتهم إلا أن يكونوا فوق أرضها ، والأنهار تجري من تحت أرضها ، وليس ذلك من صفة أنهار الجنة ، لأن صفتها أنها تجري على وجه الأرض في غير أخاديد ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبت ، وإنما معنى ذلك : تجري من دونهم الأنهار إلى ما بين أيديهم في بساتين النعيم ، وذلك نظير قول الله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا) ومعلوم أنه لم يجعل السرى تحتها وهي عليه قاعدة ، إذ كان السرى هو الجدول ، وإنما عني به جعل دونها : بين يديها ، وكما قال جل ثناؤه مخبرا عن قيل فرعون (أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي) بمعنى : من دوني بين يدي .

وأما قوله (دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) فإن معناه : دعاؤهم فيها سبحانك اللهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني أن قوله (دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) قال : إذا مر بهم الطير فيشبهونه ، قالوا : سبحانك اللهم ، وذلك دعواهم ، فيأتيهم الملك بما اشتبهوا ، فيسلم عليهم ، فيردون عليه ، فذلك قوله (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) قال : فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم ، فذلك قوله (وَآخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

(١) بآخر صفحة ١٠٣ من الجزء الثاني عشر من النسخة رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية بياض بقدر سطرين أو ثلاثة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) يقول : ذلك قولهم فيها (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله الأشجعي ، قال : سمعت سفيان يقول (دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) قال : إذا أرادوا الشيء قالوا : اللهم فيأتيهم ما دعوا به .
وأما قوله (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) فإن معناه : تنزيها لك يا رب مما أضاحت إليك أهل الشرك بك من الكذب عليك والفرية .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي ، عن غير واحد عطية فيهم سبحانه الله تنزيه لله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن عمار بن عبد الله بن موهب ، قال : سمعت موسى بن طلحة ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحانه الله ، قال : « إِبْرَاءُ اللَّهِ عَنِ السُّوءِ » .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب وخلاص بن أسلم ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا قابوس ، عن أبيه أن ابن الكواء سأل عليا رضي الله عنه ، عن سبحانه الله قال : كلمة رضيها الله لنفسه .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان بن سعيد الثوري عن عثمان بن عبد الله بن موهب الطلحي ، عن موسى بن طلحة ، قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن سبحانه الله ، فقال : تَنَزِيْهَا لِلَّهِ عَنِ السُّوءِ » .

حدثني علي بن عيسى البزار ، قال : ثنا عبيد الله بن محمد ، قال : ثنا عبد الرحمن بن حماد ، قال ، ثنا حفص بن سليمان ، قال : ثنا طلحة بن يحيى بن طلحة ، عن أبيه ، عن طلحة بن عبيد الله ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحانه الله ، فقال : « هُوَ تَنَزِيْهُهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ » .

حدثني محمد بن عمرو بن تمام الكلبي ، قال : ثنا سليمان بن أيوب ، قال : ثنا أبي ، عن جدي ، عن موسى بن طلحة ، عن أبيه ، قال : قلت : يا رسول الله قول سبحانه الله ، قال : « تَنَزِيْهُهُ اللَّهُ عَنِ السُّوءِ » (وَتَحِيَّتُهُمْ) يقول : وتحية بعضهم بعضا (فِيهَا سَلَامٌ) : أي سلمت وأمنت مما ابتلى به أهل النار ، والعرب تسمى الملك التحية ؛ ومنه قول عمرو بن معديكرب :

أزور بها أبا قابوس حتى أنيخ على تحيته يجندي

(١) البيت أنشده صاحب (اللسان : حيا) ونسبه إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدي . قال : والتحية : تفعة من الحياة . . .

قال أبو عمرو : والتحية الملك (بضم الميم) ، وأنشد قول عمرو بن معد يكرب : « أسير به إلى النعمان حتى . . . البيت » .

يمنى : عل ملكه . قال ابن بري : ويروى : أسير بها . ويروى : أوم بها . وقبل البيت :

ومنه قول زهير بن جناب الكلبي :

مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةَ ١

وقوله (وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ) يقول : وآخر دعائهم (أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول : وآخر دعائهم أَنْ يقولوا : الحمد لله رب العالمين ، ولذلك خففت «أَنْ» ولم تشدد ، لأنه أريد بها الحكاية .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ⑪

يقول تعالى ذكره (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ) إجابة دعائهم في (الشَّرَّ) ، وذلك فيما عليهم مضرة في نفس أو مال (اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ) يقول : كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة إذا دعوه به (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ) يقول : لهلكوا وعجل لهم الموت ، وهو الأجل . وعنى بقوله (لَقُضِيَ) لفرغ إليهم من أجلهم ، وتبدى لهم كما قال أبو ذؤيب :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تَبَعُ ٢

(فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) يقول : فندع الذين لا يخافون عقابنا ، ولا يوقنون بالبعث ولا بالنشور (فِي طُغْيَانِهِمْ) يقول : في تمردهم وعتوهم (يَعْمَهُونَ) يعني يترددون ؛ وإنما أخبر جل ثناؤه عن هؤلاء الكفرة بالبعث ، بما أخبر به عنهم من طغيانهم ، وترددهم فيه عند تعجيله إجابة دعائهم في الشر ، لو استجاب لهم أن ذلك كان يدعوهم إلى التقرب إلى الوثن الذي يشرك به أحدهم ، أو يضيف ذلك إلى أنه من فعله .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

وَكُلُّ مَفَاضَةٍ بِسَيْضَاءٍ زَغَفٍ وَكُلُّ مُعَاوِدِ الْغَارَاتِ جَمَلَدٍ

(١) البيت أنشده في (اللسان : حيا) قال : والتحية : البقاء . والتحية : الملك . وقول زهير بن جناب الكلبي :

وَلِكُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةَ

قيل أراد الملك . وقال ابن الأعرابي : أراد البقاء ، لأنه كان ملكا في قومه . قال ابن بري : زهير هذا : هو سيد كلب في زمانه ، وكان كثير الغارات ، وعمر عمر طويلا ، وهو القائل (وأشد ثلاثة أبيات ، آخرها بيت الشاهد) ثم قال : والمعروف بالتحية هنا : إنما هي بمعنى البقاء ، لا بمعنى الملك . . . قال أبو عبيدة : والتحية في غير هذا : السلام .

(٢) هذا البيت من عينية أبي ذؤيب الهذلي المشهورة في الرثاء التي مطلعها «أمن المنون» . ذكرها صاحب جهرة أشعار العرب (ص ١٢٨ - ١٣٣ طبعة بولاق) . وبيت الشاهد قبل آخرها بثلاثة أبيات ، وروايته «وعليهما ماذيتين» أي درعان من الحديد لبتان سهلان . وقضاهما : أحكهما . ويقال : رجل صنع وامرأة صناع ؛ إذا كانا صانعين . وتبع من ملوك اليمن ، قيل كان يصنع الدروع أو يأمر بصنعها بحكمة وداود النبي عليه السلام أشهر كذلك بصنع الدروع : «وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم» . وقوله «مسروذتان» : هذه رواية المفضل الضبي وفي المفضليات . والمسرودة : الدرع التي سمرت حلقاتها . والسرد : الخلق وقوله تعالى : «وقدر في السرد» : هو ألا يجعل المسار غليظا والثقب دقيقا ، فيفصم الخلق . ولا يجعل المسار دقيقا والثقب واسعا فيثقل أو ينخلع أو يتقصف ، أي اجعله على القصد وقدر الحاجة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : قول الإنسان إذا غضب لولده وماله : لا بارك الله فيه ولعنه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه : اللهم لا تبارك فيه والعنه ، فلو يعجل الله الاستجابة لهم في ذلك ، كما يستجاب في الخير لأهلكهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : قول الإنسان لولده وماله : إذا غضب عليه : اللهم لا تبارك فيه والعنه (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ) قال : لأهلك من دعا عليه ولأماته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : قول الرجل لولده إذا غضب عليه ، أو ماله : اللهم لا تبارك فيه والعنه ، قال الله (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ) قال : لأهلك من دعا عليه ولأماته . قال (فَتَنْذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) قال : يقول : لانهلك أهل الشرك ، ولكن نذرهم في طغيانهم يعمهون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : هو دعاء الرجل على نفسه وماله بما يكره أن يستجاب له . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ) قال : لأهلكناهم ، وقرأ (مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ) قال : يهلكهم كلهم ، ونصب قوله (اسْتِعْجَالَهُمْ) بوقوع يعجل عليه ، كقول القائل : قمت اليوم قيامك ، بمعنى قمت كقيامك ، وليس بمصدر من يعجل ، لأنه لو كان مصدرا لم يحسن دخول الكاف ، أعني كاف التشبيه فيه .

واختلفت القراء في قراءة قوله (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ) على وجه ما لم يسم فاعله بضم القاف من قضى ، ورفع الأجل . وقرأ عامة أهل الشام (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ) بمعنى : لقضى الله إليهم أجلهم ، وهما قراءتان متفقتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيح ، غير أني أقرؤه على وجه ما لم يسم فاعله ، لأن عليه أكثر القراء .

القول في تاويل قوله تعالى :

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِيًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّكَانَ
لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِمْ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

✽ يقول تعالى ذكره : وإذا أصاب الإنسان الشدة والجهد (دَعَانَا لِجَنبِهِ) يقول : استغاث بنا في كشف ذلك عنه . لجنبه : يعني مضطجعا لجنبه (أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا) بالحال التي يكون بها عند نزول ذلك الضرر بهر فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ (يقول : فلما فرجنا عنه الجهد الذي أصابه (مَرَّكَانَ) لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّةٍ) يقول : استمر على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضرر ، ونسى ما كان فيه من الجهد والبلاء ، أو تناساه ، وترك الشكر لربه الذي فرج عنه ما كان قد نزل به من البلاء حين استعاذ به ، وعاد للشرك ، ودعوى الآلهة والأوثان أربابا معه ، يقول تعالى ذكره (كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : كما زين لهذا الإنسان الذي وصفنا صفته استمراره على كفره بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضرر ، كذلك زين للذين أسرفوا في الكذب على الله وعلى أنبيائه ، فتجاوزوا في القول فيهم إلى غير ما أذن الله لهم به ، ما كانوا يعملون من معاصي الله والشرك وبه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (دَعَانَا لِجَنبِهِ) قال : مضطجعا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾

✽ يقول تعالى ذكره : ولقد أهلكنا الأمم التي كذبت رسل الله من قبلكم أيها المشركون بربهم لما ظلموا ، يقول : لما أشركوا وخالفوا أمر الله ونهيه (وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ) من عند الله (بِالْبَيِّنَاتِ) وهي الآيات والحجج التي تبين عن صدق من جاء بها .

ومعنى الكلام : وجاءتهم رسلهم بالآيات البينات أنها حق (وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) يقول : فلم تكن هذه الأمم التي أهلكناها ليؤمنوا برسلهم ، ويصدقوهم إلى ما دعوهم إليه من توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، (كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) يقول تعالى ذكره : كما أهلكنا هذه القرون من قبلكم أيها المشركون بظلمهم أنفسهم ، وتكذيبهم رسلهم ، وردتهم نصيحتهم ، كذلك أفعالكم بكم فأهلككم كما أهلكتهم بتكذيبكم رسولكم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وظلمكم أنفسكم بشرككم بربكم ، إن أنتم لم تذبوا وتوبوا إلى الله من شرككم ، فإن من ثواب الكافر بي على كفره عندي أن أهلكه بسخطي في الدنيا ، وأورده النار في الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

ﷻ يقول تعالى ذكره (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ) أيها الناس (خَلَائِفَ) من بعد هؤلاء القرون الذين أهلكناهم لما ظلموا تخلفونهم (فِي الْأَرْضِ) وتكونون فيها بعدهم (لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) يقول : لينظر ربكم أين عملكم من عمل من هلك من قبلكم من الأمم بذنوبهم وكفرهم بربهم ، تحذون مثاهم فيه ، فتستحقون من العقاب ما استحقوا ، أم تخالفون سبيلهم ، فتؤمنون بالله ورسوله ، وتقرّون بالبعث بعد الممات ، فتستحقون من ربكم الثواب الجزيل .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : صدق ربنا ما جعلنا خلفاء إلا لينظر كيف أعمالنا ، فأروا الله من أعمالكم خيرا ، بالليل والنهار والسر والعانية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا يزيد بن عوف أبو ربيعة بهذا . قال : ثنا حماد ، عن ثابت البناني ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، أن عوف بن مالك رضي الله عنه قال لأبي بكر رضي الله عنه : رأيت فيما يرى النائم كأن سببا دلى من السماء ، فانتشط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دلى فانتشط أبو بكر ، ثم ذرع الناس حول المنبر ، ففضل عمر رضي الله عنه بثلاث أذرع إلى المنبر ، فقال عمر : دعنا من رؤياك لأرب لنا فيها ؛ فلما استخلف عمر قال : يا عوف رؤياك ، قال : وهل لك في رؤياي من حاجة ، أو لم تنهرني ؟ قال : ويحك إني كرهت أن تنعى لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ، فقصص عليه الرؤيا حتى إذا بلغ ذرع الناس إلى المنبر بهذه الثلاث الأذرع قال : أما إحداهن فانه كائن خليفة . وأما الثانية فانه لا يخاف في الله لومة لائم . وأما الثالثة فانه شهيد قال : فقال يقول الله (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) فقد استخلفت يا ابن أم عمر ، فانظر كيف تعمل . وأما قوله « فَإِنِّي لَا أَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ » فما شاء الله . وأما قوله « فَإِنِّي شَهِيدٌ » فأني لعمر الشهادة والمسلمون مطيفون به ، ثم قال « إِنَّ اللَّهَ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ » .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا تَسَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّكَ بَقَرَةٌ غَيْرُ هَذَا أَوْ بَدَلُهُ
قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُمْ مِنْ نَفْسِي إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾

ﷻ يقول تعالى ذكره : وإذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتاب الله الذي أنزلناه إليك يا محمد بينات واضحات على الحق دالات (قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) يقول ، قال الذين لا يخافون

عقابنا، ولا يوقنون بالمعاد إلينا ، ولا يصدقون بالبعث لك (ائت بقُرآن غير هَذَا أو بَدَلْهُ) يقول :
أو غيره (قل) لهم يا محمد (ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي) : أي من عندي .
والتبديل الذي سألوهُ فيما ذُكر ، أن يحول آية الوعيد آية وعد ، وآية الوعد وعيدا ، والحرام حلالا
والحلال حراما ، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم أن ذلك ليس إليه ، وأن ذلك إلى من لا يرد
حكمه ، ولا يتعقب قضاؤه ، وإنما هو رسول مبلغ ، ومأمور متبع .

وقوله (إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىَّ) يقول : قل لهم : ما أتبع في كل ما أمركم به أيها القوم
وأنهاكم عنه إلا ما ينزله إلى ربي ويأمرني به (إني أخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يقول :
إني أخشى من الله إن خالفت أمره ، وغيرت أحكام كتابه ، وبدلت وحيه ، فعصيته بذلك (عذاب يومٍ
عظيمٍ) هولاه ، وذلك (يَوْمَ تَذْهَبُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا
وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه معرّفه الحجة على هؤلاء المشركين الذين قالوا له : ائت بقُرآن غير هذا أو بدله
قل لهم يا محمد (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ) : أي ما تلوت هذا القرآن عليكم أيها الناس بأن كان
لا ينزله عليّ ، فيأمرني بتلاوته عليكم (وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ) يقول : ولا أعلمكم به (فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ
عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ) يقول : فقد مكثت فيكم أربعين سنة من قبل أن أتلوهُ عليكم ، ومن قبل أن يوحى
إليّ ربي (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أي لو كنت متحلا ما ليس لي من القول كنت قد انتحلته في أيام شبابي
وحدثني . وقبل الوقت الذي تلوته عليكم ، فقد كان لي اليوم لو لم يوح إلىّ وأمر بتلاوته عليكم ،
مندوحة عن معاداتكم ، ومتسع في الحال التي كنت بها منكم ، قبل أن يوحى إليّ ، وأمر بتلاوته عليكم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا
أَدْرَاكُمْ بِهِ) : ولا أعلمكم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي : قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ) يقول : لو شاء الله لم أعلمكموه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (لَوْ
شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ) يقول : ما حدثرتكم به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِذَا تُلِّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ، قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ) ، وهو قول مشركى أهل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال لنبىه صلى الله عليه وسلم : (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) لبث أربعين سنة .
حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ) ولا أعلمكم به .

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، أنه كان يقرأ (ولا أدراكم به) يقول : ما أعلمتكم به .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول فى قوله (وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ) يقول : ولا أشعركم الله به ، وهذه القراءة التى حكيت عن الحسن عند أهل العربية غلط ، وكان الفراء يقول فى ذلك قد ذكر عن الحسن أنه قال : ولا أدراكم به ، قال : فإن يكن فيها لغة سوى دريت وأدريت ، فإلحاح الحسن ذهب إليها ، وأما أن يصلح من دريت أو أدريت فلا ، لأن الياء والواو إذا انفتح ما قبلهما وسكتا صحتا ولم تنقلبا إلى ألف مثل قضيت ودعوت ، ولعل الحسن ذهب إلى طبيعته وفصاحته ، فهمزها ، لأنها تضارع درأت الحد وشبهه ، وربما غلطت العرب فى الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز ، فيهمزون غير المهموز . وسمعت امرأة من طى تقول : رثأت زوجى بأبيات ، ويقولون : لبأت بالحج ، وحلأت السويق يتغلطون ، لأن حلأت قديقال فى دفع العطاش من الإبل ، ولبأت : ذهبت به إلى اللبأ ، لبأ الشاة ؛ ورثأت زوجى : ذهبت به إلى رثأت اللبن إذا أنت حلبت الحليب على الرائب ، فتلك الرثئة ، وكان بعض البصريين يقول : لاوجه لقراءة الحسن هذه لأنها من أدريت مثل أعطيت ، إلا أن لغة بنى عقيل أعطأت ، يريدون أعطيت ، تحول الياء ألفا ، قال الشاعر :

لَقَدْ آذَنْتُ أَهْلَ الْيَمَامَةِ طَيْئًا بِحَرْبٍ كَنَاصَةِ الْأَغَرِّ الْمُشْهَرِّ

يريد كناصية ، حكى ذلك عن المفضل ، وقال زيد الخيل :

لَعَمْرُكَ مَا أَخَشَى التَّصَعُّلُكَ مَا بَقَا عَلَى الْأَرْضِ قَيْشِي يَسُوقُ الْأَبَاعِرَا

فقال بقا ؛ وقال الشاعر :

(۱) البيت لحريث بن عتاب الطائى . (اللسان : نصا) وفيه : «الحصان المشهر» وهو شاهد على أن الناصاة لغة طيئية فى الناصية . قال : وليس لها نظير إلا حرفين : بادية وبادة ، وقارية وقارة ، وهى الحاضرة . والناصية : مثبت الشعر فى مقدم الرأس ، لا الشعر الذى تسميه الناس ناصية ، وسمى الشعر ناصية ، لنباته من ذلك الموضع .

(۲) زيد الخيل : لقبه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : زيد الخير . وهو طائى ، والبيت شاهد على لغة طيىء فى أنها تجعل بقى وما مثله : بقا . بفتح القاف . قال فى (اللسان : بقى) ولغة طيىء : بقى يبقو ؛ وكذلك لفتهم فى كل ياء انكسر ما قبلها يجمعونها ألفا ، نحو : بقى ورضى وبنى (بفتح ثانيهما) . ولا تزال بقية من هذه اللغة تجري على لسان أهل مصر والقاهرة . والتصملك : الفقر

زَجَرَتْ فَقُلْنَا لَا نَرِيحُ لِزَاجِرٍ إِنَّ الْغَوَىٰ إِذَا أَنَهَا لَمْ يُعْتَبِ ١

يريدُ نهي ، قال : وهذا كله على قراءة الحسن ، وهي مرغوب عنها ، قال : وطئُ تصير كل ياء انكسر ما قبلها ألفا يقولون : هذه جارة . وفي الرقوة ترقاة ، والرقوة عرقاة ، قال : وقال بعض طئي قد لقت فزارة حذف الياء من لقيت لما لم يمكنه أن يحولها ألفا لسكون التاء ، فيلتقي ساكنان . وقال : زعم يونس أن نسا ورضا لغة معروفة ، قال الشاعر :

وَأُبْنَيْتُ بِالْأَعْرَاضِ ذَا الْبَطْنِ خَالِدًا نَسَا أَوْ تَنَامِي أَنْ يَعُدَّ الْمَوَالِيَا ٢

وروي عن ابن عباس في قراءة ذلك أيضا رواية أخرى ، وهي ما حدثنا به المثنى ، قال : ثنا المعلى بن أسد ، قال : ثنا خالد بن حنظلة ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أُنْذِرْتُكُمْ بِهِ) . والقراءة التي لا أستجيز أن تعدوها هي القراءة التي عليها قراء الأمصار (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ) بمعنى : ولا أعلمكم به ، ولا أشعركم به .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ١٨

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم : قل لهؤلاء المشركين الذين نسبوك فيما جئتهم به من عند ربك إلى الكذب : أي خلق أشرب بعدنا ، وأوضع لقليله في غير موضعه ، ممن اختلق على الله كذبا ، وافتري عليه باطلا (أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ) يعني بحججه ورسله وآيات كتابه ، يقول له جل ثناؤه : قل لهم ليس الذي أضفتموني إليه بأعجب من كذبكم على ربكم وافتراءكم عليه ، وتكذيبكم بآياته (إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ) يقول : إنه لا ينجح الذين اجترموا الكفر في الدنيا يوم القيامة إذا لقوا ربهم ، ولا ينالون الفلاح .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩

(١) لا نريح : لا نزعج ، أي لا نستجيب . الغوى : الضال . لم يعتب : من الإعتاب وهو الإرضاء ، يقال قد اعتبني فلان ، أي ترك ما كنت أجد عليه من أجله ، ورجع إلى ما أَرْضَانِي عنه ، بعد إسقاطه إياي عليه . والشاهد في قوله : أنها بصيغة المجهول إذ أصله نهي ، فتحت هاءه على لغة طيية ، فقلبت ياءه ألفا .

(٢) أبنييت الرجل : أعطيته بناء ، أو ما يبنى به داره . والأعراض : موضع جاء في قول لبيد :

“ عَلَى الْأَعْرَاضِ أَيْمَنُ جَانِبَيْهِ وَأَيْسَرُهُ عَلَى كَمُورِي أُمُثَال

أو الأعراض : جمع عرض ، وهو كما في تاج العروس : جانب الوادي والبلد . وقيل فاحيتهما وجوهما من الأرض ، وكذا عرض كل شيء فاحيته . يقول : من صنائعي أني أعطيت خالدا بناء يسكنه أو أعطيته ما يتخذ به بناء بالأعراض ، ولكنه نسي أو تناسى أن يذكر من أحسن إليه . والشاهد في قوله نسا ، فإنه على لغة طيية وأصله نسي ، بكسر السين .

﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ﴾ : ويعبد هؤلاء المشركون الذين وصفت لك يا محمد صفتهم من دون الله الذي لا يضرهم شيئاً ، ولا ينفعهم في الدنيا ولا في الآخرة ، وذلك هو الآلهة والأصنام التي كانوا يعبدونها ، (وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) يعنى أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله ، قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ كُلُّكُمْ أُنْتَبِئُونِ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ) يقول : أتخبرون الله بما لا يكون في السماوات ولا في الأرض ، وذلك أن الآلهة لا تشفع لهم عند الله في السماوات ولا في الأرض ، وكان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند الله ، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم : قل لهم : أتخبرون الله أن ما لا يشفع في السماوات ولا في الأرض يشفع لكم فيهما ، وذلك باطل لا تعلم حقيقته وصحته ، بل يعلم الله أن ذلك خلاف ما تقولون ، وأنها لا تشفع لأحد ، ولا تنفع ولا تضر (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول : تنزيها لله وعلوا عما يفعله هؤلاء المشركون من إشراكهم في عبادة ما لا يضر ولا ينفع ، وافترائهم عليه الكذب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ

فَبِمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٣﴾

﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ﴾ : وما كان الناس إلا أهل دين واحد وملة واحدة ، فاختلَفُوا في دينهم ، فافترقت بهم السبل في ذلك (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) يقول : ولولا أنه سبق من الله أنه لا يهلك قوما إلا بعد انقضاء آجالهم (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول : لقضى بينهم بأن يهلك أهل الباطل منهم ، وينجى أهل الحق .

وقد بينا اختلاف المختلفين في معنى ذلك في سورة البقرة ، وذلك في قوله (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ) وبيننا الصواب من القول فيه بشواهد ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا) حين قتل أحد ابني آدم أخاه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا آيَةٌ مِنْ رَبِّنَا فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ

الْمُنْظَرِينَ ﴿١٤﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره : ويقول هؤلاء المشركون : هلا أنزل على محمد آية من ربه ، يقول : علم ودليل نعلم به أن محمداً محقّ فيما يقول ؟ قال الله له : فقل : يا محمد إنما الغيب لله ، أي لا يعلم أحد بفعل ذلك إلا هو جلّ ثناؤه ، لأنه لا يعلم الغيب ، وهو السرّ والخفيّ من الأمور إلا الله ، فانتظروا أيها القوم قضاء الله بيننا بتعجيل عقوبته للمبطل منا ، وإظهاره المحقّ عليه ، إني معكم ممن ينتظر ذلك ، ففعل ذلك جلّ ثناؤه ففضى بينهم وبينه ، بأن قتلهم يوم بدر بالسيف .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي إِيذِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره : وإذا رزقنا المشركين بالله فرجا بعد كرب ، ورخاء بعد شدة أصابهم ، وقيل : عني به المطر بعد القحط ، والضراء : هي الشدة ، والرحمة : هي الفرج ، يقول (إذا آلهم مكر في آياتنا) استهزاء وتكذيب .

كما حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إذا آلهم مكر في آياتنا) قال : استهزاء وتكذيب .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (قل الله أسرع مكرًا) يقول تعالى ذكره : قل لهؤلاء المشركين المستهزئين من حججنا وأدلتنا ، يا محمد الله أسرع مكرًا : أي أسرع محالا بكم ، واستدراجا لكم ، وعقوبة منكم من المكر في آيات الله ، والعرب تكتفي بإذا من فعلت وفعلوا ، فلذلك حذف الفعل معها . وإنما معنى الكلام : وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم مكروا في آياتنا ، فاكتفى من مكروا ، بإذا لهم مكر ، (إن رسلنا يكتبون ما تمكرون) يقول : إن حفظنا الذين نرسلهم إليكم أيها الناس يكتبون عليكم ما تمكرون في آياتنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتْ بِرِمٍ رَّبِّحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره : الله الذي يسيركم أيها الناس في البرّ على الظهر ، وفي البحر في الفلك (حتى إذا

كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ) وهى السفن (وَجَرَيْنَ بِهِمُ) يعنى : وجرت الفلك بالناس (بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) فى البحر (وَفَرَحُوا بِهَا) يعنى : وفرح ركبان الفلك بالريح الطيبة. التى يسرون بها ، والهاء فى قوله : بها عائدة على الريح الطيبة (جاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ) يقول : جاءت الفلك ريح عاصف ، وهى الشديدة ، والعرب تقول : ريح عاصف وعاصفة ، وقد أعصفت الريح وأعصفت وأعصفت فى بنى أسد فيما ذكر ، قال بعض بنى دبير :

حتى إذا أعصفت ريحٌ مُزعزعةٌ فيها قِطارٌ ورَعْدٌ صَوْتُهُ زَجِيلٌ ١

(وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) يقول تعالى ذكره : وجاء ركبان السفينة الموج من كل مكان (وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ) يقول : وظنوا أن الهلاك قد أحاط بهم وأحرق (دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) يقول : أخلصوا الدعاء لله هنالك دون أوثانهم وآلهتهم ، وكان مفرغهم حينئذ إلى الله دونها . كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) قال : إذا مسهم الضر فى البحر أخلصوا له الدعاء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن الأعمش ، عن عمرو بن ابن مرة ، عن أبى عبيدة ، فى قوله (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) هياشراها ، تفسيره : يا حى يا قيوم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون ، فاذا كان الضر لم يدعوا إلا الله فإذا نجاهم إذا هم يشركون لأن أنجيتنا من هذه الشدة التى نحن فيها لنكونن من الشاكرين لك على نعمك وتخليصك إيانا مما نحن فيه باخلاصنا العبادة لك ، وإفراد الطاعة دون الآلهة والأنداد .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ) فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق (هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ) من السير بالسين. وقرأ ذلك أبو جعفر القارى (هُوَ الَّذِى يَنْشُرُكُمْ) من النشر، وذلك البسط من قول القائل : نشرت الثوب ، وذلك بسطه ونشره من طيه ، فوجه أبو جعفر معنى ذلك إلى أن الله يبعث عباده ، فيسبغهم برأ وبجرا ، وهو قريب المعنى من التسيير ، وقال (وَجَرَيْنَ بِهِمُ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) وقال فى موضع آخر (فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) فوحد ، والفلك : اسم للواحدة والجماع ، ويذكر ويؤنث ، قال (وَجَرَيْنَ بِهِمُ) وقد قال (هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ) فخاطب ثم عاد إلى الخبر عن الغائب وقد بينت ذلك فى غير موضع من الكتاب بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، وجواب قوله (حتى إذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ) . . . جاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ) وأما جواب قوله (وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ) (دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) .

(١) فى لسان العرب : (عصف) : عصفت الريح تعصف عصفاء وعصفوا ، وهى ريح عاصف ، وعاصفة ، ومعصفة ، وعصوف وأعصفت فى بنى أسد ، وهى مصصف ، من رياح معاصف ومعاصيف : إذا اشتدت . والمزعزعة : الشديدة ، التى تحرك كل ما على الأرض من شجر وتراب ومدر . والقطار : المطر ، والزجل : المرتفع فيه تطريب .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيَّمُوا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا في البحر أنهم أحيط بهم من الجهد الذي كانوا فيه ، أخلقوا الله ما وعدوه ، وبغوا في الأرض ، فتجاوزوا فيها إلى غير ما أذن الله لهم فيه من الكفر به ، والعمل بمعاصيه على ظهرها ، يقول الله : يا أيها الناس إنما اعتدواكم الذي تعتدونه على أنفسكم وإياها تظلمون ، وهذا الذي أنتم فيه متاع الحياة الدنيا ، يقول ذلك بلاغ تبغون به في عاجل دنياكم ، وعلى هذا التأويل ، البغى يكون مرفوعا بالعائد من ذكره في قوله (على أنفسكم) ويكون قوله : (متاع الحياة الدنيا) مرفوعا على معنى : ذلك متاع الحياة الدنيا ، كما قال (لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ) بمعنى : هذا بلاغ ، وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك : إنما بغيتكم في الحياة الدنيا على أنفسكم ، لأنكم بكفركم تكسبونها غضب الله ، متاع الحياة الدنيا ، كأنه قال : إنما بغيتكم متاع الحياة الدنيا ، فيكون البغى مرفوعا بالمتاع ، وعلى أنفسكم من صلة البغى ، ويرفع المتاع قرأت القراء سوى عبد الله بن أبي إسحاق فإنه نصبه بمعنى : إنما بغيتكم على أنفسكم متاعا في الحياة الدنيا ، فجعل البغى مرفوعا بقوله (على أنفسكم) والمتاع منصوبا على الحال ، وقوله (ثم إلينا مرجعكم) يقول : ثم إلينا بعد ذلك معادكم ومصيركم ، وذلك بعد الممات (فننبئكم بما كنتم تعملون) يقول : فنخبركم يوم القيامة بما كنتم تعملون في الدنيا من معاصي الله ، ونجازيكم على أعمالكم التي سلفت منكم في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَنهَاءَ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : إنما مثل ما تباهون في الدنيا ، وتفاخرون به من زينتها وأموالها مع ما قد وكل بذلك من التكدير والتنغيص وزواله بالفناء والموت ، (كم) مثل (ماء) أنزلناه من السماء) يقول : كطر أرسلناه من السماء إلى الأرض (فاختلط به نبات الأرض) يقول : فنبت بذلك المطر أنواع من النبات مختلط بعضها ببعض .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ،

عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ) قال : اختلط فنبت بالماء كل لون (مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ) كالحنطة والشعير وسائر حبوب الأرض والبقول والثمار ، وما يأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمراعي .

وقوله (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا) يعني : ظهر حسنها وبهاؤها (وَأَزْيَنْتَ) يقول : وتزينت (وَظَنَّ أَهْلُهَا) يعني : أهل الأرض (أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا) يعني : على ما أنبتت ، وخرج الخبر عن الأرض ، والمعنى للنبات ، إذ كان مفهوماً بالخطاب ما عني به . وقوله (أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا) يقول : جاء الأرض أمرنا يعني قضائنا بهلاك ما عليها من النبات إما ليلاً وإما نهاراً (فَجَعَلْنَاهَا) يقول : فجعلنا ما عليها (حَصِيدًا) يعني مقطوعة مقلوعة من أصولها ، وإنما هي محصودة صرفت إلى حصيد (كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ) يقول : كأن لم تكن تلك الزروع والنبات على ظهر الأرض نابتة قائمة على الأرض قبل ذلك بالأمس ، وأصله : من غنى فلان بمكان كذا ، يغنى به : إذا أقام به ، كما قال النابغة الذبياني :

غَنِيَّتْ بِذَلِكَ إِذْ هُمْ لِي جِيرَةٌ مِنْهَا بَعَطُفَ رِسَالَةٍ وَتَوَدُّدِ

يقول : فكذلك يأتي الفناء على ما تتباهون به من دنياكم وزخارفها ، فيفنيها ويهلكها كما أهلك أمرنا وقضائنا نبات هذه الأرض بعد حسنها وبهجتها حتى صارت (كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ) كأن لم تكن قبل ذلك نباتاً على ظهرها ، يقول الله جل ثناؤه (كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يقول : كما بينا لكم أيها الناس مثل الدنيا ، وعرفناكم حكمها وأمرها ، كذلك نبين حججنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ونظر ، وخص به أهل الفكر ، لأنهم أهل التمييز بين الأمور ، والفحص عن حقائق ما يعرض من الشبه في الصدور . وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا) ... الآية : أي والله لئن تشبث بالدنيا وحذب عليها لتوشكن الدنيا أن تلفظه وتقضي منه . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَزْيَنْتَ) قال : أنبتت وحسنت .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الرحمن ابن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، قال : سمعت مروان يقرأ على المنبر هذه الآية (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَنْتَ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا) وما كان الله ليهلكها

(١) البيت للنابغة الذبياني ، وهو السابع من داليته المطولة في وصف المتجردة (مختار الشعر الجاهل ، طبعة الحلبي ص ١٨٣) وفيه : « إذ هم لك » . وغنيت : أقامت . يقول : أقامته مع مودته ، وهي جارة لك ، فكانت تتودد إليك ، وتعرض لك ، وتعطف رسائلها عليك . وفي (اللسان : غنى) : أغنى القوم بالدار غنى : أقاموا قال الله عز وجل : « كأن لم يغنوا فيها » : أي لم يقيموا فيها .

إلا بذنوب أهلها ، قال : قد قرأتها ، وليست في المصحف ، فقال عباس بن عبد الله بن العباس هكذا يقرؤها ابن عباس ، فأرسلوا إلى ابن عباس فقال : هكذا أقرأني أبي بن كعب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كأن لم تنغن بالأمس) يقول : كأن لم تعيش ، كأن لم تنعم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول في قراءة أبي (كأن لم تنغن بالأمس) وما أهلكناها إلا بذنوب أهلها (كذلك نُفْضِلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَأَزَيَّنْتَ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق (وَأَزَيَّنْتَ) بمعنى : وترينت ، ولكنهم أدغموا التاء في الزاي لتقارب مخرجيهما ، وأدخلوا ألفا ليوصل إلى قراءته ، إذ كانت التاء قد سكنت ، والساكن لا يبتدأ به . وحكى عن أبي العالية وأبي رجاء والأعرج وجماعة أخر غيرهم أنهم قرءوا ذلك (وَأَزَيَّنْتَ) على مثال أفعلت .

والصواب من القراءة في ذلك (وَأَزَيَّنْتَ) لإجماع الحجة من القراء عليها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره لعباده : أيها الناس لا تطلبوا الدنيا وزينتها ، فإن مصيرها إلى فناء وزوال ، كما مصير النبات الذي ضربه الله لها مثلاً إلى هلاك وبوار ، ولكن اطلبوا الآخرة الباقية ، ولها فاعملوا ، وما عند الله فالتمسوا بطاعته ، فإن الله يدعوكم إلى داره ، وهي جناته التي أعدّها لأوليائه ، تسلموا من الهموم والأحزان فيها ، وتأمّنوا من فناء ما فيها من النعيم والكرامة التي أعدّها لمن دخلها ، وهو يهدي من يشاء من خلقه ، فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم ، وهو الإسلام الذي جمعه جل ثناؤه سبباً للوصول إلى رضاه ، وطريقاً لمن ركبته ، وسلك فيه إلى جنانه وكرامته .

كما حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : الله السلام ، وداره الجنة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ) قال : الله هو السلام ، وداره الجنة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « قِيلَ لِي : لَتَتِمَّ عَيْشُكَ ، وَلَتَيْعْقِلَ قَلْبُكَ ، وَلَتَسْمَعَ أذُنُكَ فَنَامَتْ عَيْشِي ، وَعَقِلَ قَلْبِي ، وَسَمِعَتْ أذُنِي ، ثُمَّ قِيلَ سَيِّدُ بَنِي دَارٍ ، ثُمَّ صَنَعَ مَا دُبَّةٌ ، ثُمَّ أُرْسِلَ دَاعِيَا ، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ ، وَأَكَلَ مِنَ الدَّادُبَةِ وَرَضِيَ عَنْهُ السَّيِّدُ ،

(١) أي صارت ذات زينة .

وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ ، وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَاءِ دُبَّةً ، وَلَمْ يَرْضَ عَنْهُ السَّيِّدُ ، فَاللهُ السَّيِّدُ ، والدَّارُ الْإِسْلَامُ ، والمَاءُ دُبَّةُ الْجَنَّةِ ، والدَّاعِيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ذُكِرَ لَنَا أَنَّ فِي التَّوْرَةِ مَكْتُوبًا : يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ هَلُمَّ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ انْتَه .

حدثني الحسين بن سلمة بن أبي كبشة ، قال : ثنا عبد الملك بن عمرو ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن قتادة ، قال : ثنا خلود العصري ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ شَمْسُهُ إِلَّا وَبِحَسْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ ، يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللهِ كَلِمَتُهُمْ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ ، إِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالنَّهْيُ » قال : وأنزل ذلك في القرآن في قوله (وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : « إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ جِبْرَائِيلَ عِنْدَ رَأْسِي ، وَمِيكَائِيلَ عِنْدَ رِجْلِي ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : اضْرِبْ لَهُ مِثْلًا . فَقَالَ : اسْمَعْ سَمِعْتُ أَدْنُكَ ، وَأَعْقِلْ عَقِلَ قَلْبُكَ ، إِنَّمَا مِثْلُكَ وَمِثْلُ أُمَّتِكَ كَمِثْلِ مَلِكٍ اتَّخَذَ دَارًا ثُمَّ بَنَى فِيهَا بَيْتًا ، ثُمَّ جَعَلَ فِيهَا مَاءً دُبَّةً ، ثُمَّ بَعَثَ رَسُولًا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَجَابَ الرَّسُولَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَهُ فَاللهُ الْمَلِكُ ، والدَّارُ الْإِسْلَامُ ، والبَيْتُ الْجَنَّةُ ، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ الرَّسُولُ مَنْ أَجَابَكَ دَخَلَ الْإِسْلَامَ وَمَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ أَكَلَ مِنْهَا » .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : للذين أحسنوا عباداة الله في الدنيا من خلقه ، فأطاعوه فيما أمر ونهى الحسنى .
ثم اختلف أهل التأويل في معنى الحسنى والزيادة اللتين وعدتهما المحسنين من خلقه ، فقال بعضهم : الحسنى : هى الجنة ، جعلها الله للمحسنين من خلقه جزاء ، والزيادة عليها النظر إلى الله تعالى .
ذكر من قال ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد ، عن أبي بكر الصديق (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم .

حدثنا سفيان ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن قيس ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد ، عن

سعيد بن نمران ، عن أبي بكر (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال : النظر إلى وجه الله تعالى .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد :
(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن
سعد ، قال في هذه الآية (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال : الزيادة : النظر إلى وجه الرحمن .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسلم بن نذير ، عن
حذيفة (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا شريك ، قال : سمعت أبا إسحاق يقول في قول الله (وَزِيَادَةٌ)
قال : النظر إلى وجه الرحمن .

حدثني علي بن عيسى ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو بكر الهذلي ، قال : سمعت أبا تيممة الهجيمي
يحدث عن أبي موسى الأشعري ، قال : إذا كان يوم القيامة بعث الله إلى أهل الجنة مناديا ينادي : هل
أنجزكم الله ما وعدكم ، فينظرون إلى ما أعد الله لهم من الكرامة ، فيقولون نعم ، فيقول (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا
الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) النظر إلى وجه الرحمن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي ، قال : أخبرنا
أبو تيممة الهجيمي ، قال : سمعت أبا موسى الأشعري يخطب على منبر البصرة يقول : « إن الله يبعث يوم
القيامة ملكا إلى أهل الجنة ، فيقول : يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون إلى ما أعد الله لهم
من الكرامة ، فيرون الحلل والثمار والأنهار والأزواج المطهرة ، فيقولون : نعم ، قد أنجزنا الله
ما وعدنا ، ثم يقول الملك : هل أنجزكم الله ما وعدكم ثلاث مرات ، فلا يفقدون شيئا مما وعدوا ، فيقولون
نعم ، فيقول : قد بقي لكم شيء ، إن الله يقول (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) ألا إن الحسنى
الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني شبيب ، عن أبان ، عن أبي تيممة الهجيمي
أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
مُنَادِيًا يُنَادِي أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ أَوْلَهُمْ وَآخِرَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ الْحُسْنَىٰ
وَزِيَادَةً ، فَالْحُسْنَىٰ الْجَنَّةُ ، وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الرَّحْمَنِ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت البناني ، عن عبد الرحمن
ابن أبي ليلى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم ، وقراً (وَلَا يَرْهَقُ
وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ) قال : بعد النظر إلى وجه ربهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سليمان بن المغيرة ، قال :
أخبرنا ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، في قوله (وَزِيَادَةٌ) قال : قيل له : أرأيت قوله (لِلَّذِينَ

أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً) قال : إن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة فأعطوا فيها ما أعطوا من الكرامة والنعم قال : نودوا يا أهل الجنة إن الله قد وعدكم الزيادة ، فيتجلى لهم ، قال ابن أبي ليلى : فما ظنك بهم حين ثقلت موازينهم ، وحين صارت الصحف في أيمنهم ، وحين جاوزوا جسر جهنم ودخلوا الجنة ، وأعطوا فيها ما أعطوا من الكرامة والنعم ، كل ذلك لم يكن شيئاً فيما رأوا .

قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر وسليمان بن المغيرة ، عن ثابت البناني ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً) قال : النظر إلى وجه ربهم .

قال : ثنا الحجاج ومعل بن أسد ، قالا : ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال لهم : إنه قد بقي من حقكم شيء لم تُعْطَوْهُ ، قال : فيتجلى لهم تبارك وتعالى . قال : فيصغر عندهم كل شيء أُعْطَوْهُ . قال : ثم قال (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً) قال : الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه ربهم ، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد ذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ثابت البناني ، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً) النظر إلى وجه الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوزة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قول الله (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً) النظر إلى الرب .

حدثنا عمرو بن علي ومحمد بن بشار ، قالا : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « في هذه الآية (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً) قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نودوا يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعداً ، قالوا ما هو ؟ ألم تبيض وجوهنا ، وتثقل موازيننا ، وتدخلنا الجنة ، وتخرجنا من النار ، فيكشف الحجاب ، فيتجلى لهم ، فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجهه » ولفظ الحديث لعمرو .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن صهيب ، قال : « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً) قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون وما هو ؟ ألم يشق الله موازيننا ، ويبيض وجوهنا ؟ » ثم ذكر سائر الحديث نحو حديث عمرو بن علي وابن بشار ، عن عبد الرحمن .

قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن ثمران ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً) قال : النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى

وَزِيَادَةٌ) بلغنا أن المؤمنين لما دخلوا الجنة ناداهم مناد : إن الله وعدكم الحسنى وهى الجنة . وأما الزيادة : فالنظر إلى وجه الرحمن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا إبراهيم بن المختار ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن كعب بن عجرة . عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فى قوله تعالى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) قال : الزيادة : النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن عبد الرحمن بن سابط ، قال : الحسنى : النضرة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله تعالى .

حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سمعت زهيراً عن سمع أبا العالية ، قال : ثنا أبي بن كعب « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قول الله تعالى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) قال : الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله » .

وقال آخرون فى الزيادة بما حدثنا به يحيى بن طلحة ، قال ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن الحكم ، عن عليّ بن رضى الله عنه (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) قال : الزيادة : غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن الحكم ، عن عليّ بن رضى الله عنه ، نحوه ، إلا أنه قال : فيها أربعة أبواب .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم بن عتيبة ، عن عليّ بن رضى الله عنه ، مثل حديث يحيى بن طلحة ، عن فضيل سواء .

وقال آخرون : الحسنى واحدة من الحسنات بواحدة ، والزيادة : التضعيف إلى تمام العشر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) قال : هو مثل قوله (وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) يقول : يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله ، وقال (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن علقمة بن قيس (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) قال : قلت : هذه الحسنى ، فما الزيادة ؟ قال : ألم تر أن الله يقول (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول فى هذه الآية

(لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال : الزيادة : بالحسنة عشر أمثالها ، إلى سبع مئة ضعف .
وقال آخرون : الحسنی : حسنة مثل حسنة ، والزيادة : زيادة مغفرة من الله ورضوان .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لِّلَّذِينَ
أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ) مثلها حسنى وزيادة مغفرة ورضوان .
وقال آخرون : الزيادة ما أعطوا في الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا
الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال : الحسنی : الجنة ، وزيادة : ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة .
وقرأ (وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا) قال : ما آتاه مما يحب في الدنيا عجل له أجره فيها .
وكان ابن عباس يقول في قوله (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ) بما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله
ابن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ) يقول :
للذين شهدوا أن لا إله إلا الله .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على إحسانهم
الحسنی أن يجزيهم على طاعتهم إياه الجنة ، وأن تبيض وجوههم ، ووعدهم مع الحسنی الزيادة عليها ، ومن
الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه ، وأن يعطيهم غرفا من لآلى ، وأن يزيدهم غفرانا ورضوانا
كل ذلك من زيادات عطاء الله إياهم على الحسنی التي جعلها الله لأهل جناته ، وعم ربنا جل ثناؤه بقوله
(وَزِيَادَةٌ) : الزيادات على الحسنی ، فلم يخص منها شيئا دون شيء ، وغير مستنكر من فضل الله أن
يجمع ذلك لهم ، بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله . فأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يعم كما عمه
عز ذكره .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ ، أولئك أصحاب الجنة هم
فيها خالدون .

يعنى جل ثناؤه بقوله (وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ) لا يغشى وجوههم كآبة ولا
كسوف حتى تصير من الحزن كأنما علاها قتر ، والقتر : الغبار وهو جمع قرة ، ومنه قول الشاعر :

مُسَوِّجٌ بِرِدَاءِ الْمُلْكِ يَتَّبَعُهُ
مَسَوِّجٌ تَرَى فَوْقَهُ الرَّايَاتِ وَالْقَسْرَ ۱

يعنى بالقتر : الغبار ، ولا ذلة : ولا هوان ، أولئك أصحاب الجنة ، يقول هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم

(۱) البيت للفرزدق (لسان العرب : قتر) ؛ قال : القتر : جمع القرة ، وهى القبرة ، ومنه قوله تعالى : « وجوه يومئذ »

عليها غبرة ، ترهقها قرة . عن أبي عبيدة ، وأنشد للفرزدق : مسوج . . . البيت .

وقال الأزهري في التهذيب : القرة : غبرة يعلوها سواد كالدهان .

أهل الجنة وسكانها ومن هم فيها خالدون ، يقول هم فيها ما كثون أبدا لا تبديد ، فيخافوا زوال نعيمهم ، ولا هم بمخرجين ، فتتنخص عليهم لذتهم .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

وكان ابن أبي ليلى يقول في قوله (وَلَا يَرَهُمْ قَتَرٌ وَجُوهُهُمْ قَتَرٌ) ما حدثنا محمد بن منصور الطوسلي ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد بن زيد قال : ثنا زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى (وَلَا يَرَهُمْ قَتَرٌ وَجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ) قال : بعد نظرهم إلى ربهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ومعل بن أسد ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا يَرَهُمْ قَتَرٌ وَجُوهُهُمْ قَتَرٌ) قال : سواد الوجوه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرَهُمُ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنَّ عَاصِمٍ كَأَمْثَلِ الْأَعْيُنِ وَأَنْعَمَتِ وَجُوهُهُمْ قُطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : والذين عملوا السيئات في الدنيا ، فعصوا الله فيها ، وكفروا به وبره ، وله ، جزاء سيئة من عمله السيئ الذي عمله في الدنيا بمثلها من عقاب الله في الآخرة (وَتَرَهُمُ ذِلَّةٌ) يقول : وتغشاهم ذلة وهوان بعقاب الله إياهم (مَّا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنَّ عَاصِمٍ) يقول : ما لهم من الله من مانع يمنعهم إذا عاقبهم يحول بينه وبينهم .

وينحو الذي قلنا في قوله (وَتَرَهُمُ ذِلَّةٌ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَرَهُمُ ذِلَّةٌ) قال : تغشاهم ذلة وشدة .

واختلف أهل العربية في الرفع للجزاء ، فقال بعض نحوي الكوفة : رفع بإضمار لهم ، كأنه قيل : ولهم جزاء السيئة بمثلها ، كما قال (فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ) والمعنى : فعليه صيام ثلاثة أيام قال : وإن شئت رفعت الجزاء بالباء في قوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا) وقال بعض نحوي البصرة : الجزاء مرفوع بالابتداء ، وخبره بمثلها .

قال : ومعنى الكلام : جزاء سيئة مثلها ، وزيدت الباء كما زيدت في قوله : بحسبك قول السوء ، وقد أنكر ذلك من قول بعضهم فقال : يجوز أن تكون الباء في حسب ، لأن التأويل : إن قلت السوء فهو حسبك ، فلما لم تدخل في الجزاء أدخلت في حسب بحسبك أن تقوم إن قمت ، فهو حسبك ، فإن مدح

ما بعد حسب أدخلت الباء فيما بعدها كقولك : حسبك بزيد ، ولا يجوز : بحسبك زيد ، لأن زيدا الممدوح فليس بتأويل جزاء .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يكون الجزاء مرفوعاً بإضمار بمعنى : فلهم جزاء سيئة بمثلها ، لأن الله قال في الآية التي قبلها (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) فوصف ما أعدّ لأوليائه ، ثم عقب ذلك بالخبر عما أعدّ الله لأعدائه ، فأشبهه بالكلام أن يقال : وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة ، وإذا وجه ذلك إلى هذا المعنى كانت الياء صلة للجزاء .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ، أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : كأنما ألبست وجوه هؤلاء الذين كسبوا السيئات قطعاً من الليل ، وهي جمع قطعة . وكان قتادة يقول في تأويل ذلك ما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة (كأنما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا) قال : ظلمة من الليل .

واختلفت القراء في قراءة قوله تعالى (قِطْعًا) فقرأته عامة قراء الأمصار (قِطْعًا) بفتح الطاء على معنى جمع قطعة ، وعلى معنى أن تأويل ذلك : كأنما أغشيت وجه كل إنسان منهم قطعة من سواد الليل ، ثم جمع ذلك ف قيل : كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من سواد ، إذ جمع الوجه : وقرأه بعض متأخري القراء (قِطْعًا) بسكون الطاء ، بمعنى : كأنما أغشيت وجوههم سواداً من الليل ، وبقيّة من الليل ، ساعة منه ، كما قال (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) أي ببقيّة قد بقيت منه ، ويعتلّ لتصحيح قراءته ذلك كذلك أنه في مصحف أبيّ ، ويغشى وجوههم قطع من الليل مظلم .

والقراءة التي لا يجوز خلافها عندي ، قراءة من قرأ ذلك بفتح الطاء ، لإجماع الحجة من قراء الأمصار على تصويبها وشذوذ ما عداها ، وحسب الأخرى دلالة على فسادها ، خروج قارئها عما عليه قراء أهل الأمصار والإسلام .

فإن قال لنا قائل : فإن كان الصواب في قراءة ذلك ما قلت ، فما وجه تذكير المظلم وتوحيده ، وهو من نعت القِطْعِ والقِطْعِ جمع لمؤنث ، قيل في تذكيره ذلك وجهان : أحدهما : أن يكون قطعاً من الليل ، وأن يكون من نعت الليل ، فلما كان نكرة ، والليل معرفة نصب على القطع . فيكون معنى الكلام حينئذ : كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل المظلم ، ثم حذف الألف واللام من المظلم ، فلما صار نكرة وهو من نعت الليل نصب على القطع ، وتسمى أهل البصرة ما كان كذلك حالاً ، والكوفيون قطعاً . والوجه الآخر على نحو قول الشاعر :

لو أن مِدْحَةَ حَتَّى مُنْشِرٍ أَحَدًا
والوجه الأول أحسن وجهيه .

(١) هذا شطر من بيت لأبي ذؤيب لقله الأصمعي ، ورواية البيت عنده :

لَوْ كَانَ مِدْحَةُ حَتَّى أَنْشَرْتَ أَحَدًا أَحْيَا أَبَوَاتِكَ الشَّمُّ الْأَمَادِيحُ

وقوله (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ) يقول : هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم أهل النار الذين هم أهلها ،
(هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ) يقول : هم فيها ما كثون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ
شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره : ويوم نجمع الخلق لموقف الحساب جميعا ، ثم نقول حينئذ للذين أشركوا بالله الآلهة والأنداد مكانكم : أي امكثوا مكانكم ، وقفوا في موضعكم أنتم أيها المشركون ، وشركاؤكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الآلهة والأوثان (فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ) يقول : ففرقنا بين المشركين بالله ، وما أشركوه به وبين غيره ، وأبنته منه ، وقال : فزيلنا إرادة تكثير الفعل وتكريره ، ولم يقل : فزينا بينهم . وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه فزايلا بينهم ، كما قيل (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ) ولا تصاعر خدك ، والعرب تفعل ذلك كثيرا في فعلت ، يلحسون فيها أحيانا ألفا مكان التشديد ، فيقولون : فاعلت إذا كان الفعل لواحد . وأما إذا كان لاثنين فلا تكاد تقول إلا فاعلت ، وقال شركاؤهم : ما كنتم إيانا تعبدون ، وذلك حين (تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا، وَرَأَوْا الْعَذَابَ، وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) لما قيل للمشركين اتبعوا ما كنتم تعبدون من دون الله ، ونصبت لهم آلهتهم ، قالوا : كنا نعبد هؤلاء ، فقالت الآلهة لهم : ما كنتم إيانا تعبدون .

كما حدثت عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : يكون يوم القيامة ساعة فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدون ، فيقال : هؤلاء الذين كنتم تعبدون من دون الله ، فتقول الآلهة : والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ، ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا ، فيقولون : والله لإياكم كنا نعبد ، فتقول لهم الآلهة : (فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنُنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ) . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) ثم نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ ، فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ) قال : فرقنا بينهم (وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ) قالوا : بلى قد كنا نعبدكم ، (فَقَالُوا) (كَمْفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنُنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ) ما كنا نسمع ولا نبصر ، ولا نتكلم فقال الله (هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ) . . . الآية .

وروي عن مجاهد ، أنه كان يتأول الحشر في هذا الموضع : الموت .

= روجه الاستشهاد بالبيت على رواية المؤلف ، أن يؤول لفظ مدحة بمعنى المدح ، وهو مذكور ، فيسوغ الإخبار عنه بمنشر . كما يؤول لفظ قبلنا من الليل (جمع قطعة) بأن في معنى كثير ، كما أشار إليه أبو البقاء العكبري في إغراب القرآن ، فيسوغ لفته بمظلمة . وأما على رواية الأصمعي فلا شاهد في البيت .

(١) لعل فيه سقطا من الناسخ ، والأصل يقال زلت بين الشيء وبين غيره أبنته منه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، قال : سمعهم يذكرون عن مجاهد ، في قوله (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) قال : الحشر : الموت .

والذي قلنا في ذلك أولى بتأويله ، لأن الله تعالى ذكره أخبر أنه يقول يومئذ للذين أشركوا ما ذكر أنه يقول لهم ، ومعلوم أن ذلك غير كائن في القبر ، وأنه إنما هو خبر عما يقال لهم ، ويقولون في الموقف بعد البعث .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل شركاء المشركين من الآلهة والأوثان لهم يوم القيامة ، إذ قال المشركون بالله لها : إياكم كنا نعبد ، كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم : أي إنما تقول : حسبنا الله شاهدا بيننا وبينكم أيها المشركون ، فإنه قد علم أنا ما علمنا ما تقولون ، إنا كنا عن عبادتكم لغافلين ، يقول : ما كنا عن عبادتكم إيانا دون الله إلا غافلين ، لا نشعر به ، ولا نعلم .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ) قال : ذلك كل شيء يعبد من دون الله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (إن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ) قال : يقول ذلك كل شيء كان يعبد من دون الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُنَالِكَ تَبْلَوْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٠﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (هُنَالِكَ تَبْلَوْ كُلُّ نَفْسٍ) بالباء ، بمعنى : عند ذلك تختبر كل نفس بما قدمت من خير أو شر ، وكان ممن يقرؤه ، ويتأوله كذلك مجاهد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (هُنَالِكَ تَبْلَوْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ) قال : تختبر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة ، وبعض أهل الحجاز (تَبْلَوْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ) بالتاء .

واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله ، فقال بعضهم : معناه وتأويله : هنالك تتبع كل نفس ما قدمت

في الدنيا لذلك اليوم . وروى بنحو ذلك خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه وسند غير مرتضى أنه

قال : « يُمَثَّلُ لِكُلِّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَتَّبِعُونَهُمْ حَتَّى يُورِدُوهُمْ النَّارَ . قال : ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هُنَالِكَ تَتْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ) وقال بعضهم : بل معناه : تتلو كتاب حسناته وسيئاته ، يعنى تقرأ كما قال جل ثناؤه : (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا) . وقال آخرون : تبلو : تعاین .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (هُنَالِكَ تَتْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ) قال : ما عملت . تبلو : تعاینه .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء ، وهما متقاربتا المعنى ، وذلك أن من تبع في الآخرة ما أسلف من العمل في الدنيا ، هجم به على مورده ، فيخبر هنالك ما أسلف من صالح أو سيئ في الدنيا ، وإن من خير من أسلف في الدنيا من أعماله في الآخرة ، فانما يخبر بعد مصيره إلى حيث أحله ما قدم في الدنيا من عمله ، فهو في كلتا الحالتين متبع ما أسلف من عمله مختبر له ، فبأيتهما قرأ القارئ كما وصفنا ، فصيب الصواب في ذلك .

وأما قوله (وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ) فإنه يقول : ورجع هؤلاء المشركون يومئذ إلى الله الذي هو ربهم ومالكهم الحق ، لاشك فيه دون ما كانوا يزعمون أنهم لهم أرباب من الآلهة والأنداد (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) يقول : وبطل عنهم ما كانوا يتخرون من القرية والكذب على الله بدعواهم أو ثأنهم أنها لله شركاء ، وأنها تقر بهم منه زلى .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) قال : ما كانوا يدعون معه من الأنداد والآلهة ما كانوا يفترون الآلهة ، وذلك أنهم جعلوها أندادا وآلهة مع الله افتراء وكذبا .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ مَنْ بَرَزُوكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْبَيْتِ وَيُخْرِجُ الْبَيْتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد هؤلاء المشركين بالله الأوثان والأصنام (مَنْ بَرَزُوكُمْ مِنَ السَّمَاءِ) الغيث والقطر ، ويطلع لكم شمسها ، ويغش ليلها ، ويخرج ضحها (وَ) من (الْأَرْضِ) أقواتكم وغذاءكم الذى ينبت لكم ، وثمار أشجارها (أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ) يقول : أم من ذا الذى يملك أسماكم وأبصاركم التى تسمعون بها أن يزيد فى قواها أو يسلبكموها ، فيجعلكم

صمًا ، وأبصاركم التي تبصرون بها أن يضيئها لكم وينيرها ، أو يذهب بنورها فيجعلكم عميا لا تبصرون (وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) يقول : ومن يخرج الشيء الحي من الميت (وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) يقول : ويخرج الشيء الميت من الحي .

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين من أهل التأويل ، والصواب من القول عندنا في ذلك بالأدلة الدالة على صحته في سورة آل عمران بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

(وَمَنْ يُدَبِّرِ الْأَمْرَ) وقل لهم : من يدبر أمر السماء والأرض وما فيهن ، وأمركم وأمر الخلق ، (فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ) يقول جل ثناؤه : فسوف يجيبونك بأن يقولوا الذي يفعل ذلك كله الله (فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) يقول : أفلا تخافون عقاب الله على شرككم ، وادعائكم ربا غير من هذه الصفة صفته ، وعبادتكم معه ، من لا يرزقكم شيئا ، ولا يملك لكم ضرا ولا نفعا .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَازَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره لخلقهم : أيها الناس ، فهذا الذي يفعل هذه الأفعال ، فيرزقكم من السماء والأرض ويملك السمع والأبصار ، ويخرج الحي من الميت ، والميت من الحي ، ويدبر الأمر (اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ) لاشك فيه (فَمَازَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) يقول : فأى شيء سوى الحق إلا الضلال وهو الجور عن قصد السبيل ، يقول : فإذا كان الحق هو ذا ، فادعائكم غيره إلها وربا هو الضلال والذهاب عن الحق لاشك فيه (فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) يقول : فأى وجه عن الهدى والحق تصرفون ، وسواهما تسلكون وأنتم مقرون بأن الذي تصرفون عنه هو الحق .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : كما قد صرف هؤلاء المشركون عن الحق إلى الضلال (كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ) يقول : وجب عليهم قضائهم وحكمه في السابق من علمه (عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا) فخرجوا من طاعة ربهم إلى معصيته ، وكفروا به (أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) يقول : لا يصدقون بوحداية الله ولا بنبوته نبيه صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد (هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ) يعني من الآلهة والأوثان (مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ؟) يقول : من ينشئ خلق شيء من غير أصل ، فيحدث خلقه ابتداء ، ثم يعيده ، يقول : ثم يفنيه بعد إنشائه ، ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيه ، فإنهم لا يقدرُونَ على دعوى ذلك لها ، وفي ذلك الحجة القاطعة ، والدلالة الواضحة على أنهم في دعواهم أنها أرباب ، وهي لله في العبادة شركاء كاذبون مفترون ، ف (قُلْ) لهم حينئذ يا محمد (اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ) فينشئه من غير شيء ، ويحدثه من غير أصل ، ثم يفنيه إذا شاء (ثُمَّ يُعِيدُهُ) إذا أراد كهيئته قبل الفناء (فَأَتَى تَوَفَّكُونَ) يقول : فأى وجه عن قصد السبيل وطريق الرشيد تصرفون وتقبلون .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (فَأَتَى تَوَفَّكُونَ) قال : أتى تصرفون .

وقد بينا اختلاف المختلفين في تأويل قوله (أَتَى تَوَفَّكُونَ) والصواب من القول في ذلك عندنا بشواهد في سورة الأنعام .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لهؤلاء المشركين (هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ) الذين تدعون من دون الله ، وذلك آلهتهم وأوثانهم (مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) يقول : من يرشد ضالا من ضلالته إلى قصد السبيل ، ويسدّد جائرا عن الهدى إلى واضح الطريق المستقيم ، فإنهم لا يقدرُونَ أن يدعوا أن آلهتهم وأوثانهم ترشد ضالا ، أو تهدي حائرا ، وذلك أنهم إن ادّعوا ذلك لها أكذبتهم المشاهدة ، وأبان عجزها عن ذلك الاختبار بالمعينة ، فاذا قالوا لا وأقرّوا بذلك ، فقل لهم ، فالله يهدي الضالّ عن الهدى إلى الحقّ (أَفَمَنْ يَهْدِي) أيها القوم ضالا (إِلَى الْحَقِّ) ، وجائرا عن الرشد إلى الرشد (أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ) إلى ما يدعوا إليه (أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ) .

واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة (أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي) بتسكين الهاء ، وتشديد الدال ، فجمعوا بين ساكنين ، وكأن الذي دعاهم إلى ذلك أنهم وجهوا أصل الكلمة إلى أنه أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي ووجدوه في خط المصحف بغير ما قرروا ، وأن التاء حذفت لما أدغمت في الدال ، فأقرّوا الهاء ساكنة على أصلها الذي كانت عليه ، وشدّدوا الدال طلبا لإدغام التاء فيها ، فاجتمع بذلك سكون الهاء والدال ، وكذلك فعلوا في قوله (وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ) في قوله (يَخْصِمُونَ) ، وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والشام والبصرة (يَهْدِي) بفتح الهاء وتشديد الدال ، وأمّوا ما أمّه المدنيون من الكلمة غير أنهم

نقلوا حركة التاء من يهتدى ، إلى الهاء الساكنة ، فحرّكوا بحركتها ، وأدغموا التاء في الدال فشدّ دوها ، وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة (يَهْدَى) بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال ، بنحو ما قصده قرّاء أهل المدينة ، غير أنه كسر الهاء لكسرة الدال من يهتدى استثقالاً للفتحة بعدها كسرة في حرف واحد . وقرأ ذلك بعض عامة قرّاء الكوفيين (أَمْ مَنْ لَا يَهْدَى) بتسكين الهاء وتخفيف الدال ، وقالوا : إن العرب تقول : هديت : بمعنى اهتديت ، قالوا : فعنى قوله (أَمْ مَنْ لَا يَهْدَى) : أم من لا يهتدى (إلّا أن يَهْدَى) .
 ﴿ وَأُولَى الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قِرَاءَةٌ مِنْ قَرَأَ (أَمْ مَنْ لَا يَهْدَى) بفتح الهاء وتشديد الدال لما وصفنا من العلة لقارئ ذلك كذلك ، وإن ذلك لا يدفع صحته ذو علم بكلام العرب ، وفيهم المنكر غيره ، وأحقّ الكلام أن يقرأ بأفصح اللغات التي نزل بها كلام الله تبارك وتعالى .

فتأويل الكلام إذاً : أفمن يهتدى إلى الحقّ أحقّ أن يتبع ، أم من لا يهتدى إلى شيء إلّا أن يهتدى .
 وكان بعض أهل التأويل يزعم أن معنى ذلك : أم من لا يقدر أن ينتقل عن مكانه إلّا أن ينتقل .
 وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ما حدثني الثنّي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَفَمَنْ يَهْدَى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدَى إِلَّا أَنْ يَهْدَى) قال : الأوثان ، الله يهتدى منها ومن غيرها من شاء لما شاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (أَمْ مَنْ لَا يَهْدَى إِلَّا أَنْ يَهْدَى) قال : قال : الوثن .
 وقوله (فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) ألا تعلمون أن من يهتدى إلى الحقّ أحقّ أن يتبع ، من الذي لا يهتدى إلى شيء ، إلّا أن يهتدى إليه هاد غيره ، فتركوا اتباع من لا يهتدى إلى شيء وعبادته ، وتبعوا من يهديكم في ظلمات البرّ والبحر ، وتخلصوا له العبادة فتفردوه بها وحده دون ما تشركونه فيها من آلهتكم وأوثانكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٦١﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين إلا ظناً ، يقول : إلا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته ، بل هم منه في شكّ وريبة (إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) يقول : إن الشكّ لا يغني من اليقين شيئاً ، ولا يقوم في شيء مقامه ، ولا ينتفع به حيث يحتاج إلى اليقين (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بما يفعل هؤلاء المشركون من اتباعهم الظنّ ، وتكذيبهم الحقّ اليقين ، وهو لهم بالمرصاد ، حيث لا يغني عنهم ظنهم من الله شيئاً .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره : ما ينبغي لهذا القرآن أن يفترى من دون الله ، يقول : ما ينبغي له أن يتخرصه أحد من عند غير الله ، وذلك نظير قوله (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ) بمعنى : ما ينبغي لنبي أن يغله أصحابه . وإنما هذا خبر من الله جل ثناؤه أن هذا القرآن من عنده ، أنزله إلى محمد عبده ، وتكذيب منه للمشركين الذين قالوا : هو شعر وكهانة ، والذين قالوا : إنما يتعلمه محمد من يعيش الرومي . يقول لهم جل ثناؤه : ما كان هذا القرآن ليخترقه أحد من عند غير الله ، لأن ذلك لا يقدر عليه أحد من الخلق (وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) يقول تعالى ذكره : ولكنه من عند الله أنزله مصدقا لما بين يديه : أي لما قبله من الكتب التي أنزلت على أنبياء الله كالطوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه (وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ) يقول : وتبيان الكتاب الذي كتبه الله على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفرائضه التي فرضها عليهم في السابق من علمه (لَارِيبَ فِيهِ) يقول : لا شك فيه أنه تصديق الذي بين يديه من الكتاب وتفصيل الكتاب من عند رب العالمين ، لا افتراء من عند غيره ولا اختلاق .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : أم يقول هؤلاء المشركون : افترى محمد هذا القرآن من نفسه ، فاختلقه وافتعله ، قل يا محمد لهم : إن كان كما تقولون إني اختلقته وافتريته ، فإنكم مثلي من العرب ، ولساني وكلامي مثل لسانكم ، فجيئوا بسورة مثل هذا القرآن ، والهاء في قوله مثله كناية عن القرآن . وقد كان بعض نحوي البصرة يقول : معنى ذلك : قل فأتوا بسورة مثل سورته ، ثم أقيمت سورة ، وأضيف المثل إلى ما كان مضافا إليه السورة ، كما قيل (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ) يراد به : واسأل أهل القرية . وكان بعضهم ينكر ذلك من قوله ويزعم أن معناه : فأتوا بقرآن مثل هذا القرآن .

والصواب من القول في ذلك عندى أن السورة إنما هي سورة من القرآن ، وهي قرآن ، وإن لم تكن جميع القرآن ، فقليل لهم (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) ولم يقل : مثلها ، لأن الكناية أخرجت على المعنى ، أعني معنى السورة ، لأعلى لفظها ، لأنها لو أخرجت على لفظها لقل : فأتوا بسورة مثلها (وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يقول : وادعوا أيها المشركون على أن يأتوا بسورة مثلها من قدرتم أن تدعوا

على ذلك من أوليائكم وشركائكم من دون الله ، يقول : من عند غير الله ، فأجمعوا على ذلك واجتهدوا ، فإنكم لا تستطيعون أن تأتوا بسورة مثله أبدا .

وقوله (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يقول : إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي أَنْ مُحَمَّدًا افْتَرَاهُ ، فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ مِنْ جَمِيعٍ مِنْ يَعِينِكُمْ عَلَى الْإِتْيَانِ بِهَا ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ ، فَلَا شَكَّ أَنَّكُمْ كَذِبَةٌ فِي زَعْمِكُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَاهُ ، لِأَنَّ مُحَمَّدًا لَنْ يَعْدُو أَنْ يَكُونَ بَشَرًا مِثْلَكُمْ ، فَإِذَا عَجَزَ الْجَمِيعُ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، فَالْوَاحِدُ مِنْهُمْ عَنْ أَنْ يَأْتِيَ بِجَمِيعِهِ أَعْجَزَ .

القول في تأويل قوله تعالى :

بَلْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بِحُيُوطٍ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابٌ أَكْذَبُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٩﴾

يقول تعالى ذكره : مَا بِهِؤَلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ تَكْذِيبُكَ ، وَلَكِنْ بِهِمُ التَّكْذِيبُ (بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ) مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ وَعِيدِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِهِمْ (وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) يَقُولُ : وَلَمَّا يَأْتِهِمْ بَعْدَ بَيَانِ مَا يَثُولُ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْوَعِيدُ الَّذِي تَوَعَّدُهُمُ اللَّهُ فِي هَذَا الْقُرْآنِ (كَذَّابٌ أَكْذَبُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : كَمَا كَذَّبَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ بِوَعِيدِ اللَّهِ ، كَذَلِكَ كَذَّبَ الْأُمَمُ الَّتِي نَحَلْتُ قَبْلَهُمْ بِوَعِيدِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُمْ ، وَكُفْرِهِمْ بِهِمْ (فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَاَنْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ كَانَ عَقِبَى كُفْرٍ مِنْ كُفْرٍ بِاللَّهِ ، أَلَمْ نَهْلِكْ بَعْضَهُمْ بِالرَّجْفَةِ ، وَبَعْضَهُمْ بِالْخَسْفِ ، وَبَعْضَهُمْ بِالْفِرْقِ ، يَقُولُ : فَإِنْ عَاقِبَةُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بآيَاتِي مِنْ كُفْرٍ قَوْمِكَ ، كَالَّتِي كَانَتْ عَاقِبَةُ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ كُفْرَةِ الْأُمَمِ ، إِنْ لَمْ يَنْبِئُوا مِنْ كُفْرِهِمْ ، وَيَسَارِعُوا إِلَى التَّوْبَةِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : وَمِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ مَنْ قَرِيشٍ مِنْ سَوْفَ يُؤْمِنُ بِهِ ، يَقُولُ : مَنْ سَوْفَ يَصْدُقُ بِالْقُرْآنِ ، وَيَقَرُّ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ (وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ) أَبَدًا ، يَقُولُ : وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَصْدُقُ بِهِ ، وَلَا يَقَرُّ أَبَدًا (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ) يَقُولُ : وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْمُكَذِّبِينَ بِهِ مِنْهُمْ ، الَّذِينَ لَا يَصْدُقُونَ بِهِ أَبَدًا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ ، وَهُوَ مِنْ وَرَاءِ عِقَابِهِ . فَأَمَّا مَنْ كَتَبَتْ لَهُ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِهِ مِنْهُمْ فَإِنِّي سَأَتُوبُ عَلَيْهِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ إِنِّي رَسُولٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥١﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم : وإن كذبك يا محمد هؤلاء المشركون وردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك ، فقل لهم : أيها القوم لي ديني وعملی ، ولكم دينكم وعملكم ، لا يضرتني عملكم ، ولا يضركم عملي ، وإنما يجازي كل عامل بعمله (أنتم بریئون مما أعمل) لا تؤاخذون بجريرته (وأنا بریء مما تعملون) لاؤاخذ بجريرة عملكم ، وهذا كما قال جل ثناؤه (قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد) وقيل : إن هذه الآية منسوخة ، نسخها الجهاد والأمر بالقتال .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم) . . . الآية ، قال : أمره بهذا ثم نسخه ، وأمره بجهادهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٦﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ومن هؤلاء المشركين من يستمعون إلى قولك ، (أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) يقول : أفأنت تخلق لهم السمع ، ولو كانوا لا يسمع لهم يعقلون به ، أم أنا ؟ وإنما هذا إعلام من الله عباده أن التوفيق للإيمان به بيده لا إلى أحد سواه ، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، كما أنك لا تقدر أن تسمع يا محمد من سلبته السمع ، فكذلك لا تقدر أن تفهم أمري ونهي ، قلبا سلبته فهم ذلك ، لأنني ختمت عليه أنه لا يؤمن .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصِرُونَ ﴿٤٧﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المشركين ، مشركي قومك ، من ينظر إليك يا محمد ، ويرى أعلامك وحججك على نبوتك ، ولكن الله قد سلبه التوفيق فلا يهتدي ، ولا تقدر أن تهديه ، كما لا تقدر أن تحدث للعمى بصرا يهتدي به (أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون) يقول : أفأنت يا محمد تحدث هؤلاء الذين ينظرون إليك وإلى أدلتك وحججك ، فلا يوفقون للتصديق بك أبصارا لو كانوا عميا يهتدون بها ويبصرون ، فكما أنك لا تطيق ذلك ولا تقدر عليه ولا غيرك ، ولا يقدر عليه أحد سواي ، فكذلك لا تقدر على أن تبصرهم سبيل الرشاد ، أنت ولا أحد غيري ، لأن ذلك بيدي وإلى ، وهذا من الله تعالى ذكره تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم عن جماعة ممن كفر به من قومه ، وأدبر عنه فكذب ، وتعزية له عنهم ، وأمر برفع طمعه من إنابتهم إلى الإيمان بالله .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره : إن الله لا يفعل بخلقه ما لا يستحقون منه ، لا يعاقبهم إلا بمعصيتهم إياه ، ولا يعذبهم إلا بكفرهم به ، ولكن الناس يقولون : ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم باجترامهم ما يورثها غضب الله وسخطه ، وإنما هذا إعلام من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، أنه لم يسلب هؤلاء الذين أخبر جل ثناؤه عنهم أنهم لا يؤمنون الإيمان ابتداء منه بغير جرم سلف منهم ، وإخبار أنه إنما سلبهم ذلك باستحقاق منهم سلبه لذنوب اكتسبوها ، فحق عليهم قول ربهم (وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ)

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره : ويوم نحشر هؤلاء المشركين ، فنجمعهم في موقف الحساب كأهم كانوا قبل ذلك ، لم يلبثوا إلا ساعة من نهار يتعارفون فيما بينهم ، ثم انقطعت المعرفة ، وانقضت تلك الساعة ، يقول الله (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ، وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) ، قد غبن الذين جحدوا ثواب الله وعقابه ، وحظوظهم من الخير ، وهلكوا . وما كانوا مهتدين ، يقول : وما كانوا موفقين لإصابة الرشد مما فعلوا من تكذيبهم بقاء الله لأنه أكسبهم ذلك ما لا قبل لهم به من عذاب الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَمَّا نُرَبِّتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره : وإما نربيتك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من قومك من العذاب ، أو نتوفيتك قبل أن نريك ذلك فيهم (فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ) يقول : فصيرهم بكل حال إلينا ومنقلبهم (ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ) يقول جل ثناؤه ثم أنا شاهد على أفعالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا ، وأنا عالم بها لا يخفى على شيء منها ، وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم إلى ، ومرجعهم ، جزاءهم الذي يستحقونه .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وإما نربيتك بعض الذي نعدهم) من العذاب في حياتك (أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) قبل (فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ) حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره : ولكل أمة نزلت قبلكم أيها الناس رسول أرسلته إليهم ، كما أرسلت محمدا إليكم يدعون من أرسلتهم إليهم إلى دين الله وطاعته ، فإذا جاء رسولهم ، يعنى في الآخرة .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم) قال : يوم القيامة . وقوله (قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ) يقول قضى حينئذ بينهم بالعدل (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) من جزاء أعمالهم شيئا ، ولكن يجازى المحسن بإحسانه ، والمسيء من أهل الإيمان ، إما أن يعاقبه الله ، وإما أن يعفو عنه ، والكافر يخلد في النار ، فذلك قضاء الله بينهم بالعدل ، وذلك لا شك عدل لا ظلم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ) قال : بالعدل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : ويقول هؤلاء المشركون من قومك يا محمد (متى هذا الوعد) الذي تعدنا أنه يأتينا من عند الله ، وذلك قيام الساعة (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أنت ومن تبعك فيما تعدوننا به من ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَرْخَوْنَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ﴿٤٩﴾

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد المستعجلينك وعبد الله ، القائلين لك : متى يأتينا الوعد الذي تعدنا إن كنتم صادقين : لا أملك لنفسي أيها القوم : أى لا أقدر لها على ضرر ولا نفع في دنيا ولا دين إلا ما شاء الله أن أملكه ، فأجله إليها بإذنه ، يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهم : فإذا كنت لا أقدر على ذلك إلا بإذنه ، فأنا عن القدرة على الوصول إلى علم الغيب ، ومعرفة قيام الساعة أعجز وأعجز ، إلا بمشيئته وإذنه لى في ذلك (لكل أمة أجل) يقول : لكل قوم ميقات لانقضاء مدتهم وأجلهم ، فإذا جاء

وقت انقضاء أجلهم ، وفناء أعمارهم ، لا يستأخرون عنه ساعة ، فيُمهّلون ويُؤخّرون ، ولا يستقدمون قبل ذلك ، لأن الله قضى أن لا يتقدّم ذلك قبل الحين الذي قدره وقضاه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ رَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ هَارَآ مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك : أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بيّناتاً ، يقول : ليلاً أو نهارة ، وجاءت الساعة ، وقامت القيامة ، أتقدرون على دفع ذلك عن أنفسكم ، يقول الله تعالى ذكره : ماذا يستعجل من نزول العذاب المحرمون الذين كفروا بالله ، وهم الصّالون بحره دون غيرهم ، ثم لا يقدرّون على دفعه عن أنفسهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَتُرِيدُ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ؕ آ لَئِنْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره : أهنالك إذا وقع عذاب الله بكم أيها المشركون آمنتم به ، يقول : صدقتم به في حال لا ينفعكم فيها التصديق ، وقيل لكم حينئذ : آ لآن تصدّقون به ، وقد كنتم قبل الآن به تستعجلون ، وأنتم بنزوله مكذّبون ، فذوقوا الآن ما كنتم به تكذّبون ، ومعنى قوله (أُنتم) في هذا الموضع : أهنالك وليست « ثم » هذه ها هنا التي تأتي بمعنى العطف .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره (ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) أنفسهم بكفرهم بالله (ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ) تجرّعوا عذاب الله الدائم لكم أبداً ، الذي لا فناء له ولا زوال (هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) يقول : يقال لهم : فانظروا (هَلْ تُجْزَوْنَ) أي هل تثابون (إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) يقول : إلا بما كنتم تعملون في حياتكم قبل مماتكم من معاصي الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَبَشِّرِ ثِيَشُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لِحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٩﴾

يقول تعالى ذكره : ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك يا محمد فيقولون لك : أحقّ ما تقول وما تعدنا به من عذاب الله في الدار الآخرة جزاء على ما كنا نكسب من معاصي الله في الدنيا ؟ قل لهم يا محمد إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لِحَقٌّ لا شك فيه ، وما أنتم بمعجزى الله إذا أراد ذلك بكم بهرب أو امتناع ، بل أنتم في قبضته وسلطانه ومملكه ، إذا أراد فعل ذلك بكم ، فاتقوا الله في أنفسكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ
بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره : ولو أن لكل نفس كفرت بالله ، وظلمها في هذا الموضع : عبادتها غير من يستحقّ عبادة وتركها طاعة من يجب عليها طاعته ، (ما في الأرض) من قليل أو كثير (لافتدت به) يقول : لافتدت بذلك كله من عذاب الله إذا غابته . وقوله (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) يقول : وأخفت رؤساء هؤلاء المشركين من وضعائهم وسفلتهم الندامة حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم ، وأيقنوا أنه واقع بهم (وقضى بينهم بالقسط) يقول : وقضى الله يؤمئذ بين الأتباع والرؤساء منهم بالعدل (وهم لا يظلمون) وذلك أنه لا يعاقب أحدا منهم إلا بجريرته ، ولا يأخذه بذنب أحد ، ولا يعذب إلا من قد أعتذر إليه في الدنيا وأنذر وتابع عليه الحجج .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْإِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾

يقول جل ذكره : ألا إن كل ما في السموات وكل ما في الأرض من شيء لله ملك ، لا شيء فيه لأحد سواه ، يقول : فليس لهذا الكافر بالله يؤمئذ شيء يملكه ، فيفتدى به من عذاب ربه ، وإنما الأشياء كلها للذي إليه عقابه ، ولو كانت له الأشياء التي هي في الأرض ثم افتدى بما لم يقبل منه بدلا من عذابه . فيصرف بها عنه العذاب ، فكيف وهو لا شيء له يفتدى به منه ، وقد حقّ عليه عذاب الله ، يقول الله جل ثناؤه (ألا إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) يعني أن عذابه الذي أوعده هؤلاء المشركين على كفرهم حق ، فلا عليهم أن لا يستعجلوا به ، فإنه بهم واقع لا شك (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون حقيقة وقوع ذلك بهم ، فهم من أجل جهلهم به مكذبون .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره : إن الله هو الحي المميت لا يتعدّر عليه فعل ما أراد فعله من إحياء هؤلاء المشركين إذا أراد إحياءهم بعد مماتهم ولا إماتهم إذا أراد ذلك ، وهم إليه يصيرون بعد مماتهم ، فيعاینون ما كانوا به مكذبين من وعيد الله وعقابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره لخلق (يا أيُّها الناس قد جاء تكم موعظة من ربكم) يعنى ذكرى ، تذكركم عقاب الله ، وتخوفكم وعيده من ربكم ، يقول : من عند ربكم لم يخلقها محمد صلى الله عليه وسلم ولم يفتعلها أحد ، فتقولوا : لأننا نحن أن تكون لاصحة لها ، وإنما يعنى بذلك جل ثناؤه القرآن ، وهو الموعظة من الله . وقوله (وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ) يقول : ودواء لما في الصدور من الجهل ، يشفى به الله جهل الجهال ، فيبرى به داءهم ، ويهدى به من خلقه من أراد هدايته به (وَهُدًى) يقول : وهو بيان لحلال الله وحرامه ، ودليل على طاعته ومعصيته (وَرَحْمَةٌ) يرحم بها من شاء من خلقه ، فينقذه به من الضلالة إلى الهدى ، وينجيه به من الهلاك والردى ، وجعله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين به دون الكافرين به ، لأن من كفر به فهو عليه عى ، وفي الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلود فى لظى .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين بك ، وبما أنزل إليك من عند ربك (بِفَضْلِ اللَّهِ) أيها الناس الذى تفضل به عليكم ، وهو الإسلام ، فبينه لكم ، ودعاهم إليه (وَبِرَحْمَتِهِ) التى رحمكم بها ، فأنزلها إليكم ، فعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه ، وبصركم بها معالم دينكم ، وذلك القرآن (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) يقول : فإن الإسلام الذى دعاهم إليه والقرآن الذى أنزله عليهم ، خير مما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني على بن الحسين الأزدي ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الحجاج ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، فى قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) قال : بفضل الله القرآن وبرحمته أن جعلكم من أهله .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا فضيل ، عن منصور ، عن هلال بن يساف (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) قال : بالإسلام الذى هداكم ، وبالقرآن الذى علمكم . حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف

(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : بالإسلام والقرآن (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) من الذهب والفضة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، في قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : فضل الله : الإسلام ، ورحمته : القرآن .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا زيد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، في قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : الإسلام والقرآن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم وقبيصة ، قالا : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن هلال ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) أما فضله : فالإسلام ، وأما رحمته : فالقرآن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : فضله : الإسلام ، ورحمته : القرآن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : القرآن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَبِرَحْمَتِهِ) قال : القرآن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) قال : الأموال وغيرها .

حدثنا علي بن داود ، قال : ثني أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) يقول : فضله : الإسلام ، ورحمته : القرآن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن هلال (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) قال : بكتاب الله وبالإسلام (هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) .

وقال آخرون : بل الفضل : القرآن ، والرحمة : الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) قال : بفضل الله : القرآن ، ورحمته : حين جعلهم من أهل القرآن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، قال : فضل الله : القرآن ، ورحمته : الإسلام .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : بفضل الله : القرآن ، وبرحمته : الإسلام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) قال : كان أبي يقول : فضله : القرآن ، ورحمته : الإسلام .
واختلفت القراءة في قراءة قوله (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) فقرأ ذلك عامة قرآء الأمصار (فَلْيَفْرَحُوا) بالياء (هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) بالياء أيضا على التأويل الذي تأولناه من أنه خبر عن أهل الشرك بالله ، يقول : فبالإسلام والقرآن الذي دعاهم إليه فليفرح هؤلاء المشركون ، لا بالمال الذي يجمعون ، فان الإسلام والقرآن خير من المال الذي يجمعون .

وكذلك حدثت عن عبد الوهاب بن عطاء ، عن هارون ، عن أبي التياح (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) يعني الكفار .

وروى عن أبي بن كعب في ذلك ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أسلم المقرئ ، عن عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبيزى ، عن أبيه ، عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) بالتاء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم عن الأجلح ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبيزى ، عن أبيه ، عن أبي بن كعب مثل ذلك ، وكذلك كان الحسن البصري يقول : غير أنه فيما ذكر عنه كان يقرأ قوله (هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) بالياء الأول على وجه الخطاب . والثاني على وجه الخبر عن غائب ، وكان أبو جعفر القاري فيما ذكر عنه يقرأ ذلك نحو قراءة أبي بالتاء جميعا .

✽ قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قرآء الأمصار من قراءة الحرفين جميعا بالياء (فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) لمعنيين : أحدهما : إجماع الحجة من القرآء عليه . والثاني : صحته في العربية ، وذلك أن العرب لا تكاد تأمر المخاطب باللام والتاء ، وإنما تأمره فتقول ، افعل ولا تفعل . وبعد : فاني لأعلم أحدا من أهل العربية إلا وهو يستردى أمر المخاطب باللام ، ويرى أنها لغة مرغوب عنها غير الفراء ، فإنه كان يزعم أن اللام في ذى التاء الذي خلق له واجهت به أم لم تواجه ، إلا أن العرب حذفت اللام من فعل المأمور المواجه لكثرة الأمر خاصة في كلامهم ، كما حذفوا التاء من الفعل ، قال : وأنت تعلم أن الجازم والتأنيب لا يقعان إلا على الفعل الذي أوله الياء والتاء والنون والألف ، فلما حذفت التاء ذهبت اللام ، وأحدثت الألف في قولك : اضرب وافرح ، لأن الفاء ساكنة ، فلم يستقم أن يستأنف بحرف ساكن ، فأدخلوا ألفا خفيفة يقع بها الابتداء ، كما قالوا : ادركتم واثاقلم . وهذا الذي اعتل به الفراء عليه لاله ، وذلك أن العرب إن كانت قد حذفت اللام في المواجه وتركها ، فليس لغيرها إذا نطق بكلامها أن يدخل فيه ما ليس منه ، ما دام متكلمها بلغتها ، فإن فعل ذلك كان خارجا عن لغتها ، وكلام

الله الذي أنزله على محمد بلسانها ، فليس لأحد أن يتلوه إلا بالأفصح من كلامها ، وإن كان معروفا بعض ذلك من لغة بعضها ، فكيف بما ليس بمعروف من لغة حتى ولا قبيلة منها ، وإنما هو دعوى لا ثبت بها ولا حجة .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ أَزَيُّمُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آلَ اللَّهِ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لهؤلاء المشركين (أَرَأَيْتُمْ) أيها الناس (ما أنزل الله لكم من رِزْقٍ) يقول : ما خلق الله لكم من الرزق فخوراكموه ، وذلك ما تتغذون به من الأطعمة (فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا) يقول : فحللتم بعض ذلك لأنفسكم ، وحرمتم بعضه عليها وذلك كتحریمهم ما كانوا يحرمونه من حروثهم التي كانوا يجعلونها لأوثانهم ، كما وصفهم الله به ، فقال (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ، فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ ، وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا) ومن الأنعام ما كانوا يحرمونه بالتبشير والتسيب ونحو ذلك ، مما قدمناه فيما مضى من كتابنا هذا ، يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد (آلَ اللَّهِ أَذِنَ لَكُمْ) بأن تحرموا ما حرمت منه (أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) : أي تقولون الباطل وتكذبون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : إن أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها ، وهو قول الله (قُلْ أَرَأَيْتُمْ ما أنزل الله لكم من رِزْقٍ ، فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا) وهو هذا ، فأنزل الله تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ) . . . الآية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي . قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ أَرَأَيْتُمْ ما أنزل الله لكم من رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا) . . . إلى قوله (أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) قال : هم أهل الشرك .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله (فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا) قال : الحرث والأنعام .

قال ابن جريج : قال مجاهد : البحائر والسيب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا) قال : في البحيرة والسائبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا) . . . الآية ، يقول : كل رزق لم أحرم حرمتوه على أنفسكم من نسائكم وأموالكم وأولادكم (اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ) فيما حرمتم من ذلك (أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) ؟ حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا) فقرأ حتى بلغ (أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) : وقرأ (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا) . وقرأ (وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرِثٌ حِجْرٌ) . . . حتى بلغ (لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا) فقال : هذا قوله : جعل لهم رزقا ، فجعلوا منه حراما وحلالا ، وحرّموا بعضه ، وأحلّوا بعضه . وقرأ (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ : مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ، قُلْ آلَذْكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْإُنْثَيَيْنِ) أمّا اثنتيمسست عليهن أرحام الأنثيين (أَى هذين حرّم على هؤلاء الذين يقولون ؟ وأحلّ هؤلاء) نبشوني بعلم إن كنتم صادقين أم كنتم شهداء إذ وصّاكم الله بهذا) . . . إلى آخر الآيات .

حدثت عن الحسين بن الفرج : قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا) هو الذي قال الله : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا) . . . إلى قوله (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : وما ظنّ هؤلاء الذين يتخترصون على الله الكذب فيُضيفون إليه تحريم ما لم يحرمه عليهم من الأرزاق والأقوات التي جعلها الله لهم غذاء . أن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم وفيريتهم عليه ، يحسبون أنه يصفح عنهم ويغفر ، كلا بل يصليهم سعيرا خالدين فيها أبدا (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) يقول : إن الله لذو فضل على خلقه بتركه معاجلة من افتري عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا ، وإمهاله إياه إلى وروده عليه في القيامة (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) يقول : ولكن أكثر الناس لا يشكرونه على تفضله عليهم بذلك ، وبغيره من سائر نعمه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ

فِيهِ وَمَا يَغْرِبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَمَا تَكُونُ) يا محمد (فِي شَأْنٍ) يعني في عمل من الأعمال (وَمَا تَتَلَوُ مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ) يقول : وما تقرأ من كتاب الله من قرآن (وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ) يقول : ولا تعملون من عمل أيها الناس من خير أو شر (إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا) يقول : إلا ونحن شهود لأعمالكم وشئونكم ، إذ تعملونها وتأخذون فيها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك روى القول عن ابن عباس وجماعة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) يقول : إذ تفعلون .

وقال آخرون : معنى ذلك : إذ تشيعون في القرآن الكذب .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاك (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) يقول : فتشيعون في القرآن من الكذب .

وقال آخرون : معنى ذلك : إذ تفيضون في الحق .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) في الحق ما كان .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

ولما اخترنا القول الذي اخترناه فيه ، لأنه تعالى ذكره أخبر أنه لا يعمل عبادة عملاً إلا كان شاهده ، ثم وصل ذلك بقوله (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) فكان معلوماً أن قوله (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) إنما هو خبر منه عن وقت عمل العاملين ، أنه له شاهد لاعت وقت تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ، لأن ذلك لو كان خبراً عن شهوده تعالى ذكره وقت إفاضة القوم في القرآن ، لكانت القراءة بالياء (إِذْ يُفِيضُونَ فِيهِ) خبراً منه عن المكذبين فيه .

فإن قال قائل : ليس ذلك خبراً عن المكذبين ، ولكن خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أنه شاهده إذ تلا القرآن ، فإن ذلك لو كان كذلك لكان التنزيل : إذ تفيض فيه ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم واحد لاجمع

(١) قوله « فإن ذلك » : هو ابتداء رد المؤلف على الاعتراض الذي قدمه .

كما قال (وَمَا تَسْتَلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ) فأفرده بالخطاب ، ولكن ذلك ١ في ابتدائه خطابه صلى الله عليه وسلم بالإفراد ، ثم عوده إلى إخراج الخطاب على الجمع ، نظير قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ) وذلك أن في قوله (إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ) دليلا واضحا على صرفه الخطاب إلى جماعة المسلمين مع النبي صلى الله عليه وسلم مع جماعة الناس غيره ٢ ، لأنه ابتداء خطابه ، ثم صرف الخطاب إلى جماعة الناس ، والنبي صلى الله عليه وسلم فيهم ، وخبر عن أنه لا يعمل أحد من عباده عملا إلا وهو له شاهد يخصه عليه ، ويعلمه كما قال (وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ) يا محمد عمل خلقه ، ولا يذهب عليه علم شيء حيث كان من أرض أو سماء ، وأصله من عزوب الرجل عن أهله في ما شئته ، وذلك غيبته عنهم فيها ، يقال منه : عزب الرجل عن أهله يعزب ، ويعزب لغتان فصيحتان ، قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء ، وبأيتهما قرأ القارئ فصيب ، لاتفاق معنيهما واستفاضتهما في منطق العرب ، غير أني أميل إلى الضم فيه ، لأنه أغلب على المشهورين من القراء .

وقوله (مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ) يعنى : من زنة نملة صغيرة ، يحكى عن العرب : نخذ هذا فإنه أخف مثقالا من ذاك : أى أخف وزنا ، والذرة واحدة الذر ، والذر : صغار النمل ، وذلك خبر عن أنه لا يخفى عليه جل جلاله أصغر الأشياء ، وإن خف في الوزن كل الحففة ، ومقادير ذلك ومبلغه ، ولا أكبرها وإن عظم وثقل وزنه ، وكم مبلغ ذلك ؟ يقول تعالى ذكره لخلقهم : فليكن عملكم أيها الناس فيما يرضى ربكم عنكم ، فإننا شهود لأعمالكم ، لا يخفى علينا شيء منها ، ونحن محصوها ومجازوكم بها .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ) فقرأ ذلك عامة القراء بفتح الراء من أصغر وأكبر على أن معناها الخفض عطفًا بالأصغر على الذرة ، وبالأكبر على الأصغر ، ثم فتحت راؤها ، لأنهما لا يجريان . وقرأ ذلك بعض الكوفيين (وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ) رفعا ، عطفًا بذلك على معنى المثقال ، لأن معناه الرفع ، وذلك أن من لو ألقى من الكلام لرفع المثقال ، وكان الكلام حينئذ وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ، ولا أصغر من مثقال ذرة ، ولا أكبر ، وذلك نحو قوله : (مِنْ خَالِقِ غَسِيرُ اللَّهِ) وغير الله .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بالفتح على وجه الخفض ، والرد على الذرة ، لأن ذلك قراءة قراء الأمصار ، وعليه عوام القراء ، وهو أصح في العربية مخرجا وإن كان للأخرى وجه معروف . وقوله (إِلَّا فِي كِتَابٍ) يقول : وما ذاك كله إلا في كتاب عند الله مبين ، عن حقيقة خبر الله لمن نظر فيه أنه لا شيء كان أو يكون إلا وقد أحصاه الله جل ثناؤه فيه ، وأنه لا يعزب عن الله علم شيء من خلقه حيث كان من سمائه وأرضه .

(١) قوله « ولكن ذلك . . . الخ » : هو من استدراك المؤلف على ذلك الاعتراض المتقدم في قوله « فإن قال قائل » .

(٢) قوله « مع جماعة الناس غيره » عبارة زائدة ، يستغنى عنها الكلام ، أو لعلها سقط منها شيء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا يَعْزُبُ) يقول : لا يغيب عنه .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ) قال : ما يغيب عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

الْآنَ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

يقول تعالى ذكره : ألا إن أنصار الله لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله ، لأن الله رضى عنهم ، فآمنهم من عقابه ، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا ، والأولياء جمع ولي ، وهو النصير . وقد بينا ذلك بشواهد .

واختلف أهل التأويل فيمن يستحق هذا الاسم ، فقال بعضهم : هم قوم يذكر الله لرؤيتهم لما عليهم من سماء الخير والإحبات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، وسعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) قال : الذين يذكر الله لرؤيتهم .

حدثنا أبو كريب وأبو هشام ، قالا : ثنا ابن يمان ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبيرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبي الصمحي ، مثله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبيه ، (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) قال : الذين يذكر الله لرؤيتهم .

قال : ثنا ابن مهدي وعبيد الله ، عن سفيان ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبي الصمحي ، قال : سمعته يقول في هذه الآية (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) قال : من الناس مفاتيح إذا رءوا ذكر الله لرؤيتهم .

قال : ثنا أبي ، عن مسعر ، عن سهل بن الأسد ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله ، فقال « الَّذِينَ إِذَا رَأَوْا ذُكِرَ اللَّهُ » .

قال : ثنا زيد بن حباب ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي وائل ، عن عبد الله (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) قال : الذين إذا رءوا ذكر الله لرؤيتهم .

قال : ثنا أبو یزید الرازی ، عن یعقوب ، عن جعفر ، عن سعید بن جبیر ، عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم قال « هُمُ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللَّهُ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا فرات ، عن أبي سعد ، عن سعید بن جبیر ، قال : سئل النبی صلی اللہ علیہ وسلم عن أولیاء اللہ ، قال « هُمُ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللَّهُ » .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام ، عن عبد اللہ بن أبي الهذیل فی قوله (ألا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) . . . الآية ، قال : إن ولی اللہ إذا روى ذکر اللہ .

وقال آخرون فی ذلك بما حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا أبو فضیل ، قال : ثنا أبي عن عمارة

ابن القعقاع الضبي ، عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حمزة البجلي ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول اللہ

صلی اللہ علیہ وسلم : « إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ ، قِيلَ : مَنْ هُمْ

يا رسول اللہ ، فلعننا نحبهم ؟ قال : هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَمْوَالٍ وَلَا أَنْسَابٍ ، وَجُوهُهُمْ

مِنْ نُورٍ . عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ ،

وَقَرَأَ (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير . عن عمارة ، عن أبي زرعة ، عن عمر بن الخطاب ، قال : قال

رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم : « إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا هُمْ بِأَنْبِيَاءٍ وَلَا شُهَدَاءٍ يَغْبِطُهُمُ

الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ اللَّهِ ، قَالُوا : يا رسول اللہ أخبرنا من هم ، وما

أعمالهم ، فإننا نحبهم لذلك ؟ قال : هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا

أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا . فَوَاللَّهِ إِنَّ وَجُوهَهُمْ لَنُورٌ ، وَلَهُمْ لَعَلَى نُورٍ ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ

وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ) » .

حدثنا الحسن بن نصر الحولاني ، قال : ثنا يحيى بن حسان ، قال : ثنا عبد الحميد بن بهرام ، قال :

ثنا شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن أبي مالك الأشعري ، قال : قال رسول اللہ صلی اللہ

عليه وسلم : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا النَّاسِ وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ قَوْمٌ لَمْ يَتَّصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ

تَحَابُّوا فِي اللَّهِ ، وَتَصَافَوْا فِي اللَّهِ يَتَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيَجْلِسُ فِيهَا عَلَيْهِمْ

يَفْزَعُ النَّاسُ فَلَا يَفْزَعُونَ ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » .

والصواب من القول فی ذلك أن يقال : الولي : أعنى ولی اللہ ، هو من كان بالصفة التي وصفه اللہ

بها ، وهو الذي آمن واتی ، كما قال اللہ (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) .

وبنحو الذي قلنا فی ذلك ، كان ابن زید يقول : حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال :

قال ابن زید ، فی قوله (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) من هم يارب ؟

قال (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) قال : أبي أن يتقبل الإيمان إلا بالتقوى .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره : الذين صدّقوا الله ورسوله ، وما جاء به من عند الله ، وكانوا يتقون الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه . وقوله (الَّذِينَ آمَنُوا) من نعت الأولياء . ومعنى الكلام : ألا إن أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لاخوف عليهم ولا هم يحزنون .

فإن قال قائل : فإذا كان معنى الكلام ما ذكرت عندك أفى موضع رفع الذين آمنوا ، أم فى موضع نصب ؟ قيل : فى موضع رفع ، وإنما كان كذلك ، وإن كان من نعت الأولياء لمحبيته بعد خبر الأولياء ، والعرب كذلك تفعل خاصة فى إن ، إذا جاء نعت الاسم الذى عملت فيه بعد تمام خبره رفعوه . فقالوا : إن أخاك قائم الظريف ، كما قال الله (قُلْ إِنْ رَبِّى يَتَقَذِّفْ بِالْحَقِّ عِلَامُ الْغُيُوبِ) وكما قال (إِنْ ذَلِكَ لَحَقُّ تَخَاصُمِ أَهْلِ النَّارِ) .

وقد اختلف أهل العربية فى العلة التى من أجلها قيل ذلك كذلك ، مع أن إجماع جميعهم على أن ما قلناه هو الصحيح من كلام العرب ، وليس هذا من مواضع الإبانة عن العلل التى من أجلها قيل ذلك كذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : البشرى من الله فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لأولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون . ثم اختلف أهل التأويل فى البشرى التى بشر الله بها هؤلاء القوم ما هى ، وما صفتها ؟ فقال بعضهم : هى الرؤية الصالحة يراها الرجل المسلم ، أو ترى له ، وفى الآخرة الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن ذكوان ، عن شيخ ، عن أبي الدرداء ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تَرَىٰ لَهُ » .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : أخبرنا الأوزاعي ، قال : أخبرني يحيى بن أبي كثير ، قال : ثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال : سأل عبادة بن الصامت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن هذه الآية (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ ، أَوْ قَالَ : غَيْرَكَ ، قَالَ : هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، أَوْ تَرَىٰ لَهُ » .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو داود عن ذكره ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عبادة بن الصامت ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قول الله تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تَرَى لَهُ » .

حدثنا أبو قلابة ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا أبان ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا ابن المثنى وأبو عثمان بن عمر ، قالا : ثنا علي بن يحيى ، عن أبي سلمة ، قال : نبئت أن عبادة ابن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فقال : « سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ ، أَوْ تَرَى لَهُ » .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أنى صالح ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، عن أبي الدرداء (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قال : سأل رجل أبا الدرداء عن هذه الآية ، فقال : لقد سألتني عن شيء ما سمعت أحدا سأل عنه بعد رجل سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ أَوْ تَرَى لَهُ » ، بُشْرَاهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَبُشْرَاهُ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ » .

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، عن سفيان ، عن ابن المنكدر ، عن عطاء ابن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، قال : « سألت أبا الدرداء عن هذه الآية (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فقال : ما سألتني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرك ، إلا رجلا واحدا ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ مُنْذُ أَنْزَلَهَا اللَّهُ غَيْرَكَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا ، هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ ، أَوْ تَرَى لَهُ » .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن المنكدر ، سمع عطاء بن يسار ، يخبر عن رجل من أهل مصر ، أنه سأل أبا الدرداء عن (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) ثم ذكر نحو حديث سعيد بن عمرو السكوني ، عن عثمان بن سعيد .

حدثني أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا عمر بن عمرو بن عبد الأخموشي ، عن حميد بن عبد الله المزني ، قال : أتى رجل عبادة بن الصامت ، فقال : آية في كتاب الله أسألك عنها ، قول الله تعالى (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فقال عبادة : ما سألتني عنها أحد قبلك ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال مثل ذلك : « مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ قَبْلَكَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ . يَرَاهَا الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ فِي الْمَنَامِ أَوْ تَرَى لَهُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : حدثنا هشام ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ هِيَ الْبُشْرَى يَرَاهَا الْمُسْلِمُ ، أَوْ تُرَى لَهُ» .
قال : ثنا أبو بكر ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، قال : قال أبو هريرة : الرؤيا الحسنة بشرى من الله ، وهى المبشرات .

حدثنا محمد بن حاتم المؤدّب ، قال : ثنا عمار بن محمد ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم «لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» : الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ ، وَهِيَ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ» .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، قال : ثنا رشدين بن سعد ، عن عمرو بن الحرث ، عن أبي الشيخ ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) : الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يُبَشِّرُ بِهَا الْعَبْدُ جُزْءٌ مِّنْ تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِّنَ النَّبُوَّةِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد بن صفوان ، عن عبادة بن الصامت ، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فقد عرفنا بشرى الآخرة ، فما بشرى الدنيا ؟ قال : الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْعَبْدُ ، أَوْ تُرَى لَهُ ، وَهِيَ جُزْءٌ مِّنْ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا ، أَوْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِّنَ النَّبُوَّةِ » .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبو عمرو ، قال : ثنا يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن عبادة بن الصامت ، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن هذه الآية (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فقال : «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَّاسَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِّنْ أُمَّتِي قَبْلَكَ : هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ ، وَفِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ» .

حدثنا أحمد بن حماد الدولابي ، قال : ثنا سفيان ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، عن أبيه ، عن سباع بن ثابت ، عن أم كرز الكعبية ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ذَهَبَتِ النَّبُوَّةُ وَبَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن الأعمش ، عن ذكوان ، عن رجل ، عن أبي الدرداء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ ، وَفِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ» .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل كان بمصر ، قال : سألت أبا الدرداء عن هذه الآية (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فقال أبو الدرداء : ماسألني عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَاسَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ قَبْلَكَ : هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ ، وَفِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ » .

قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي الدرداء ، قال : « سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله (لَهْمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قال : ما سألتني عنها أحدٌ غيرك : هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تَرَى لَهُ » .

قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي الدرداء في قوله (لَهْمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قال : سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ما سألتني عنها أحدٌ قبلك : هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْعَبْدُ أَوْ تَرَى لَهُ ، وَفِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ » .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي صالح ، قال ابن عيينة : ثم سمعته من عبد العزيز ، عن أبي صالح السمان ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، قال : سألت أبا الدرداء عن هذه الآية (لَهْمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : ما سألتني عنها أحدٌ منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ما سألتني عنها أحدٌ منذ أنزلت عليَّ إلا رجُلٌ واحدٌ : هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تَرَى لَهُ » .

قال : ثنا عبد الله بكر السهمي . عن حاتم بن أبي صغيرة . عن عمرو بن دينار أنه سأل رجلاً من أهل مصر فقيها قدم عليهم في بعض تلك المواسم . قال : قلت : ألا تخبرني عن قول الله تعالى (لَهْمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : سألت عنها أبا الدرداء . فأخبرني أنه سأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « هِيَ الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ يَرَاهَا الْعَبْدُ أَوْ تَرَى لَهُ » .

قال : ثنا أبي ، عن علي بن مبارك ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عبادة ابن الصامت ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى (لَهْمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : « هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْعَبْدُ أَوْ تَرَى لَهُ » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم وأبو الوليد الطيالسي ، قالوا : ثنا أبان ، قال : ثنا يحيى ، عن أبي سلمة ، عن عبادة بن الصامت ، قال : قلت : يا رسول الله ، قال الله تعالى (لَهْمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فقال : لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ أَوْ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي قَالَ : هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تَرَى لَهُ » .

قال : ثنا الحجاج بن المهال . قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عاصم بن بهدلة . عن أبي صالح ، قال : سمعت أبا الدرداء ، وسئل عن (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهْمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : ما سألتني عنها أحدٌ قبلك منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال : « ما سألتني عنها أحدٌ قبلك : هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْعَبْدُ أَوْ تَرَى لَهُ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج . عن عبيد الله بن أبي يزيد ، عن نافع بن جبير . عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله (لَهْمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : « هِيَ الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ يَرَاهَا الْإِنْسَانُ أَوْ تَرَى لَهُ » .

وقال ابن جريج عن عمرو بن دينار ، عن أبي الدرداء ، أو ابن جريج عن محمد بن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي الدرداء ، قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال : «هي الرؤيا الصالحة» وقال ابن جريج ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : هي الرؤيا يراها الرجل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، قال : هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : هي الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح .

قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له .

قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن طلحة القناد ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : هي الرؤيا الحسنة يراها العبد المسلم لنفسه أو لبعض إخوانه .

قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : كانوا يقولون : الرؤيا من المبشرات .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة قال : ثنا شبل ، عن قيس بن سعد «أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال : ما سألتني عنها أحدٌ مِن أُمَّتِي مُنْذُ أَنْزَلْتُ عَلَى قَبْلِكَ ، قال : هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل لنفسه أو ترى له .»

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن العوام ، عن إبراهيم التيمي ، أن ابن مسعود قال : ذهبت النبوة ، وبقيت المبشرات ، قيل : وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له .

قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فهو قوله لنبيه (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمُ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) قال : هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو ترى له .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن يزيد ، عن عطاء ، في قوله (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : هي رؤيا الرجل المسلم يبشر بها في حياته .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، أن دراجاً أبا السمع حدثه عن عبد الرحمن بن جبيرة ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) : الرؤيا الصالحة يبشر بها المؤمن جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا أنس بن عياض ، عن هشام ، عن أبيه في هذه الآية (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا حميد بن عبد الله أن رجلاً

سأل عبادة بن الصامت ، عن قول الله تعالى (كَلِّمُوا الْبَشَرِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) فقال عبادة : لقد سألتني عن أمر ما سألتني عنه أحد قبلك ، ولقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألتني فقال لي : يا عبادة لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ أَمْرٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي ، تِلْكَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ لِنَفْسِهِ أَوْ تَرَى لَهُ .

وقال آخرون : هي بشارة يبشر بها المؤمن في الدنيا عند الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، وقتادة (كَلِّمُوا الْبَشَرِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : هي البشارة عند الموت في الحياة الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى ، عن أبي بسطام ، عن الضحاك (كَلِّمُوا الْبَشَرِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : يعلم أين هو قبل الموت .

وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَخْبَرَ أَنْ لَأُولِيَّائِهِ الْمُتَّقِينَ الْبَشَرِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمِنَ الْبَشَارَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ ، أَوْ تَرَى لَهُ . مِنْهَا بَشَرَى الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ بِرَحْمَةِ اللَّهِ ، كَمَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّتِي تَخْضُرُهُ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ ، تَقُولُ لِنَفْسِهِ : أَخْرِجِي إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ » ، وَمِنْهَا : بَشَرَى اللَّهِ إِيَّاهُ مَا وَعَدَهُ فِي كِتَابِهِ ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) . . . الآية ، وَكُلَّ هَذِهِ الْمَعَانِي مِنْ بَشَرَى اللَّهِ إِيَّاهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَشَرَهُ بِهَا ، وَلَمْ يَخْصُصْ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ مَعْنَى دُونَ مَعْنَى ، فَذَلِكَ مِمَّا عَمَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ (كَلِّمُوا الْبَشَرِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَالْجَنَّةُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) فَإِنْ مَعْنَاهُ : إِنَّ اللَّهَ لَا خِلَافَ لْوَعْدِهِ ، وَلَا تَغْيِيرَ لِقَوْلِهِ عَمَّا قَالَ وَلَكِنَّهُ يَمْضِي لِحَلْقِهِ مَوَاعِيدِهِ ، وَيَنْجِزُهَا لَهُمْ .

وقد حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية عن أيوب ، عن نافع ، قال : أطال الحجاج الخطبة ، فوضع ابن عمر رأسه في حجرى ، فقال الحجاج : إن ابن الزبير بدّل كتاب الله ، فقعد ابن عمر فقال : لا تستطيع أنت ذاك ولا ابن الزبير (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) فقال الحجاج : لقد أوتيت علما أن تفعل ١ ، قال أيوب : فلما أقبل عليه في خاصة نفسه سكّت .

وقوله (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) يقول تعالى ذكره : هذه البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة هي الفوز العظيم ، يعنى الظفر بالحاجة والطلبة والنجاة من النار .

(١) قوله « أن تفعل » كذا المحفوظة رقم ١٠٠ بدار الكتب : ولكن الكلمة عادية من النقط .

القول في تاويل قوله تعالى :

وَلَا يَخْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا يخزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين في ربهم ما يقولون ، وإشراكهم معه الأوثان والأصنام ، فإن العزة لله جميعا ، يقول تعالى ذكره : فإن الله هو المنفرد بعزة الدنيا والآخرة لأشريك له فيها ، وهو المنتقم من هؤلاء المشركين القائلين فيه من القول الباطل ما يقولون ، فلا ينصرهم عند انتقامه منهم أحد ، لأنه لا يعازره شيء (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) يقول : وهو ذو السمع لما يقولون من الفرية والكذب عليه ، وذو علم بما يضمرونه في أنفسهم ويعلنونه ، محصى ذلك عليهم كله ، وهو لهم بالمرصاد ، وكسرت « إن » من قوله (إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) لأن ذلك خبر من الله مبتدأ ، ولم يعمل فيها القول ، لأن القول عني به قول المشركين ، وقوله (إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) لم يكن من قيل المشركين ، ولا هو خبر عنهم أنهم قالوه .

القول في تاويل قوله تعالى :

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾

يقول تعالى ذكره (أَلَا إِنَّ لِلَّهِ) يا محمد كل (مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) ملكا وعبيدا لأمالك لشيء من ذلك سواه ، يقول : فكيف يكون لها معبودا من يعبد هؤلاء المشركون من الأوثان والأصنام ، وهي لله ملك ، وإنما العبادة للمالك دون المملوك ، وللرب دون المربوب (وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ) يقول جل ثناؤه : وأي شيء يتبع من يدعو من دون الله ، يعني غير الله وسواه شركاء . ومعنى الكلام : أي شيء يتبع من يقول : لله شركاء في سلطانه وملكه كاذبا ، والله المنفرد بملك كل شيء في سماء كان أو أرض (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) يقول : ما يتبعون في قلوبهم ذلك ودعواهم إلا الظن ، يقول : إلا الشك لا اليقين (وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) يقول : وإن هم إلا يتقولون الباطل تظننا وتخارصا للإفك عن غير علم منهم بما يقولون .

القول في تاويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهَا وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى ذكره : إن ربكم أيها الناس الذي استوجب عليكم العبادة (هُوَ) الرب (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ) وفصله من النهار (لِتَسْكُنُوا فِيهِ) مما كنتم فيه في نهاركم من التعب والنصب ، وتهدهوا

فيه من التصرف والحركة للمعاش والعناء الذي كنتم فيه بالنهار (وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) يقول : وجعل النهار مبصرا ، فأضاف الإبصار إلى النهار ، وإنما يبصر فيه ، وليس النهار مما يبصر ، ولكن كان مفهوما في كلام العرب معناه ، خاطبهم بما في لغتهم وكلامهم ، وذلك كما قال جرير :

لَقَدْ لُمْتُنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السَّرَى وَنَحْتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَانِمْ

فأضاف النوم إلى الليل ووصفه به ، ومعناه نفسه أنه لم يكن نائما فيه هو ولا بعيره ، يقول تعالى ذكره : فهذا الذي يفعل ذلك هو ربكم الذي خلقكم وما تعبدون ، لا ما لا ينفع ولا يضر ، ولا يفعل شيئا .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) يقول تعالى ذكره : إن في اختلاف حال الليل والنهار ، وحال أهلها فيهما دلالة وحججا على أن الذي له العبادة خالصا بغير شريك ، هو الذي خلق الليل والنهار ، وخالف بينهما ، بأن جعل هذا المخلوق سكنا ، وهذا لهم معاشا دون من لا يخلق ولا يفعل شيئا ، ولا يضر ولا ينفع وقال (لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) لأن المراد منه : الذين يسمعون هذه الحجج ويتفكرون فيها ، فيعتبرون بها ويتعظون ، ولم يرد به الذين يسمعون بأذانهم ، ثم يعرضون عن عبره وعظاته .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد اتخذ الله ولدا ، وذلك قولهم : الملائكة بنات الله ، يقول الله منزها نفسه عما قالوا وافتروا عليه من ذلك : سبحانه الله ، تنزيها لله عما قالوا وادّعوا على ربهم . (هُوَ الْغَنِيُّ) يقول : الله غني عن خلقه جميعا ، فلا حاجة به إلى ولد ، لأن الولد إنما يطلبه من يطلبه ليكون عوناً له في حياته ، وذكرنا له بعد وفاته ، والله عن كل ذلك غني ، فلا حاجة به إلى معين يعينه على تدبيره ولا يبيد ، فيكون به حاجة إلى خلف بعده (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : لله ما في السماوات وما في الأرض ملكا والملائكة عباده وماكه ، فكيف يكون عبد الرجل وملكه له ولدا ، يقول : أفلا تعقلون أيها القوم خطأ ما تقولون (إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا) يقول : ما عندكم أيها القوم بما تقولون وتدّعون من أن الملائكة بنات الله من حجة تحتاجون بها وهي السلطان (أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ) قولا لا تعلمون حقيقته وصحته ، وتضيفون إليه ما لا يجوز إضافته إليه جهلا منكم بغير حجة ولا برهان .

(١) البيت لجرير (ديوانه طبعة الصاوي ص ٥٥) ... وأم غيلان ابنة جرير . والسرى : سيرهم بالليل ، وقوله : « ما ليل المطي »

بنائهم « أسند النوم إلى الليل إسنادا مجازيا عقليا ، وأراد أنه نفسه لا ينام في ليل السرى ، والإسناد هنا إلى ظرف الزمان وهو الليل ، النوم يقع فيه .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ
ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لهم (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) فيقولون عليه الباطل ، ويدّعون له ولدا (لَا يُفْلِحُونَ) يقول : لا يبقون في الدنيا ، ولكن لهم (مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا) يمتنعون به ، وبلاغ يتبلغون به إلى الأجل الذي كتب فناؤهم فيه (ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ) يقول : ثم إذا انقضى أجلهم الذي كتب لهم إلينا مصيرهم ومنقلبهم (ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ) وذلك لإصلاؤهم جهنم (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) بالله في الدنيا ، فيكذبون رسله ، ويحسدون آياته ، ورفع قوله (مَتَاعٌ) بمضمر قبله إما ذلك ، وإما هذا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنذِرْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كِبُرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيِّنَاتٍ لِّأَنَّ اللَّهَ فَعَلَى اللَّهِ
تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأتل على هؤلاء المشركين الذين قالوا : اتخذ الله ولدا من قومك (نَبَأَ نُوحٍ) يقول : خبر نوح (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كِبُرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي) يقول : إن كان عظم عليكم مقامى بين أظهركم ، وشق عليكم (وَتَذِكْرِي بَيِّنَاتٍ لِّأَنَّ اللَّهَ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ) يقول : إن كان شق وعظمى إياكم بحجج الله ، وتنبيهى إياكم على ذلك (فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ) يقول : إن كان شق عليكم مقامى بين أظهركم ، وتذكيرى بآيات الله ، فعزمت على قتلى أو طردى من بين أظهركم ، فعلى الله اتكالى وبه ثقى ، وهو سندی وظهري (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ) يقول : فأعدوا أمركم ، واعزموا على ما تقدمون عليه في أمرى ، يقال منه : أجمعت على كذا ، بمعنى : عزمت عليه ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم «مَنْ لَمْ يُجْمِعْ عَلَى الصَّوْمِ مِنَ اللَّيْلِ فَلَا صَوْمَ لَهُ» بمعنى : من لم يعزم ، ومنه قول الشاعر :

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمَسْقَى لَا تَنْفَعُ هَلْ أَغْدُونَ يَوْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعٌ ١

(١) هذا البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (١٣١ مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) وأورده صاحب اللسان في (جمع) . قال : وجمع أمره وأجمعه ، وأجمع عليه : عزم عليه ، كأنه جمع نفسه له . والأمر بجمع . ويقال أيضا : أجمع أمرك ولا تدعه منتشرًا : وقوله تعالى «فأجمعوا أمركم وشركاءكم» أى وادعوا شركاءكم ، كذلك هى فى قراءة عبد الله يريد «عبد الله بن عامر مقرئ»

وروى عن الأعرج في ذلك ما حدثني بعض أصحابنا عن عبد الوهاب عن هارون ، عن أسيد ، عن الأعرج : (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ) يقول : أحكموا أمركم وادعوا شركاؤكم ، ونصب قوله : وشركاءكم بفعل مضمر له ، وذلك : وادعوا شركاءكم ، وعطف بالشركاء على قوله (أَمْرَكُمْ) على نحو قول الشاعر :

وَرَأَيْتُ زَوْجَكَ فِي الْوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمَحًا

فالرمح لا يتقلد ، ولكن لما كان فيما أظهر من الكلام دليل على ما حذف ، فاكتفى بذكر ما ذكر منه مما حذف ، فكذا ذلك في قوله (وَشُرَكَاءَكُمْ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته قراءة الأمصار (وَشُرَكَاءَكُمْ) نصبا ، وقوله (فَأَجْمِعُوا) بهمز الألف وفتحها ، من أجمعت أمري فأنا أجمعه إجماعا ؛ وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ) بفتح الألف وهمزها (وَشُرَكَاءَكُمْ) بالرفع على معنى : وأجمعوا أمركم ، وليجمع أمرهم أيضا معكم شركاؤكم .

والصواب من القول في ذلك : قراءة من قرأ (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ) بفتح الألف من أجمعوا ، ونصب الشركاء ، لأنها في المصحف بغير واو ، ولإجماع الحجة على القراءة بها ، ورفض ما خالفها ، ولا يعترض عليها بمن يجوز عليه الخطأ والسهو ، وعنى بالشركاء آلهتهم وأوثانهم . وقوله (ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمًّا) يقول : ثم لا يكن أمركم عليكم ملتبسا مشكلا مبهما من قولهم : غم على الناس الهلال ، وذلك إذا أشكل عليهم فلم يتبينوه ، ومنه قول رؤبة :

أهل الشام (لأنه لا يقال : أجمعت شركاؤني إنما يقال : جمعت قال الشاعر :

يَا لَيْتَ زَوْجَكَ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمَحًا

أراد : وحاملا رمحا . وقال الفراء : الإجماع الإعداد والعزيمة على الأمر . قال : ونصبت الشركاء بفعل مضمر ، كأنك قلت : فأجمعوا أمركم وادعوا شهداءكم . قال أبو إسحاق (يعني إبراهيم بن السري الزجاج من نخاة البصريين توفي سنة ٨٣١) : الذي قاله الفراء غلط ، في إضماره : « وادعوا شركاءكم » لأن الكلام لا فائدة له ، لأنهم كانوا يدعون شركاءهم لأن يجمعوا أمرهم . قال : والمعنى : فأجمعوا أمركم مع شركائكم . قال : وإذا كان الدعاء لغير شيء (أي لأن الأصنام لا تعقل الدعاء) فلا فائدة فيه . قال : والواو بمعنى مع ، كقولك (لو تركت الناقة وفصيلها لرضمها) . المعنى : لو تركت الناقة مع فصيلها . قال : ومن قرأ : (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) بألف موصولة ، فإنه يعطف شركاءكم على أمركم . قال ويجوز : فأجمعوا أمركم مع شركائكم . وقال الفراء في معاني القرآن : وقد قرأها الحسن (يعني ابن أبي الحسن البصري) : وشركاؤكم ، بالرفع ، وإنما الشركاء ههنا آلهتهم . كأنه أراد أجمعوا أمركم أنتم وشركاؤكم . قال : ولست أشبهه ، لخلافه للكتاب . ولأن المعنى فيه ضعيف ، لأن الآلهة لا تعمل ولا تجمع .

(١) هذا البيت تكرر الاستشهاد به في هذا التفسير (انظره في ٣ : ٢٧٥ ، ٧ : ٢٩٤) والرمح لا يتقلد ، وإنما يتقلد السيف ، فلا يكون الرمح معطوفا على سيف ، ولا مفعولا معه . وقد روا أنه منصوب بمضمر ، أي وحاملا رمحا . وقال محمد بن زيد المبرد (كما في تفسير القرطبي ٨ : ٣٦٣) : هو معطوف على المعنى ، والرمح لا يتقلد إلا أنه محمول كالسيف . فلهذا المبرد إذن هو تأويل لفظ متقلدا بلفظ يصلح تسليطه على كل من المعطوف والمعطوف عليه ، مثل لفظة « حاملا » ، وتكون الواو إذن عاملة .

بَلْ لَوْ شَهِدَتِ النَّاسَ إِذْ تُكْمُوا بِغُمَّةٍ لَوْ كَمْ تُفَرِّجُ غُمُومًا

وقيل : إن ذلك من الغم ، لأن الصدر يضيق به ، ولا يتبين صاحبه لأمره مصدرا يصدره يتفرج عنه ما بقلبه ، ومنه قول خنساء :

وَذِي كُرْبَةٍ رَأَيْتُ رَأْحَى ابْنَ عَمْرٍو خِنَاقَهُ وَغُمَّتْهُ عَنْ وَجْهِهِ فَتَجَلَّتْ

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَمْرُكُمْ عَلَى كُمْ غُمَّةٌ) قالوا : لا يكبر عليكم أمركم .

وأما قوله (ثُمَّ اقْضُوا إِلَى) فإن معناه : ثم امضوا إلى ما في أنفسكم وافرغوا منه .

كما حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ثُمَّ اقْضُوا إِلَى وَلَا تُنْظِرُونَ) قال : اقضوا إلى ما كنتم قاضين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (ثُمَّ اقْضُوا إِلَى وَلَا تُنْظِرُونَ) قال : اقضوا إلى ما في أنفسكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

واختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى قوله (ثُمَّ اقْضُوا إِلَى) فقال بعضهم : معناه : امضوا إلى ، كما يقال : قد قضى فلان : يراد : قد مات ومضى .

وقال آخرون منهم : بل معناه : ثم افرغوا إلى ، وقالوا : القضاء : الفراغ ، والقضاء من ذلك ، قالوا : وكان قضى دينه من ذلك إنما هو فرغ منه . وقد حكى عن بعض القراء أنه قرأ ذلك (ثُمَّ اقْضُوا إِلَى) بمعنى : توجهوا إلى حتى تصلوا إلى ، من قولهم : قد أفضى إلى الوجد وشبهه . وقوله (وَلَا تُنْظِرُونَ) يقول : ولا تؤخرون من قول القائل : أنظرت فلانا بما لي عليه من الدين ، وإنما هذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول نبيه نوح عليه السلام لقومه : إنه بنصرة الله له عليهم واثق ، ومن كيدهم وتوابعهم غير خائف ، وإعلام منه لهم أن آلهتهم لا تنفع ولا تنفع ، يقول لهم : امضوا ما تحذثون أنفسكم به في على عزم منكم صحيح ، واستعينوا من شايحكم على بالهتكم التي تدعون من دون الله ، ولا تؤخروا ذلك فإني قد توكلت على الله ، وأنا به واثق أنكم لا تنصرونني إلا أن يشاء ربي ، وهذا وإن كان خبرا من الله تعالى عن نوح ، فإنه حث من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على التأسي به ، وتعريف منه سبيل الرشاد فيما قلده من الرسالة والبلاغ عنه .

(١) البيتان في ديوان المعراج طبع لبيسك سنة ١٩٠٣ ص ٦٣ (وهما مطلع أرجوزة له يذكر مسعود بن عمرو العتكي من الأزدي) . ونسبه له القرطبي في تفسيره ، وابن منظور في اللسان (كم) قال : وكم الفصيل إذا أشفق عليه ، فستر حتى يقوى ، قال المعراج : « بل لو شهدت . . . البيت . . . وبين بيتي الشاهد بيت : وهو « بقدر رحم لهم حموا » . والغم والنمة : الكرب . وتكوا : أي غطوا بالغم . ورحم لهم : قدر .

(٢) الكربة : الغم الذي يأخذ بالنفس . راحى : وسع . وابن عمرو : تريد أباها صخر بن عمرو بن الشريد السلمي . وخناقه : الحبل الذي يوضع في الرقبة للخنق . تريد : كم مكروب أخذ الغم بمخنفه ، وكاد يقتله ، لغم أخى عنه كبرته وغمه بهوده ، حتى انقشع عنه ما ألم به .

القول في تاويل قوله تعالى :

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٦﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه نوح عليه السلام لقومه : فإن توليتم أيها القوم عنى بعد دعائى إياكم ، وتبليغ رسالة ربى إليكم مدبرين ، فأعرضتم عما دعوتكم إليه من الحق والإقرار بتوحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، وترك إشراك الآلهة فى عبادته ، فتضيع منكم وتفريط فى واجب حق الله عليكم ، لا بسبب من قبلى ، فإننى لم أسألكم على ما دعوتكم إليه أجرا ، ولا عوضا اعتاضه منكم باجابتكم إياى إلى ما دعوتكم إليه من الحق والهدى ، ولا طلبت منكم عليه ثوابا ولا جزاء (إن أجري إلا على الله) يقول جل ثناؤه : إن جزائى وأجر عملى وثوابه إلا على ربى لا عليكم أيها القوم ، ولا على غيركم (وأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وأمرنى ربى أن أكون من المدعين له بالطاعة ، المتقادين لأمره ونهيه ، المذللين له ، ومن أجل ذلك أدعوكم إليه ، وبأمره آمركم بترك عبادة الأوثان .

القول في تاويل قوله تعالى :

فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَافَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : فكذب نوحا قومه فيما أخبرهم به عن الله من الرسالة والوحى ، فنجيناه ومن معه ممن حمل معه فى الفلك ، يعنى فى السفينة ، وجعلناهم خلائف ، يقول : وجعلنا الذين نجينا مع نوح فى السفينة خلائف فى الأرض من قومه الذين كذبوه بعد أن أغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ، يعنى حججنا وأدلتنا على توحيدنا ، ورسالة رسولنا نوح ، يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المنذرين ، وهم الذين أنذرهم نوح عقاب الله على تكذيبهم إياه وعبادتهم الأصنام ، يقول له جل ثناؤه : انظر ماذا أعقبهم تكذيبهم رسولهم ، فان عاقبة من كذبك من قومك أن تمادوا فى كفرهم وطغيانهم على ربهم نحو الذى كان من عاقبة قوم نوح حين كذبوه ، يقول جل ثناؤه : فليحذروا أن يحل بهم مثل الذى حل بهم إن لم يتوبوا .

القول في تاويل قوله تعالى

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٨﴾

يقول تعالى ذكره : ثم بعثنا من بعد نوح رسلا إلى قومهم ، فأتوهم ببيانات من الحجج والأدلة على صدقهم ، وأنهم لله رسل ، وأن ما يدعونهم إليه حق ، فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ، يقول : فما كانوا ليصدقوا بما جاءتهم به رسلهم بما كذب به قوم نوح ومن قبلهم من الأمم الخالية من قبلهم ، (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) يقول تعالى ذكره : كما طبعنا على قلوب أولئك فختمنا عليها فلم يكونوا يقبلون من أنبياء الله نصيحتهم ولا يستجيبون لدعائهم إياهم إلى ربهم بما اجترموا من الذنوب ، واكتسبوا من الآثام ، كذلك نطبع على قلوب من اعتدى على ربه ، فتجاوز ما أمره به من توحيده ، وخالف مادعاهم إليه رسلهم من طاعته ، عقوبة لهم على معصيتهم ربهم من هؤلاء الآخرين من بعدهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾

يقول تعالى ذكره : ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل الذين أرسلناهم من بعد نوح إلى قومهم موسى وهارون ابني عمران إلى فرعون مصر (وملائته) ، يعنى : وأشرف قومه وسادتهم (بآياتنا) ، يقول : بأدلتنا على حقيقة مادعوهم إليه من الإذعان لله بالعبودة ، والإقرار لهما بالرسالة ، (فاستكبروا) ، يقول : فاستكبروا عن الإقرار بما دعاهم إليه موسى وهارون ، (وكانوا قوماً مجرمين) ، يعنى : آثمين بربهم بكفرهم بالله تعالى .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره (فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا) يعنى : فلما جاءهم بيان ما دعاهم إليه موسى وهارون ، وذلك الحجج التي جاءهم بها ، وهى الحق الذي جاءهم من عند الله (قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ) يعنون : أنه يبين لمن رآه وعايينه أنه سحر لاحقيقة له (قَالَ مُوسَى) لهم : (أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ) من عند الله : (أَسِحْرٌ هَذَا) ؟ .

واختلف أهل العربية في سبب دخول ألف الاستفهام في قوله (أَسِحْرٌ هَذَا) ، فقال بعض نحوي البصرة : أدخلت فيه على الحكاية لقولهم لأنهم قالوا : أسحر هذا ؟ فقال : أتقولون : أسحر هذا ؟ وقال بعض نحوي الكوفة : لأنهم قالوا هذا سحر ، ولم يقولوه بالألف ، لأن أكثر ما جاء بغير ألف ، قال : فيقال : فلم أدخلت الألف ؟ فيقال : قد يجوز أن تكون من قبلهم : وهم يعلمون أنه سحر ، كما يقول الرجل للجائزة إذا أتته : أحق هذا ؟ وقد علم أنه حق . قال : قد يجوز أن تكون على التعجب منهم : أسحر هذا ، ما أعظمه !

وأولى ذلك في هذا بالصواب عندى : أن يكون المقول محذوفاً ، ويكون قوله (أَسِحْرٌ هَذَا) من

قيل موسى منكرا على فرعون وملئه ، قولهم للحق لما جاءهم سحر ، فيكون تأويل الكلام حينئذ ، قال موسى لهم (أَنْتَقُولُونَ لِلْحَقِّ) لما جاءكم () وهي الآيات التي أتاهم بها من عند الله حجة له على صدقه ، سحر ، أسحر هذا الحق الذي ترونه ؟ فيكون السحر الأول محذوفا اكتفاء بدلالة قول موسى (أَسْحَرْتُ هَذَا) على أنه مراد في الكلام كما قال ذو الرمة :

فَلَمَّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ أَوْ حِينَ نَصَبْتَ لَهُ مِنْ خِذَا آذَانَهَا وَهُوَ جَانِحٌ

يريد : أو حين أقبل ، ثم حذف اكتفاء بدلالة الكلام عليه ، وكما قال جل ثناؤه (فَإِذَا جَاءَ وَعَدَ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ) والمعنى : بعثناهم ليسوؤا وجوهكم ، فترك ذلك اكتفاء بدلالة الكلام عليه ، في أشباه لما ذكرنا كثيرة ، يتعب إحصاؤها . وقوله (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ) يقول : ولا ينجح الساحرون ولا يبقون .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا أَجِئْنَا لَتُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ

٧٨

يقول تعالى ذكره : قال فرعون وملؤه لموسى : (أَجِئْتَنَا لَتُلْفِتَنَّا) يقول : لتصرفنا وتلوينا (عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) من قبل مجيئك من الدين يقال منه : لفت فلان عنق فلان إذا لواها ، كما قال ذو الرمة :

لَفْتْنَا وَتَهْزِيعًا سَوَاءَ اللَّفْتِ

التهزيع : الدق ، واللَفْتُ : اللَّى .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَتُلْفِتَنَّا) قال : لتلوينا (عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) .

وقوله (وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ) يعني : العظمة ، وهي الفعلية من الكبر . ومنه قول ابن الرقاع :

سُودِدَا غَيْرَ فَاحِشٍ لَا يَدَانِيهِ تَجْبَاهُهُ وَلَا كِبَرِيَاءُهُ

(١) البيت في ديوان ذي الرمة . وقوله لبسن الليل أدخلن فيه . وخذا آذانها : استرخاها . والأخذى : المسترخى الأذن ، وجانح : يعنى الليل .

(٢) البيت لرؤبة بن العجاج : من أرجوزة له . قالها في نفسه مطلعها : « يابنت عمرو لا تسبى بنتى » (ديوانه طبعة ليبسك سنة ١٩٠٣) وهو البيت الحادى والعشرون فيها . قال شارحه (لعله ابن حبيب) في شرح ديوانه المحفوظ بدار الكتب المصرية ، رقم ٥١٦ أدب ص ١١٢ : اللفت : اللى ، لفته يلفته لفتا : إذا لواه وصرفه . والتهزيع : التكسير . وقوله « سواء اللفت » يقول : التهزيع غير اللفت ، ومهزج : مكسر اه .

(٣) السؤدد : السيادة والرياسة والشرف . وغير فاحش : أى لا يبنى معه ولا تجبر ، ولا يخالطه كبرياء . والتجبار : مصدر بمعنى الجبر والقهر . والكبرياء بوزن فعلية العظمة إذا كانت وصفا لله وإذا وصف بها المخلوقون ، فهي التكبر والاستعلاء ، على الناس مع التجبر والقهر والإذلال والظلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَتَكُونُ لَكُمْ
الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ) قال : الملك

قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مجاهد (وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ) قال :
السلطان في الأرض .

قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغني ، عن مجاهد ، قال : الملك في الأرض .

قال : ثنا الحارثي ، عن جوير ، عن الضحاك (وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ) قال : الطاعة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَتَكُونُ
لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ) قال : الملك .

قال : ثنا إسحاق : قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال :
السلطان في الأرض .

وهذه الأقوال كلها متقاربات المعاني . وذلك أن الملك سلطان ، والطاعة ملك ، غير أن معنى الكبرياء
هو ما ثبت في كلام العرب ، ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان وغير ذلك . وقوله (وَمَا نَحْنُ لَكُمْ
بِمُؤْمِنِينَ) يقول : وما نحن لكم ياموسى وهارون بمؤمنين . يعنى بمقرئين بأنكما رسولان أرسلنا إلينا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٦٧﴾

﴿٦٦﴾

يقول تعالى ذكره : وقال فرعون لقومه : أتأتونى بكل من يسحر من السحرة : عليم بالسحر ؛ فلما
جاء السحرة فرعون ، قال موسى : ألقوا ما أنتم ملقون من حبالكم وعصيكم ، وفي الكلام محذوف قد
ترك ، وهو : فأتوه بالسحرة . فلما جاء السحرة ؛ ولكن اكتفى بدلالة قوله (فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ) على
ذلك ، فترك ذكره ، وكذلك بعد قوله (أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ) محذوف أيضا قد ترك ذكره ، وهو
فألقوا حبالهم وعصيهم . فلما ألقوا قال موسى ؛ ولكن اكتفى بدلالة ما ظهر من الكلام عليه ، فترك ذكره .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٨﴾

يقول تعالى ذكره (فَلَمَّا أَلْقَوْا) ما هم ملقوه (قَالَ) لهم (مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق (ما جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ) على وجه الخبر من موسى عن الذي جاءت به سحرة فرعون أنه سحر كأن معنى الكلام على تأويلهم ، قال موسى : الذي جِئْتُمْ بِهِ أيها السحرة هو السحر ، وقرأ ذلك مجاهد وبعض المدنيين البصريين (ما جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ) على وجه الاستفهام من موسى إلى السحرة عما جاءوا به ، أسحر هو ، أم غيره ؟

❦ وأولى القراءتين في ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه على وجه الخبر لاعلى الاستفهام ، لأن موسى صلوات الله وسلامه عليه لم يكن شاكاً فيما جاءت به السحرة أنه سحر لاحقيقة له ، فيحتاج إلى استخبار السحرة عنه ، أى شىء هو ، وأخرى أنه صلوات الله عليه قد كان على علم من السحرة ، إنما جاء بهم فرعون ليغالبه على ما كان جاءهم به من الحق الذي كان الله آتاه ، فلم يكن يذهب عليه أنهم لم يكونوا يصدقونه في الخبر عما جاءوا به من الباطل ، فيستخبرهم أو يستجيز استخبارهم عنه ، ولكنه صلوات الله عليه أعلمهم أنه عالم ببطل ما جاءوا به من ذلك بالحق الذي آتاه ومبطل كيدهم بجدّه ، وهذه أولى بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخرى .

❦ فإن قال قائل : فما وجه دخول الألف واللام في السحر إن كان الأمر على ما وصفت وأنت تعلم أن كلام العرب في نظير هذا أن يقولوا : ما جاءني به عمرو درهم ، والذي أعطاني أخوك دينار ، ولا يكادون أن يقولوا الذي أعطاني أخوك الدرهم ، وما جاءني به عمرو الدينار ؟ قيل له : بلى كلام العرب إدخال الألف واللام في خبر ما والذي إذا كان الخبر عن معهود قد عرفه المخاطب والمخاطب ، بل لا يجوز إذا كان ذلك كذلك إلا بالألف واللام ، لأن الخبر حينئذ خبر عن شىء بعينه معروف عند الفريقين ، وإنما يأتي ذلك بغير الألف إذا كان الخبر عن مجهول غير معهود ولا مقصود قصد شىء بعينه ، فحينئذ لا تدخل الألف واللام في الخبر ، وخبر موسى كان خبراً عن معروف عنده وعند السحرة ، وذلك أنها كانت نسبت ما جاءهم به موسى من الآيات التي جعلها الله علماً له على صدقه ، ونبوته إلى أنه سحر فقال لهم موسى : السحر الذي وصفتم به ما جئتمكم به من الآيات أيها السحرة ، هو الذي جئتم به أنتم ، لا ما جئتمكم به أنا ، ثم أخبرهم أن الله سيبيطه ، فقال (إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ) يقول : سيذهب به ، فذهب به تعالى ذكره بأن سلط عليه عصا موسى قد حولها ثعباناً يتلقفه حتى لم يبق منه شىء (إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) يعنى : إنه لا يصلح عمل من سعى في أرض الله بما يكرهه . وعمل فيها بمعاصيه ، وقد ذكر أن ذلك في قراءة أنى بن كعب : ما أتيتكم به سحر . وفي قراءة ابن مسعود : ما جئتم به سحر ، وذلك مما يؤيد قراءة من قرأ بنحو الذي اخترنا من القراءة فيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٧﴾

❦ يقول تعالى ذكره مخبراً عن موسى أنه قال للسحرة (وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ) يقول : ويثبت الله الحق

الذي جئتكم به من عنده ، فيعليه على باطلكم ، ويصححه بكلماته ، يعني بأمره (وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)
يعني الذين اكتسبوا الإثم بربهم بمعصيتهم إياه .

القول في تأويل قوله تعالى :

**فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالِي فِي
الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٩﴾**

يقول تعالى ذكره : فلم يؤمن لموسى مع ما أتاهم به من الحجج والأدلة إلا ذرية من قومه خائفين من
فرعون وملئهم .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى الذرية في هذا الموضع ، فقال بعضهم : الذرية في هذا الموضع : القليل .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ
قَوْمِهِ) قال : كان ابن عباس يقول : الذرية : القليل .

حدثنا عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك
يقول في قوله تعالى (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ) الذرية : القليل . كما قال الله تعالى (كَمَا
أَنشَأَكُم مِّنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : فما آمن لموسى إلا ذرية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل لطول الزمان
لأن الآباء ماتوا وبقي الأبناء ، فقليل لهم ذرية ، لأنهم كانوا ذرية من هلك ممن أرسل إليهم موسى عليه السلام .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام . عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ،
عن مجاهد ، في قوله تعالى (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ) قال : أولاد الذين أرسل إليهم من
طول الزمان ومات آباؤهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وحدثني المثنى
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَمَا آمَنَ
لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ) قال : أولاد الذين أرسل إليهم موسى من طول الزمان ومات آباؤهم .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا
ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ) قال : أبناء أولئك الذين
أرسل إليهم فطال عليهم الزمان ومات آباؤهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فما آمن لموسى إلا ذرية من قوم فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ) قال : كانت الذرية التي آمنت لموسى من أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون يسير ، منهم امرأة فرعون ، ومؤمن آل فرعون ، وخازن فرعون ، وامرأة خازنه .

وقد روى عن ابن عباس خبر يدل على خلاف هذا القول ، وذلك ما حدثني به المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ) يقول : بني إسرائيل فهذا الخبر ينبي عنه أنه كان يرى أن الذرية في هذا الموضع هم بنو إسرائيل دون غيرهم من قوم فرعون . وأولى هذه الأقوال عندى بتأويل الآية ، القول الذي ذكرته عن مجاهد ، وهو أن الذرية في هذا الموضع أريد بها ذرية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل ، فهلكوا قبل أن يقرؤا بنبوته لطول الزمان ، فأدركت ذريتهم فآمن منهم من ذكر الله بموسى .

ولمّا قلت : هذا القول أولى بالصواب في ذلك لأنه لم يجر في هذه الآية ذكر لغير موسى ، فلأن تكون الهاء في قوله من قومه من ذكر موسى لقربها من ذكره ، أولى من أن تكون من ذكر فرعون لبعد ذكره منها ، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليل من خبر ولا نظر .

وبعد : فإن في قوله (عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ) الدليل الواضح على أن الهاء في قوله (إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ) من ذكر موسى لآمن ذكر فرعون ، لأنها لو كانت من ذكر فرعون لكان الكلام على خوف منه ، ولم يكن على خوف من فرعون .

وأما قوله (عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ) فإنه يعني على حال خوف من آمن من ذرية قوم موسى بموسى . فتأويل الكلام : فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه من بني إسرائيل وهم خائفون من فرعون وملئهم أن يفتنوه . وقد زعم بعض أهل العربية أنه إنما قيل : فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه ، لأن الذين آمنوا به إنما كانت أمهاتهم من بني إسرائيل ، وآباؤهم من القبط ، فقليل لهم الذرية من أجل ذلك ، كما قيل لأبناء الفرس الذين أمهاتهم من العرب وآباؤهم من العجم أبناء . والمعروف من معنى الذرية في كلام العرب : أنها أعقاب من نسبت إليه من قبيل الرجال والنساء ، كما قال جل ثناؤه (ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ) وكما قال (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ) ثم قال بعد (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ) فجعل من كان من قبيل الرجال والنساء من ذرية إبراهيم .

وأما قوله (وَمَلَئِهِمْ) فإن الملاء : الأشراف . وتأويل الكلام : على خوف من فرعون ومن أشرافهم . واختلف أهل العربية فيمن عني بالهاء والميم اللتين في قوله (وَمَلَئِهِمْ) فقال بعض نحوي البصرة : عني بها الذرية ، وكأنه وجه الكلام إلى : فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه ، على خوف من فرعون ، وملأ الذرية من بني إسرائيل . وقال بعض نحوي الكوفة : عني بهما فرعون ، قال : وإنما جاز ذلك وفرعون واحد ، لأن الملك إذا ذكر لخوف أو سفر وقدم من سفر ذهب الوهم إليه وإلى من معه ، وقال : ألا

تري أنك تقول : قدم الخليفة فكثير الناس ، تريد بمن معه ، وقدم فغلت الأسعار ، لانا انوى بقدمه قدوم من معه . قال : وقد يكون يريد أن بفرعون آل فرعون ، ويحذف آل فرعون فيجوز ، كما قال (واستل القرية) يريد أهل القرية ، والله أعلم .

قال : ومثله قوله (يا أيها النسي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) .

❦ وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب قول من قال : الهاء والميم عائدتان على الذرية ، ووجه معنى الكلام إلى أنه على خوف من فرعون ، وهما الذرية ، لأنه كان في ذرية القرن الذين أرسل إليهم موسى من كان أبوه قبطيا وأمه إسرائيلية ، فمن كان كذلك منهم كان مع فرعون على موسى . وقوله (أن يفتنهم) يقول : كان إيمان من آمن من ذرية قوم موسى على خوف من فرعون أن يفتنهم بالعذاب ، فيصدّهم عن دينهم ، ويحملهم على الرجوع عن إيمانهم والكفر بالله ، وقال : (أن يفتنهم) فوجد ولم يقل : أن يفتنهم ، للدليل الخبر عن فرعون بذلك ، أن قومه كانوا على مثل ما كان عليه لما قد تقدّم من قوله (على خوف من فرعون وملئهم) ، وقوله (وإن فرعون لعال في الأرض) يقول تعالى ذكره : وإن فرعون لجبار مستكبر على الله في أرضه ، (وإنه لمن السرفين) وإنه لمن المتجاوزين الحق إلى الباطل ، وذلك كفره بالله ، وتركه الإيمان به ، وجحوده وحدانية الله ، وادّعاؤه لنفسه الألوهة ، وسفكه الدماء بغير حلها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ مُوسَى يَقُومِ إِنْ كُنْتُمْ بِاللهِ فَاعْلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨١﴾

❦ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى نبيه لقومه : يا قوم إن كنتم أقررتم بوحدانية الله ، وصنّدتم بربوبيته (فاعلّيه توكّلوا) يقول : فيه فتقوا ، ولأمره فسلموا ، فإنه لن يخذل وليه ويسلم من توكل عليه (إن كنتم مسلمين) يقول : إن كنتم مدعين لله بالطاعة ، فعليه توكّلوا :

القول في تأويل قوله تعالى :

فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٢﴾

❦ يقول تعالى ذكره : فقال قوم موسى لموسى (على الله توكّلنا) أى به وثقنا ، وإليه فوضنا أمرنا . وقوله (ربنا لا تجعلنا فتنّة للقوم الظالمين) يقول جل ثناؤه مخبرا عن قوم موسى أنهم دعوا ربهم فقالوا : يا ربنا لا تختبر هؤلاء القوم الكافرين ، ولا تمتحنهم بنا ، يعنون قوم فرعون .

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذى سألوه ربهم من إعادته ابتلاء قوم فرعون بهم ، فقال بعضهم : سألوه أن لا يظهروهم عليهم ، فيظنوا أنهم خير منهم وأنهم إنما سلطوا عليهم لكرامتهم عليه وهوان الآخرين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عمران بن حدير ، عن أبي مجلز ، في قوله (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لا يظهرنا علينا فيروا أنهم خير منا .
حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عمران بن حدير ، عن أبي مجلز ، في قوله (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : قالوا : لا تظهرهم علينا فيروا أنهم خير منا .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لا تسلطهم علينا فيزدادوا فتنة .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تسلطهم علينا فيفتنونا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) لا تسلطهم علينا فيفتنونا .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لا تسلطهم علينا فيضلونا .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله ، وقال أيضا : فيفتنونا ،
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) لا تعذبنا بأيدي قوم فرعون ، ولا بعذاب من عندك ، فيقول قوم فرعون : لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم ولا عذبوا ، فيفتنوا بنا .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لا تعذبنا بأيدي قوم فرعون ولا بعذاب من عندك ، فيقول قوم فرعون : لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم ، ولا عذبوا ، فيفتنوا بنا .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، قوله (لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لا تصبنا بعذاب من عندك ولا بأيديهم ، فيفتنوا ويقولوا : لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم ، وما عذبوا .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله تعالى (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) لا تبتلنا ربنا فتجهدنا وتجعله فتنة لهم هذه الفتنة ، وقرأ : فتنة للظالمين ، قال المشركون حين كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ، ويرمونهم ، أليس ذلك فتنة لهم ، وسوءا لهم ، وهي بلية للمؤمنين ،

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن القوم رغبوا إلى الله في أن يجيرهم من أن يكونوا محنة لقوم فرعون وبلاء ، وكل ما كان من أمر كان لهم مَصْدَةً عن اتباع موسى والإقرار به ، وبما جاءهم به ، فإنه لا شك أنه كان لهم فتنة ، وكان من أعظم الأمور لهم إبعادا من الإيمان بالله ورسوله ، وكذلك من المَصْدَةِ كان لهم عن الإيمان ، أن لو كان قوم موسى عاجلهم من الله محنة في أنفسهم ، من بلية تنزل بهم ، فاستعاذ القوم بالله من كل معنى يكون صادقا لقوم فرعون عن الإيمان بالله بأسبابهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره : ونجينا يا ربنا برحمتك ، فخلصنا من أيدي القوم الكافرين ، قوم فرعون ، لأنهم كانوا يستبدونهم ويستعملونهم في الأشياء القذرة من خدمتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ الْقَوْمَ كَمَا يُبَوِّتُ أَبُوتَاكَ وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَيُشِرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره : وأوحينا إلى موسى وأخيه أن اتخذوا لقومكما بمصر بيوتا ، يقال منه : تبوأ فلان لنفسه بيوتا : إذا اتخذها ، وكذلك تبوأ مصحفا : إذا اتخذها ، وبوأته أنا بيتنا : إذا اتخذته له (وأجعلوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) يقول : واجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وأجعلوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) فقال بعضهم في ذلك نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أي ، عن سفيان عن حميد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وأجعلوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : مساجد .

حدثني المشي ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قوله (وأجعلوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : أمروا أن يتخذوها مساجد .

قال : ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا زهير ، قال : ثنا خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قول الله تعالى (وأجعلوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا يفرقون من فرعون وقومه أن يصلوا ، فقال لهم : اجعلوا بيوتكم قبلة ، يقول : اجعلوها مسجدا حتى تصلوا فيها .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (وأجعلوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : خافوا فأمروا أن يصلوا في بيوتهم .

حدثنا ابن وکیع ، قال : ثنا أبی ، عن سفیان ، عن منصور ، عن إبراهیم (وَاجْعَلُوا بُیُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا خائفین ، فأمرُوا أن یصلوا فی بیوتهم .

حدثنی المثنی ، قال : ثنا الحمائی ، قال : ثنا شبل ، عن خصیف ، عن عکرمه ، عن ابن عباس ، فی قوله (وَاجْعَلُوا بُیُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا خائفین فأمرُوا أن یصلوا فی بیوتهم .

حدثنا ابن وکیع ، قال : ثنا ابن عیینة ، عن ابن أبی نجیح ، عن مجاهد (وَاجْعَلُوا بُیُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا لا یصلون إلا فی البیع ، وكانوا لا یصلون إلا خائفین ، فأمرُوا أن یصلوا فی بیوتهم .

قال : ثنا جریر ، عن لیث ، عن مجاهد ، قال : كانوا خائفین ، فأمرُوا أن یصلوا فی بیوتهم . قال : ثنا عبد الله ، عن اسرائیل ، عن السدی ، عن أبی مالک (وَاجْعَلُوا بُیُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال :

كانت بنو اسرائیل تخاف فرعون ، فأمرُوا أن یجعلوا بیوتهم مساجد یصلون فیها . حدثنی المثنی ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن الربیع

ابن أنس فی قوله (وَاجْعَلُوا بُیُوتَكُمْ قِبْلَةً) یقول : مساجد . قال : ثنا أحمد بن یونس ، قال : ثنا اسرائیل ، عن منصور ، عن إبراهیم (وَاجْعَلُوا بُیُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا یصلون فی بیوتهم یخافون .

حدثنا ابن وکیع ، قال : ثنا زید بن الحباب ، عن أبی سنان ، عن الضحاک (أَنْ تَبْشُرُوا لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بُیُوتَا) قال : مساجد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفیان ، عن منصور ، عن إبراهیم ، فی قوله (وَاجْعَلُوا بُیُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا خائفین ، فأمرُوا أن یصلوا فی بیوتهم .

حدثنی یونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زید ، فی قوله (وَاجْعَلُوا بُیُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : قال أبی زید : اجعلوا فی بیوتکم مساجد کم تصلون فیها تلك القبلة .

وقال آخرون : معنی ذلك : واجعلوا مساجدکم قبل الکعبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حمید ، قال : ثنا حکام ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبی لیلی ، عن المنهال ، عن سعید بن جبیر ، عن ابن عباس (وَاجْعَلُوا بُیُوتَكُمْ قِبْلَةً) یعنی الکعبة .

حدثنی محمد بن سعد ، قال : ثنا أبی ، قال : ثنا عی ، قال : ثنا أبی ، عن أبیه ، عن ابن عباس ، فی قوله (وَاجْعَلُوا بُیُوتَكُمْ قِبْلَةً) ، وأقیموا الصلوة وبشِّر المؤمنین قال : قالت بنو اسرائیل

لموسی : لا نستطیع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة ، فأذن الله لهم أن یصلوا فی بیوتهم ، وأمرُوا أن یجعلوا بیوتهم قبل القبلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جریج ، عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس

في قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) يقول : وجهوا بيوتكم مساجدكم نحو القبلة ، ألا ترى أنه يقول (فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : قبل القبلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : نحو الكعبة حين خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة . فأمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلية الكعبة يصلون فيها سرا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) ثم ذكر مثله سواء .

قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا) مساجد .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا) قال : مصر : الإسكندرية .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة . قوله (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : وذلك حين منعهم فرعون الصلاة ، فأمروا أن يجعلوا مساجدهم في بيوتهم ، وأن يوجهوا نحو القبلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : نحو القبلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق ، عن أبي سنان ، عن الضحاك (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا) قال : مساجد (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : قبل القبلة . وقال آخرون : معنى ذلك : واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : يقابل بعضها بعضا .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب . القول الذي قدمنا بيانه . وذلك أن الأغلب من معاني البيوت . وإن كانت المساجد بيوتا . البيوت المسكونة إذا ذكرت باسمها المطلق . دون المساجد . لأن المساجد لها اسم هي به معروفة خاص لها . وذلك المساجد . فأما البيوت المطلقة بغير وصلها بشيء ولا إضافتها إلى شيء ، فالبيوت المسكونة ، وكذلك القبلة الأغلب من استعمال الناس إياها في قبيل المساجد وللصلوات ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز توجيه معاني كلام الله إلا إلى الأغلب من وجوهها ، المستعمل بين أهل اللسان الذي

نزل به دون الحقّ المجهول ما لم تأت دلالة تدلّ على غير ذلك ، ولم يكن على قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) دلالة تقطع العذر بأن معناه غير الظاهر المستعمل في كلام العرب ، لم يجز لنا توجيهه إلى غير الظاهر الذي وصفنا ، وكذلك القول في قوله : (قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) يقول تعالى ذكره : وأدّوا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها . وقوله (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) يقول جلّ ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام : وبشر مقيمى الصلاة ، المطيعى الله يا محمد المؤمنين بالشواب الجزيل منه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى ذكره : وقال موسى يا ربنا إنك أعطيت فرعون وكبراء قومه وأشرافهم : وهم الملأ ، زينة من متاع الدنيا وأثائها ، وأموالا من أعيان الذهب والفضة في الحياة الدنيا (رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ) يقول موسى لربه : ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من ذلك ليضلوا عن سبيلك .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ) بمعنى : ليضلوا الناس عن سبيلك ، ويصدّوهم عن دينك .

وقرأ ذلك آخرون (لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ) بمعنى : ليضلوا هم عن سبيلك ، فيجوروا عن طريق الهدى .

فإن قال قائل : أفكان الله جلّ ثناؤه أعطى فرعون وقومه ما أعطاهم من زينة الدنيا وأموالها ليضلوا الناس عن دينه ، أو ليضلوا هم عنه ، فإن كان لذلك أعطاهم ذلك ، فقد كان منهم ما أعطاهم لأجله ، فلا عتب عليهم في ذلك ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما توهمت .

وقد اختلف أهل العلم بالعربية في معنى هذه اللام التي في قوله (لِيُضِلُّوا) فقال بعض نحويي البصرة : معنى ذلك : ربنا فضلوا عن سبيلك ، كما قال (فالتقططه آل فرعون ليكنون لهم عدوّاً وحزناً) أي فكان لهم وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوّ وحزناً ، وإنما التقطوه فكان لهم ؛ قال : فهذه اللام تجيء في هذا المعنى . وقال بعض نحويي الكوفة : هذه اللام لام كى ١ . ومعنى الكلام ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم كى يضلوا ، ثم دعا عليهم . وقال آخر : هذه اللامات في قوله ليضلوا ، وليكون لهم عدوّاً ، وما أشبهها بتأويل الخفض : آتيتهم ما آتيتهم لضلالتهم ، والتقططوه لكونه ، لأنه قد آلت الحالة إلى ذلك ، والعرب تجعل لام كى في معنى

(١) قائل هذا : هو الفراء في معاني القرآن (انظر مصورة جامعة القاهرة ٢٤٠٥٩ ص ١٣٩) .

لام الخفض ، ولام الخفض في معنى لام كي لتقارب المعنى ، قال الله تعالى (يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ) أي لإعراضكم ، ولم يحلفوا لإعراضهم ؛ وقال الشاعر :

سَمَوْتَ وَلَمْ تَكُنْ أَهْلًا لَتَسْمُو وَلَكِنَّ الْمُضَيِّعَ قَدْ يَصَابُ ١

قال : وإنما يقال : وما كنت أهلا للفعل ، ولا يقال لتفعل إلا قليلا ، قال : وهذا منه .

والصواب من القول في ذلك عندي : أنها لام كي ، ومعنى الكلام : ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والأموال لتفتنهم فيه ، ويضلوا عن سبيلك عبادك ، عقوبة منك ، وهذا كما قال جل ثناؤه (لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) ، وقوله (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) هذا دعاء من موسى : دعا الله على فرعون وملئه أن يغير أموالهم عن هيئتها ، ويبدلها إلى غير الحال التي هي بها ، وذلك نحو قوله (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَآ فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا) يعني به : من قبل أن نغيرها عن هيئتها التي هي بها ، يقال منه : طمست عينه أطمسها ، وأطمسها طمسا وطموسا ، وقد تستعمل العرب الطمس في العفوّ والدثور وفي الاندقاق والدروس ، كما قال كعب بن زهير :

مِنْ كُلِّ نَضَاحَةٍ الذِّفْرَى إِذَا عَرِقَتْ عَرَضَتْهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُوْلٌ ٢

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك في هذا الموضع ، فقال جماعة منهم فيه مثل قولنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن زائدة ، قال : ثنا حمّاج ، قال : ثنى ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، قال : بلغنا عن القرظي ، في قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) قال : اجعل سكرهم حجارة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حمّاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : اجعل سكرهم حجارة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية (اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) قال : اجعلها حجارة .

حدثني الثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس ، في قوله (اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) قال : صارت حجارة .

(١) هذا البيت شاهد لنحاة البصرة على أن اللام في « لتسمو » للجحد ، وأن الفعل منصوب بأن مضمرة بعدها وجوبا ، وأن المصدر المؤول مجرور باللام ، والجار والمجرور متعلق بخبر تكن المنفية بلم ، وهو كلمة « أهلا » وقد صرح القائل بهذا الخبر ، والأكثر في كلام العرب ألا يصرح به نحو « ما كان الله ليعذبهم » التقدير : لم يكن مريدا لتعذيبهم . وخالفهم الكوفيون في ذلك ، وجعلوا اللام ناصبة بنفسها ، لا بأن مضمرة بعدها .

(٢) البيت لكعب بن زهير (انظر سيرة ابن هشام طبعة الحلبي : ١٤٩) . والنضاح : كثيرة رشح العرق . والذفرى : النقرة . خلف أذن الناقة ، وهي بقرب غدة العرق . وعرضتها : هبتها . وطمس الأعلام : الدارس المتغير من علامات الطريق ، وهي ما يبتدى به المسافرون من أحجار وآبار ونحوها . يريد أن هذه الناقة كثيرة العرق . لنشاطها في سيرها ، وجهدها نفسها فيه ، وأنها عارفة للطريق وإن درست أعلامه وتغيرت مسالكه لكثرة ما سافرت فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رَبَّنَا اِطْمِئْسْ عَلَى اَمْوَالِهِمْ)
 قال : بلغنا أن زروعهم تحولت حجارة .
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (رَبَّنَا اِطْمِئْسْ عَلَى
 اَمْوَالِهِمْ) قال : بلغنا أن حروثا لهم صارت حجارة .
 حدثنا المثنى . قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان (رَبَّنَا اِطْمِئْسْ عَلَى اَمْوَالِهِمْ) قال :
 يقولون : صارت حجارة .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى الحماني ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن إسماعيل
 عن أبي صالح ، في قوله (رَبَّنَا اِطْمِئْسْ عَلَى اَمْوَالِهِمْ) قال : صارت حجارة .
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (رَبَّنَا
 اِطْمِئْسْ عَلَى اَمْوَالِهِمْ) قال : بلغنا أن حروثا لهم صارت حجارة .
 حدثت عن الحسين بن الفرج . قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت
 الضحاک يقول في قوله (رَبَّنَا اِطْمِئْسْ عَلَى اَمْوَالِهِمْ) قال : جعلها الله حجارة منقوشة على هيئة ما كانت .
 حدثنا يونس . قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله (رَبَّنَا اِطْمِئْسْ عَلَى اَمْوَالِهِمْ)
 قال : قد فعل ذلك ، وقد أصابهم ذلك طمس على أموالهم ، فصارت حجارة ذهبهم ودراهمهم وعدسهم
 وكل شيء .

وقال آخرون : معنى ذلك : أهلكها .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة . قال : ثنا حجاج . عن ابن جريج ، عن مجاهد (رَبَّنَا اِطْمِئْسْ
 عَلَى اَمْوَالِهِمْ) قال : أهلكها .

حدثني المثنى . قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثني المثنى . قال : ثنا إسحاق . قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .
 حدثني محمد بن سعد . قال : ثني أبي . قال : ثني عمي . قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
 (رَبَّنَا اِطْمِئْسْ عَلَى اَمْوَالِهِمْ) يقول : دمر عليهم وأهلك أموالهم .

وأما قوله (وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) فإنه يعني : واطبع عليها حتى لا تلين ولا تشرح بالإيمان .
 كما حدثني المثنى . قال : ثنا عبد الله . قال : ثني معاوية . عن علي . عن ابن عباس . وقال موسى
 قبل أن يأتي فرعون ربنا (وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) فاستجاب الله
 له . وحال بين فرعون وبين الإيمان حتى أدركه الفرق . فلم ينفعه الإيمان .

حدثني محمد بن سعد . قال : ثني أبي . قال : ثني عمي . قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
 (وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول : واطبع على قلوبهم (حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) وهو الفرق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وأشدُّدُ على قُلُوبِهِمْ) بالضلالة .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وأشدُّدُ على قُلُوبِهِمْ) قال : بالضلالة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وأشدُّدُ على قُلُوبِهِمْ) يقول : أهلكهم كفارا .
وأما قوله (فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) فإن معناه : فلا يصدقوا بتوحيد الله ويقرروا بوحدانيته حتى يروا العذاب المجمع .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَا يُؤْمِنُوا) بالله فيما يرون من الآيات (حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : سمعت المنقرى يقول (فَلَا يُؤْمِنُوا) يقول : دعا عليهم .
واختلف أهل العربية في موضع (يُؤْمِنُوا) فقال بعض نحوي البصرة : هو نصب ، لأن جواب الأمر بالفاء أو يكون دعاء عليهم إذ عصوا . وقد حكى عن قائل هذا القول أنه كان يقول : هو نصب عطفا على قوله (لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ) وقال آخر منهم : وهو قول نحوي الكوفة ، موضعه جزم على الدعاء من موسى عليهم ، بمعنى : فلا آمنوا ، كما قال الشاعر :

فَلَا يَنْتَبِطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى وَلَا تَلْقَيْنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ ١

بمعنى : فلا انبسط من بين عينيك ما انزوى ، ولا لقيتني على الدعاء . وكان بعض نحوي الكوفة يقول : هو دعاء ، كأنه قال : اللهم فلا يؤمنوا ، قال : وإن شئت جعلتها جوابا لمسلته إياه ، لأن المسئلة خرجت على لفظ الأمر ، فتمجّل (فَلَا يُؤْمِنُوا) في موضع نصب على الجواب . وليس بسهل ، قال : ويكون كقول الشاعر :

(١) البيت للأعشى ، أنشده (اللسان : زوى) ، قال : وزوى ما بين عينيه فانزوى : جمعه فاجتمع وقبضه ، قال الأعشى :

يَهْزِيْدُ يَنْغُضُ الطَّرْفَ عِنْدِي كَأَنَّمَا زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَى الْمَحَاجِمِ

ثم أورد بعده بيت الشاهد كما رواه المؤلف . وهو يهجو يزيد بن ميسرة الشيباني ، كما في ديوانه طبعة القاهرة ص ٧٩ يقول : إنه يهجر متى حين يلتقي ، ويتجهّم لى مقطباً وجهه كأنما وضعت بين عينيه المهاجم ، وما أبالي أن يديم الله غصه بي ، وأن أكون شجاً في حلقه .

يَا نَاقَ سِيرِي عَنَّمَا فَسِيحًا إِلَى سَلِيمَانَ فَذَسْتَرِيحًا

قال : وليس الجواب سهل في الدعاء لأنه ليس بشرط .

والصواب من القول في ذلك ، أنه في موضع جزم على الدعاء ، بمعنى : فلا آمنوا ، وإنما اخترت ذلك لأن ما قبله دعاء ، وذلك قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) ، فالجاء قوله (فَلَا يُؤْمِنُوا) إذ كان في سياق ذلك بمعناه أشبه وأولى .

وأما قوله (حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) فإن ابن عباس كان يقول : مغناه : حتى يروا الفرق .

وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك من بعض وجوهها فيما مضى .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال ابن عباس (فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) قال : الفرق .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾

وهذا خبر من الله عن إجابته لموسى صلى الله عليه وسلم وهارون دعاءهما على فرعون وأشراف قومه وأموالهم : يقول جل ثناؤه (قَالَ) الله لهما (قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا) في فرعون ومملكه وأموالهم .

فإن قال قائل : وكيف نسبت الإجابة إلى اثنين والدعاء إنما كان من واحد . قيل : إن الداعي وإن كان واحدا . فإن الثاني كان مؤمنا وهو هارون ، فلذلك نسبت الإجابة إليهما ، لأن المؤمن داغ ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن رجل ، عن عكرمة في قوله (قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا) قال : كان موسى يدعو وهارون يؤمن ، فذلك قوله (قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا) وقد زعم بعض أهل العربية أن العرب تخاطب الواحد خطاب الاثنين ، وأنشد في ذلك :

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لَا تَعْجَلَانَا بِيَتَزَعِ أُصُولِهِ وَأَجْتَرِ شَيْعَانَا

(١) هذان البيتان من شواهد النحويين على نصب المضارع بأن مضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بالطلب ، وهو قوله سيري . وها لأبي النجم العجلي الرازي يقصد سليمان بن عبد الملك الأموي . والعنق بفتح عين ضرب من السير ، والفسيح الواسع انظر شرح التفسير بمضمون التوضيح للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى (طبعة الأميرية ٢ : ٣٠٢) . وانظره أيضا في معاني القرآن للفراء (مصورة الجامعة ٢٤٠ : ٥٩ ص : ٣٩) .

(٢) هذا البيت لمصر من بن ريمي الفقمسي الأسدي (انظره في اللسان : جز ١ . وفي شرح شواهد شافية ابن الحاجب ، لرضي الدين الأستراباذي طبعة حجازي بالقاهرة ، وهو الشاهد رقم ٢٣٣ ص ٤٨١ وما بعدها) والبيت من مقطوعة ذكرها الرضى ، وذكر منها صاحب اللسان ثلاثة أبيات آخرها بيت الشاهد . والرواية فيه « لا تعجلانا » في موضع « لا تعجلانا » عن الخالدين . قال : إن العرب ربما خاطبت الواحد بلفظ الاثنين . وكذلك رواه الكسائي أيضا ، كما في الصحاح .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زكريا بن عدى ، عن ابن المبارك ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح قال (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) قال : دعا موسى ، وأمن هارون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي وزيد بن حباب ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، قال : دعا موسى ، وأمن هارون .

قال : ثنا أبو معاوية ، عن شيخ له ، عن محمد بن كعب ، قال : دعا موسى ، وأمن هارون .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) قال : دعا موسى ، وأمن هارون .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، وعبد الله بن أبي جعفر ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ابن أنس ، قال : دعا موسى وأمن هارون ، فذلك قوله (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن رجل ، عن عكرمة في قوله (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) قال : كان موسى يدعو وهارون يؤمن ، فذلك قوله (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) لموسى وهارون .

قال ابن جريج : قال عكرمة : أمن هارون على دعاء موسى ، فقال الله (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فاستقيما) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان هارون يقول : آمين ، فقال الله (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) فصار التأمين دعوة صار شريكه فيها .

وأما قوله (فاستقيما) فإنه أمر من الله تعالى لموسى وهارون بالاستقامة والثبات على أمرهما من دعاء فرعون وقومه إلى الإجابة إلى توحيد الله وطاعته ، إلى أن يأتيهم عقاب الله الذي أخبرهما أنه أجاهما فيه .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس (فاستقيما) : فامضيا لأمرى ، وهى الاستقامة .

قال ابن جريج يقولون : إن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة .

وقوله (وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : وَلَا تَسْلُكَا طَرِيقَ الَّذِينَ يَجْهَلُونَ حَقِيقَةَ

كما قال سويد بن كراع العكلي يهجو عبد الله بن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان فأراد ضربه :

فَإِنْ تَزْجُرْأَنِ يَا بَنَى عَفْصَانَ أَنْزَجِرْ وَإِنْ تَدْعَانِي أَحْسَمُ عِرْضًا مُمَنِّعًا

ويروى : « لحاطبى » في مكان « لصاحبى » وذكر ياقوت أنه قرأها بخط اليزيدى . ويروى « اجذر » بالذال ، أبدل تاء الافتعال دالا ، لمكان الزاى بعدها . وهذا موضع الشاهد في البيت عند الرضى . وأخطأ الكسائى في نسبة البيت ليزيد بن الطثرية . ورواية اللسان : « وَلَا تَحْبِسْنَا » بخطاب الواحد ، وعليها فلا شاهد في البيت : أى لا تحبسنا عن شئ اللحم بأن تقلع أصول الشجر ، بل خذ ما تيسر من قضباناه وعيدانه ، وأسرع لنا فى الشئ .

وعدى ، فتستعجلان قضائى . فإن وعدى لاخلف له ، وإن وعدى نازل بفرعون ، وعذابى واقع به وبقومه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ
ءَاَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَآءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى ذكره : وقطعنا بنى إسرائيل البحر حتى جاوزوه (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ) يقول : فتابعهم فرعون (وَجُنُودُهُ) يقال منه : أتبعته وتبعته بمعنى واحد ، وقد كان الكسائى فيما ذكر أبو عبيد عنه يقول : إذا أريد أنه أتبعهم خيرا أو شرا فالكلام أتبعهم بهمز الألف وإذا أريد اتبع أثرهم أو اقتدى بهم ، فإنه من اتبعت مشددة التاء غير مهموزة الألف (بَغْيًا) على موسى وهارون ومن معهما من قومهما من بنى إسرائيل (وَعَدُوًّا) يقول : واعتداء عليهم ، وهو مصدر من قولهم : عدا فلان على فلان فى الظلم ، يعدو عليه عدواً . مثل غزا يغزو غزواً . وقد روى عن بعضهم أنه كان يقرأ (بَغْيًا وَعَدُوًّا) وهو أيضاً مصدر من قولهم : عدا يعدو عدواً ، مثل علا يعلو علواً (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ) يقول : حتى إذا أحاط به الغرق ، وفى الكلام متروك قد ترك ذكره بدلالة مظهر من الكلام عليه وذلك فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا فيه ، فغرقناه حتى إذا أدركه الغرق .

وقوله (قَالَ ءَاَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَآءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون حين أشرف على الغرق وأيقن بالهلكة (ءَاَمَنْتُ) يقول : أقررت (أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَآءِيلَ) .

واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأ بعضهم ، وهو قراءة عامة المدينة والبصرة أنه بفتح الألف من أنه على إعمال آمنت فيها ونصبها به . وقرأ آخرون : آمنت إنه بكسر الألف من أنه على ابتداء الخبر ، وهى قراءة عامة الكوفيين .

والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، وبأيتهما قرأ القارى فصيـب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، عن عبد الله بن شداد ، قال : اجتمع يعقوب وبنوه إلى يوسف ، وهم اثنان وسبعون ، وخرجوا مع موسى من مصر ، حين خرجوا وهم ستمائة ألف ، فلما أدركهم فرعون فأروه ، قالوا : يا موسى أين المخرج ؟ فقد أدركنا قد كنا نلقى من فرعون البلاء ، فأوحى الله إلى موسى (أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) ويبس لهم البحر ، وكشف الله عن وجه الأرض ، وخرج فرعون على فرس حصان أدهم ، على لونه من الدم ثمان مئة ألف سوى ألوانها من الدواب ، وكانت تحت جبريل

عليه السلام فرس وديق^(١) ليس فيها أنثى غيرها ، وميكائيل يسوقهم ، لا يشذ رجل منهم إلا ضمه إلى الناس ، فلما خرج آخر بني إسرائيل دنا منه جبريل ولصق به ، فوجد الحصان ريح الأنثى ، فلم يملك فرعون من أمره شيئا ، وقال : أقدموا فليس القوم أحق بالبحر منكم ، ثم أتبعهم فرعون حتى إذا هم أولهم أن يخرجوا ارتطم ونادى فيها (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ونودى (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، وعن عدى بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : يرفعه أحدهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إِنَّ جِبْرَائِيلَ كَانَ يَدُسُّ فِي فَمِ فِرْعَوْنَ الطِّينَ مَخَافَةَ أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقري ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن عدى بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « جَعَلَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدُسُّ أَوْ يَحْشُو فِي فَمِ فِرْعَوْنَ الطِّينَ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن كثير بن زاذان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « قَالَ لِي جِبْرَائِيلُ : يَا مُحَمَّدُ لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أُعْطُهُ وَأَدُسُّ مِنْ تَحْتِهِ فِي فِيهِ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ فَيَغْفِرُ لَهُ » يعني فرعون .

حدثني المثني ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ قَالَ : آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ . فَقَالَ جِبْرَائِيلُ : يَا مُحَمَّدُ لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخِذٌ مِنْ حِمَاةِ الْبَحْرِ وَأَدُسُّ فِي فِيهِ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ » .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو ، عن حكام ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَمَّا قَالَ فِرْعَوْنُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، جَعَلَ جِبْرَائِيلُ يَحْشُو فِي فِيهِ الطِّينَ وَالسُّرَابَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : أخبرني من سمع ميمون بن مهران يقول في قوله (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ) قال : أخذ جبرائيل من حماة البحر فضرب بها فاه ، أو قال : ملأها فاه مخافة أن تدركه رحمة الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا الحسين بن علي ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران ، قال : خطب الضحاك بن قيس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن فرعون كان عبدا طاغيا ناسيا لله ، فلما أدركه الغرق (قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) قال الله (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) .

(١) يقال فرس وديق ، وبغلة وديق : إذا أرادت الفحل وخرصت عليه .

قال : ثنى أبي ، عن شعبة ، عن عدي بن ثابت ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس : أن فرعون لما أدركه الغرق جعل جبرائيل يحشو في فيه التراب خشية أن يغرق له .

قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن عيسى بن المغيرة ، عن إبراهيم التيمي ، أن جبرائيل عليه السلام قال : ما خشيت على أحد من بني آدم الرحمة إلا فرعون ، فإنه حين قال ما قال خشيت أن تصل إلى الرب فيرحمه ، فأخذت من حمأة البحر وزبدته ، فضربت به عينيه ووجهه .

قال أخبرنا أبو خالد الأحمر ، عن عمر بن يعلى ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : قال جبرائيل عليه السلام : لقد خشيت فاه الحمأة مخافة أن تدركه الرحمة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا قَدْ عَصَيْنَا قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾

يقول تعالى ذكره معرّفا فرعون قبح صنيعه أيام حياته . وإساءته إلى نفسه أيام صحته ، بتماديته في طغيانه ومعصيته ربه حين فزع إليه في حال حلول سخطه به ، ونزول عقابه ، مستجيّرا به من عذابه الواقع به لما ناداه وقد علته أمواج البحر ، وغشيته كرب الموت (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) له : المتقادين بالذلة له ، المعترفين بالعبودية : الآن تقرّ لله بالعبودية ، وتستسلم له بالذلة ، وتخلص له الألوهة ، وقد عصيته قبل نزول نعمته بك ، فأخطته على نفسك ، وكنت من المفسدين في الأرض ، الصادّين عن سبيله ، فهلا وأنت في مهل ، وباب التوبة لك منفتح ، أقررت بما أنت به الآن مقرّ ؟ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافُلُونَ﴾

يقول تعالى ذكره لفرعون : فالיום نجعلك على نجوة من الأرض ببदनك ، ينظر إليك هالكا من كذب بهلاكك (لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) يقول : لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك ، فيزجرون عن معصية الله والكفر به ، والسعي في أرضه بالفساد ، والنجوة : الموضع المرتفع على ماحوله من الأرض ، ومنه قول أوس بن حجر :

فَمِنْ بَعْقَةٍ وَتِهِ كَمَنْ يَنْجُو تِهِ وَالْمُسْتَكِينُ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحٍ (١)

(١) في (اللسان عقا) العقوة : الساحة وما حول الدار والمحلة ، جمعها عقاء . يقال : نزل بعقوة ، وما بعقوة هذه الدار مثل فلان أي بساحتها . وفي اللسان : نجاة : النجوة : ما ارتفع من الأرض ، ونسب بيت الشاهد إلى عبيد بن الأبرص . والمستكن : المستتر في الكن ، والكن والكنة والكنان (بكسر الكاف فيهن) ؛ وقاء كل شيء وستره . ولكن : البيت أيضا والجمع : أكنان وأكنة . والقرواح : الأرض البارزة للشمس قال عبيد ؛ « فن بعقوته » (كذا في اللسان : قرح) وأنشد البيت ونسبه لعبيد أيضا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبي السليل ، عن قيس بن عباد وغيره قال : قالت بنو إسرائيل لموسى : إنه لم يمت فرعون ، قال : فأخرجه الله إليهم ينظرون إليه مثل الثور الأحمر .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد الجري ، عن أبي السليل ، عن قيس بن عباد ، قال : وكان من أكثر الناس ، أو أحدث الناس عن بني إسرائيل ، قال : فحدثنا أن أول جنود فرعون لما انتهى إلى البحر هابت الخيل الذهب ، قال : ومثل لحصان منها فرس وديق^(١) ، فوجد ربحها ، أحسبه أنا ، قال : فأنسل فاتبعته ، قال : فلما تمام آخر جنود فرعون في البحر ، وخرج آخر بني إسرائيل أمر البحر فانطبق عليهم ، فقالت بنو إسرائيل : ما مات فرعون ، وما كان لميوت أبدا ، فسمع الله تكذيبهم نبيه ، قال : فرمى به على الساحل ، كأنه ثور أحمر يترأاه بنو إسرائيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، عن عبد الله بن شداد (فَاَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) قال : بدنه : جسده رمى به البحر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَاَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) قال : بجسدك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الأصبع بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما جاوز موسى البحر بجميع من معه ، التقى البحر عليهم ، يعنى على فرعون وقومه فأغرقهم ، فقال أصحاب موسى : إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ، ولا تؤمن بهلاكه . فدعا ربه فأخرجه ، فنبذه البحر حتى استيقنوا بهلاكه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَاَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً) يقول : أنكر ذلك طوائف من بني إسرائيل ، فقدفه الله على ساحل البحر ينظرون إليه . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً) قال : لما أغرق الله فرعون لم تصدق طائفة من الناس بذلك ، فأخرجه الله آية وعظة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمي ، عن أبيه ، عن أبي السليل عن قيس بن عباد أو غيره : بنحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن معمر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد (فَاَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) قال : بجسدك .

(١) الوديق من الخيل والبغال والأتق : التي تريد الفعل .

قال : ثنا محمد بن بکیر ، عن ابن جریج ، قال : بلغنی ، عن مجاهد (فَالْيَوْمَ نُنَجِّیْكَ بِبَدَنِكَ)
قال : بحسبك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنی حجاج ، عن ابن جریج ، قال : کذب بعض بنی اسرائیل
بموت فرعون ، فرمی به علی ساحل البحر لیراه بنو اسرائیل ، قال : كأنه ثور أحمر .
وقال آخرون : تنجو بحسبك من البحر فتخرج منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنی محمد بن سعد ، قال : ثنی أبی ، قال : ثنی عمنی ، قال : ثنی أبی ، عن أبیه ، عن ابن عباس ،
قوله (فَالْيَوْمَ نُنَجِّیْكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) يقول : أنجی الله فرعون لبنی اسرائیل
من البحر ، فنظروا إلیه بعد ما غرق .

❦ فإن قال قائل : وما وجه قوله : ببदनك ، وهل يجوز أن ینجیه بغير بدنه ، فیحتاج الكلام إلى أن یقال
فیه ببदनك ؟ قيل : كان جائزاً أن ینجیه بهیئته حیاً كما دخل البحر : فلما كان جائزاً ذلك . قيل : فالیوم
ننجیک ببदनك ، لیعلم أنه ینجیه بالبدن بغير روح ، ولكن میتاً .

وقوله (وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) يقول تعالى ذكره : وإن كثيراً من الناس
عن آیاتنا . یعنی : عن حبیبنا وأدلتنا علی أن العبادة والألوهة لنا خالصة لغافلون . يقول : لساھون .
لا یفکرون فیها ولا یعتبرون بها .

القول فی تاویل قوله تعالى :

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝۱۶

❦ يقول تعالى ذكره : ولقد أنزلنا بنی اسرائیل منازل صدق ، قيل : عنی بذلك الشام وبيت المقدس ،
وقيل : عنی به الشام ومصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربی وأبو خالد ، عن جویبر ، عن الضحاک (مَبْوَءَ صِدْقٍ) قال :
منازل صدق : مصر والشام .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مَبْوَءَ صِدْقٍ) قال :
بوأهم الله الشام وبيت المقدس .

حدثنی یونس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زید (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ
صِدْقٍ) الشام . وقرأ (إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمین) . وقوله (وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ)
يقول : ورزقنا بنی اسرائیل من حلال الرزق وهو الطيب .

وقوله (فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) يقول جل ثناؤه : فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بنى إسرائيل ، حتى جاءهم ما كانوا به عالمين ، وذلك أنهم كانوا قبل أن يبعث محمد النبي صلى الله عليه وسلم مجمعين على نبوة محمد ، والإقرار به وبمبعثه ، غير مختلفين فيه بالنعت الذي كانوا يجدونه مكتوبا عندهم ، فلما جاءهم ما عرفوا كفرو به بعضهم ، وآمن به بعضهم ، والمؤمنون به منهم كانوا عددا قليلا ، فذلك قوله : فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه نبيا لله ، فوضع العلم مكان المعلوم .

وكان بعضهم يتأول العلم ههنا : كتاب الله ووحيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِبَغْيَا بَيْنَهُمْ) (١) قال : العلم : كتاب الله الذي أنزله ، وأمره الذي أمرهم به ، وهل اختلفوا حتى جاءهم العلم بغيا بينهم أهل هذه الأهواء . هل اقتتلوا إلا على البغي ؟ قال : والبغي وجهان : وجه النفاسة في الدنيا . ومن اقتتل عليها من أهلها ، وبغي في العلم يرى هذا جاهلا مخطئا ، ويرى نفسه مصيبا عالما . فيبغى باصابتها وعلمه على هذا المخطئ .

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن ربك يا محمد يقضي بين المختلفين من بنى إسرائيل فيك يوم القيامة : فيما كانوا فيه من أمرى في الدنيا يختلفون : بأن يدخل المكذبين بك منهم النار ، والمؤمنين بك منهم الجنة ، فذلك قضاؤه يومئذ فيما كانوا فيه يختلفون من أمر محمد صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإن كنت يا محمد في شكٍّ من حقيقة ما أخبرناك وأنزل إليك من أن بنى إسرائيل لم يختلفوا في نبوتك قبل أن تبعث رسولا إلى خلقه . لأنهم يجدونك عندهم مكتوبا ويعرفونك بالصفة التي أنت بها موصوف في كتابهم في التوراة والإنجيل : فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك من أهل التوراة والإنجيل كعبد الله بن سلام ونحوه من أهل الصدقة والإيمان بك منهم دون أهل الكذب والكفر بك منهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك . قال أهل التأويل .

(١) نظم هذه الآية (حتى جاءهم العلم إن ربك ...) الخ . وأما آية الخاتمة (إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا ...) الخ فتنبه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في قوله (فاستسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) قال : التوراة والإنجيل الذين أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، فآمنوا به ، يقول : فاستلهم إن كنت في شك بأنك مكتوب عندهم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله تعالى (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ، فاستسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) قال : هو عبد الله بن سلام كان من أهل الكتاب ، فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (فاستسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) قال : هم أهل الكتاب .

حدثت عن الحسين بن الفرج . قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد . قال : سمعت الضحاك يقول (فاستسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) يعني أهل التقوى وأهل الإيمان من أهل الكتاب ، ممن أدرك نبي الله صلى الله عليه وسلم .

فإن قال قائل : أو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في شك من خبر الله أنه حق يقين حتى قيل له (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاستسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) قيل : لا وكذلك قال جماعة من أهل العلم .

حدثني يعقوب بن إبراهيم . قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك) فقال : لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو . عن أي عوانة ، عن أي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاستسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) قال : ما شك وما سأل .

حدثني الحرث . قال : ثنا القاسم بن سلام . قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ومنصور ، عن الحسن في هذه الآية . قال : لم يشك صلى الله عليه وسلم ولم يسأل .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . قوله (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاستسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا أشك ولا أسأل » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى . قال : ثنا محمد بن ثور . عن معمر . عن قتادة (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاستسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا أشك ولا أسأل » .

فإن قال : فما وجه مخرج هذا الكلام إذن إن كان الأمر على ما وصفت ؟ قيل : قد بينا في غير موضع

(۱) في العبارة اختصار كثير ، ولعل الأصل : قال : الكتاب : التوراة والإنجيل . والذين يقرءون الكتاب : الذين أدركوا . . الخ

من كتابنا هذا استجازة العرب قول القائل منهم لمملوكه : إن كنت مملوكي فانتبه إلى أمري ، والعبد المأمور بذلك لا يشك سيده القائل له ذلك أنه عبده كذلك قول الرجل منهم لابنه إن كنت ابني فبرني ، وهو لا يشك في ابنه أنه ابنه ، وإن ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم ، وذكرنا ذلك بشواهد ، وأن منه قول الله تعالى (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بَنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) وقد علم جل ثناؤه أن عيسى لم يقل ذلك ، وهذا من ذلك لم يكن صلى الله عليه وسلم شاكا في حقيقة خبر الله وصحته ، والله تعالى بذلك من أمره كان عالما ، ولكنه جل ثناؤه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضا ، إذ كان القرآن بلسانهم نزل .

وأما قوله (لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) . . . الآية ، فهو خبر من الله مبتدأ ، يقول تعالى ذكره : أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بأنك لله رسول ، وأن هؤلاء اليهود والنصارى يعلمون صحة ذلك ، ويجدون نعتك عندهم في كتبهم (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) يقول : فلا تكونن من الشاكين في صحة ذلك وحقيقته ، ولو قال قائل : إن هذه الآية خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد بها بعض من لم يكن صحت بصيرته بنبوته صلى الله عليه وسلم ممن كان قد أظهر الإيمان بلسانه ، تنبيهها له على موضع تعرف حقيقة أمره ، الذي يزيل اللبس عن قلبه ، كما قال جل ثناؤه (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) كان قولاً غير مدفوعة صحته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : ولا تكونن من الذين كذبوا بحجج الله وأدلته ، فتكون ممن غبن حظه ، وباع رحمة الله ورضاه بسخطه وعقابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين وجبت عليهم يا محمد كلمة ربك وهي لعنته إياهم ، بقوله (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) فثبتت عليهم ، يقال منه : حق على فلان كذا يحق عليه : إذا ثبت ذلك عليه ووجب . وقوله (لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ) يقول : لا يصدقون بحجج الله ، ولا يقرؤون بوحداية ربهم ، ولا بأنك لله رسول ، ولو جاءتهم كل آية وموعظة وعبرة فعابنوها حتى يعابنوا العذاب الأليم ، كما لم يؤمن فرعون وملؤه ، إذ حقت عليهم كلمة ربك ، حتى عابنوا العذاب الأليم ، فحينئذ قال (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ) يسئو إسرائيل حين لم ينفعه قبيله ، فكذلك هؤلاء الذين حقت

عليهم كلمة ربك من قومك ، من عبدة الأوثان وغيرهم ، لا يؤمنون بك فيتبعونك إلا في الحين الذي لا ينفعهم إيمانهم .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إن الذين حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) قال : حق عليهم سخط الله بما عصوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إن الذين حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) حق عليهم سخط الله بما عصوه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَثُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَابَ الْخَزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : فها كانت قرية آمنت ، وهي كذلك فيما ذكر في قراءة أبي .

ومعنى الكلام : فها كانت قرية آمنت عند معاينتها العذاب ، ونزول سخط الله بها بعصيانها ربها واستحقاقها عقابه ، فنفعها إيمانها ذلك في ذلك الوقت ، كما لم ينفع فرعون إيمانه حين أدركه الغرق بعد تماديه في غبه ، واستحقاقه سخط الله بمعصيته (إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ) فإنهم نفعهم إيمانهم بعد نزول العقوبة وحلول السخط بهم فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى الذين لم ينفعهم إيمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم ، وأخرجهم منهم ، وأخبر خلقه أنه نفعهم إيمانهم خاصة من بين سائر الأمم غيرهم .

فإن قال قائل : فإن كان الأمر على ما وصفت من أن قوله (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا) بمعنى : فها كانت قرية آمنت بمعنى الجحود ، فكيف نصب قوم ، وقد علمت أن ما قبل الاستثناء إذا كان جحداً كان ما بعده مرفوعاً ، وأن الصحيح من كلام العرب : ما قام أحد إلا أخوك ، وما خرج أحد إلا أبوك ، قيل : إن ذلك إنما يكون كذلك إذا كان ما بعد الاستثناء من جنس ما قبله ، وذلك أن الأخ من جنس أحد ، وكذلك الأب . ولكن لو اختلف الجنس حتى يكون ما بعد الاستثناء من غير جنس ما قبله كان الفصيح من كلامهم النصب ، وذلك لو قلت : ما بقي في الدار أحد إلا الوتد ، وما عندنا أحد إلا كلباً أو حميراً ، لأن الكلب والوتد والحمير من غير جنس أحد ، ومنه قول النابغة الذبياني :

أُعِيَّتْ جَوَابَا وَمَا بِالرَّبْعِ مِثْلُ أَحَدٍ

ثم قال :

إِلَّا أَوَارِيَّ لَا يَأِي مَا أُبَيِّسُهَا وَالشُّؤْيُ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلَسُ

(١) هذا الشاهد من كلام النابغة الذبياني : زياد بن معاوية . وقد سبق الاستشهاد به في الجزء الخامس من التفسير ص ٢٧٧ .

فنصب الأورى إذ كان مستثنى من غير جنسه فكذلك نصب قوم يونس لأنهم أمة غير الأمم الذين استنوا منهم من غير جنسهم وشكلهم ، وإن كانوا من بنى آدم ، وهذا الاستثناء الذي يسميه بعض أهل العربية الاستثناء المنقطع ، ولو كان قوم يونس بعض الأمة الذين استنوا منهم كان الكلام رفعا ، ولكنهم كما وصفت .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَمَّوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا) يقول : لم تكن قرية آمنت فنفعها الإيمان إذا نزل بها بأس الله ، إلا قرية يونس .

قال ابن جريج : قال مجاهد : فلم تكن قرية آمنت فنفعها إيمانها كما نفع قوم يونس إيمانهم إلا قوم يونس حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) يقول : لم يكن هذا في الأمم قبلهم لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فزكت إلا قوم يونس لما فقدوا نبيهم ، وظنوا أن العذاب قد دنا منهم . قذف الله في قلوبهم التوبة . ولبسوا المسوخ ، وأهلوا بين كل بهيمة وولدها ، ثم عجوا إلى الله أربعين ليلة ، فلما عرف الله الصدق من قلوبهم ، والتوبة والندامة على ماضيهم ، كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم . قال : وذكر لنا أن قوم يونس كانوا بنيوى أرض الموصل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ) قال : بلغنا أنهم خرجوا فزلوا على تل ، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ، يدعون الله أربعين ليلة ، حتى تاب عليهم . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الحميد الحماني ، عن إسماعيل بن عبد الملك ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : غشى قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن صالح المري ، عن قتادة ، عن ابن عباس إن العذاب كان هبط على قوم يونس ، حتى لم يكن بينهم وبينه إلا قدر ثلثي ميل ، فلما دعوا كشف الله عنهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد وإسحاق . قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجیح . عن مجاهد (فَلَمَّوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا) قال : كما نفع قوم يونس . زاد أبو حذيفة في حديثه قال : لم تكن قرية آمنت حين رأت العذاب فنفعها إيمانها ، إلا قوم يونس متعناهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : ثنا رجل قد قرأ القرآن في صدره في إمارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فحدث عن قوم يونس

(١) أهلوا : فرقوا . والهزة فيه بدل من الواو . وفي حديث قتادة الأسدي : « غير أن لا توله ذات ولد عن ولدها » . اللسان .

حين أنذر قومه فكذبوه ، فأخبرهم أن العذاب يصيبهم ففارقهم ، فلما رأوا ذلك وغشيم العذاب ، لكنهم أخرجوا من مساكنهم ، وصعدوا في مكان رفيع ، وأنهم جأروا إلى ربهم ودعوه مخلصين له الدين أن يكشف عنهم العذاب . وأن يرجع إليهم رسولهم ، قال : في ذلك أنزل (فَلَئِنْ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَسَمِعَهَا إِيْمَانُهَا . إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) فلم تكن قرية غشيم العذاب ، ثم أمسك عنها إلا قوم يونس خاصة ؛ فلما رأى ذلك يونس . لكنه ذهب عاتبا على ربه ، وانطلق مغاضبا . وظن أن لن نقدر عليه حتى ركب في سفينة فأصاب أهلها عاصف الريح ، فذكر قصة يونس وخبره .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، قال : لما رأوا العذاب ينزل ففرقوا بين كل أنثى وولدها من الناس والأنعام ، ثم قاموا جميعا فدعوا الله وأخلصوا لإيمانهم ، فرأوا العذاب يكشف عنهم ، قال يونس حين كشف عنهم العذاب : أرجع إليهم وقد كذبتهم ، وكان يونس قد وعدهم العذاب بصبح ثالثة ، فعند ذلك خرج مغضبا وساء ظنه .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن عبد الملك ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما أرسل يونس إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام وترك ما هم عليه ، قال : فدعاهم فأبوا ، فقليل له : أخبرهم أن العذاب مصيبتهم ، فقالوا : إنا لم نجرب عليه كذبا فانظروا ، فان بات فيكم فليس بشيء وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصيبتكم ، فلما كان في جوف الليل أخذ مخلاته ، فتزود فيها شيئا ، ثم خرج ، فلما أصبحوا تغشاهم العذاب كما يتغشى الإنسان الثوب في القبر ، ففرقوا بين الإنسان وولده وبين البهيمة وولدها ، ثم عجزوا إلى الله ، فقالوا : آمنا بما جاء به يونس ، وصدقنا ، فكشف الله عنهم العذاب ، فخرج يونس ينظر العذاب فلم ير شيئا ، قال : جربوا على كذبا ، فذهب مغاضبا لربه حتى أتى البحر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : ثنا ابن مسعود في بيت المال ، قال : إن يونس عليه السلام كان قد وعد قومه العذاب وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام ، ففرقوا بين كل والد وولدها ، ثم خرجوا فجأروا إلى الله واستغفروه ، فكشف الله عنهم العذاب ، وغدا يونس ينظر العذاب ، فلم ير شيئا ، وكان من كذب ولم تكن له بيعة قتل ، فانطلق مغاضبا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا صالح المري ، عن أبي عمران الجوني ، عن أبي الجلود جيلان ، قال : لما غشى قوم يونس العذاب مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم ، فقالوا له : إنه قد نزل بنا العذاب فما ترى ؟ فقال : قولوا يا حيّ حين لا حيّ ، ويا حيّ محي الموتى ، ويا حيّ لا إله إلا أنت ، فكشف عنهم العذاب ومتّعوا إلى حين .

(١) لكنهم : اللام حرف جر والكن : البيت والمأوى ، أي غشيم العذاب وهم في بيوتهم .

(٢) أبو الجلود : جيلان بن فروة الأسدي بصري ، روى عنه أبو عمران الجوني وغيره (تاج العروس) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : بلغني في حرف ابن مسعود
فلولا يقول فهلا .

وقوله (كَلِمًا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول : لما صدقوا رسولهم
وأقروا بما جاءهم به بعد ما أظلمهم العذاب ، وغشهم أمر الله ، ونزل بهم البلاء ، كشفنا عنهم عذاب
الهُوان والذل في حياتهم الدنيا (وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) يقول : وأخرنا في آجالهم ولم نعالجهم بالعقوبة ،
وتركناهم في الدنيا يستمتعون فيها بآجالهم إلى حين مماتهم ووقت فناء أعمارهم التي قضيت فناءها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٣١

يقول تعالى ذكره لنبيه (وَلَوْ شَاءَ) يا محمد (رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا)
بك فصدقوك أنك لي رسول ، وأن ما جئتهم به ، وما تدعوهم إليه من توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ،
حق ، ولكن لا يشاء ذلك ، لأنه قد سبق من قضاء الله قبل أن يبعثك رسولا ، أنه لا يؤمن بك ولا يتبعك
فيصدقك بما بعثك الله به من الهدى والنور إلا من سبق له السعادة في الكتاب الأول ، قبل أن يخلق
السموات والأرض وما فيهن ، وهؤلاء الذين عجبوا من صدق إيحائنا إليك هذا القرآن لتندبر به من أمرتك
بإلذاره ممن قد سبق له عندي أنهم لا يؤمنون بك في الكتاب السابق .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله
(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا) وما كان لينفقس أن تؤمن إلا بأذن
الله) ونحو هذا في القرآن ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على
الهدى ، فأخبره الله أنه لا يؤمن من قومه إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأول ، ولا يضل إلا
من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول .

فإن قال قائل : فما وجه قوله (لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا) فالكل يدل على الجميع ،
والجميع على الكل ، فما وجه تكرار ذلك ، وكل واحدة منهما تغني عن الأخرى ؟ قيل : قد اختلف أهل
العربية في ذلك ، فقال بعض نحوي أهل البصرة : جاء بقوله جميعا في هذا الموضع توكيدا كما قال :
(لَا تَتَّخِذُوا لِلْهِتَابِ اثْنَيْنِ) في قوله : إلهين دليل على الاثنين ، وقال غيره : جاء بقوله : جميعا ،
بعد كلهم ، لأن جميعا لا تقع إلا توكيدا ، وكلهم يقع توكيدا واسما ، فلذلك جاء بجميعة بعد كلهم . قال :

ولو قيل : إنه جمع بينهما ليعلم أن معناه واحد لحاز ههنا ، قال : وكذلك (إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ) العدد كله يفسر به ، فيقال : رأيت قوما أربعة ، فلما جاء باثنين ، وقد اكتفى بالعدد منه لأنهم يقولون : عندي درهم ودرهمان ، فيكفي من قولهم : عندي درهم واحد ودرهمان اثنان ، فإذا قالوا دراهم ، قالوا ثلاثة ، لأن الجمع يلتبس ، والواحد والاثنان لا يلتبان ، لم يثن الواحد والثنية على ثنائي الجمع ، لأنه ينبغي أن يكون مع كل واحد واحد ، لأن درهما يدل على الجنس الذي هو منه ، وواحد يدل على كل الأجناس ، وكذلك اثنان يدلان على كل الأجناس ، ودرهمان يدلان على أنفسهما ، فلذلك جاء بالأعداد لأنه الأصل . وقوله (أَفَأَنْتَ تُكْذِرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنه لن يصدقك يا محمد ولن يتبعك ، ويقر بما جئت به إلا من شاء ربك أن يصدقك ، لا باكرهك إياه ، ولا بحرصك على ذلك ، أفأنت تكذره الناس حتى يكونوا مؤمنين لك ، مصدقين على ما جئتهم به من عند ربك ، يقول له جل ثناؤه (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين - الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْثِقَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه : وما كان لنفس خلقتها من سبيل إلى تصديقك يا محمد إلا بإذن لها في ذلك ، فلا تجهدن نفسك في طلب هداها ، وبلغها وعيد الله وعرفها ما أمرك ربك بتعريفها ، ثم خلها ، فان هداها بيد خالقها .

وكان الثوري يقول في تأويل قوله (إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) ما حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، في قوله (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْثِقَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) قال : بقضاء الله .

وأما قوله (وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) فإنه يقول تعالى ذكره : إن الله يهدي من يشاء من خلقه للإيمان بك يا محمد ، وإأذن له في تصديقك فيصدقك ويتبعك ، ويقر بما جئت به من عند ربك ، ويجعل الرجس ، وهو العذاب ، وغضب الله على الذين لا يعقلون ، يعني الذين لا يعقلون عن الله حججه ومواعظه وآياته التي دل بها جل ثناؤه على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وحقيقة مادعاهم إليه من توحيد الله ، وخلع الأنداد والأوثان .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ) قال : السخط .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِ الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره (قُلْ) يا محمد هؤلاء المشركين من قومك ، السائلينك الآيات على صحة ما تدعوهم إليه من توحيد الله ، وخلع الأنداد والأوثان (انظُرُوا) أيها القوم (ماذا في السموات) من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله من شمسها وقمرها ، واختلاف ليلها ونهارها ، ونزول الغيث بأرزاق العباد من سحابها : (و) في (الأرض) من جبالها وتصدعها بنباتها ، وأقوات أهلها ، وسائر صنوف عجائبها ، فإن في ذلك لكم إن عقلتم وتدبرتم موعظة ومعتبرا ، ودلالة على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك ، ولاله على تدبيره وحفظه ظهير يغنيكم عما سواه من الآيات ، يقول الله جل ثناؤه (وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ) يقول جل ثناؤه : وما تغني الحجج والعبر والرسل المندرة عباد الله عقابه ، عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء ، وقضى لهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار لا يؤمنون بشيء من ذلك ولا يصدقون به (وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظِرِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم محذرا مشركي قومه من حلول عاجل نقمه بساحتهم ، نحو الذي حلّ بنظرائهم من قبلهم ، من سائر الأمم الخالية من قبلهم ، السالكة في تكذيب رسل الله ، وجحود توحيد ربهم سبيلهم ، فهل ينتظر يا محمد هؤلاء المشركون من قومك المكذبون بما جشتم به من عند الله ، إلا يوما يعاينون فيه من عذاب الله مثل أيام أسلافهم الذين كانوا على مثل الذي هم عليه من الشرك والتكذيب ، الذين مضوا قبلهم ، فخلوا من قوم نوح وعاد وثمود ، قل لهم يا محمد : إن كانوا ذلك ينتظرون ، فانظروا عقاب الله إياكم ، ونزول بخطه بكم ، إني من المنتظرين هلاككم وبواركم بالعقوبة التي تحمل بكم من الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ

أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول : وقائع الله في الذين خلوا من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، في قوله
 (فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ) ، قُلْ فانتظروا إني معكم من
 المنتظرين) قال : خوفهم عذابه ونقمته وعقوبته ، ثم أخبرهم أنه إذا وقع من ذلك أمر أنجي الله رسله
 والذين آمنوا معه ، فقال الله (ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ)

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿۱۲﴾

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك انتظروا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم من
 الأمم السالفة الذين هلكوا بعذاب الله ، فإن ذلك إذا جاء لم يهلك به سواهم ، ومن كان على مثل الذي هم
 عليه من تكذيبك ، ثم ننجي هناك رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، ومن آمن به وصدق به واتبعه على
 دينه ، كما فعلنا قبل ذلك برسولنا الذين أهلكتنا أممهم ، فأنجيناهم ومن آمن به معهم من عذابنا حين حق على
 أممهم (كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ) يقول : كما فعلنا بالماضين من رسولنا فأنجيناها والمؤمنين
 معها ، وأهلكتنا أممها ، كذلك نفعل بك يا محمد وبالمؤمنين ، فننجيك وننجي المؤمنين بك حقا علينا
 غير شك .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ
 اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿۱۳﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين عجبوا
 أن أوحيت إليك إن كنتم في شك أيها الناس من ديني الذي أدعوكم إليه ، فلم تعلموا أنه حق من عند الله
 فاني لأعبد الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأوثان التي لاتسمع ولا تبصر ولا تغني عن شيئا ،
 فتشكوا في صحتهم ، وهذا تعريض ولحن من الكلام لطيف .

وإنما معنى الكلام : إن كنتم في شك من ديني ، فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه ، وإنما ينبغي لكم أن تشكوا
 في الذي أنتم عليه من عبادة الأصنام التي لاتعقل شيئا ، ولا تضر ولا تنفع ، فأما ديني ، فلا ينبغي لكم أن
 تشكوا فيه ، لأنني أعبد الله الذي يقبض الخلق فيميتهم إذا شاء وينفخهم ، ويضر من يشاء ، وذلك أن عبادة
 من كان كذلك لا يستنكرها ذو فطرة صحيحة . وأما عبادة الأوثان فينكرها كل ذي لب وعقل صحيح .

وقوله (وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ) يقول : ولكن أعبد الله الذي يقبض أرواحكم

فيميتكم عند آجالكم (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول : وهو الذي أمرني أن أكون من المصدقين بما جاءني من عنده .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : وأمرت أن أكون من المؤمنين ، وأن أقم . وأن الثانية عطف على أن الأولى ، ويعنى بقوله (أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ) أقم نفسك على دين الإسلام حنيفا مستقيما عليه ، غير معوج عنه إلى يهودية ، ولا نصرانية ، ولا عبادة وثن (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يقول : ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه الآلهة والأنداد فتكون من الهالكين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : ولا تدع يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة ، ولا يضررك في دين ولا دنيا ، يعنى بذلك الآلهة والأصنام ، يقول : لاتعبدها راجيا نفعها أو خائفا ضررها ، فانها لاتنفع ولا تضر ، فان فعلت ذلك ، فدعوتها من دون الله ، فإنك إذن من الظالمين ، يقول : من المشركين بالله ، الظالم لنفسه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ يُمَسِّسْكَ اللَّهُ بُضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه : وإن يصببك الله يا محمد بشدة أو بلاء فلا كاشف لذلك إلا ربك الذي أصابك به دون ما يعبد هؤلاء المشركون من الآلهة والأنداد (وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ) يقول : وإن يردك ربك برخاء أو نعمة وغافية وسرور (فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) يقول : فلا يقدر أحد أن يحول بينك وبين ذلك ولا يردك عنه ، ولا يحرمك ، لأنه الذي بيده السراء والضراء دون الآلهة والأوثان ، ودون ماسواه (يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ) يقول : يصيب ربك يا محمد بالرخاء والبلاء والسراء والضراء من يشاء ، ويريد من عباده ، وهو الغفور لذنوب من تاب وأناب من عباده من كفره وشركه ، إلى الإيمان به وطاعته ، الرحيم بمن آمن به منهم وأطاعه أن يعذبه بعد التوبة والإنابة .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ يَتَابِعُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَنَّا هُتْدَىٰ فَاِتَمَّا هُتْدَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَاِتَمَّا يَضِلَّ عَلَيْهَا وَمَا اَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد للناس (يا أيُّها الناس) قد جاءكم الحق من ربكم فتنَّا هُتْدَى فَاِتَمَّا هُتْدَى لِنَفْسِهِ (يعنى : كتاب الله ، فيه بيان كل ما بالناس إليه حاجة من أمر دينهم) فتنَّا هُتْدَى يقول : فن استقام فسلك سبيل الحق ، وصدق بما جاء من عند الله من البيان (فَاِتَمَّا هُتْدَى لِنَفْسِهِ) يقول : فَاِتَمَّا يستقيم على الهدى ، ويسلك قصد السبيل لنفسه ، فَاِتَمَّا يَبْغِي الْخَيْرَ بَفْعَاهُ ذَلِكَ لِغَيْرِهَا (وَمَنْ ضَلَّ) يقول : ومن اعوجَّ عن الحق الذي أتاه من عند الله ، وخالف دينه ، وما بعث به محمداً ، والكتاب الذي أنزله عليه (فَاِتَمَّا يَضِلَّ عَلَيْهَا) يقول : فان ضلَّاه ذلك إنما يجنى به على نفسه لا على غيرها ، لأنه لا يؤخذ بذلك غيرها ، ولا يورد بضلاله ذلك المهالك سوى نفسه (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) (وَمَا اَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) يقول : وما أنا عليكم بمسلط على تقويمكم ، إنما أمركم إلى الله ، وهو الذي يقوم من شاء منكم ، وإنما أنا رسول مبلغ أبلغكم ما أرسلت به إليكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٥٩﴾

يقول تعالى ذكره : واتبع يا محمد وحى الله الذى يوحىه إليك وتزيله الذى ينزله عليك ، فاعمل به واصبر على ما أصابك فى الله من مشركى قومك من الأذى والمكارة ، وعلى ما نالك منهم حتى يقضى الله فيهم وفيك أمره بفعل فاضل (وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) يقول : وهو خير القاصين وأعدل الفاصلين ، فحكم جل ثناؤه بينه وبينهم يوم بدر ، وقتلهم بالسيف ، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم فيمن بقى منهم أن يسلك بهم سبيل من أهلك منهم أو يتوبوا وينيبوا إلى طاعته .

كما حدثنى يونس . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد : فى قوله (وَمَا اَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) . وَأَصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) قال : هذا منسوخ ، حتى يحكم الله ، حكم الله بجهادهم ، وأمره بالغلظة عليهم .

والله الموفق للصواب ، والحمد لله وحده ، والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

(١١) سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ثَلَاثُ وَعِشْرُونَ وَمِائَةً

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِيبُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾

قال أبو جعفر : قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله (الرَّ) . والصواب من القول في ذلك عندنا بشواهد ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ) يعني : هذا الكتاب الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو القرآن ، ورفع قوله : كِتَابٌ بَنِيَّةٌ : هذا كتاب . فأما على قول من زعم أن قوله (الرَّ) مراد به سائر حروف المعجم التي نزل بها القرآن ، وجعلت هذه الحروف دلالة على جميعها . وأن معنى الكلام : هذه الحروف كتاب أحكمت آياته ، فإن الكتاب على قوله . ينبغي أن يكون مرفوعا بقوله (الرَّ) .

وأما قوله (أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله . فقال بعضهم : تأويله : أحكمت آياته بالأمر والنهي ، ثم فصلت بالثواب والعقاب .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرني أبو محمد الثقفى ، عن الحسن ، في قوله (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ) قال : أحكمت بالأمر والنهي ، وفصلت بالثواب والعقاب . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عبد الكريم بن محمد الجرجاني ، عن أبي بكر الهذلي ، عن الحسن (الرَّ) كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ) قال : أحكمت في الأمر والنهي وفصلت بالوعيد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن رجل ، عن الحسن (الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ) قال : بالأمر والنهي (ثُمَّ فُصِّلَتْ) قال : بالثواب والعقاب . وروى عن الحسن قول خلاف هذا . وذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبي بكر ، عن الحسن ، قال : وحدثنا عباد بن العوام ، عن رجل ، عن الحسن ، (أُحْكِمَتْ) بالثواب والعقاب (ثُمَّ فُصِّلَتْ) بالأمر والنهي .

وقال آخرون : معنى ذلك : أحكمت آياته من الباطل ، ثم فصلت ، فبين منها الحلال والحرام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ

فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه ، فبين حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أُنْكِسَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ) قال : أحكمها الله من الباطل ، ثم فصلها : بينها .

❦ وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : أحكم الله آياته من الدّخل والخلل والباطل ، ثم فصلها بالأمر والنهي ، وذلك أن إحكام الشيء : إصلاحه وإتقانه ، وإحكام آيات القرآن إحكامها من خلل يكون فيها ، أو باطل يقدر دوزيغ أن يطعن فيها من قبله . وأما تفصيل آياته فإنه تمييز بعضها من بعض بالبيان عما فيها من حلال وحرام وأمر ونهي . وكان بعض المفسرين يفسر قوله (فُصِّلَتْ) بمعنى : فسرت ، وذلك نحو الذي قلنا فيه من القول .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (ثُمَّ فُصِّلَتْ) قال : فسرت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فُصِّلَتْ) قال : فسرت .

قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغني ، عن مجاهد (ثُمَّ فُصِّلَتْ) قال : فسرت .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال قتادة : معناه : بيّنت ، وقد ذكرنا الرواية بذلك قبل ، وهو شبيه المعنى بقول مجاهد .

وأما قوله (مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) فإن معناه : حكيم بتدبير الأشياء وتقديرها ، خبير بما يؤول إليه عواقبها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) يقول : من عند حكيم خبير .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿١٠﴾

❦ يقول تعالى ذكره : ثم فصلت بأن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له ، وتخلعوا الآلهة والأنداد ، ثم قال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للناس : إني لكم من عند الله نذير ينذركم عقابه على معاصيه وعبادة الأصنام ، وبشير يبشركم بالجزيل من الثواب على طاعته ، وإخلاص العبادة والألوهة له .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ
وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : ثم فصلت آياته بأن لا تعبدوا إلا الله ، وبأن استغفروا ربكم ، ويعني بقوله (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) وأن اعملوا أيها الناس من الأعمال ما يرضى ربكم عنكم ، فيستر عليكم عظيم ذنوبكم التي ركبتموها بعبادتكم الأوثان والأصنام ، وإشراككم الآلهة والأنداد في عبادته .

وقوله (ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ) يقول : ثم ارجعوا إلى ربكم باخلاص العبادة له دون ما سواه من سائر ما تعبدون من دونه بعد خلعكم الأنداد ، وبراءتكم من عبادتها ، ولذلك قيل : (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ) ولم يقل : وتوبوا إليه ، لأن التوبة معناها الرجوع إلى العمل بطاعة الله ، والاستغفار : استغفار من الشرك الذي كانوا عليه مقيمين ، والعمل لله لا يكون عملاً له إلا بعد ترك الشرك به ، فأما الشرك فإن عمله لا يكون إلا للشيطان ، فذلك أمرهم تعالى ذكره بالتوبة إليه بعد الاستغفار من الشرك ، لأن أهل الشرك كانوا يرون أنهم يطيعون الله بكثير من أفعالهم ، وهم على شركهم مقيمون .

وقوله (يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات : استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، فإنكم إذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا ورزقكم من زينتها ، وأنساً لكم في آجالكم إلى الوقت الذي قضى فيه عليكم الموت .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) فأنتم في ذلك المتاع فخذوه بطاعة الله ومعرفة حقه ، فإن الله منعم بحب الشاكرين ، وأهل الشكر في مزيد من الله ، وذلك قضاؤه الذي قضى . وقوله (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) يعني الموت .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) قال : الموت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) وهو الموت .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) قال : الموت .

وأما قوله (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) فإنه يعني : يثيب كل من تفضل بفضله ماله أو قوته أو معروفه على غيره محتسباً بذلك ، مريداً به وجه الله ، أجزل ثوابه وفضله في الآخرة .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) قال : ما احتسب به من ماله ، أو عمل بيده أو رجله ، أو كلمه ، أو ما تطوع به من أمره كله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه . إلا أنه قال : أو عمل بيده أو رجله وكلامه ، وما تطول به من أمره كله .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج . عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه ، إلا أنه قال : وما نطق به من أمره كله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) أي في الآخرة .

وقد روى عن ابن مسعود أنه كان يقول في تأويل ذلك ما حدثت به عن المسيب بن شريك ، عن أبي بكر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن مسعود ، في قوله (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) قال : من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ، ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات ، فإن عوقب بالسيئة التي كان عملها في الدنيا ، بقيت له عشر حسنات ، وإن لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ، ثم يقول : هلك من غلب آحاده أعشاره .

وقوله (وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) يقول تعالى ذكره : وإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من إخلاص العباداة لله ، وترك عبادة الآلهة ، وامتنعوا من الاستغفار لله والتوبة إليه ، فأدبروا مولين عن ذلك ، فإنني أخاف عليكم عذاب يوم كبير شأنه ، عظيم هوله ، وذلك (يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) . وقال جل ثناؤه (وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) ولكنه بما قد تقدمه قول ، والعرب إذا قدمت قبل الكلام قولاً خاطبت ، ثم عادت إلى الخبر عن الغائب ، ثم رجعت بعد إلى الخطاب ، وقد بينا ذلك في غير موضع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : إلى الله أيها القوم ما بكم ومصيركم ، فاحذروا عقابه إن توليتم عما أدعوكم إليه من التوبة إليه من عبادتكم الآلهة والأصنام ، فإنه مخلدكم نار جهنم إن هلكتم على شرككم قبل التوبة إليه (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول : وهو على إحيائكم بعد مماتكم ، وعقابكم على إشتراككم به الأوثان ، وغير ذلك مما أراد بكم وبغيركم قادر .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَا إِنَّهُمْ يَكْتُمُونَ صُدُورَهُمْ لَيْسَتْ خُفُوفًا مِنْهُ إِلَّا حِينَ يَسْتَخْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥١﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (أَلَا إِنَّهُمْ يَكْتُمُونَ صُدُورَهُمْ) فقراءته عامة الأمصار (أَلَا إِنَّهُمْ يَكْتُمُونَ صُدُورَهُمْ) على تقدير يفعلون من ثنيت ، والصدور منصوبة .
واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله . فقال بعضهم : ذلك كان من فعل بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم غطي وجهه ، وثني ظهره .
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى . قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن حصين ، عن عبد الله بن شداد في قوله (أَلَا إِنَّهُمْ يَكْتُمُونَ صُدُورَهُمْ لَيْسَتْ خُفُوفًا مِنْهُ إِلَّا حِينَ يَسْتَخْشُونَ ثِيَابَهُمْ) قال : كان أحدهم إذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بثوبه على وجهه وثني ظهره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين . قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد . قوله (أَلَا إِنَّهُمْ يَكْتُمُونَ صُدُورَهُمْ لَيْسَتْ خُفُوفًا مِنْهُ) قال : من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان المنافقون إذا مروا به ثني أحدهم صدره ويغطون رأسه . فقال الله (أَلَا إِنَّهُمْ يَكْتُمُونَ صُدُورَهُمْ) . . . الآية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون . قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، قال : سمعت عبد الله بن شداد يقول . في قوله (يَكْتُمُونَ صُدُورَهُمْ) قال : كان أحدهم إذا مر بالنبي صلى الله عليه وسلم ثني صدره . وتغشى بثوبه كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم .
وقال آخرون : بل كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله . وظننا أن الله يخفي عليه ما تضره صدورهم إذا فعلوا ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَكْتُمُونَ صُدُورَهُمْ) قال : شكوا وامترأ في الحق . ليستخفوا من الله إن استطاعوا .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة . قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَكْتُمُونَ صُدُورَهُمْ) شكوا وامترأ في الحق . (لَيْسَتْ خُفُوفًا مِنْهُ) قال : من الله إن استطاعوا .
حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَكْتُمُونَ صُدُورَهُمْ) قال : تضيق شكاً .

(١) قال بثوبه على وجهه : غطاء به ومستر به .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَشْنُونْ صُدُورَهُمْ) قال : تضيق شكاً وامترأ في الحق ، قال : (لِيَسْتَخَفُّوا مِنْهُ) قال : من الله إن استطاعوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هوزة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله (أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونْ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخَفُّوا مِنْهُ) قال : من جهالتهم به ، قال الله (أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) قال : من جهالتهم به ، قال الله (أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) في ظلمة الليل في أجواف بيوتهم (يَعْلَمُ) تلك الساعة (مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين (أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونْ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخَفُّوا مِنْهُ) قال : كان أحدهم يخنى ظهره ، ويستغشى بثوبه .

وقال آخرون : إنما كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كلام الله تعالى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بسر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونْ صُدُورَهُمْ) . . . الآية قال : كانوا يخنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله ، قال تعالى (أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) وذلك أخفى ما يكون ابن آدم إذا خنى صدره ، واستغشى بثوبه ، وأضمر همه في نفسه ، فإن الله لا يخفى ذلك عليه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) قال : أخفى ما يكون الإنسان إذا أسر في نفسه شيئاً ، وتغشى بثوبه ، فذلك أخفى ما يكون ، والله يطلع على ما في نفوسهم ، والله يعلم ما يسرون وما يعلنون .

وقال آخرون : إنما هذا إخبار من الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن المنافقين الذين كانوا يضمرون له العداوة والبغضاء ، ويبدون له المحبة والمودة ، وأنهم معه وعلى دينه ، يقول جل ثناؤه : أَلَا إِنَّهُمْ يَطْوُونَ صُدُورَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ لِيَسْتَخَفُّوا مِنْ اللَّهِ ، ثم أخبر جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرائرهم وعلاانيتهم .
وقال آخرون : كانوا يفعلون ذلك إذا ناجى بعضهم بعضاً .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونْ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخَفُّوا مِنْهُ) قال : هذا حين يناجى بعضهم بعضاً . وقرأ (أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) . . . الآية . وروى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك (أَلَا إِنَّهُمْ تَشْنُونِي صُدُورُهُمْ) على مثال : تَحْتَلُولِي التمرة : تفمعوها ،

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة . عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سمعت ابن عباس يقرأ (أَلَا إِنَّهُمْ تَشْنُونِي صُدُورُهُمْ) قال : كانوا لا يأتون النساء ولا الغائط إلا وقد تغشوا بشياهم كراهة أن يفضوا بفروجهم إلى السماء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمعت محمد بن عباد ابن جعفر يقول : سمعت ابن عباس يقرأها (أَلَا إِنَّهُمْ تَشْنُونِي صُدُورُهُمْ) قال : سألتها عنها ، فقال : كان ناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء ، وأن يصيبوا فيفضوا إلى السماء .

وروى عن ابن عباس في تأويل ذلك قول آخر ، وهو ما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : أخبرت عن عكرمة ، أن ابن عباس ، قرأ (أَلَا إِنَّهُمْ تَشْنُونِي صُدُورُهُمْ) وقال ابن عباس : تشنوني صدورهم : الشك في الله وعمل السيئات (يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) يستكبر ، أو يستكن من الله ، والله يراه (يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن رجل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه قرأ (أَلَا إِنَّهُمْ تَشْنُونِي صُدُورُهُمْ) قال عكرمة : تشنوني صدورهم ، قال : الشك في الله وعمل السيئات : فيستغشي ثيابه . ويستكن من الله ، والله يعلم ما يسرون وما يعلنون .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرءاء الأمصار ، وهو (أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونُ صُدُورَهُمْ) على مثال يفعلون ، والصدور نصب بمعنى : يحنون صدورهم ويكبونها .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : قوله (يَشْنُونُ صُدُورَهُمْ) يقول : يكبون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عبي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس . قوله (أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونُ صُدُورَهُمْ) يقول : يكتمون ما في قلوبهم (أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ) ما عملوا بالليل والنهار .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونُ صُدُورَهُمْ) يقول : تشنوني صدورهم ، وهذا التأويل الذي تأوله الضحاك على مذهب قراءة ابن عباس ، إلا أن الذي حدثنا هكذا ذكر القراءة في الرواية . فإذا كانت القراءة التي ذكرنا أولى القراءتين في ذلك بالصواب لإجماع الحجة من القراء عليها .

فأولى التأويلات بتأويل ذلك ، تأويل من قال : إنهم كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله أنه يخفى عليه ما تضره نفوسهم أو تناجوه بينهم .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية . لأن قوله (لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) بمعنى : ليستخفوا من الله ، وأن الماء في قوله (مِنْهُ) عائدة على اسم الله . ولم يجر لمحمد ذكر قبل ، فيجعل من ذكره صلى الله عليه وسلم وهي في سياق الجبر عن الله : فإذا كان ذلك كذلك كانت بأن تكون من ذكر الله أولى ، وإذا صح أن

(١) يريد أنهم كانوا يستحيون أن يبرزوا في الللاء ، أو يصيبوا نساءهم . . . الخ .

ذلك كذلك ، كان معلوما أنهم لم يحدّثوا أنفسهم أنهم يستخفون من الله إلا بجهلهم به ، فلما أخبرهم جلّ ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرّ أمورهم وعلائقها على أيّ حال كانوا تغشوا بالثياب ، أو ظهروا بالبراز ، فقال (ألا حين يستغشون ثيابهم) يعني : يتغشون ثيابهم يغطونها ، ويلبسون ، يقال منه : استغشى ثوبه وتغشاه ، قال الله : واستغشوا ثيابهم ، وقالت الخنساء :

أرعى النجومَ وما كلفست رعيّتها وتازةً أتغشى فضّل أطماري

(يعلم ما يسرون) يقول جلّ ثناؤه : يعلم ما يسرّ هؤلاء الجهالة بربهم ، الظانون أن الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم إذا حنوها على ما فيها وثنوه ، وما تناجوه بينهم فأخفوه ، وما يعلنون ، سواء عنده سرائر عبادته وعلائقهم ، إنه عليم بذات الصدور ، يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بكلّ ما أخفته صدور خلقه من إيمان وكفر وحقّ وباطل وخير وشرّ ، وما تستجنه مما لم يحنه بعد .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (ألا حين يستغشون ثيابهم) يقول : يغطون رؤوسهم .

قال أبو جعفر ، فاحذروا أن يطلع عليكم ربكم وأنتم مضمرون في صدوركم الشكّ في شيء من توحيده أو أمره أو نهيه ، أو فيما ألزمكم الإيمان به والتصديق ، فهلكوا باعتقادكم ذلك .

والله أعلم

تمّ الجزء الحادى عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى

ويليه الجزء الثانى عشر

وأوله : القول فى تأويل قوله تعالى (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها)

(۱) البيت للخنساء ، أنشده صاحب اللسان فى (رعى) قال : ورعى النجوم رعىا ورعاها : راقبها وانتظر مغيبها ، قالت الخنساء : أرعى النجوم . . . البيت . . . وفى (اللسان : غشى) : استغشى بثوبه ، وتغشى : أى تغطى . وأطمارى : جمع طمر ، وهو الثوب الخلق . ومنه فى الحديث : « رب ذى طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره » أى رب ذى خلقين أطاع الله ، حقّ لو سأل الله أجابه .

جَامِعُ الْبَيَانِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيرٍ الطَّسْبَرِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢١٠ هـ

الجزء الثاني عشر

دار الفکر

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

ببيروت لبنان } المكاتب، البناية المركزية - هاتف، ٢٤٤٧٣٩ - ص.ك.، ١١/٧٠٦١
المطابع والمعمل، نخارة حريك - شارع عبد النور - هاتف، ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
ببرقيا، فكسي - تليكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

فهارس الجزء الثاني عشر من جامع البيان ، عن تأويل آي القرآن

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦	وما من دابة في الأرض . . .	١	٢٩	ويا قوم لا أسألكم عليه مالا . . .	٢٩
٧	وهو الذي خلق السموات . . .	٣	٣٠	ويا قوم من ينصرني من الله . . .	٣٠
٨	ولئن أخرجنا عنهم العذاب إلى أمة . . .	٦	٣١	ولا أقول لكم عندي خزائن الله . . .	٣٠
٩	ولئن أذقنا الإنسان منارحة . . .	٧	٣٢	قالوا يانوح قد جادلنا . . .	٣١
١٠	ولئن أذقناه نعماء بعد ضرأء مستته . . .	٨	٣٣	قال إنما يأتيكم به الله . . .	٣١
١١	إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات . . .	٨	٣٤	ولا ينفعكم نصحي . . .	٣١
١٢	فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك . . .	٨	٣٥	أم يقولون افتراه . . .	٣٢
١٣	أم يقولون افتراه . . .	٩	٣٦	وأوحى إلى نوح أنه . . .	٣٢
١٤	فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا . . .	١٠	٣٧	واصنع الفلك بأعيننا ووحينا . . .	٣٣
١٥	من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها . . .	١١	٣٨	ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ . . .	٣٤
١٦	أولئك الذين ليس لهم في الآخرة . . .	١٤	٣٩	فسوف تعلمون من يأتيه عذاب . . .	٣٤
١٧	أفمن كان على بينة من ربه . . .	١٤	٤٠	حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور . . .	٣٤
١٨	ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا . . .	٢٠	٤١	وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها . . .	٤٣
١٩	الذين يصدون عن سبيل الله . . .	٢١	٤٢	وهي تجري بهم في موج كالجبال . . .	٤٥
٢٠	أولئك لم يكونوا معجزين . . .	٢٢	٤٣	قال سآوى إلى جبل يعصمني . . .	٤٥
٢١	أولئك الذين خسروا أنفسهم . . .	٢٣	٤٤	وقيل يا أرض ابلعي ماءك . . .	٤٦
٢٢	لاجرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون . . .	٢٣	٤٥	ونادى نوح ربه فقال . . .	٤٩
٢٣	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٢٤	٤٦	قال يا نوح إنه ليس من أهلك . . .	٤٩
٢٤	مثل الفريقين كالأعمى والأصم . . .	٢٥	٤٧	قال رب إني أعوذ بك . . .	٥٤
٢٥	ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه . . .	٢٦	٤٨	قيل يا نوح اهبط بسلام منا . . .	٥٤
٢٦	أن لا تعبدوا إلا الله . . .	٢٦	٤٩	تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك . . .	٥٦
٢٧	فقال الملأ الذين كفروا من قومه . . .	٢٦	٥٠	وإلى عاد أخاهم هودا . . .	٥٧
٢٨	قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة . . .	٢٨	٥١	يا قوم لا أسألكم عليه أجرا . . .	٥٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٢	ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا . . .	٥٧	٨٠	قال لو أن لي بكم قوة . . .	٨٦
٥٣	قالوا يا هود ما جئتنا ببينة . . .	٥٨	٨١	قالوا يا لوط إنا رسل ربك . . .	٨٨
٥٤	إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا . . .	٥٩	٨٢	فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها . . .	٩٣
٥٥	فكيدوني جميعا . . .	٥٩	٨٣	مسومة عند ربك . . .	٩٣
٥٦	إني توكلت على الله ربي وربكم . . .	٦٠	٨٤	وإلى مدين أخاهم شعيبا . . .	٩٨
٥٧	فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به . . .	٦١	٨٥	ويا قوم أوفوا المكيال والميزان . . .	٩٩
٥٨	ولما جاء أمرنا نجينا هودا . . .	٦١	٨٦	بتقيت الله خير لكم . . .	١٠٠
٥٩	وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم . . .	٦١	٨٧	قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك . . .	١٠١
٦٠	وأُتبعوا في هذه الدنيا لعنة . . .	٦٢	٨٨	قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة . . .	١٠٣
٦١	وإلى ثمود أخاهم صالحا . . .	٦٢	٨٩	ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى . . .	١٠٤
٦٢	قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا . . .	٦٣	٩٠	واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه . . .	١٠٥
٦٣	قال يا قوم أرأيتم إن كنت . . .	٦٣	٩١	قالوا يا شعيب مانفقه كثيرا . . .	١٠٥
٦٤	ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية . . .	٦٤	٩٢	قال يا قوم أرهطى أعز عليكم . . .	١٠٦
٦٥	ففقروها فقال تمتعوا في داركم . . .	٦٤	٩٣	ويا قوم اعملوا على مكانتكم . . .	١٠٨
٦٦	فلما جاء أمرنا نجينا صالحا . . .	٦٥	٩٤	ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا . . .	١٠٨
٦٧	وأخذ الذين ظلموا الصبيحة . . .	٦٨	٩٥	كأن لم يغشوا فيها ألا بعدا . . .	١٠٩
٦٨	كأن لم يغشوا فيها . . .	٦٨	٩٦	ولقد أرسلنا موسى بآياتنا . . .	١٠٩
٦٩	ولقد جاءت رسلنا لإبراهيم . . .	٦٨	٩٧	إلى فرعون وملئه فاتبعوا . . .	١٠٩
٧٠	فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكبرهم . . .	٧٠	٩٨	يتقدم قومه يوم القيامة . . .	١٠٩
٧١	وامراته قائمة فضحك فبشرناها . . .	٧١	٩٩	وأُتبعوا في هذه لعنة . . .	١١٠
٧٢	قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز . . .	٧٦	١٠٠	ذلك من أنباء القرى نقصه عليك . . .	١١١
٧٣	قالوا أتعجبين من أمر الله . . .	٧٦	١٠١	وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم . . .	١١٢
٧٤	فلما ذهب عن إبراهيم الروع . . .	٧٧	١٠٢	وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى . . .	١١٤
٧٥	إن إبراهيم لحليم أواه منيب . . .	٧٧	١٠٣	إن في ذلك لآية لمن خاف . . .	١١٤
٧٦	يا إبراهيم أعرض عن هذا . . .	٨٠	١٠٤	وما تؤخره إلا لأجل معدود . . .	١١٥
٧٧	ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم . . .	٨١	١٠٥	يوم يأت لاتكلم نفس إلا بإذنه . . .	١١٥
٧٨	وجاءه قومه يهزءون إليه . . .	٨٣	١٠٦	فأما الذين شققوا في النار . . .	١١٥
٧٩	قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك . . .	٨٦	١٠٧	خالدين فيها ما دامت السموات . . .	١١٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٨	وأما الذين سجدوا في الجنة . . .	١١٥	١٢	أرسله معنا غدا يرتع ويلعب . . .	١٥٨
١٠٩	فلا تلك في مرية مما يعبد هؤلاء . . .	١٢٢	١٣	قال إني ليحزنني أن تذهبوا به . . .	١٦٠
١١٠	ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف . . .	١٢٣	١٤	قالوا لئن أكله الذئب . . .	١٦٠
١١١	وإن كلاً لما ليوفينهم ربك . . .	١٢٣	١٥	فلما ذهبوا به وأجمعوا . . .	١٦٠
١١٢	فاستقم كما أمرت ومن تاب . . .	١٢٦	١٦	وجاءوا أباهم عشاء يبكون . . .	١٦٢
١١٣	ولا تركنوا إلى الذين ظلموا . . .	١٢٦	١٧	قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق . . .	١٦٢
١١٤	وأقم الصلاة طرّ في النهار . . .	١٢٧	١٨	وجاءوا على قميصه بدم كذب . . .	١٦٣
١١٥	واصبر فإن الله لا يضيع أجر . . .	١٣٨	١٩	وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم . . .	١٦٦
١١٦	فلولا كان من القرون من قبلكم . . .	١٣٨	٢٠	وشروه بثمان بنحس دراهم معدودة . . .	١٧٠
١١٧	وما كان ربك ليهلك القرى . . .	١٤٠	٢١	وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته . . .	١٧٤
١١٨	ولو شاء ربك لجعل الناس . . .	١٤٠	٢٢	ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً . . .	١٧٦
١١٩	إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم . . .	١٤٠	٢٣	وراودته التي هو في بيتها عن نفسه . . .	١٧٨
١٢٠	وكلا نقص عليك من أنباء الرسل . . .	١٤٥	٢٤	ولقد هممت به وهم بها . . .	١٨٣
١٢١	وقل للذين لا يؤمنون اعملوا . . .	١٤٧	٢٥	واستبقا الباب وقدت قميصه . . .	١٩١
١٢٢	وانظروا إنا منتظرون . . .	١٤٧	٢٦	قال هي راودتني عن نفسي . . .	١٩٣
١٢٣	ولله غيب السموات والأرض . . .	١٤٨	٢٧	وإن كان قميصه قد من دبر . . .	١٩٣
سورة يوسف عليه السلام			٢٨	فلما رأى قميصه قد من دبر . . .	١٩٣
١	الآن تلك آيات الكتاب المبين . . .	١٤٩	٢٩	يوسف أعرض عن هذا . . .	١٩٧
٢	إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . . .	١٤٩	٣٠	وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز . . .	١٩٧
٣	نحن نقص عليك أحسن القصص . . .	١٥٠	٣١	فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن . . .	٢٠١
٤	إذ قال يوسف لأبيه يا أبت . . .	١٥١	٣٢	قالت فذلكن الذي لمتني فيه . . .	٢٠٩
٥	قال يا بني لا تقصص رؤياك . . .	١٥٢	٣٣	قال رب السجن أحب إلي . . .	٢١٠
٦	وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك . . .	١٥٣	٣٤	فاستجاب له ربه فصرف عنه . . .	٢١١
٧	لقد كان في يوسف وإخوته . . .	١٥٤	٣٥	ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات . . .	٢١٢
٨	إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب . . .	١٥٤	٣٦	ودخل معه السجن فتيان . . .	٢١٣
٩	اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا . . .	١٥٥	٣٧	قال لا يأتيكما طعام ترزقانه . . .	٢١٧
١٠	قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف . . .	١٥٥	٣٨	واتبعت ملة آباءي إبراهيم . . .	٢١٨
١١	قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا . . .	١٥٧	٣٩	يا صاحبي السجن أرباب . . .	٢١٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٠	ما تعبدون من دونه إلا أسماء . . .	٢١٩	٤٧	قال تزرعون سبع سنين دأباً . . .	٢٣٠
٤١	يا صاحبي السجن أما أحد كما . . .	٢٢٠	٤٨	ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد . . .	٢٣٠
٤٢	وقال للذي ظن أنه ناج منهما . . .	٢٢١	٤٩	ثم يأتي من بعد ذلك عام . . .	٢٣١
٤٣	وقال الملك إني أرى سبع بقرات . . .	٢٢٥	٥٠	وقال الملك اثتوني به فلما جاءه . . .	٢٣٤
٤٤	قالوا أضغاث أحلام . . .	٢٢٦	٥١	قال ماخطبك إذ راودتني يوسف . . .	٢٣٦
٤٥	وقال الذي نجا منهما . . .	٢٢٧	٥٢	ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب . . .	٢٣٧
٤٦	يوسف أيها الصديق أفتنا . . .	٢٢٧			

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٤٧	١ تأويل قوله تعالى « وما من دابة » . . . الآية .
٤٩	٢ والصواب في معنى الدابة والمستقر والمستودع .
٥٧	٣ تأويل قوله « وهو الذي خلق السموات » . . .
٦٢	الآية ، وبيان بدء هذا العالم ، وخلق السموات في أيام الأسبوع .
٦٨	١١ إذا عمل الإنسان الطيبات لأجل الدنيا يستوفي أجر ذلك فيها ، وليس له في الآخرة إلا ما عمل لها .
٨١	١٤ تأويل قوله « أفن كان على بينة » . . . الآية .
٩٨	والخلاف في المراد من البينة .
١١٥	١٧ بيان الصواب فيها .
١٢١	١٨ نهى الله رسوله عن الشك في أن النار موعده من كفر .
١٢٧	٢٠ تأويل قوله « ومن أظلم » . . . الآية ، ومعنى
١٤٠	الأشهاد .
	٢١ ما يفعل بالمرء يوم القيامة .
	٢٦ تأويل قوله « ولقد أرسلنا نوحا » وما تم لنوح مع قومه .
	٣٢ تأويل قوله « أم يقولون افتراه » وبيان أنه من كلام الله لحمد صلى الله عليه وسلم .
	٣٥ مقدار الزمن الذي مكثه نوح في قومه يدعوهم إلى التوحيد ، وما صنع قومه به .
	٣٩ من أي موضع كان انفجار الماء أولا .
٤٧	الموضع واليوم اللذين رست فيهما السفينة ، وما فعله نوح ومن معه في ذلك اليوم .
٤٩	ابن نوح الذي غرق ، أهو ابنه ، أم ابن امرأته ؟
٥٧	تأويل قوله « وإلى عاد » ، وسياق خبر هود معهم .
٦٢	تأويل قوله « وإلى ثمود » ، وخبر صالح معهم .
٦٨	تأويل قوله « ولما جاءت رسلنا لإبراهيم » ، وخبره مع الملائكة .
٨١	تأويل قوله « ولما جاءت رسلنا لوطا » ، وتتمام قصته مع الملائكة وقومه .
٩٨	تأويل قوله « وإلى مدين أخاهم شعيبا » ، ونصائحهم لأهل مدين ، وما تم له معهم .
١١٥	تأويل قوله « يوم يأت » . . . الآية .
١٢١	المراد بالاستثناء المذكور في شأن أهل النار وأهل الجنة .
١٢٧	تأويل قوله « وأقم الصلاة » . . . الآية ، وما أشير بالآية إليه من الصلوات .
١٤٠	تأويل قوله « ولو شاء ربك لجعل الناس » . . . الآية ، وأن الاختلاف بالشقاء والسعادة من مقتضيات علمه .

الصفحة	الصفحة
١٧٤ بيان من اشترى يوسف من مصر .	١٤٩ تفسير سورة يوسف
١٧٦ السن الذي بلغ فيه يوسف أشدّه .	١٥١ أسماء الكواكب التي رآها يوسف عليه
١٧٨ ما فعلته امرأة العزيز حين راودت يوسف .	السلام في منامه .
١٨٥ البرهان الذي رآه يوسف .	١٥٥ ما فعل إخوة يوسف به حين أرادوا إلقاءه
١٩٣ الخلاف في الشاهد الذي شهد ليوسف .	في الحبّ .
٢٠١ المكر الذي سمعته امرأة العزيز ، والمتكأ	١٦٢ ما فعله نبيّ الله يعقوب حين أتى بنوه
الذي أعدّه .	بالقميص ملطخا بالدم .
٢١٣ خبر الغلامين اللذين دخلا معه السجن .	١٦٨ ما فعله اللذين أخرجوا يوسف من الحبّ ،
٢٢٤ الخلاف في قدر المدة التي لبثها يوسف	وإخفاؤهم أمره عمن معهم من التجار .
في السجن .	١٧٠ بيان أن إخوة يوسف باعوه للذي أخرجه
٢٢٥ المنام الذي رآه الملك وطلب تعبيره .	بشمن زهيد .
٢٣٥ ما ورد في صبره عليه السلام .	

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٧١	والصَّلَعَا	١٠٩	وتودُّدِ	٩٤	الكَرْبُ
١٨	مَدْفَعَا	٢٣٣	المنجودِ	٤١	وَتُصِيبُ
١٢٥	مَصْرَعَا	٦٢	العُنْدَا	٨١	عَصِيبِ
١٥٨	الرتاعَا	٢١٠	فاعْبُدَا	٤١	مُشْرَبِ
	ف		ر	١٢١	الحُبَابِ
٨٣	الأُنُوفِ	١٢٣	مَصَادِرُهُ	٨٢	عَصِيبُ
١٢٩	فَنَزَلْنَا	٧٥	سِيَارِ	٦٣	ثَوْبِي
	ق	٧٥	يَا حَارِ	٢١١	يُضْيِي
١١٦	نَهَقُ	١٠٦	الظَّهْرِ	١١٣	تَبَابَا
٧٣	اللَّقَا	٢٣٤	مُعَصِّرِ		ت
	ل	٢٠٥	إِكْبَارَا	١٨١	هَيْتُ
١٩٨	طَلَّ	٤٥	العَيْسُ	١٧٩	أَيْتَا
١٩٧	مَالُ	٤٦	الكَاسِي	١٧٩	هَيْتَا
١٧٧	كُوَامِلُ	١٥٧	والكنائسِ	٦٩	يَهْرَجَا
٧٣	النَّحْلِ		ع	٦٩	ح
١١١	أَقْتَالِ	٤٤	تَطْلَعُ	٦٩	اللَّوَائِحُ
٢٢٦	شِمَالِ	٧١	جُرْشَعُ		د
٢٠٠	الطَّالِي	١٦٨	مَصْرَعُ	١٤٠	المُتَادُ
١٥٧	الْهَلَالِ	١٩٨	الأصَابِعُ	٢٧	بَدِي
١٧٧	الأموالِ	٨٣	مَهَارِعِ	٢٧	وَيَدِي
٢٣٠	بِمَاسَلِ	٤١	مَعَا		
١٦١	عَقْمَتُمُكِلِ				

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٨٨	بان	٧٨	الْحَمْنُخِمِ	٨٢	الطَّوَالَا
١٢٥	حُقَّانِ	١٢٤	الْمَخَارِمِ	١٦٥	مَعْقُولَا
٢٠٩	مُسْتَوِيَانِ	١١٦	الدِّمَا		م
٢٠٩	تَلْتَمِيَانِ	١٧٠	هَامَةً	١٩٧	وَالْحَتُومُ
١٢٤ ، ٣٣	لَقِينَا			٢٣١	لَا زَمُ
٧٤	وُدِينَا		ن	٦٠	وَمَا شَمُ
٣٢	لِسَانِي	٢٢٦	مُكْتَمِنُ	٢٠٨	وَالشَّتَمُ

٤ - فهرس الأحاديث

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
١٣٣	جعلت الصلوات كفارات لما بينهن ...	١٣٦	أتى رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ...
٣	خلق الله التربة يوم السبت ...	٤	أتى قوم رسول الله ﷺ فدخلوا عليه ...
٨٧	رحمة الله على لوط، إنه كان ...	١٥١	أتى النبي ﷺ رجل من اليهود يقال له بستانة ...
٨٧	رحم الله أخي لوطاً لقد كان ...	١٣٧	أتني امرأة تبتاع بدرهم تمرأ ...
٨٨	رحم الله لوطاً إن كان ليأوي ...	١٣٧	استغفر ربك وصل أربع ركعات ...
٨٨، ٨٧	رحم الله لوطاً، لقد كان يأوي ...	٢٠٧	أعطي يوسف وأمه ثلث حسن أهل الدنيا ...
٢٢٣	رحم الله يوسف لولا كلمته ...	٢٠٧	أعطي يوسف وأمه شطر الحسن ...
١٦٦	سئل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿فصبر جميل﴾ ...	١٣٣	ألا تسألني لم أفعل هذا يا سلمان ...
١٣٧	ضرب رجل على كفل امرأة ...	٦٧	أما بعد: فلا تسألوا رسولكم الآيات ...
٤٧	في أول يوم من رجب ركب نوح السفينة ...	١٣٧	إن امرأة دخلت على رجل يبيع ...
٤	قلت يا رسول الله أين كان ربنا ...	١٣٥	أن رجلاً أصاب من امرأة شيئاً ...
٤	قلت يا رسول الله أين كان ربنا ...	١٣٧	أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة ...
٦٥	كانت ثمود قوم صالح أعمرهم الله ...	١٣٦	أن رجلاً أصاب من امرأة ما دون الجماع ...
٤	كان الله ولا شيء غيره، وكان عرشه ...	١٣٥	أن رجلاً قال للنبي ﷺ: لقيت امرأة ...
٧٨	كيف لك بروعة المؤمن ...	١٣٥	أن رجلاً لقي امرأة في بعض طرق المدينة ...
٦٧	لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ...	١٣٨	أن رجلاً من بني غنم دخلت عليه امرأة ...
٦٧	لا يدخلن أحد منكم القرية ...	١٦٦	أن النبي ﷺ سئل عن قوله: ﴿فصبر جميل﴾ ...
١٩	لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ...	٦٧	أن النبي ﷺ لما أتى الحجر حمد الله ...
٢٠	لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ...	١٣٦	إن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال ...
٢٣٥	لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه ...	١٣	إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ...
١٣٧	لقيت امرأة فالتزمتها غير أنني لم أنكحها ...	١١٤	إن الله يملئ وربما أمهل ...
١١٧	لما نزلت هذه الآية ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ ...	١٣٣	إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ...
٢٣٥	لوبيث إليّ لأسرعت في الإجابة ...	١٩٤	تكلم أربعة وهم صغار ...
٣٥	لورحم الله أحداً من قوم نوح ...	١٣٥	جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: ...
٢٣٥	لو كنت أنا لأسرعت الإجابة ...	١٣٤	جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: ...

مطلع الحديث

الصفحة

مطلع الحديث

الصفحة

لولا أنه — يعني يوسف — قال ...

٢٢٣

من توضاً فأحسن الوضوء تحاتت ...

١٣٥

لولا أن يوسف استشفع على ربه ...

٢٢٣

من توضاً وضوئي هذا، ثم قام ...

١٣٢

لولبثت في السجن ما لبث يوسف ...

٢٣٥

من سمع بي من أمتي أو يهودي ...

٢٠

لوم يستعن يوسف على ربه ...

٢٢٣

هما زلفتا الليل: المغرب والعشاء ...

١٣١، ١٣٠

لوم يقل يوسف ما لبث في السجن ...

٢٢٣

يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات ...

٦٧

ما من أحد يسمع بي من هذه الأمة ...

١٩

يخرج قوم من النار.

١١٨

مثل الصلوات الخمس مثل نهر جار ...

١٣٤

يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه ...

٢١

من أحسن من محسن فقد وقع أجره ...

١٢

يرحم الله يوسف إن كان ذا أناة ...

٢٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) وما تدب دابة في الأرض ، والدابة : الفاعلة من دب فهو يدب ، وهو داب ، وهى دابة (إلا على الله رِزْقُهَا) يقول : إلا ومن الله رزقها الذى يصل إليها هو به متكفل ، وذلك قُوَّتُهَا وغداؤها وما به عيشها .
وينحو الذى قلنا فى ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، فى قوله (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) قال : ما جاءها من رزق فمن الله ، وربما لم يرزقها حتى تموت جوعا ، ولكن ما كان من رزق فمن الله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) قال : كل دابة .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) يعنى : كل دابة والناس منهم . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن كل ماش فهو دابة ، وأن معنى الكلام : وما دابة فى الأرض ، وإن « من » زائدة .

وقوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا) حيث تستقر فيه ، وذلك مأواها الذى تأوى إليه ليلا أو نهارا ، (وَمُسْتَوْدَعَهَا) : الموضع الذى يودعها ، إما بموتها فيه : أو دفنها .

وينحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال ، أخبرنا عبد الرزاق ، قال ، أخبرنا ابن التيمي ، عن ليث ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال (مُسْتَقَرَّهَا) ، حيث تأوى (وَمُسْتَوْدَعُهَا) حيث تموت .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا) يقول ، حيث تأوى (وَمُسْتَوْدَعُهَا) يقول ، إذا مات .
 حدثنا ابن وكيع ، قال ، ثنا المحاربى ، عن ليث ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس (يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا) قال ، المستقر : حيث تأوى ، والمستودع ، حيث تموت .
 وقال آخرون ، (مُسْتَقَرَّهَا) فى الرحم (وَمُسْتَوْدَعُهَا) : فى الصلب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال ، ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا) : فى الرحم (وَمُسْتَوْدَعُهَا) : فى الصلب مثل التى فى الأنعام .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه عن ابن عباس ، قوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا) فالمستقر : ما كان فى الرحم ، والمستودع : ما كان فى الصلب .
 حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا) يقول : فى الرحم (وَمُسْتَوْدَعُهَا) فى الصلب .
 وقال آخرون : المستقر : فى الرحم ، والمستودع : حيث تموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ويعلى بن فضال ، عن إسماعيل ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا) قال : مستقرها : الأرحام ، ومستودعها : الأرض التى تموت فيها .
 قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا) المستقر : الرحم ، والمستودع ، المكان الذى تموت فيه .
 وقال آخرون (مُسْتَقَرَّهَا) : أيام حياتها (وَمُسْتَوْدَعُهَا) : حيث تموت فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس ، قوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا) قال : مستقرها : أيام حياتها ، ومستودعها : حيث تموت ، ومن حيث تبعث .

ولما اخترنا القول الذى اخترناه فيه ، لأن الله جل ثناؤه أخبر أن ما رزقت الدواب من رزق فنه ، فأولى أن يتبع ذلك أن يعلم مثواها ومستقرها دون الخبر عن علمه بما تضمنته الأضلاب والأرحام .

وبعنى بقوله (كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) كتاب دابة ، ومبلغ أرزاقها وقدر قرارها فى مستقرها ،

ومدة لبثها في مستودعها ، كل ذلك في كتاب عند الله مثبت مكتوب مبين ، يبين لمن قرأه أن ذلك مثبت مكتوب قبل أن يخلقها ويوجدتها ، وهذا إخبار من الله جل ثناؤه الذين كانوا يشنون صدورهم ليستخفوا منه أنه قد علم الأشياء كلها ، وأثبتها في كتاب عنده قبل أن يخلقها ويوجدتها ، يقول لهم تعالى ذكره : فمن كان قد علم ذلك منهم قبل أن يوجدتهم ، فكيف يخفى عليه ما تنطوي عليه نفوسهم إذا تسنوا به صدورهم ، واستغشوا عليه ثيابهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : الله الذي إليه مرجعكم أيها الناس جميعا ، هو الذي خلق السموات والأرض في ستة يقول : أيام ، أفيعجز من خلق ذلك من غير شيء ، أن يعيدكم أحياء بعد أن يميتكم ؟ وقيل : إن الله تعالى ذكره خلق السموات والأرض وما فيهن في الأيام الستة ، فاجتزى في هذا الموضع بذكر خلق السموات والأرض من ذكر خلق ما فيهن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ، فقال « خَلَقَ اللَّهُ الْتَرَبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَخَلَقَ الْجِبَالَ فِيهَا يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ فِيهَا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثاءِ ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعاءِ ، وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ يَوْمَ الْخَميسِ ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) قال : بدأ خلق الأرض في يومين ، وقدر فيها أقواتها في يومين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن كعب ، قال : بدأ الله خلق السموات والأرض يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وفرغ منها يوم الجمعة ، فخلق آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة ، قال : فجعل مكان كل يوم ألف سنة .

وحدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاك (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) قال : من أيام الآخرة ، كل يوم مقداره ألف سنة ، ابتداء في الخلق يوم الأحد ، وختم الخلق يوم الجمعة ، فسميت الجمعة ، وسببت يوم السبت فلم يخلق شيئا .

وقوله (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) يقول : وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض وما فيهن .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) قبل أن يخلق شيئا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) ينبئكم ربكم تبارك وتعالى كيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) قال : هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماء والأرض .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حذس ، عن عمه أبي رزين العقيلي ، قال : « قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال : في سماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ » .

حدثنا ابن وكيع ومحمد بن هارون القطان الرازي قالا : ثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حذس ، عن عمه أبي رزين ، قال : « قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : كان في سماء ما فوقه هواء ، وما تحته هواء ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ » . حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل . قال : أخبرنا المسعودي ، قال : أخبرنا جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن ابن حصين ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أتى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلوا عليه ، فجعل يبشرهم ويقولون : أعطنا ، حتى ساء ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرجوا من عنده ، وجاء قوم آخرون فدخلوا عليه ، فقالوا : جئنا نسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونتفق في الدين ، ونسأله عن بدء هذا الأمر ، قال : فاقْبَلُوا الْبُشْرَى إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ خَرَجُوا ، قالوا : قبلنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان الله ولا شيء غيره ، وكان عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، ثُمَّ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ، ثُمَّ أَتَانِي آتٍ ، فَقَالَ : تِلْكَ نَاقَتُكَ قَدْ ذَهَبَتْ ، فَخَرَجْتَ بِشَقَطٍ دُونَهَا السَّرَابُ وَلَوَدِدْتُ أَنِّي تَرَكْتُهَا » .

حدثنا محمد بن منصور ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، قال : ثنا عمرو بن أبي قيس ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) قال : كان عرش الله على الماء ثم اتخذ لنفسه جنة ، ثم اتخذ دونها أخرى ، ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة ، قال : ومن دونهما جنتان ، قال : وهى التى لاتعلم نفس ، أو قال : وهما التى لاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين ،

جزاء بما كانوا يعملون ، قال : وهي التي لا تعلم الخلائق ما فيها أو ما فيها يأتيهم كل يوم منها أو منهما تحفة .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، قال :
سئل ابن عباس ، عن قول الله (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) قال : على أي شيء كان الماء ؟ قال : على
متن الريح .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير
قال : سئل ابن عباس ، عن قوله تعالى (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) على أي شيء كان الماء ؟ قال : على
متن الريح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن سعيد ، عن ابن عباس ،
مثله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ميسر الحلبي ، عن أرطاة بن المنذر ، قال : سمعت ضمرة يقول : إن
الله كان عرشه على الماء ، وخلق السموات والأرض بالحق . وخلق القلم فكتب به ما هو خالق ، وما هو
كائن من خلقه ، ثم إن ذلك الكتاب سبج الله ومجده ألف عام قبل أن يخلق شيئا من الخلق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثني عبد الصمد بن معقل ،
قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن العرش كان قبل أن يخلق الله السموات والأرض ، ثم قبض قبضة
من صفاء الماء ، ثم فتح القبضة ، فارتفع دخان ، ثم قضاها من سبع سموات في يومين ، ثم أخذ طينة من
الماء ، فوضعها مكان البيت ، ثم دحا الأرض منها ، ثم خلق الأقوات في يومين ، والسموات في يومين ،
وخلق الأرض في يومين ، ثم فرغ من آخر الخلق يوم السابع .

وقوله (لِيَسْأَلُوكُمْ آيَاتُكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) يقول تعالى ذكره : وهو الذي خلق السموات والأرض أيها
الناس ، وخلقكم في ستة أيام (لِيَسْأَلُوكُمْ) يقول : ليخبركم (آيَاتُكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) يقول : أيكم أحسن له طاعة .
كما حدثنا عن داود بن الحبر ، قال : ثنا عبد الواحد بن زيد ، عن كليب بن وائل ، عن عبد الله بن
عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه تلا هذه الآية (لِيَسْأَلُوكُمْ آيَاتُكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) قال : آيَاتُكُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَأَوْزَعُ عَنْ مُحَارِمِ اللَّهِ ، وَأَسْرَعُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لِيَسْأَلُوكُمْ آيَاتُكُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا) يعنى الثقلين .

وقوله (وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَرْسُوعُونَ مِّنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا
إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولئن قلت لمرسوعون من قومك
إنكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم ، فتلوت عليهم بذلك تنزيلى ووحى ، ليقولن إن هذا إلا سحر مبين : أى
ما هذا الذي تتلوه علينا مما تقول ، إلا سحر لسامعه ، مبين حقيقته أنه سحر ، وهذا على تأويل من قرأ ذلك
(إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) . وأما من قرأ (إِنْ هَذَا إِلَّا سَاحِرٌ مُّبِينٌ) فإنه يوجه الخبر بذلك عنهم

إلى أنهم وصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه فيما اتاهم به من ذلك ساحر مبين . وقد بينا الصواب من القراءة في ذلك في نظائره فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته ههنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَيْنَ أَخْرَنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لِّيَقُولَنَّ مَا يَجْحِسُ سُلُوكُهُمْ الْيَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ووقت محدود وسنين معلومة ، وأصل الأمة ما قد بينا فيما مضى من كتابنا هذا أنها الجماعة من الناس تجتمع على مذهب ودين . ثم تستعمل في معان كثيرة ترجع إلى معنى الأصل الذي ذكرت ، وإنما قيل للسنين المعدودة والحين في هذا الموضع ونحوه أمة ، لأن فيها تكون الأمة . وإنما معنى الكلام : ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى مجيء أمة وانقراض أخرى قبلها .

وبنحو الذي قلنا من أن معنى الأمة في هذا الموضع الأجل والحين ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، وحدثني المثنى . قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا الثوري ، عن عاصم . عن أبي رزين ، عن ابن عباس (وَلَيِّنُ أَخْرَنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ) قال : إلى أجل محدود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس ، بمثله . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ) قال : أجل معدود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي . عن جوير ، عن الضحاك ، قال : إلى أجل معدود . حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ) قال : إلى حين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة . قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله . عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَلَيِّنُ أَخْرَنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ) يقول : أمسكنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة . قال ابن جريج . قال مجاهد : إلى حين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَسَيْنَا أَخْرَجْنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ) يقول : إلى أجل معلوم .
وقوله (لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ) يقول : ليقولنَّ هؤلاء المشركون ما يحبسه؟ أي شيء يمنع من تعجيل العذاب الذي يتوعدنا به . تكديبا منهم به ، وظنا منهم أن ذلك إنما أخر عنهم لكذب المتوعد .
كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قوله (لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ) قال : للتكذيب به . أو أنه ليس بشيء .

وقوله (أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ) يقول تعالى ذكره تحقيقا لوعيده ، وتصحيحا لخبره ، ألا يوم يأتيهم العذاب الذي يكذبون به ليس مصروفا عنهم ، يقول : ليس يصرفه عنهم صارف ، ولا يدفعه عنهم دافع ، ولكنه يحل بهم فيهلكهم (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول : ونزل بهم وأصابهم الذي كانوا به يسخرون من عذاب الله ، وكان استهزاؤهم به الذي ذكره الله قبل نزوله ما يحبسه نقلا بأنبيائه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك . كان بعض أهل التأويل يقول .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة . قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) قال : ما جاءت به أنبياءهم من الحق .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَيْسَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُفُّورٌ ۝٤١

يقول تعالى ذكره : ولئن أذقنا الإنسان منا رخصا وسعة في الرزق والعيش ، فبسطنا عليه من الدنيا ، وهي الرحمة التي ذكرها تعالى ذكره في هذا الموضع (ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ) يقول : ثم سلبناه ذلك ، فأصابته مصائب أجاحت به ، فذهبت به (إِنَّهُ لَيَكُفُّورٌ) يقول : يظل قنطا من رحمة الله آيسا من الخير .
وقوله : يكفور : فعول ، من قول القائل : يئس فلان من كذا فهو يكفور ، إذا كان ذلك صفة له . وقوله كفور ، يقول : هو كفور لمن أنعم عليه ، قليل الشكر لربه المتفضل عليه بما كان وهب له من نعمته .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَلَسَيْنَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُفُّورٌ) قال : يا ابن آدم إذا كانت بك نعمة من الله من السعة والأمن والعافية ، فكفور لما بك منها ، وإذا نزع منك يتبع لك فراغك ، فيثوس من روح الله ، قنوط من رحمته ، كذلك المرء المنافق والكافر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَيْسَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٥﴾
إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : ولئن نحن بسطنا للإنسان في دنياه ، ورزقناه رخاء في عيشه ، ووسعنا عليه في رزقه وذلك هي النعم التي قال الله جل ثناؤه (وَلَيْسَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ) ، وقوله (بَعْدَ ضَرَاءٍ) يقول : بعد ضيق من العيش كان فيه ، وعسرة كان يعالجها (لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي) يقول تعالى ذكره : ليقولنَّ عند ذلك : ذهب الضيق والعسرة عني ، وزالت الشدائد والمكاره (إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ) يقول تعالى ذكره : إن الإنسان لفرح بالنعم التي يُعطّاها ، مسرور بها فخور ، يقول : ذو فخر بما نال من السعة في الدنيا وما بسط له فيها من العيش ، وينسى صروفها ، ونكد العوارض فيها ، ويدع طلب النعم الذي يبقى ، والسرور الذي يدوم فلا يزول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي) غرة بالله وجراءة عليه (إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ) والله لا يحب الفرحين (فَخُورٌ) بعد ما أعطى الله ، وهو لا يشكر الله .

ثم استثنى جل ثناؤه من الإنسان الذي وصفه بهاتين الصفتين الذين صبروا وعملوا الصالحات ، وإنما جاز استثناءهم منه ، لأن الإنسان بمعنى الجنس ومعنى الجمع ، وهو كقوله (وَالْعَصْرِ) إن الإنسان لسيئ خسِرَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فقال تعالى ذكره : إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات ، فإنهم إن تأتتهم شدة من الدنيا وعسرة فيها ، لم يشتم ذلك عن طاعة الله ، ولكنهم صبروا لأمره وقضائه ، فإن نالوا فيها رخاء وسعة شكروه ، وأدوا حقوقه بما آتاهم منها ، يقول الله (أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يغفرها لهم ، ولا يفضحهم بها في معادهم (وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) يقول : ولهم من الله مع مغفرة ذنوبهم ثواب على أعمالهم الصالحة التي عملوها في دار الدنيا جزيل ، وجزاء عظيم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج : إلا الذين صبروا عند البلاء ، وعملوا الصالحات عند النعمة ، لهم مغفرة لذنوبهم ، وأجر كبير ، قال : الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا أَتَوْلَا أَنْزِلَ عَلَيْهِ كُنُوزًا وَجَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۖ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى إليك ربك

أن تبلغه من أمرك بتبليغه ذلك ، وضائق بما يوحى إليك صدرك ، فلا تبلغه إياهم مخافة (أن يقولوا لولا أنزل عليه كتنز ، أو جاء معه ملك) له مصدق بأنه لله رسول ، يقول تعالى ذكره : فبلغهم ما أوحيته إليك ، فإنك (إنما أنت نذير) تنذرهم عقابي ، وتحذّرهم بأسى على كفرهم بي ، وإنما الآيات التي يسألونها عندي ، وفي سلطاني أنزلها إذا شئت ، وليس عليك إلا البلاغ والإنذار (والله على كل شيء وكيل) يقول : والله القيم بكل شيء ويبيده تدبيره ، فأنفذ لما أمرتك به ، ولا يمنعك مسئلتهم إياك الآيات ، من تبليغهم وحيي ، والنفوذ لأمرى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قال الله لنبية : (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك) أن تفعل فيه ما أمرت وتدعو إليه كما أرسلت ، قالوا (لولا أنزل عليه كتنز) لا نرى معه مالا ، أين المال ؟ (أو جاء معه ملك) ينذر معه (إنما أنت نذير) فبلغ ما أمرت .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : كفاك حجة على حقيقة ما أتيتهم به ، ودلالة على صحة نبوتك هذا القرآن من سائر الآيات غيره إذا كانت الآيات إنما تكون لمن أعطيا دالة على صدقه ، لعجز جميع الخلق عن أن يأتوا بمثلها ، وهذا القرآن جميع الخلق عجزت عن أن يأتوا بمثله ، فإن هم قالوا : افتريته : أي اختلقته وتكذبت به ، ودل على أن معنى الكلام ما ذكرنا قوله (أم يقولون افتراه) . . . إلى آخر الآية . ويعنى تعالى ذكره بقوله (أم يقولون افتراه) أي يقولون افتراه . وقد دللنا على سبب إدخال العرب أم في مثل هذا الموضع ، فقل لهم : يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات ، يعنى مفتعلات مختلفات ، إن كان ما أتيتكم به من هذا القرآن مفترى ، وليس بآية معجزة كسائر ماسئلته من الآيات ، كالكنز الذي قلتم : هلا أنزل عليه ، أو الملك الذي قلتم : هلا جاء معه نذيرا له مصدقا ، فإنكم قومي وأنتم من أهل لساني ، وأنا رجل منكم ، ومحال أن أقدر أنخلق وحدي مئة سورة وأربع عشرة سورة ، ولا تقدرُوا بأجمعكم أن تفتروا وتخلقوا عشر سور مثلها ، ولا سيما إذا استعنتم في ذلك بمن شئتم من الخلق ، يقول جل ثناؤه : قل لهم : وادعوا من استطعتم أن تدعوهم من دون الله ، يعنى سوى الله ، لافتراء ذلك واختلاقه من الآلهة ، فإن أنتم لم تقدرُوا على أن تفتروا عشر سور مثله ، فقد تبين لكم أنكم كذّبة في قولكم

افتراه ، وصحت عندكم حقيقة ما أتيتكم به أنه من عند الله . ولم يكن لكم أن تتخبروا الآيات على ربكم ، وقد جاءكم من الحجّة على حقيقة ما تكذبون به أنه من عند الله مثل الذي تسألون من الحجّة ، وترغبون أنكم تصدقون بمجيئها .

وقوله (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) لقوله (فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ) وإنما هو : قل فأتوا بعشر سور مثله مفتریات ، إن كنتم صادقين أن هذا القرآن افتراه محمد ، وادعوا من استطعتم من دون الله على ذلك من الآلهة والأنداد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج . عن ابن جريج (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) قد قالوه (قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ) قال : يشهدون أنها مثله هكذا قال القاسم في حديثه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : فإن لم يستجب لكم من تدعون من دون الله إلى أن يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتریات ، ولم تطيقوا أنتم وهم أن تأتوا بذلك ، فاعلموا وأيقنوا أنه إنما أنزل من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم بعلم الله وإذنه ، وأن محمدا لم يفتريه ، ولا يقدر أن يفتريه ، (وأن لا إله إلا هو) يقول : وأيقنوا أيضا أن لا معبود يستحق الألوهة على الخلق إلا الله الذي له الخلق والأمر ، فاخلعوا الأنداد والآلهة ، وأفردوا له العبادة .

وقد قيل : إن قوله (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ) خطاب من الله لنبيه ، كأنه قال : فإن لم يستجب لك هؤلاء الكفار يا محمد . فاعلموا أيها المشركون أنما أنزل بعلم الله ، وذلك تأويل بعيد من المفهوم . وقوله (فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) يقول : فهل أنتم مذبعنون لله بالطاعة ، ومخلصون له العبادة بعد ثبوت الحجّة عليكم . وكان مجاهد يقول : عني بهذا القول أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) قال : لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني المثنى . قال : ثنا أبو حذيفة . قال : ثنا شبل . عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : وحدثنا إسحاق . قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء . عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) قال لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج . عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقيل (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ) والخطاب في أول الكلام قد جرى لواحد ، وذلك قوله (قُلْ)

فَأَتُوا) ولم يقل : فإن لم يستجيبوا لك على نحو ما قد بينا قبل في خطاب رئيس القوم وصاحب أمرهم ، أن العرب تخرج خطابه أحيانا تخرج خطاب الجمع . إذا كان خطابه خطاب الأتباع وجنده . وأحيانا تخرج خطاب الواحد . إذا كان في نفسه واحدا .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَنْ كَانَ بِرِيَالِ حَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا نُوفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره (مَنْ كَانَ بِرِيَالِ حَيَاةِ الدُّنْيَا) بعمله (الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وأثاثها (وَزِينَتِهَا) يطلب به (نُوفَّ) إليهم (أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) وثوابها (وَهُمْ فِيهَا) يقول : وهم في الدنيا (لَا يُبْخَسُونَ) يقول : لا ينقصون أجرها . ولكنهم يوفونهم فيها .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي . قال : ثني عمي . قال : ثني أبي . عن أبيه . عن ابن عباس قوله (مَنْ كَانَ بِرِيَالِ حَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا) . . . الآية . وهي ما يعطيهم الله من الدنيا بحسناتهم ، وذلك أنهم لا يظلمون تقيرا ، يقول : من عمل صالحا الناس الدنيا صوما أو صلاة أو تهجد بالليل لا يعمله إلا لالتماس الدنيا يقول الله : أَوْ فِيهِ الَّذِي التمس في الدنيا من المثابة . وحبط عمله الذي كان يعمل التماس الدنيا ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا جرير ، عن منصور . عن سعيد بن جبير (مَنْ كَانَ بِرِيَالِ حَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا نُوفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) قال : ثواب ما عملوا في الدنيا من خير أعطوه في الدنيا (وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ) وحبط ما صنعوا فيها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير . عن منصور . عن سعيد بن جبير ، قوله (مَنْ كَانَ بِرِيَالِ حَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا نُوفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) قال : وربما عملوا من خير أعطوه في الدنيا ، (وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ) وحبط ما صنعوا فيها) قال : هي مثل الآية التي في الروم (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لَسِيرُبُوْا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوْا عِنْدَ اللَّهِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي . عن سفیان ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير (مَنْ كَانَ بِرِيَالِ حَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا) قال : من عمل للدنيا وفيه في الدنيا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة . قال : ثنا شبل . عن ابن أبي نجیح . عن مجاهد (مَنْ كَانَ بِرِيَالِ حَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا) قال : من عمل عملا مما أمر الله به من صلاة أو صدقة لا يريد بها وجه الله أعطاه الله في الدنيا ثواب ذلك مثل ما أتفق ، فذلك قوله (نُوفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) في الدنيا (وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) أجر ما عملوا فيها (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ) وحبط ما صنعوا فيها . . . الآية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عيسى ، يعني ابن ميمون ، عن مجاهد ، في قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا) قال : ممن لا يقبل منه جوزي به يُعْطَى ثوابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن عيسى الجرشى ، عن مجاهد (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) قال : ممن لا يقبل منه يعجل له في الدنيا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ، وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) أى لا يظلمون ، يقول : من كانت الدنيا همه وسدمه وطلبته ونيتة ، جازاه الله بحسناته في الدنيا ، ثم يُفْضَى إلى الآخرة ، وليس له حسنة يُعْطَى بها جزاء . وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة (وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) : أى في الآخرة لا يظلمون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق جميعا ، عن معمر ، عن قتادة (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) . . . الآية : قال : من كان إنما همته الدنيا إياها يطلب أعطاه الله مالا ، وأعطاه فيها ما يعيش ، وكان ذلك قصاصا له بعمله (وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) قال : لا يظلمون .

قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ليث بن أبي سليم ، عن محمد بن كعب القرظي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَحْسَنَ مِنْ مُحْسِنٍ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا ، وَآجِلِ الْآخِرَةِ » .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) . . . الآية ، يقول : من عمل عملا صالحا في غير تقوى ، يعنى من أهل الشرك ، أعطى على ذلك أجرا في الدنيا يصل رحما ، يعطى سائلا ، يرحم مضطرا في نحو هذا من أعمال البر يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا ، يوسع عليه في المعيشة والرزق ، ويقر عينه فيما خوله ، ويدفع عنه من مكاره الدنيا في نحو هذا ، وليس له في الآخرة من نصيب .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا حفص بن عمر أبو عمر الضرب ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، عن أنس في قوله (نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) قال : هى في اليهود والنصارى . قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن أبي رجاء الأزدي ، عن الحسن (نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) قال : طيباتهم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن وهب أنه بلغه أن مجاهدا كان يقول في هذه الآية : هم أهل الرياء ، هم أهل الرياء .

قال أخبرنا ابن المبارك ، عن حيوة بن شريح ، قال : ثنى الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان ، أن عقبة بن مسلم حدثه أن شق بن ماتع الأصمعي ، حدثه أنه دخل المدينة ، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس ، فقال من هذا ؟ فقالوا أبو هريرة ، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس ، فلما سكنت ونحلي ، قلت : أنشدك بحق وبحق لما حدثتني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلته وعلمته ، قال : فقال أبو هريرة : أفعلم ، لأحدثك حديثا حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نشغ نشغة (١) ، ثم أفاق ، فقال : لأحدثك حديثا حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا البيت ما فيه أحد غيبي وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة ، ثم مال خارا على وجهه ، واشتد به طويلا ، ثم أفاق ، فقال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة نزل إلى أهل القيامة ليقضى بينهم وكل أمة جاثية ، فأول من يدعى به ، رجل جمع القرآن ، ورجل قتل في سبيل الله ، ورجل كثير المال ، فيقول الله للقارئ : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال : بلى يا رب ، قال : فإذا عملت فيما علمت ؟ قال : كنت أقوم آناء الليل وآناء النهار ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلان قارئ فقد قيل ذلك ، ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له : ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟ قال : بلى يا رب ، قال : فإذا عملت فيما آتيتك قال : كنت أصل الرحم ، وأتصدق ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلان جواد ، فقد قيل ذلك ، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله ، فيقال له : فيماذا قتلت ؟ فيقول : أمرت بالجهاد في سبيلك ، فقاتلت حتى قتلت ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلان جريء ، وقد قيل ذلك : ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي ، فقال : يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر لهم النار يوم القيامة » .

قال الوليد أبو عثمان : فأخبرني عقبة أن شفيا هو الذي دخل على معاوية ، فأخبره بهذا .

قال أبو عثمان : وحدثني العلاء بن أبي حكيم أنه كان سيافا لمعاوية ، قال : فدخل عليه رجل فحدثه بهذا عن أبي هريرة ، فقال أبو هريرة وقد فعل بهؤلاء هذا ، فكيف بمن بقي من الناس ؟ ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى ظننا أنه هلك ، وقلنا : هذا الرجل شر ، ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه فقال : صدق الله ورسوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) وقرأ إلى (وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن مجاهد (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا) . . . الآية ، قال : ممن لا يتقبل منه ، يصوم ويصلي ، يريد به الدنيا ، ويدفع عنه وهم الآخرة (وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ) لا ينقصون .

(١) النشغ : الشهيق ، حتى يكاد يبلغ به الغشى ، إنما يفعل الإنسان ذلك تشوقا إلى شيء فائت ، وأسفا عليه ، ذكر أبو هريرة النبي صلى الله عليه وسلم فنشغ ، أي شهق وغشى عليه (النهاية) .

القول في تأويل قوله تعالى :

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين ذكرت أنا نوفيهم أجور أعمالهم في الدنيا (لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ) يصلونها (وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا) يقول : وذهب ما عملوا في الدنيا (وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) لأنهم كانوا يعملون لغير الله . فأبطله الله . وأحبط عامله أجره .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا نَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ) قد بين له دينه فتبينه (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) واختلاف أهل التأويل في تأويل ذلك . فقال بعضهم : يعني بقوله (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ) محمدا صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خلف ، قال : ثنا حسين بن محمد . قال : ثنا شيبان . عن قتادة ، عن عروة . عن محمد بن الحنفية . قال : قلت لأبي : يا أبت أنت التالى في (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : لا والله يا بني . وددت أنى كنت أنا هو ، ولكنه لسانه .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عسلىة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : لسانه .

حدثنا ابن بشار . قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف . عن الحسن ، في قوله (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : لسانه .

حدثنا محمد بن المثنى . قال : ثنا الحكم بن عبد الله أبو النعمان العجلي ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء . عن الحسن . مثله .

حدثني علي بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا المعافى بن عمران . عن قرعة بن خالد . عن الحسن . مثله .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . قوله (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ) وهو محمد كان على بينة من ربه .

حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . عن الحسن . قوله (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : لسانه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى . قال : ثنا محمد بن ثور : عن معمر . عن قتادة (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : لسانه هو الشاهد .

حدثنا ابن وكيع : قال : ثنا أبو أسامة . عن شعبة . عن أبي رجاء . عن الحسن . مثله .

حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا غندر . عن عوف . عن الحسن . مثله .

وقال آخرون : يعنى بقوله (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار . قال : ثنا ابن أبي عدي . عن عوف . عن سليمان العلاف : عن الحسين بن علي في قوله (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا غندر . عن عوف . قال : ثنا سليمان العلاف . قال : بلغني أن الحسين بن علي قال (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنا أبو أسامة . عن عوف . عن سليمان العلاف . سمع الحسين بن علي (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) يقول : محمد هو الشاهد من الله .

حدثني يونس بن عبد الأعلى . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد . في قوله (أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيْتِنَا مِّن رَّبِّهِ وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على بيته من ربه ، والقرآن يتلوه شاهد منه أيضا من الله . بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا جرير . عن ليث . عن مجاهد (أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيْتِنَا مِّن رَّبِّهِ) قال : النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا أبي : عن نصر بن عيسى . عن عكرمة . مثله .

قال : ثنا أبي . عن سفیان . عن منصور . عن إبراهيم . مثله .

حدثنا الحرث . قال : ثنا أبو خالد . سمعت سفیان يقول (أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيْتِنَا مِّن رَّبِّهِ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

قال آخرون : هو علي بن أبي طالب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمارة الأسدي . قال : ثنا رزيق بن مرزوق . قال : ثنا صباح الفراء . عن جابر .

عن عبد الله بن يحيى . قال : قال علي رضي الله عنه : ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والآيتان . فقال له رجل : فأنت فأى شيء نزل فيك . فقال علي : أما تقرأ الآية التي نزلت في هود (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) .

وقال آخرون : هو جبرئيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) إنه كان يقول : جبرئيل .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع : قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : جبرئيل .

وحدثنا به أبو كريب مرة أخرى بأسناده عن إبراهيم ، فقال : قال يقولون على إنما هو جبرئيل .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : هو جبرئيل ، تلا التوراة والإنجيل والقرآن ، وهو الشاهد من الله .

حدثنا ابن بشار : قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، وحدثنا محمد بن عبد الله المحرمي ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا سفيان .

وحدثنا الحسن بن يحيى . قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : جبرئيل .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله . قال : ثنا سهل بن يوسف ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : جبرئيل .

قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي صالح (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : جبرئيل .

قال : ثنا أبو معاوية ، عن جوير ، عن الضحاک (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : جبرئيل .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله (أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيْتْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ) يعني محمدا هو على بيته من الله (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) جبرئيل شاهد من الله يتلو على محمد ما بعث به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : هو جبرئيل .

قال : ثنا أبي ، عن نصر بن عيسى ، عن عكرمة ، قال : هو جبرئيل .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : جبرئيل .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي . عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيْتْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ) يعني محمدا على بيته من ربه (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) فهو

جبرئيل شاهد من الله بالذي يتلو من كتاب الله الذي أنزل على محمد ، قال : ويقال (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) يقول : يحفظه الملك الذي معه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، قال : كان مجاهد يقول في قوله (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) قال : يعني محمداً (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال : جبرئيل . وقال آخرون : هو ملك يحفظه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال : معه حافظ من الله ملك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، وسويد بن عمرو ، عن حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن مجاهد (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال : ملك يحفظه .

قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، عن سمع مجاهداً (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال : الملك . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) يتبعه حافظ من الله ملك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن أيوب ، عن مجاهد (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال : الملك يحفظه يتلونه حق تلاوته ، قال : يتبعونه حق اتباعه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال : حافظ من الله ملك .

وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بالصواب في تأويل قوله (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) : قول من قال : هو جبرئيل ، لدلالة قوله (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً) على صحة ذلك ، وذلك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يتل قبل القرآن كتاب موسى ، فيكون ذلك دليلاً على صحة قول من قال : عني به لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، أو محمد نفسه ، أو عليّ على قول من قال : عني به عليّ ، ولا يعلم أن أحداً كان تلا ذلك قبل القرآن ، أو جاء به ممن ذكر أهل التأويل أنه عني بقوله (وَيَسْتَلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) غير جبرئيل عليه السلام .

فإن قال قائل : فإن كان ذلك دليلك على أن المعنى به جبرئيل ، فقد يجب أن تكون القراءة في قوله (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى) بالنصب ، لأن معنى الكلام على ما تأولت يجب أن يكون : ويتلو القرآن شاهد من الله ، ومن قبل القرآن كتاب موسى ؟ قيل : إن القراءة في الأمصار قد أجمعت على قراءة ذلك بالرفع فلم يكن لأحد خلافها . ولو كانت القراءة جاءت في ذلك بالنصب كانت قراءة صحيحة ومعنى صحيحاً .

فإن قال : فما وجه رفعهم إذا الكتاب على ما ادّعت من التأويل ؟ قيل : وجه رفعهم هذا أنهم ابتدءوا

الخبر عن مجيء كتاب موسى قبل كتابنا المنزل على محمد ، فرفعوه بمن قبله ، والقراءة كذلك ، والمعنى الذى ذكرت من معنى تلاوة جبرئيل ذلك قبل القرآن ، وأن المراد من معناه ذلك وإن كان الخبر مستأنفا على ما وصفت اكتفاء بدلالة الكلام على معناه .

وأما قوله (إماما) فإنه نصب على القطع من كتاب موسى ، وقوله (وَرَحْمَةً) عطف على الإمام ، كأنه قيل : ومن قبله كتاب موسى إماما لبني إسرائيل يَأْتُمُّونَ بِهِ ، ورحمة من الله تلاه على موسى .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في قوله (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى) قال : من قبله جاء بالكتاب إلى موسى ، وفي الكلام محذوف قد ترك ذكره اكتفاء بدلالة ما ذكر عليه منه ، وهو (أَمَّنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ، وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً) كمن هو في الضلالة متردد ، لا يهتدى لرشد ، ولا يعرف حقا من باطل ، ولا يطلب بعمله إلا الحياة الدنيا وزينتها ، وذلك نظير قوله (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا ، يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ، وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) والدليل على حقيقة ما قلنا في ذلك أن ذلك عتقيب قوله (مَنْ كَانْ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) الآية ، ثم قيل : أهذا خير أمَّنْ كَانْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ؟ والعرب تفعل ذلك كثيرا إذا كان فيما ذكرت دلالة على مرادها على ما حدثت ، وذلك كقول الشاعر :

فَأُقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ سِوَاكَ ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا

وقوله (أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) يقول : هؤلاء الذين ذكرت يصدقون ويقررون به إن كفر به هؤلاء المشركون الذين يقولون : إن محمدا افتراه .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَاَلْتَارُ مَوْعِدُهُ ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : ومن يكفر بهذا القرآن فيجحد أنه من عند الله من الأحزاب وهم المتحزبة على مللهم فالنار موعده ، إنه يصير إليها في الآخرة بتكذيبه يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَلَا تَكُ)

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر ، وهو من شواهد النحويين (خزائن البغدادى ٤ : ٢٢٧) على أن الجواب فيه محذوف ، وهو جواب القسم لا جواب « لو » ، عملا بمقتضى الضابط في اجتماع قسم وشرط . قال : وتقدير الجواب كما ذكره الفراء وغيره : لو أنانا رسول سواك ، لدفعناه ، بدليل قوله « مدفعا » . والصواب أن الجواب مذكور في البيت الذى بعده ، وهو قول امرئ القيس :

إِذَنْ لَرَدَدْنَاهُ وَلَوْ طَالَ مَكُودُهُ لَدَيْنَا ، وَلَكِنَّا بِحُبِّكَ وَلُغَمَّا

ولمَّا تبع الطبرى الفراء في قوله في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٤١) : « وربما تركت العرب جواب الشيء المعروف معناه وإن ترك الجواب . قال الشاعر : « فأقسم . . . البيت » وقال تعالى ، وهو أصدق من قول الشاعر : « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض » . فلم يؤت له بجواب . والله أعلم . قال البغدادى : وعلى هذا يكون قوله « ولكن لم نجد لك مدفعا » جملة اعتراضية . وعذرهم في تقدير الجواب ، أن البيت الثانى ساقط فى أكثر الروايات . وقد ذكره الزجاجى فى أماليه الصغرى والكبرى ، فى جملة أبيات ثمانية ، رواها المبرد ، من قصيدة لامرئ القيس : « ووجدك الوشيء » .

في مَرِيَّةٍ مِنْهُ) يقول : فلا تلك في شك منه ، من أن موعده من كفر بالقرآن من الأحزاب النار ، وأن هذا القرآن الذي أنزلناه إليك من عند الله ، ثم ابتداء جل ثناؤه الخبر عن القرآن ، فقال : إن هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد الحق من ربك لا شك فيه ، ولكن أكثر الناس لا يصدقون بأن ذلك كذلك .

فإن قال قائل : أو كان النبي صلى الله عليه وسلم في شك من أن القرآن من عند الله ، وأنه حق ، حتى قيل له : فلا تلك في مَرِيَّةٍ مِنْهُ ؟ قيل : هذا نظير قوله (فإن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) وقد بينا ذلك هنالك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا أيوب ، قال : نبئت أن سعيد بن جبير قال : ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله تعالى حتى قال « لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا دَخَلَ النَّارَ » قال سعيد : فقلت أين هذا في كتاب الله حتى أتيت على هذه الآية (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) قال : من أهل الملل كلها .

حدثنا محمد بن عبد الله الخزازي وابن وكيع ، قالا : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا سفيان ، عن أيوب عن سعيد بن جبير : في قوله (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ) قال : من الملل كلها .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : كنت لأسمع بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه ، إلا وجدت مصداقه ، أو قال تصديقه في القرآن ، فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ، ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا دَخَلَ النَّارَ » فجعلت أقول : أين مصداقها حتى أتيت على هذا (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) . . . إلى قوله (فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) قال : فالأحزاب : الملل كلها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : ثنا أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْمَعُ بِي مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ فَلَا يُؤْمِنُ بِي إِلَّا دَخَلَ النَّارَ » ؟ فجعلت أقول : أين مصداقها في كتاب الله ، قال : وقلما سمعت حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا وجدت له تصديقا في القرآن حتى وجدت هذه الآيات (وَمِنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) : الملل كلها .

قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) قال : الكفار أحزاب كلهم على الكفر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنٌ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) أى يكفر ببعضه ، وهم اليهود والنصارى ، قال : بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِّنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ قَبْلَ أَنْ يُؤْمِنَ بِي ، إِلَّا دَخَلَ النَّارَ » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا يوسف بن عديّ النضريّ ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبّير ، عن أبي موسى الأشعريّ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَن سَمِعَ بِي مِّنْ أُمَّتِي أَوْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ ، فَلَسَمَ يُؤْمِنُ بِي لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ » .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : وأى الناس أشدّ تعذيباً ممن اختلق على الله كذباً فكذب عليه ، أولئك يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ ، ويقول الأشهاد : هؤلاء الذين يكذبون على ربهم يُعْرَضُونَ يوم القيامة على ربهم ، فيسألهم عما كانوا في دار الدنيا يعملون .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) قال : الكافر والمنافق (أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ) فيسألهم عن أعمالهم ، وقوله (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ) يعنى الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم ، وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون ، وهم جمع شاهد مثل الأصحاب الذى هو جمع صاحب (هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ) يقول : شهد هؤلاء الأشهاد فى الآخرة على هؤلاء المفسدين على الله فى الدنيا ، فيقرّون : هؤلاء الذين كذبوا فى الدنيا على ربهم ، يقول الله (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) : يقول : ألا غضب الله على المعتدين الذين كفروا برّبهم .

وبنحو ما قلنا فى قوله (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا نمير ، بن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ) قال : الملائكة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الملائكة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ) والأشهاد : الملائكة يشهدون على بنى آدم بأعمالهم .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الأَشْهَادُ) قال : الخلائق ، أو قال : الملائكة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، بنحوه .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ) الذين كانوا يحفظون أعمالهم عليهم في الدنيا (هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ) حفظوه وشهدوا به عليهم يوم القيامة .

قال ابن جريج : قال مجاهد : الأَشْهَادُ : الملائكة .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، قال : سألت الأعمش ، عن قوله (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ) قال : الملائكة .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ) يعنى الأنبياء والرسل ، وهو قوله (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ) قال : وقوله (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ) يقولون : يا ربنا أتيناهم بالحق فكذبوا ، فنحن نشهد عليهم أنهم كذبوا عليك يا ربنا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد وهشام ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز المازني ، قال : بينا نحن بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف ، إذ عرض له رجل فقال : يا ابن عمر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى ؟ فقال : سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يَدْعُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَسْفَتَهُ فَيَسْتَرُّهُ بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُ كَذَبًا ، فَيَقُولُ رَبِّ اعْرِفْ ، مَرَّتَيْنِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْلُغَ ، قَالَ : فَلَأَنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، قَالَ : فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ أَوْ كِتَابَةً يَسْمِينِيهِ . وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ ، فَيَسْنَادِي بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ : أَلَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ » .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، قال : ثنا هشام ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : كنّا نحدث أنه لا يخزي يومئذ أحد فيخفي خزيه على أحد ممن خلق الله أو الخلائق .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره : ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون الناس عن الإيمان به ، والإقرار له بالعبودية

وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد من مشركي قريش، وهم الذين كانوا يفتنون عن الإسلام من دخل فيه (وَيَسْغُوتُهَا عِوَجًا) يقول : ويلتمسون سبيل الله وهو الإسلام الذي دعا الناس إليه محمد، يقول : زيغا وميلا عن الاستقامة (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) يقول : وهم بالبعث بعد الممات مع صدقهم عن سبيل الله ، وبغيهم إياها عوجا كافرون ، يقول : هم جاحدون ذلك منكرون .

القول في تأويل قوله تعالى :

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ
مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٥﴾

﴿٥﴾ يعني جل ذكره بقوله (أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ) هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه أنهم يصدون عن سبيل الله، يقول جل ثناؤه : إنهم لم يكونوا بالذين يُعْجِزُونَ ربهم بهربهم منه في الأرض إذا أراد عقابهم، والانتقام منهم ، ولكنهم في قبضته ومملكته، لا يمتنعون منه إذا أرادهم ، ولا يفوتونه هربا إذا طلبهم (وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ) يقول : ولم يكن هؤلاء المشركين إذا أراد عقابهم من دون الله أنصار ينصرونهم من الله ، ويحولون بينهم وبينه إذا هو عدّ بهم ، وقد كانت لهم في الدنيا منعة يمتنعون بها ممن أرادهم من الناس بسوء .

وقوله (يُضْعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ) يقول تعالى ذكره . يزداد في عذابهم ، فيجعل لهم مكان الواحد اثنان . وقوله (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) فإنه اختلف في تأويله ، فقال بعضهم : ذلك وصف الله به هؤلاء المشركين أنه قد ختم على سمعهم وأبصارهم ، وأنهم لا يسمعون الحق ، ولا يبصرون حجج الله سماع منتفع ، ولا إبصار مهتد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) صم عن الحق فلا يسمعون به ، بكم فلا ينطقون به ، نحمى فلا يبصرونه ، ولا ينتفعون به .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) قال : ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا خبرا فينتفعوا به ، ولا يبصروا خيرا فيأخذوا به .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : أخبر الله سبحانه أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة . أما في الدنيا فإنه قال (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ) وهي طاعته (وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) . وأما في الآخرة فإنه قال (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَاشِئَةً) .

وقال آخرون : إنما عتني بقوله (وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ) آلهة الذين يصدّون عن سبيل الله ، وقالوا : معنى الكلام : أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض (يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) يعني الآلهة أنها لم يكن لها سمع ولا بصر ، هذا قول روى عن ابن عباس من وجه كرهت ذكره لضعف سنده .

وقال آخرون : معنى ذلك : يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يسمعون ، وبما كانوا يبصرون ولا يتأملون حجج الله بأعينهم فيعتبروا بها ، قالوا : والباء كان ينبغي لها أن تدخل ، لأنه قد قال (فَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) بما كانوا يتكذّبون) بكذبهم في غير موضع من التنزيل أدخلت فيه الباء ، وسقوطها جائز في الكلام كقولك في الكلام : لاحت بما فيك ما علمت وبما علمت ، وهذا قول قاله بعض أهل العربية .

والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله ابن عباس وقتادة ، من أن الله وصفهم تعالى ذكره بأنهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع متفع ، ولا يبصرونه إبصار مهتد ، لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين ، عن استعمال جوارحهم في طاعة الله ، وقد كانت لهم أسماع وأبصار .

القول في تأويل قوله تعالى :

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه صفتهم ، هم الذين غيبتوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله (وَضَلَّ عَنْهُمْ) ما كانوا يفتترونها (وَبَطَلَ كَذِبُهُمْ وَإِفْكُهُمْ وَفِرْيَتُهُمْ عَلَى اللَّهِ بِإِدْعَائِهِمْ لَهُ شُرَكَاءُ ، فَسَلَكُوا مَا كَانُوا يَدْعُونَهُ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ غَيْرِ مَسْلُكِهِمْ ، وَأَخَذَ طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِهِمْ ، فَضَلَّ عَنْهُمْ ، لِأَنَّهُ سَلَكَ بِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ ، وَصَارَتْ آهَتُهُمْ عِدْمًا لَأَشْيَاءَ ، لِأَنَّهُمَا كَانَتْ فِي الدُّنْيَا حِجَارَةً أَوْ خَشَبًا أَوْ نَحَاسًا ، أَوْ كَانَ لِلَّهِ وَلِيًّا ، فَسَلَكَ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَذَلِكَ أَيْضًا غَيْرِ مَسْلُكِهِمْ ، وَذَلِكَ أَيْضًا ضَلَالٌ عَنْهُمْ .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : حقا أن هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم في الدنيا في الآخرة هم الأخسرون ، الذين قد باعوا منازلهم من الجنان بمنازل أهل الجنة من النار ، وذلك هو الخسران المبين ، وقد بينا فيما مضى أن معنى قولهم : جَرَمْتُ : كسبت الذنب وأجرمته ، إن العرب كثر استعمالها إياه في مواضع الإيمان ، وفي مواضع « لا بد » كقولهم : لا جرم أنك ذاهب ، بمعنى : لا بد ، حتى استعملوا ذلك في مواضع التحقيق فقالوا : لا جرم ليقومن ، بمعنى : حقا ليقومن ، فعنى الكلام : لا يمنع عن أنهم ، ولا صدّ عن أنهم .

(١) كذا وردت الكلمة في الأصل رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية في هذا الموضع من المجلد الثاني عشر .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَاخْتَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين صدّقوا الله ورسوله ، وعملوا في الدنيا بطاعة الله واختبوا إلى ربهم .

واختلف أهل التأويل في معنى الإخبات ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وأنابوا إلى ربهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَاخْتَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) قال : الإخبات : الإجابة .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاخْتَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) يقول : وأنابوا إلى ربهم .

وقال آخرون : معنى ذلك : وخافوا .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (وَاخْتَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) يقول : خافوا .

وقال آخرون : معناه : اطمأنوا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ،

قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاخْتَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) قال : اطمأنوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : خشعوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاخْتَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ)

الإخبات : التخضع والتواضع .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة المعاني ، وإن اختلفت ألفاظها ، لأن الإجابة إلى الله من خوف

الله ، ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة ، والطمأنينة إليه من الخشوع له ، غير أن نفس الإخبات عند

العرب الخشوع والتواضع ، وقال (إِلَىٰ رَبِّهِمْ) ومعناه : اختبوا لربهم ، وذلك أن العرب تضع اللام

موضع إلى، وإلى موضع اللام كثيرا ، كما قال تعالى : (بَأْن رَبَّكَ أَوْحَىٰ كَلَامًا) بمعنى : أوحى إليها ، وقد يجوز أن يكون قيل ذلك كذلك ، لأنهم وصفوا بأنهم عمدوا بإخبارهم إلى الله .

وقوله (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) يقول : هؤلاء الذين هذه صفتهم هم سكان الجنة الذين لا يخرجون عنها ، ولا يموتون فيها ، ولكنهم فيها لا بثون إلى غير نهاية .

القول في تأويل قوله تعالى :

* مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره : مثل فريق الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئا ، والأصم الذي لا يسمع شيئا ، فكذلك فريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه ، ويعمل به لشغفه بكفره بالله ، وغشاة خذلان الله عابه ، لا يسمع داعي الله إلى الرشاد ، فيجيبه إلى الهدى فيبتدى به ، فهو مقيم في ضلالته ، يتردد في حيرته ، والسميع والبصير ، فكذلك فريق الإيمان أبصر حُجج الله ، وأقر بما دلت عليه من توحيد الله والبراءة من الآلهة والأنداد ونبوّة الأنبياء عليهم السلام ، وسمع داعي الله فأجابه وعمل بطاعة الله .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ) قال : الأعمى والأصم : الكافر ، والبصير والسميع : المؤمن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ) : الفريقان الكافران ، المؤمنان ، فأما الأعمى والأصم فالكافران ، وأما البصير والسميع فهما المؤمنان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ) . . . الآية : هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن ، فأما الكافر فصم عن الحق فلا يسمعه ، وعمى عنه فلا يبصره . وأما المؤمن فسمع الحق فانتفع به وأبصره فوعاه وحفظه وعمل به ، يقول تعالى (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) يقول : هل يستوي هذان الفريقان على اختلاف حالتهما في أنفسهما عندكم أيها الناس فإنهما لا يستويان عندكم ، فكذلك حال الكافر والمؤمن لا يستويان عند الله (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) يقول جل ثناؤه : أفلا تعتبرون أيها الناس وتفكرون ، فتعلموا حقيقة اختلاف أمرهما ، فتزجروا عما أنتم عليه من الضلال إلى الهدى ، ومن الكفر إلى الإيمان ، فالأعمى والأصم والبصير والسميع في اللفظ أربعة ، وفي المعنى اثنان ، ولذلك قيل (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) وقيل : كالأعمى والأصم ، والمعنى : كالأعمى والأصم ، وكذلك قيل : والبصير والسميع ، والمعنى : البصير والسميع ، كقول القائل : قام الظريف والعاقل ، وهو ينعت بذلك شخصا واحدا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ : إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ) أيها القوم (نَذِيرٌ) من الله أنذرکم بأسه على كفرکم به ، فآمنوا به وأطيعوا أمره . ويعنى بقوله (مُبِينٌ) : يبين لكم عما أرسل به إليکم من أمر الله ونهيه .

واختلفت القراء في قراءة قوله (إِنِّي) فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وبعض المدنيين بكسر « إن » على وجه الابتداء ، إذ كان في الإرسال معنى القول ، وقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة بفتح « أن » على إعمال الإرسال فيها ، كأن معنى الكلام عندهم : لقد أرسلنا نوحا إلى قومه بأني لكم نذير مبين . والصواب من القول في ذلك عندي : أن يُقال : إنهما قراءتان متفقتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ كان مصيبا للصواب في ذلك .

وقوله (أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) فمن كسر الألف في قوله (إِنِّي) جعل قوله (أَرْسَلْنَا) عاملا في « أَنْ » التي في قوله (أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) ويصير المعنى حينئذ : ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ، أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ، وقل لهم (إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) ، ومن فتحها ، ردَّ أَنْ في قوله (أَنْ لَا تَعْبُدُوا) عليها ، فيكون المعنى حينئذ : لقد أرسلنا نوحا إلى قومه بأني لكم نذير مبين ، بأن لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ . ويعنى بقوله : بأن لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ أيها الناس عباد الآلهة والأوثان ، وإشراكها في عبادته ، وأفردوا الله بالتوحيد ، وأخلصوا له العبادة ، فإنه لا شريك له في خلقه . وقوله (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ) يقول : إِنِّي أيها القوم إن لم تَخْصُوا اللَّهَ بالعبادة ، وتفردوه بالتوحيد ، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والأوثان ، أخاف عليكم من الله عذاب يوم مؤلم عقابه وعذابه لمن عذب فيه ، وجعل الأليم من صفة اليوم وهو من صفة العذاب ، إذ كان العذاب فيه كما قيل (وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا) وإنما السكّن من صفة ما سكن فيه دون الليل .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَىٰ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا تَرَىٰكَ إِلَّا تَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ
بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا تَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : فقال الكبراء من قوم نوح وأشرافهم ، وهم الملأ الذين كفروا بالله وجمحدوا نبوة

نبيهم نوح عليه السلام (ما نَرَاكَ) يا نوح (إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا) يعنون بذلك أنه آدمي مثلهم في الخلق والصورة والجنس ، كأنهم كانوا منكربين أن يكون الله يرسل من البشر رسولا إلى خلقه . وقوله (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِي الرَّأْيِ) يقول : وما نراك اتبعك إلا الذين هم سَفَلتنا من الناس دون الكبراء والأشراف فيما يُرى ويظهر لنا . وقوله (بَادِي الرَّأْيِ) اختلفت القراء في قراءته ، فقراءته عامة قراء المدينة والعراق (بَادِي الرَّأْيِ) بغير همز البادي ، وبهمز الرأي ، بمعنى : ظاهر الرأي من قولهم : بدا الشيء يبدو : إذا ظهر ، كما قال الراجز :

أَضْحَى نَحَالِي شَبَهِي بَادِي بَدِي وَصَارَ لِلْفَحْلِ لِسَانِي وَيَدِي^١

بَادِي بَدِي بغير همز . وقال آخر :

وَقَدْ عَلَّيْنِي ذُرَّةُ بَادِي بَدِي^٢

وقرأ ذلك بعض أهل البصرة^٣ (بَادِي الرَّأْيِ) مهموز أيضا ، بمعنى : مبتدأ الرأي . من قولهم : بدأت بهذا الأمر : إذا ابتدأت به قبل غيره .

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا قراءة من قرأ (بَادِي) بغير همز البادي ، وبهمز الرأي ، لأن معنى ذلك الكلام : إلا الذين هم أرادوا في ظاهر الرأي . وفيما يظهر لنا .

وقوله (وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ) يقول : وما تبين لكم علينا من فضل نلتموه بمخالفتكم إيانا في عبادة الأوثان إلى عبادة الله ، وإخلاص العبودية له ، فنتبعكم طلب ذلك الفضل ، وابتغاء ما أصبتموه بخلافكم إيانا (بَلْ نَنظُّنْكُمْ كَاذِبِينَ) وهذا خطاب منهم لنوح عليه السلام ، وذلك أنهم إنما كذبوا نوحا دون أتباعه ، لأن أتباعه لم يكونوا رسلا ، وأخرج الخطاب وهو واحد مخرج خطاب الجميع ، كما

(١) البيت في (اللسان : بدا) قال : أراد به : ظاهري في الشبه نحالي . ومعناه : خرجت عن شرح الشباب إلى حد الكهولة التي معها الرأي والحجا ، فصرت كالفحولة التي بها يقع الاختيار ، ولها بالفضل تكثر الأوصاف . والشاهد في « بادي » أنه غير مهموز ، كما في قوله تعالى : « بادي الرأي » ، لأن المعنى : فيما يظهر لنا ويبدو ، والبيت من شواهد أبي عبيدة تفسيره : مجاز القرآن .

(٢) هذا بيت من مشطور الرجز ، أنشده صاحب اللسان (بدا) مع بيتين آخرين ، وهما :

وَرَثِيَّةٌ تَنْهَضُ بِالتَّشْدِيدِ وَصَارَ لِلْفَحْلِ لِسَانِي وَيَدِي

وقال : قال الجوهري : فعل ذلك بادي بد ، وبادي بدي (بتشديد الياء) أي أولا . قال وأصله الهمز ، وإنما ترك لكثرة الاستعمال قال : وربما جعلوه اسما للداية ، كما قال أبو نخيلة السعدي : « وقد علتي . . . الخ » . قال : وهما اسمان جعلتا اسما واحدا ، مثل معد يكرب ، وقال قلا والبيت من شواهد أبي عبيدة في تفسيره : مجاز القرآن .

وأنشد البيتين أيضا (اللسان : ذرا) وقال : بادي بدي : أول كل شيء ، من بدأ ، فترك الهمز بكثرة الاستعمال ، وطلب التخفيف . وقد يجوز أن يكون من بدا يبدو إذا ظهر . والذرة من ذرى رأس فلان يذرا إذا ابيض . وعلته ذرة أي شيب . والذرة بالضم : الشمت ، قال أبو نخيلة السعدي : (وقد علتي . . . الخ البيتين) والرثية : انحلال الركب والمفاصل ، وقيل : هو أول يياض الشيب .

(٣) في اللسان : قرأ أبو عمرو وحده بادئ الرأي ، بالهمز ، وسائر القراء قرءوا : بادئ الرأي بغير همز ، وقال القراء : لا يهزم : بادي الرأي ، لأن المعنى : فيما يظهر لنا ويبدو ، ولو أراد : ابتداء الرأي ، نحالي فهمز . كان صوابا ، وأنشد : - أضحي نحالي . . . الخ أراد به : ظاهري في الشبه نحالي .

قيل (يا أيها النبیؐ إذا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ) وتأویل الکلام : بل نظنک یا نوح فی دعواک أن الله ابتعثک إلینا رسولا کاذبا .

وبنحو ما قلنا فی تأویل قوله (بادی الرأي) قال أهل التأویل .

ذکر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنی حجا ، عن ابن جریج ، عن عطاء الخراسانی ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لِئَا بَادِيَ الرَّأْيِ) قال : فیما ظهر لنا .

القول فی تأویل قوله تعالى :

قَالَ يٰ قَوْمِ اَرَأَيْتُمْ اِنْ كُنْتُ عَلٰی بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّيْ وَءَاتٰنِيْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهٖ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ اُنْزِلْكُمْ فِيْهَا وَانْتُمْ لَهَا كَاِرِهُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه إذ كذبوه وردوا عليه ما جاءهم به من عند الله من النصيحة (يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي) على علم ومعرفة وبيان من الله لي ما يلزمني له ، ويجب علي من إخلاص العبادة له ، وترك إشرارك الأوثان معه فيها (وآتاني رحمة من عنده) يقول : ورزقني منه التوفيق والنبوة والحكمة ، فأمنت به وأطعته فيما أمرني ونهاني (فعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة (فعُمِّيَتْ) بفتح العين وتخفيف الميم ، بمعنى : فعُميت الرحمة عليكم فلم تهتدوا لها فتقروا بها وتصدقوا رسولكم عليها . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (فعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) بضم العين وتشديد الميم اعتبارا منهم ذلك بقراءة عبد الله ، وذلك أنهما فيما ذكر في قراءة عبد الله « فعماها عليكم » .

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه (فعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) بضم العين وتشديد الميم للذي ذكروا من العلة لمن قرأ به ، ولقربه من قوله (ارايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده) فأضاف الرحمة إلى الله ، فكذلك تعميته على الآخرين بالإضافة إليه أولى . وهذه الكلمة مما حوكت العرب الفعل عن موضعه ، وذلك أن الإنسان هو الذي يعى عن إبطار الحق ، إذ يعى عن إبطاره ، والحق لا يوصف بالعمى إلا على الاستعمال الذي قد جرى به الكلام ، وهو في جوازه لاستعمال العرب إياه ، نظير قولهم : دخل الخاتم في يدي ، والخف في رجلي ، ومعلوم أن الرجل هي التي تدخل في الخف ، والأصبع في الخاتم ، ولكنهم استعملوا ذلك كذلك ، لما كان معلوما المراد فيه .

وقوله (اُنْزِلْكُمْ فِيْهَا وَانْتُمْ لَهَا كَاِرِهُونَ) يقول : أناخذكم بالدخول في الإسلام وقد عماء الله عليكم ، لها كارهون ، يقول : وأنتم لإلزامناكموها كارهون ، يقول : لانفعل ذلك ، ولكن نكل أمركم إلى الله حتى يكون هو الذي يقضى في أمركم ما يرى ويشاء .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال نوح، (يا قوم إن كنتم على بيئتي من ربي) قال: قد عرفتها وعرفت بها أمره، وأنه لا إله إلا هو، (وأتاني راحة من عنده) : الإسلام والهدى والإيمان والحكم والنبوة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أرأيتم إن كنتم على بيئتي من ربي) . . . الآية، أما والله لو استطاع نبي الله صلى الله عليه وسلم لألزمها قومه، ولكن لم يستطع ذلك، ولم يملكه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان، عن داود، عن أبي العالية، قال في قراءة أبي «أنلركموها من شطر أنفسنا وأنتم لها كارهون».

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، قال: أخبرنا عمرو ابن دينار قال: قرأ ابن عباس: (أنلركموها من شطر أنفسنا) قال عبد الله: من شطر أنفسنا: من تلقاء أنفسنا.

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس مثله. حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا سفيان، عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب: أنلركموها من شطر قلوبنا وأنتم لها كارهون.

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآئِنَ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا يَّجْهَلُونَ ﴿٥٦﴾

وهذا أيضا خبر من الله عن قيل نوح لقومه أنه قال لهم: (يا قوم لا أسألكم) على نصيحتي لكم ودعائتكم إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له مالا: أجرا على ذلك، فتهموني في نصيحتي، وتظنون أن فعلی ذلك طلب عرض من أعراض الدنيا (إن أجري إلا على الله) يقول: ماثواب نصيحتي لكم ودعائتكم إلى ما أدعوكم إليه، إلا على الله، فإنه هو الذي يجازيني ويثيبني عليه (وما أنا بطارد الذين آمنوا) وما أنا بمقص من آمن بالله، وأقر بوحدايته، وخلع الأوثان، وتبرأ منها بأن لم يكونوا من عليتكم وأشرافكم (لأنهم ملأ قلوبهم رباهم) يقول: إن هؤلاء الذين تسألوني طردهم صائرون إلى الله، والله سائلهم عما كانوا في الدنيا يعملون، لأعن شرفهم وحسبهم.

وكان قيل نوح ذلك لقومه، لأن قومه قالوا له، كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قوله (وما أنا بطارد الذين آمنوا لأنهم ملأ قلوبهم رباهم) قال: قالوا له:

يأنوح إن أحببت أن تتبعك فاطردهم ، وإلا فلن نرضى أن نكون نحن وهم في الأمر سواء ، فقال (ما أنا بطارد الذين آمنوا لأنهم مُلاقَتُوا رَبِّهِمْ) فيسألهم عن أعمالهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، وحدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح جميعا ، عن مجاهد ، قوله (إن أجري إلا على الله) قال : جزائي .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
وقوله (ولكي أراكم قوماً تجهلون) يقول : ولكني أياها القوم أراكم قوماً تجهلون الواجب عليكم من حق الله ، واللازم لكم من فرائضه ، ولذلك من جهلكم سألتهموني أن أطرد الذين آمنوا بالله .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَقَوْمٍ مِّنْ يَّنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طردتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٠﴾

يقول : (وَيَا قَوْمُ مَنْ يَّنصُرُنِي) فيمنعني (مِنْ اللَّهِ) إن هو عاقبني على طردى المؤمنين الموحدين الله إن طردتهم (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) يقول : أفلا تفكرون فيما تقولون ، فتعلمون خطاه فتنهوا عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾

يقوله (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ) عطف على قوله (وَيَا قَوْمُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) ومعنى الكلام : ويا قوم لا أسألكم عليه أجرا ، ولا أقول لكم عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ التي لا يفنيها شيء ، فأدعوكم إلى اتباعي عليها (وَلَا أَعْلَمُ) أيضا (الْغَيْبَ) يعني ما خفي من سرائر العباد ، فإن ذلك لا يعلمه إلا الله ، فأدعى الربوبية ، وأدعوكم إلى عبادتي ، (وَلَا أَقُولُ) أيضا (إِنِّي مَلَكٌ) من الملائكة أرسلت إليكم ، فأكون كاذبا في دعواي ذلك ، بل أنا بشر مثلكم كما تقولون ، أُمِرْتُ بدعائكم إلى الله ، وقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم (وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا) يقول : ولا أقول للذين اتبعوني وآمنوا بالله ووحده الذين تستحقهم أعينكم ، وقلتم إنهم أراذلكم : لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ، وذلك الإيمان بالله (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ) يقول : الله أعلم بضمائر صدورهم ، واعتقاد قلوبهم ، وهو ولي أمرهم في ذلك ، وإنما لي منهم ما ظهر وبدا ، وقد أظهروا الإيمان بالله واتبعوني ، فلا

أطردهم ، ولا أستحل ذلك (إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) يقول : إني إن قلت لهؤلاء الذين أظهروا الإيمان بالله وتصديقي : لن يؤتسبهم الله خيرا ، وقضيت على سرائرهم ، بخلاف ما أبدته ألسنتهم لي ، على غير علم مني بما في نفوسهم ، وطردتهم بفعل ذلك ، لمن الفاعلين ما ليس لهم فعله ، المعتدين ما أمرهم الله به وذلك هو الظلم . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خِزَانَةُ اللَّهِ) التي لا يفنيها شيء ، فأكون إنما أدعوكم لتتبعوني عليها لأعطيكم منها (وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ) نزلت من السماء برسالة ، ما أنا إلا بشر مثلكم (وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ) ولا أقول اتبعوني على علم الغيب .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْنَاكَ كَثْرًا جَدَلْنَاكَ فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره : قال قوم نوح عليه السلام : قد خاصمتنا : فأكثرت خصومتنا . فأتينا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين في عداتك ودعواك ، أنك لله رسول ، يعني بذلك أنه لن يقدر على شيء من ذلك .

حدثني محمد بن عمرو : قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (جادلنا) قال : ماريتنا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (قَالُوا) يا نوح قد جادلنا (جادلنا) قال : ماريتنا (فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا) فأتينا بما تعدنا (قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : تَكْذِيبًا بِالْعَذَابِ ، وَأَنَّهُ بَاطِلٌ .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٧﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال نوح لقومه حين استعجلوه العذاب : يا قوم ليس الذي تستعجلون من العذاب إلي ، إنما ذلك إلى الله لا إلى غيره ، هو الذي يأتيكم به إن شاء (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) يقول : ولستم إذا

أراد تعذيبكم بمعجزيه : أى بفائتيه هربا منه ، لأنكم حيث كنتم فى ملكه وسلطانه وقدرته ، حكمه عليكم جار (وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي) يقول : ولا ينفعكم تحذيرى عقوبته ، ونزول سطوته بكم على كفركم به (إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ) فى تحذيرى إياكم ذلك ، لأن نصحى لا ينفعكم لأنكم لا تقبلونه ، (إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ) ، يقول : إن كان الله يريد أن يهلككم بعذابه (هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه تردون بعد الهلاك . حكى عن طي أنها تقول : أصبح فلان غاويا : أى مريضا . وحكى عن غيرهم سماعا منهم : أغويت فلانا ، بمعنى أهلكته ، وغوى الفصيل : إذا فقد اللبن فمات ، وذكر أن قول الله (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) أى هلاكا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى ذكره : أيقول يا محمد هؤلاء المشركون من قومك : افترى محمد هذا القرآن وهذا الخبر عن نوح ، قل لهم : إن افتريته فتخرصته واختلقته (فَعَلَىٰ إِجْرَامِي) يقول : فعلى إثمى فى افترائى ما افتريت على ربى دونكم ، لا تؤاخذون بذنبى ولا إثمى ، ولا تؤاخذون بدينكم (وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَجْرِمُونَ) يقول : وأنا برىء مما تدنبون وتأثمون بربكم من افرائكم عليه ، ويقال منه : أجرمت إجراما وجعرت أجرم جرما ، كما قال الشاعر :

طريدُ عَشِيرَةٍ وَرَهَيْنُ ذَنْبٍ بما جرمت يدي وجنى لساني

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى ذكره : (وأوحى) الله (إلى نوح) لما حق على قومه القول ، وأظلمهم أمر الله ، (أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ) : يأنوح بالله فيوحده ويتبعك على ما تدعوه إليه (مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ) فصدق بذلك واتبعك (فَلَا تَبْتَئِسْ) يقول : فلا تستيكن ولا تحزن بما كانوا يفعلون ، فإنى مهلكهم ومبتذك منهم ومن اتبعك ، وأوحى الله ذلك إليه بعد ما دعا عليهم نوح بالهلاك ، فقال (رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) وهو تفتل من البؤس ، يقال : ابتأس فلان بالأمر يبتأس ابتاسا ، كما قال البيهقي ربيعة :

(١) البيت للهيردان السعدي أحد لصوص بنى سعد (اللسان : جرم) قال : وجرم يجرم (كضرب) واجترم : كسب ، وإنشد أبو عبيدة للهيردان . . . الخ . والرواية فيه : ورهين جرم ، بضم الجيم .

فِي مَاءٍ تَمَّ كَسْعَاجِ صَا رَةَ يَبْتَسِسْنَ بِمَا لَقِينَا
وَبَنَحُو الَّذِي قَلْنَا فِي ذَلِكَ ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَا تَبْتَسِسْ) قال : لا تحزن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فَلَا تَبْتَسِسْ) بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) يقول : فلا تحزن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَا تَبْتَسِسْ) بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) قال : لا تأس ولا تحزن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ) وذلك حين دعا عليهم (قَالَ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) قوله (فَلَا تَبْتَسِسْ) يقول : فلا تأس ولا تحزن .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ) فحينئذ دعا على قومه لما بين الله له أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : وَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ ، وَأَنْ أَصْنَعِ الْفُلْكَ ، وهو السفينة . كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الْفُلْكَ : السفينة .

وقوله (بِأَعْيُنِنَا) يقول : بعين الله ووحيه كما يأمرك .

(١) البيت أورده صاحب (اللسان : بأس) ونسبه للبيد ، وفي روايته « ررب » في مكان « مأم » . والمأم : كل مجتمع من رجال أو نساء ، في حزن أو فرح (اللسان) . والررب : القطيع من بقر الوحش . والنجاج : جمع نعجة ، وهي الأنثى من الضأن ، والظباء ، والبقر الوحشي ، والشاء الجبلي . والعرب تكتيها عن المرأة . وصارة : قال يعقوب : هي ماء بين فيد وضرية . ولعله خص هذه النعاج لحشها بما توافر لديها من كلاً وماء . وابتأس الرجل : إذا بلغه شيء يكرهه ، والنون في يبتس عن عائدة إلى المأم ، وههنا جماعة النساء ، المشبهات في حسنهن ببقر الوحش .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا) وذلك أنه لم يعلم كيف صنعة الفلك ، فأوحى الله إليه أن يصنعها على مثل جؤجؤ الطائر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَوَحْيِنَا) قال : كما نأمرك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وحدثني المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا) : كما نأمرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا) قال : بعين الله ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : (وَوَحْيِنَا) قال : كما نأمرك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا) قال : بعين الله ووحيه .

وقوله (وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ) يقول تعالى ذكره : ولا تسألني في العفو عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك ، فأكسبوها تعديا منهم عليها بكفرهم بالله الهلاك بالغرق ، إنهم مغرقون بالطوفان .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَلَا تُخَاطِبُنِي) قال : يقول : ولا تراجعني ، قال : تقدم أن لا يشفع لهم عنده .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأْمٌ مِّنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٦٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَجَلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ مِّنْ أَثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَاءٌ آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٧٠﴾

يقول تعالى ذكره : ويصنع نوح السفينة ، وكلما مر عليه جماعة من كبراء قومه سخروا منه ، يقول : هزئوا من نوح ، ويقولون له : أتحولت نجارا بعد النبوة وتعمل السفينة في البر ؟ فيقول لهم نوح : (إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا) : إِنْ تَهْزَءُوا مِنَّا الْيَوْمَ ، فلما نهزأ منكم في الآخرة كما تهزءون منا في الدنيا ، (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) : إذا عاينتم عذاب الله ، من الذي كان إلى نفسه مسهتا منا .

وكانت صنعة نوح السفينة كما حدثني المثني وصالح بن مسمار ، قالا : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا موسى بن يعقوب ، قال : ثنا فائدة مولى عبيد الله بن علي بن أبي رافع : أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة ، أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لَوْ رَحِمَ اللَّهُ أَحَدًا مِنْ قَوْمِ نُوحٍ لَرَحِمَ أُمَّ الصَّيِّ» ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله حتى كان آخر زمانه غمر من شجرة ، فعظممت وذهبت كل مذهب ، ثم قُطِعَتْ ، ثم جعل يعمل سفينة ، ويمرؤون فيسألونه ، فيقول أعملوها سفينة ، فيستخرون منه ويقولون : تعمل سفينة في البر فكيف تجري ؟ فيقول : سوف تعلمون ؛ فلما فرغ منها وفار التثور ، وكسر الماء في السكك خشيت أم صبي عليه ، وكانت تحببه حباً شديداً ، فخرجت إلى الحبيل حتى بلغت ثلثه ؛ فلما بلغت الماء خرجت حتى بلغت ثلثي الحبيل ؛ فلما بلغت الماء خرجت حتى استوت على الحبيل ؛ فلما بلغ الماء رقبتها رفعتها بين يديها حتى ذهب بها الماء ، فملأ رحيم الله منهم أحداً لرحيم أم الصبي .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن طول السفينة ثلاث مئة ذراع ، وعرضها خمسون ذراعاً ، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً ، وبابها في عرضها . حدثني الحارث ، قال ثنا عبد العزيز ، قال ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال كان طول سفينة نوح ألف ذراع ومئتي ذراع ، وعرضها ست مئة ذراع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن مفضل بن فضالة ، عن علي بن زيد بن جديعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : قال الخواريون لعيسى بن مريم : لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة ، فحدثنا عنها ، قال : فانطلق بهم حتى انتهى بهم إلى كتيب من تراب ، فأخذ كفا من ذلك التراب بكفه ، قال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا كعب حام بن نوح ، قال : فضرب الكتيب بعصاه ، قال : قم باذن الله ، فإذا هو قائم ينفذ التراب عن رأسه قد شاب ، قال له عيسى : هكذا هلك ؟ قال : لا ، ولكن مت وأنا شاب ، ولكني ظننت أنها الساعة ، فن ثم شبت ، قال : حدثنا عن سفينة نوح ، قال : كان طولها ألف ذراع ومئتي ذراع ، وعرضها ست مئة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات ، فطبقة فيها الدواب والوحش ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر أرواث الدواب ، أوحى الله إلى نوح أن انمز ذنب الفيل ، فغمزه فوق منه خنزير وخنزيرة ، فأقبلا على الروث ، فلما وقع الفأر بحبل السفينة يقرضه ، أوحى الله إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد ، فخرج من منخره سنور وسنورة ، فأقبلا على الفأر ، فقال له عيسى : كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت ، قال : بعث الغراب يأتيه بالخبر ، فوجد جيفة فوق عليها . فدعا عليه بالخوف ، فلذلك لا يألف البيوت ، قال : ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها ، فعلم أن البلاد قد غرقت ، قال : فطوقها

(١) فائدة ، بالفاء الموحدة ، مولى عبادل ، وهو عبيد الله بن علي بن أبي رافع ، وثقه ابن معين .

الخضرة التي في عنقها ، ودعا لها أن تكون في أنس وأمان ، فمن ثم تألف البيوت ، قال : فقلنا يا رسول الله ألا ننطلق به إلى أهلينا ، فيجاس معنا ، ويحدثنا ، قال : كيف يتبعكم من لارزق له ؟ قال : فقال له : عد بإذن الله ، قال : فعاد ترابا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق عن عبيد بن عمير الليثي أنه كان يحدث أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به : يعني قوم نوح ، فيخنقونه حتى يغشى عليه ، فإذا أفاق قال : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ، حتى إذا تمادوا في المعصية ، وعظمت في الأرض منهم الخطيئة ، وتطاول عليه وعليهم الشأن ، واشتد عليه منهم البلاء ، وانتظر النجل بعد النجل ، فلا يأتي قرن إلا كان أحبث من القرن الذي قبله ، حتى إن كان الآخر منهم ليقول : قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا هكذا مجنوننا لا يقبلون منه شيئا ، حتى شكوا ذلك من أمرهم نوح إلى الله تعالى ، كما قص الله علينا في كتابه (رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَتَبْلَأُنَّ نَارًا فَلَئِمَّ بِهِمْ يَبَزْدُهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا) إلى آخر القصة ، حتى (قَالَ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ، إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَظْلِمُونَ عِبَادَكَ ، وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) إلى آخر القصة ، فلما شكوا ذلك منهم نوح إلى الله واستنصره عليهم ، أوحى الله إليه (أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ، وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا) أي بعد اليوم (لَأَنَّهُمْ مُّفْرَقُونَ) فأقبل نوح على عمل الفلك ، ولهي عن قومه ، وجعل يقطع الخشب ، ويضرب الحديد ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره ، مما لا يصلحه إلا هو ، وجعل قومه يمرّون به ، وهو في ذلك من عمله ، فيسخرون منه ويستهزئون به ، فيقول (إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) قال : ويقولون له فيما بلغني : يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة ، قال : وأعقم الله أرحام النساء ، فلا يولد لهم ولد ، قال : ويزعم أهل التوراة أن الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج ، وأن يصنعه أزور ، وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه . وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا ، وأن يجعله ثلاثة أطباق . سفلا ووسطا وعلوا ، وأن يجعل فيه كوى ، ففعل نوح كما أمره الله حتى إذا فرغ منه ، وقد عهد الله إليه إذا جاء أمرنا وفار التنور ، فأحمل فيها من كل زوجين اثنين ، وأهلك إلا من سبق عليه القول ، ومن آمن ، وما آمن معه إلا قليل ، وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه (فقال) إذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين) واركب ؛ فلما فار التنور حمل نوح في الفلك من أمره الله ، وكانوا قليلا كما قال الله ، وحمل فيها من كل زوجين اثنين مما فيه الروح والشجر ذكر وأنثى . فحمل فيه بنيه الثلاثة : سام وحام ويافث ونساعهم ، وستة أناس ممن كان آمن به ، فكانوا عشرة نفر ، نوح وبنوه وأزواجهم ، ثم أدخل ما أمره به من الدواب وتخلّف عنه ابنه يام ، وكان كافرا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : سمعته يقول : كان أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب

(۱) لهي عن قومه : تشاغل عنهم والعرف .

الدرة ، وآخر ما حمل الحمار ؛ فلما دخل الحمار وأدخل صدره مَسَّكَ إبليس بذنبه ، فلم تستقل رجلاه ، فجعل نوح يقول : ويحك ادخل ، فيهض فلا يستطيع ، حتى قال نوح : ويحك ادخل وإن كان الشيطان معك ؛ قال : كلمة زلّت عن لسانه ، فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله ، فدخل ودخل الشيطان معه ، فقال له نوح : ما أدخلك عليّ يا عدوّ الله ، فقال : ألم تقل : ادخل وإن كان الشيطان معك ؟ قال : اخرج عني يا عدوّ الله ، فقال : مالك بدّ من أن تحملي ، فكان فيما يزعمون في ظهر الفلك : فلما اطمأنّ نوح في الفلك ، وأدخل فيه مَنْ آمَنَ به ، وكان ذلك في الشهر من السنة التي دخل فيها نوح بعد ست مئة سنة من عمره لسبع عشرة ليلة مضت من الشهر ؛ فلما دخل وحمل معه من حمل ، تحرّك ينابيع الغوط الأكبر ، وفتح أبواب السماء ، كما قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ . وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ، فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) فدخل نوح ومن معه الفلك وغطاه عليه وعلى من معه بطبقة ، فكان بين أن أرسل الله الماء ، وبين أن احتمل الماء الفلك أربعون يوما وأربعون ليلة ثم احتمل الماء كما تزعم أهل التوراة ، وكثر الماء واشتدّ وارتفع ، يقول الله لمحمد (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْاُنْحَادِ وَدُسُرٍ) والدسر : المسامير ، مسامير الحديد ، فجعلت الفلك تجري به وبمن معه في موج كالجبال ونادى نوح ابنه الذي هلك فيمن هلك ، وكان في معزل حين رأى نوح من صدق موعد ربه ما رأى فقال (يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ) وكان شقيا قد أضمر كفرا (قَالَ سَاوِيَ إِلَى جِبَلٍ يَغْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) وكان عهد الجبال وهي حرز من الأمطار إذا كانت ، فظن أن ذلك كما كان يعهد ، قال نوح (لَاعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ) ، وحال بيئتهما الموج فكان من المغرّقين) وكثر الماء حتى طغى وارتفع فوق الجبال كما تزعم أهل التوراة بخمسة عشر ذراعا ، فباد ما على وجه الأرض من الخلق ، من كل شيء فيه الروح أو شجر ، فلم يبق شيء من الخلائق إلا نوح ومن معه في الفلك ، وإلا عوج بن عنتي فيما يزعم أهل الكتاب ، فكان بين أن أرسل الله الطوفان . وبين أن غاض الماء ستة أشهر وعشر ليال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن عليّ بن زيد بن جدعان ، قال ابن حميد ، قال سلمة ، وحدثني حسن بن عليّ بن زيد عن يوسف بن مهران ، قال : سمعته يقول : لما آذى نوحا في الفلك عذرة الناس ، أمر أن يمسح ذنب الفيل ، فمسحه فخرج منه خنزيران . وكفى ذلك عنه ، وإن الفأر توالدت في الفلك ، فلما آذته ، أمر أن يأمر الأسد يعطس ، فعطس فخرج من منخريه هران يأكلان عنه الفأر .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : لما كان نوح في السفينة ، قرض الفأر حبال السفينة ، فشكا نوح ، فأوحى الله إليه فمسح ذنب الأسد فخرج سنوران ، وكان في السفينة عذرة ، فشكا ذلك إلى ربه ، فأوحى الله إليه ، فمسح ذنب الفيل ، فخرج خنزيران .

(١) الغوط الأكبر : يريد الأراضي المظلمة الواسعة .

حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، قال : ثنا الأسود بن عامر ، قال : أخبرنا سفيان بن سعيد ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثت عن المسيب بن أبي روق ، عن الضحاك ، قال : قال سليمان التماري : عمل نوح السفينة في أربع مئة سنة ، وأنبت الساج أربعين سنة حتى كان طوله أربع مئة ذراع ، والذراع إلى المنكب .
• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ، حتى إذا جاء أمرنا وفار الثنور قلنا أحمل فيها من كل زوجتين اثنتين وأهلك إلا من سبق عليه القول ، ومن آمن وما آمن معه إلا قليل ۝ .

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) أيها القوم إذا جاء أمر الله ، من الهالك (مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ) يقول : الذي يأتيه عذاب الله منا ومنكم بهيمة وبذله ، (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) يقول : وينزل به في الآخرة مع ذلك عذاب دائم لا انقطاع له ، مقيم عليه أبدا . وقوله (حتى إذا جاء أمرنا) يقول : ويصنع نوح الفلك حتى إذا جاء أمرنا الذي وعدناه أن يجيء قومه من الطوفان الذي يغرقهم ، وقوله (وفار الثنور) .

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : انبجس الماء من وجه الأرض ، وفار الثنور ، وهو وجه الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن الضحاك ، عن ابن عباس أنه قال في قوله (وفار الثنور) قال : الثنور : وجه الأرض ، قال : قيل له : إذا رأيت الماء على وجه الأرض ، فاركب أنت ومن معك ، قال : والعرب تسمى وجه الأرض : تنور الأرض .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن العوام ، عن الضحاك ، بنحوه . حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا الشيباني ، عن عكرمة ، في قوله (وفار الثنور) قال : وجه الأرض .

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة وسفيان بن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الشيباني ، عن عكرمة (وفار الثنور) قال : وجه الأرض .

وقال آخرون : هو تنوير الصبح من قولهم : نور الصبح تنويرا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن عباس مولى أبي جحيفة ، عن أبي جحيفة ، عن علي رضي الله عنه ، قوله (حتى إذا جاء أمرنا وفار الثنور) قال : هو تنوير الصبح .

حدثنا ابن وكيع وإسحاق بن إسرائيل ، قالا : ثنا محمد بن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن زياد مولى أبي جُحيفة ، عن أبي جُحيفة ، عن عليّ في قوله (وَفَارَ التَّنْثُورُ) قال : تنوير الصبح .
حدثنا حماد بن يعقوب ، قال : أخبرنا ابن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن مولى أبي جُحيفة ، أراه قد سماه عن أبي جُحيفة ، عن عليّ (وَفَارَ التَّنْثُورُ) قال : تنوير الصبح .
حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا هشيم ، عن ابن إسحاق ، عن رجل من قریش ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه (وَفَارَ التَّنْثُورُ) قال : طلع الفجر .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن رجل قد سماه ، عن عليّ بن أبي طالب ، قوله (وَفَارَ التَّنْثُورُ) قال : إذا طلع الفجر .
وقال آخرون : معنى ذلك : وفار على الأرض ، وأشرف مكان فيها بالماء ، وقال : التنور : أشرف الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنّور) كنا نحدث أنه أعلى الأرض وأشرفها ، وكان علكما بين نوح وبين ربه .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : سمعت قتادة ، قوله (وَفَارَ التَّنْثُورُ) قال : أشرف الأرض وأرفعها فار الماء منه .
وقال آخرون : هو التنور الذي يختبر فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنّور) قال : إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء فإنه هلاك قومك .
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي محمد ، عن الحسن ، قال : كان تنورا من حجارة كان لحواء حتى صار إلى نوح ، قال : فقبل له : إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَفَارَ التَّنْثُورُ) قال : حين انبجس الماء وأمر نوح أن يركب هو ومن معه في الفلك .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَفَارَ التَّنْثُورُ) قال انبجس الماء منه آية أن يركب بأهله ، ومن معه في السفينة .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه ، إلا أنه قال : آية أن يركب أهله ومن معه في السفينة .

حدثني المثنى . قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه . إلا أنه قال : آية بأن يركب بأهله ومن معهم في السفينة .

حدثني الحرث . قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : نبع الماء في التنور ، فعلمت به امرأته فأخبرته ، قال : وكان ذلك في ناحية الكوفة .

قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا علي بن ثابت ، عن السري بن إسماعيل ، عن الشعبي أنه كان يحلف بالله ما فار التنور إلا من ناحية الكوفة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الحميد الحماني ، عن النضر أبي عمر الخزاز ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : فار التنور بالهند .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَفَارَ التَّنُّورُ) كان آية لنوح إذا خرج منه الماء ، فقد أتى الناس الهلاك والغرق ، وكان ابن عباس يقول في معنى فار : نبع .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح . قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : نبع .

قال أبو جعفر : وفوران الماء سَوْرَة دفعته ، يقال منه : فار الماء يفور فوراً وفورا ، وذلك إذا سارت دفعته .

وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله (التَّنُّورُ) قول من قال : هو التنور الذي يخبز فيه ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب ، إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك ، فيسلم لها ، وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به ، لإفهامهم معنى ما خاطبهم به ، قلنا لنوح حين جاء عذابنا قومه الذي وعدنا نوحاً أن نعذبهم به ، وفار التنور الذي جعلنا فورانه بالماء آية مجيء عذابنا بيننا وبينه لهلاك قومه (ائْمِلْ فِيهَا) يعني في الفلك (مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يقول : من كل ذكر وأنثى .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) قال : ذكر وأنثى من كل صنف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) فالواحد زوج ، والزوجين ذكر وأنثى من كل صنف .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) قال : ذكر وأنثى من كل صنف .

قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يقول : من كل صنف اثنين .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يعني بالزوجين اثنين : ذكرا وأنثى .

وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين : الزوجان في كلام العرب : الاثنان ، قال : ويقال عليه زوجا نعال : إذا كانت عليه نعلان ، ولا يقال عليه زوج نعال ، وكذلك عنده زوجا حمام ، وعليه زوجا قيود . وقال : ألا تسمع إلى قوله (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى) فإنما هما اثنان . وقال بعض البصريين من أهل العربية في قوله (قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) قال : فجعل الزوجين : الضربين ، الذكور والإناث ، قال : وزعم يونس أن قول الشاعر :

وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَعْدُو عَلَى كُلِّ غِرَّةٍ فَتُخْطِئُ فِيهَا مَرَّةً وَتُصِيبُ ١

يعني به الذئب ، قال : فهذا أشد من ذلك . وقال آخر منهم : الزوج : اللون ، قال : وكل ضرب يدعى لونا ، واستشهد بيت الأعشى في ذلك :

وَكُلُّ زَوْجٍ مِنَ الدِّيَابِجِ يَلْبَسُهُ أَبُو قُدَامَةَ حَبُوءًا بِذَلِكَ مَعَا ٢

وبقول لبيد :

وَيَذِي بِهَيْجَةٍ كَنِّ الْمَقَانِبِ صَوْبُهُ وَزَيْنَسُهُ أَزْوَاجُ نَوْرِ مُشَرَّبِ ٣

وذكر أن الحسن قال في قوله (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) السماء زوج ، والأرض زوج ، والشتاء زوج ، والصيف زوج ، والليل زوج ، والنهار زوج ، حتى يصير الأمر إلى الله الفرد الذي لا يشبه شيء .

وقوله (وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) يقول : واحمل أهلك أيضا في الفلك ، يعني بالأهل : ولده ونسائه وأزواجه إلا من سبق عليه القول ، يقول : إلا من قلت فيهم إلى مهلكه مع من أهلك من قومك .

(١) هذا البيت من شواهد يونس النحوي على أن العرب قد تطلق لفظ المرء على الذئب ، وأصله للرجل . أورده صاحب اللسان في (مرأ) شاهدا على ذلك . ونقله المؤلف حاكيا لما يقوله بعض البصريين في تفسير قوله تعالى : « من كل زوجين اثنين » أن المراد اثنان من ضربين مختلفين : ذكر وأنثى ، وهذا بخلاف قول الكوفيين إن المراد من الزوجين : الاثنان مطلقا ، قال البصريون : وليس إطلاق الزوجين على الذكر والأنثى من أي صنف بأبعد من إطلاق الشاعر العربي كلمة (المرء) على الذئب ، كما في البيت الذي استشهد به يونس على ذلك .

(٢) هذا البيت أورده (اللسان : زوج) منسوبا للأعشى ، شاهدا على أن معنى الزوج : اللون كما في التهذيب للأزهري . والبيت في ديوان الأعشى طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ، وهو التاسع والأربعون في قصيدة له ، يمدح بها هوزة بن علي الخنق . صاحب اليمامة (انظر أخباره ص ١٠٠ وما بعدها من الديوان) . وقوله : « وكل زوج » : معطوف على قوله قبله « له أسكاليل بالياقوت زينا » . الخ وهو مما حباه به ملك فارس حين قدم عليه .

(٣) البيت في ديوان لبيد (طبعة فينا ص ٣٨) وفيه « أطراف نبت » ، ويروى « ألوان نور » . يصف غيثا بأنه ذو بهجة ونبات حسن في أزهار ملونة ريانة من الماء ، وقد طال حتى ستر مقالب الخيل .

ثم اختلفوا في الذي استثناه الله من أهله ، فقال بعضهم : هو بعض نساء نوح .
ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج (وأهلك إلا من سبقت عاقبته القول) قال : العذاب ، هي امرأته كانت من الغابرين في العذاب .
وقال آخرون : بل هو ابنه الذي غرق .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المسيب ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، في قوله (وأهلك إلا من سبقت عاقبته القول) قال : ابنه غرق فيمن غرق .

وقوله (وما آمن آمن) يقول : واحمل معهم من صدقك واتبعك من قومك ، يقول الله (وما آمن معه إلا قليل) يقول : وما أقر بوحداية الله مع نوح من قومه إلا قليل .
واختلفوا في عدد الذين كانوا آمنوا معه ، فحملهم معه في الفلك ، فقال بعضهم في ذلك : كانوا ثمانية أنفس .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأهلك إلا من سبقت عاقبته القول وما آمن معه إلا قليل) قال : ذكر لنا أنه لم يتم في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنيه ، ونساؤهم ، فجميعهم ثمانية .

حدثنا ابن وكيع والحسن بن عرفة ، قالا : ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية ، عن أبيه ، عن الحكم (وما آمن معه إلا قليل) قال : نوح ، وثلاثة بنيه ، وأربع كئناته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : حدثت أن نوحا حمل معه بنيه الثلاثة وثلاث نسوة لبنيه ، وامرأة نوح ، فهم ثمانية بأزواجهم ، وأسماء بنيه : يافث ، وسام ، وحام ، وأصاب حام زوجته في السفينة ، فدعا نوح أن يغير نطفته فجاء بالسودان .
وقال آخرون : بل كانوا سبعة أنفس .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش (وما آمن معه إلا قليل) قال : كانوا سبعة : نوح ، وثلاث كئنات له ، وثلاثة بنين .
وقال آخرون : كانوا عشرة سوى نساؤهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما فار التور ، حمل نوح في الفلك من أمره الله به ، وكانوا قليلا كما قال الله ، فحمل بنيه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ، ونساءهم ، وستة أناسي من كان آمن ، فكانوا عشرة نفر بنوح وبنيه وأزواجهم .

وقال آخرون : بل كانوا ثمانين نفسا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس : حمل نوح معه في السفينة ثمانين إنسانا .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، كان بعضهم يقول : كانوا ثمانين ، يعني القليل الذي قال الله (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : ثني حسين بن واقد الخراساني ، قال : ثني أبو تهيك ، قال : سمعت ابن عباس يقول : كان في سفينة نوح ثمانون رجلا ، أحدهم جبرهم .

والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) يصفهم بأنهم كانوا قليلا ، ولم يحدد عددهم بمقدار ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح ، فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حد الله ، إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله ، أو أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

*** وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾**

يقول تعالى ذكره : وقال نوح : اركبوا في الفلك بسم الله مجراها ومرساها ، وفي الكلام محذوف قد استغنى بدلالة ما ذكر من الخبر عليه عنه ، وهو قوله (قُلْنَا ائْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَاقِبَتُهُ الْقَوْلُ مِنْهُمْ) ، وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) فحملهم نوح فيها وقال لهم : اركبوا فيها ، فاستغنى بدلالة قوله (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا) عن حمله إياهم فيها ، فترك ذكره .

واختلفت القراء في قراءة قوله (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) فقراءته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) بضم الميم في الحرفين كليهما . وإذا قرئ كذلك كان من أجرى وأرسي ، وكان فيه وجهان من الإعراب : أحدهما الرفع بمعنى : بسم الله لإجراؤها وإرساؤها ، فيكون المجرى والمرسى مرفوعين ، حيثئذ بالباء التي في قوله (بِسْمِ اللَّهِ) والآخر بالنصب ، بمعنى : بسم الله عند إجرائها وإرسائها ، أو وقت إجرائها وإرسائها ، فيكون قوله : بسم الله كلاما مكتفيا بنفسه ، كقول القائل عند ابتدائه في عمل يعمله : بسم الله ، ثم يكون المجرى والمرسى منصوبين على ما نصبت العرب قولهم الحمد لله سرارك وإهلالك ، يعنون الهلال أوله وآخره ، كأنهم قالوا : الحمد لله أول الهلال وآخره ، ومسموع منهم أيضا : الحمد لله ما إهلالك إلى سرارك . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) بفتح الميم من مجراها ، وضمها من مرساها ، فجعلوا مجراها مصدرا من جرى يجرى مجرى ،

ومُرْسَاها من أُرْسَى يُرْسِي إرساء. وإذا قرئ ذلك كذلك كان في إعرابها من الوجهين نحو الذي فيها إذا قرئ : مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا بضم الميم فيهما على ما بينت .

وروى عن أبي رجاء العطاردي أنه كان يقرأ ذلك (بِسْمِ اللَّهِ مُجْرِيهَا وَمُرْسِيهَا) بضم الميم فيهما ، ويصيرهما نعتا لله ، وإذا قرئ كذلك ، كان فيهما أيضا وجهان من الإعراب ، غير أن أحدهما الخفض ، وهو الأغلب عليهما من وجهي الإعراب .

لأن معنى الكلام على هذه القراءة : بسم الله مُجْرِي الْفَلَكَ وَمُرْسِيهَا ، فَالْمُجْرَى نعت لاسم الله ، وقد يحتمل أن يكون نصبا ، وهو الوجه الثاني ، لأنه يحسن دخول الألف واللام في المُجْرَى والمُرْسَى ، كقولك بسم الله المُجْرِيهَا والمُرْسِيهَا ، وإذا حذفنا نصبتا على الحال ، إذ كان فيهما معنى النكرة ، وإن كانا مضافين إلى المعرفة . وقد ذكر عن بعض الكوفيين أنه قرأ ذلك مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ، بفتح الميم فيهما جميعا ، من جرى رسا : كأنه وجهه إلى أنه في حال جريها وحال رسوها . وجعل كأننا الصفتين للفلك كما قال عنترة :
فَصَبَرْتُ نَفْسًا عِنْدَ ذَلِكَ حَرَّةً تَرْسُو إِذَا نَفْسُ الْحَبَانِ تَطَاعَتْ ١

والقراءة التي نختارها في ذلك : قراءة من قرأ (بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا) بفتح الميم (وَمُرْسَاهَا) بضم الميم ، بمعنى : بسم الله حين تجرى وحين تُرْسَى . وإنما اخترت الفتح في ميم مُجْرَاهَا لقرب ذلك من قوله (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْهَبَالِ) ولم يقل : تُجْرِي بِهِمْ ، ومن قرأ (بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا) كان الصواب على قراءته أن يقرأ : وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ . وفي إجماعهم على قراءة تجرى بفتح التاء دليل واضح على أن الوجه في مُجْرَاهَا فتح الميم . وإنما اخترنا الضم في مُرْسَاهَا لإجماع الحجة من القراء على ضمها ، ومعنى قوله (مُجْرَاهَا) مسيرها (وَمُرْسَاهَا) وقفها ، من وقفها الله وأرساها . وكان مجاهد يقرأ ذلك بضم الميم في الحرفين جميعا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) قال : حين يركبون ويُجْمَرُونَ وَيُرْسُونَ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) قال : بسم الله حين يُجْمَرُونَ وحين يُرْسُونَ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا أبو روق ، عن الضحاك ، في قوله (أَرْكَبُوا)

(١) البيت أورده (اللسان : صبر) . قال : ولو حبس رجل نفسه على شيء يريد به قال : صبرت نفسي ، قال عنترة يذكر حربا كان فيها : « فصبرت عارفة لذلك حرة » . الخ قال أبو عبيد : يقول إنه حبس نفسه . وهذه الرواية جاء البيت في شعر عنترة (مختار الشعر الجاهل طبعة مطبعة الحلبي ص ٣٩٢) ومعنى صبرت عارفة : حبست نفسي عارفة أي صابرة ، تصبر للشدائد ، ولا تنكرها . وترسو : تثبت وتستقر ، ولا تتطلع إلى الخلق جبيناً وفرعاً ، كما تتطلع نفس الحبان . وحمل الشاهد فيه : أن بعض الكوفيين قرأ قوله تعالى « باسم الله مجريها ومرساها » بفتح الميم فيهما ، من جرى يجرى ورسا يرسو .

فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا وَمُسْرَاهَا) قال : إذا أراد أن ترسى قال : بسم الله فأرست . وإذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت .
وقوله (إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : إن ربي لسائر ذنوب من تاب وأتاب إليه رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبٍ مَّعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾

الله تعالى ذكره بقوله (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ) والفلك تجرى بنوح ومن معه فيها (فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ) يام (وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ) عنه لم يركب معه الفلك (يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا) الفلك (وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ سَآوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَأَعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿١٧﴾

* يقول تعالى ذكره : قال ابن نوح لما دعاه نوح إلى أن يركب معه السفينة خوفا عليه من الغرق (سَآوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) يقول : سأصير إلى جبل أتحصن به من الماء ، فيمنعني منه أن يغرقني ، ويعني بقوله (يَْعَصِمُنِي) يمنعني ، مثل عصام القرية الذي يشد به رأسها ، فيمنع الماء أن يسيل منها ، وقوله (لَأَعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ) يقول : لا مانع اليوم من أمر الله الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلا من رحمتنا ، فأنا قد نأنا منه ، فإنه الذي يمنع من شاء من خلقه ويعصم ، فمن في موضع رفع ، لأن معنى الكلام : لأعاصم يعصم اليوم من أمر الله ، إلا الله .

وقد اختلف أهل العربية في موضع «مَنْ» في هذا الموضع ، فقال بعض نحوي الكوفة : هو في موضع نصب . لأن المعصوم بخلاف العاصم ، والمرحوم معصوم . قال : كأن نصبه بمنزلة قوله (مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ) قال : ومن استجاز اتباع الظن والرفع في قوله : وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أَنْيْسٌ إِلَّا الْيَعْفِيرُ وَالْأَيْسُ الْعَيْسُ ١

(١) البيت لجبران الورد الحميري : وهو من شواهد النحويين (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٤ : ١٩٧) على أن الاستثناء في البيت منقطع لأن اليعافير والعيس ، ليس من نوع المستثنى منه وهو الأنيس . وللعرب في مثل هذا مذهبان ، فالجازيون ينصبون المنقطع ، على الاستثناء ، ويؤتمم يرفعونه على البدلية لما قبله . والبلدة : القطعة من الأرض . والأنيس : المؤنس من الناس . واليعافير : جمع يعفور : وهو ولد الطيبة ، وولد البقرة الوحشية أيضا . وقيل : هو تيس الأطباء . والعيس : إبل بيض ، يخالط بياضها شقرة ، جمع أعيس وعيساء .

لم يجر له الرفع في « مَنْ » ، لأن الذي قال : إلا اليغافير ، جعل أنيس البر اليغافير وما أشبهها ، وكذلك قوله : (إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ) ، يقول علمهم ظنّ . قال : وأنت لا يجوز لك في وجه أن تقول : المعصوم هو عاصم في حال ، ولكن لو جعلت العاصم في تأويل معصوم ، لا معصوم اليوم من أمر الله ، لجاز رفع « مَنْ » . قال : ولا ينكر أن يخرج المفعول على فاعل ألا ترى قوله (مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ) معناه ، والله أعلم مدفوق ، وقوله (فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ) معناها : مرضية . قال الشاعر :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبَغْيَتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي^١

ومعناه : المكسوة . وقال بعض نحوي البصرة (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا مَنْ رَحِمَ) على لمكن مَنْ رَحِمَ ، ويجوز أن يكون على : إذا عصمة : أي معصوم ، ويكون إلا من رحم رفعا بدلا من العاصم ، ولا وجه لهذه الأقوال التي حكيناها عن هؤلاء ، لأن كلام الله تعالى إنما يوجه إلى الأفصح الأشهر من كلام مَنْ نزل بلسانه ، ما وجد إلى ذلك سبيل ، ولم يضطرنا شيء إلى أن نجعل عاصما في معنى معصوم ، ولا أن نجعل « إِلَّا » بمعنى لكن ، إذ كنا نجد لذلك في معناه الذي هو معناه في المشهور من كلام العرب مخرجا صحيحا ، وهو ما قلنا من أن معنى ذلك : قال نوح : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمتنا فأنجنا من عذابه ، كما يقال : لا منجى اليوم من عذاب الله إلا الله ، ولا مطعم اليوم من طعام زيد إلا زيد ، فهذا هو الكلام المعروف ، والمعنى المفهوم .

وقوله (وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ) يقول : وحال بين نوح وابنه موج الماء ، ففرق ، فكان ممن أهلكه الله بالغرق من قوم نوح صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ
وَقِيلَ بُعْدَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾

يقول الله تعالى ذكره : وقال الله للأرض بعد ماتناهي أمره في هلاك قوم نوح بما أهلكهم به من الغرق (يا أرض ابلعي ماءك) : أي تشتربي ، من قول القائل : بَلَغَ فلان كذا يَبْلُغُهُ ، أو يَبْلُغُهُ يَبْلُغُهُ إذا ازدرده (وَيَسْمَأْ أَقْلَعِي) يقول : أقلعي عن المطر أمسكي (وَغِيضَ الْمَاءِ) ذهبت به الأرض ونشفت (وَقُضِيَ الْأَمْرُ) يقول : قضى أمر الله ، ففضى بهلاك قوم نوح (وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ) يعني الفلّك استوت : أرسيت على الجودي ، وهو جبل فيما ذكر بناحية الموصل أو الجزيرة (وَقِيلَ بُعْدَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) يقول : قال الله : أبعد الله القوم الظالمين الذين كفروا بالله من قوم نوح .

(١) البيت للحطيفة (اللسان : كسا) . واختلف العلماء في قوله : « الطاعم الكاسي » فقال بيبيوه هو محمول على النسب ، أي ذو كسوة . وقال ابن سيده : وقد ذكرنا في غير موضع ، أن الشيء إنما يحمل على النسب إذا عدم الفعل . وقول الحطيفة : « الطاعم الكاسي » أي المكتسى ، لأنه يقال : كسى العريان ، ولا يقال : كسا . وقال الفراء : الكاسي يعني المكسو ، كقولك « ماء دافق » ، و « عيشة راضية » .

(٢) الفعل من باب تعب وفتح ، ومصدر الأول بفتح اللام وإسكانها ، ومصدر الثاني بالإسكان فقط . (انظر المصباح المنير) .

حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي ، قال : ثنا الحاربي ، عن عثمان بن مطر ، عن عبد العزيز بن عبد الغفور عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ رَكِبَ نُوحٌ السَّفِينَةَ فَصَامَ هُوَ وَجَمِيعُ مَنْ مَعَهُ ، وَجَرَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، فَانْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الْمُحَرَّمِ ، فَأُرْسَتْ السَّفِينَةُ عَلَى الْجُودَى يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَصَامَ نُوحٌ ، وَأَمَرَ جَمِيعُ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْوَحْشِ وَالْدَّوَابِّ فَصَامُوا شُكْرًا لِلَّهِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : « كَانَتِ السَّفِينَةُ أَعْلَاهَا لِلطَّيْرِ ، وَوَسْطُهَا لِلنَّاسِ ، وَفِي أَسْفَلِهَا السَّبَاعُ ، وَكَانَ طُولُهَا فِي السَّمَاءِ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا ، دَفَعَتْ مِنْ عَيْنِ وَرْدَةٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِعَشْرِ لَيَالٍ مَضِينَ مِنْ رَجَبٍ ، وَأُرْسَتْ عَلَى الْجُودَى يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَمَرَّتْ بِالْبَيْتِ فَطَافَتْ بِهِ سَبْعًا ، وَقَدْ رَفَعَهُ اللَّهُ مِنَ الْغُرُقِ ، ثُمَّ جَاءَتْ الْيَمِينَ ، ثُمَّ رَجَعَتْ . »

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن قتادة ، قال : « هَبَطَ نُوحٌ مِنَ السَّفِينَةِ يَوْمَ الْعَاشِرِ مِنَ الْحَرَمِ ، فَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا فَلْيَتِمَّ صَوْمُهُ ، وَمَنْ كَانَ مَفْطَرًا فَلْيَصُمْ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس قال : كَانَ فِي زَمَنِ نُوحٍ شَهْرٌ مِنَ الْأَرْضِ لَا إِنْسَانَ يَدْعِيهِ ٢ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذَكَرْنَا أَنَّهَا ، يَعْنِي الْفَلَكَ اسْتَقَلَّتْ بِهِمْ فِي عَشْرِ خُلُوفٍ مِنْ رَجَبٍ ، وَكَانَتْ فِي الْمَاءِ خَمْسِينَ وَمِثَّةً يَوْمَ ، وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى الْجُودَى شَهْرًا ، وَأَهْبَطَ بِهِمْ فِي عَشْرِ مِنَ الْحَرَمِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ .

وَبَنَحُو مَا قَلْنَا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ (وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى) قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ : ذَكَرْنَا قَالَ ذَلِكَ

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن مجاهد (وَغِيضَ الْمَاءُ) قَالَ : نَقَصَ (وَقُضِيَ الْأَمْرُ) قَالَ : هَلَكَ قَوْمُ نُوحٍ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : قال ابن جريج (وَغِيضَ الْمَاءُ) نَشَفَتْهُ الْأَرْضُ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَا سَمَاءُ اقْلَعِي) يَقُولُ : أَمْسِكِي (وَغِيضَ الْمَاءُ) يَقُولُ : ذَهَبَ الْمَاءُ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَغِيضَ الْمَاءُ) الْغِيُوضُ : ذَهَابَ الْمَاءُ (وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى) .

(١) فِي مَعْجَمِ الْبَلَدَانِ لِيَاقُوتَ (٦ : ٢٥٨) طَبِيعُ الْقَاهِرَةِ : عَيْنُ الْوَرْدَةِ ، وَهُوَ رَأْسُ عَيْنِ الْمَشْهُورَةِ بِالْجَزِيرَةِ .

(٢) لَعَلَّهُ : مَا كَانَ فِي زَمَنِ نُوحٍ شَهْرٌ مِنَ الْأَرْضِ لَا إِنْسَانَ يَدْعِيهِ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى) قال : جبل بالجزيرة ، تشاخصت الجبال من الغرق ، وتواضع هو الله فلم يفرق ، فأرست عليه .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى) قال : الجودي : جبل بالجزيرة تشاخصت الجبال يومئذ من الغرق ، وتطاوالت ، وتواضع هو الله فلم يفرق ، وأرست سفينة نوح عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى) يقول : على الجبل ، واسمه الجودي .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان (وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى) قال : جبل بالجزيرة شمخت الجبال وتواضع حين أرادت أن ترقأ عليه سفينة نوح .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى) أبقاها الله لنا بوادي أرض الجزيرة عبرة وآية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول (وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى) هو جبل بالموصل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نوحاً بعث الغراب لينظر إلى الماء ، فوجد جيفة ، فوق عليها ، فبعث الحمامة فأثته بورق الزيتون ، فأعطيت الطوق الذي في عنقها وخضاب رجلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أراد الله أن يكف ذلك ، يعني الطوفان ، أرسل ريحا على وجه الأرض ، فسكن الماء ، واستدت ينابيع الأرض الغمر الأكبر ، وأبواب السماء ، يقول الله تعالى (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي) ... إلى (بَعْدَ الْقَاسِمِ الظَّالِمِينَ) فجعل ينقص ويغيض ويدبر ، وكان استواء الفلك على الجودي فيما يزعم أهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه ، في أول يوم من الشهر العاشر ، رُئي رعوس الجبال ، فلما مضى بعد ذلك أربعون يوما فتح نوح كوة الفلك التي صنع فيها ، ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء ، فلم يرجع إليه ، فأرسل الحمامة فرجعت إليه : ولم يجد لرجلها موضعا ، فبسط يده للحمامة ، فأخذها ثم مكث سبعة أيام ، ثم أرسلها لتنظر له ، فرجعت حين أمست وفيها ورق زيتونة ، فعلم نوح أن الماء قد قل عن وجه الأرض ، ثم مكث سبعة أيام ، ثم أرسلها فلم ترجع ، فعلم نوح أن الأرض قد برزت ، فلما كملت السنة فيما بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن أرسل نوح الحمامة ودخل يوم واحد من الشهر الأول من سنة اثنتين برز وجه الأرض ، فظهر اليأس . وكشف نوح غطاء الفلك ، ورأى وجه الأرض . وفي الشهر الثاني من سنة اثنتين

في سبع وعشرين ليلة منه، قيل لنوح (اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : تزعم أناس أن من غرق من ولدان مع آبائهم ، وليس كذلك ، إنما الولدان بمنزلة الطير ، وسائر من أغرق الله بغير ذنب ، ولكن حضرت آجالهم ، فأتوا لآجالهم ، والمدركون من الرجال والنساء كان الغرق عقوبة من الله لهم في الدنيا ، ثم مضى بهم إلى النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٩﴾

يقول تعالى ذكره : ونادى نوح ربه ، فقال : رب إنك وعدتني أن تنجيني من الغرق والهلاك وأهلي ، وقد هلك ابني ، وابني من أهلي (وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ) الذي لاخلف له (وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) بالحق ، فاحكم لي بأن تفي بما وعدتني من أن تنجي لي أهلي ، وترجع إلى ابني . كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب : قال : قال ابن زيد في قوله (وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) قال : أحكم الحاكمين بالحق .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَسَلَّنَ مَالِيسَ لَكَ بِهِ ۖ عَلِمْتُ أَنِّيَ أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٥٠﴾

يقول الله تعالى ذكره : قال الله يا نوح إن الذي غرقته فأهلكته الذي تذكر أنه من أهلك ليس من أهلك واختلف أهل التأويل في معنى قوله (لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) فقال بعضهم : معناه : ليس من ولدك ، هو من غيرك ، وقالوا : كان ذلك من حيث .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن ، في قوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) قال : لم يكن ابنه .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا يحيى بن يمان ، عن شريك ، عن جابر ، عن أبي جعفر (وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ) قال : ابن امرأته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أصحاب ابن أبي عَرُوبَةَ فِيهِمُ الْحَسَنُ : قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بَابَنهُ .

قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : هذه بلغة طي لم يكن ابنه ، كان ابن امرأته .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، ومنصور ، عن الحسن في قوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي أَهْلِيكَ) قال : لم يكن ابنه ، وكان يقرأها (إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : كنت عند الحسن فقال : نادى نوح ابنه : لعمر الله ما هو ابنه . قال : قلت يا أبا سعيد يقول (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) وتقول : ليس بابنه ؟ قال : أفرأيت قوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي أَهْلِيكَ) قال : قلت إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك ، ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه ، قال : إن أهل الكتاب يتكذبون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : سمعت الحسن يقرأ هذه الآية (إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي أَهْلِيكَ إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرُ صَالِحٍ) فقال عند ذلك : والله ما كان ابنه ، ثم قرأ هذه الآية : (فَخَانَتْهُمَا) قال سعيد : فذكرت ذلك لقتادة ، قال : ما كان ينبغي له أن يحلف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) قال : تبين لنوح أنه ليس بابنه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) قال : بين الله لنوح أنه ليس بابنه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال ابن جريج في قوله (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : ناداه وهو يحسبه أنه ابنه وكان وليد علي فراشه .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ثور ، عن أبي جعفر ، (إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي أَهْلِيكَ) قال : لو كان من أهله لنجا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، وسمع عبيد بن عمير يقول : نرى أن ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم « الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ » : من أجل ابن نوح .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ابن عون ، عن الحسن ، قال : لا والله ما هو بابنه .

وقال آخرون : معنى ذلك : (لَيْسَ مِنِّي أَهْلِيكَ) الذين وعدتك أن أنجيهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبي عامر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : هو ابنه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، قال : ثنا أبو عامر ، عن الضحاك ، قال : قال ابن عباس : هو ابنه ، ما بغت امرأة نبي قط .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي عامر الهمداني ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن ابن عباس ، قال : ما بغت امرأة نبي قط ، قال : وقوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) الذين وعدتك أن أنجيهم معك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة وغيره ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : هو ابنه ، غير أنه خالفه في العمل والنية ، قال عكرمة في بعض الحروف : إنه عمل عملا غير صالح ، والحياة تكون على غير باب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان عكرمة يقول : كان ابنه ، ولكن كان مخالفا له في النية والعمل ، فمن ثم قيل له (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري وابن عيينة ، عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قتة^١ ، قال : سمعت ابن عباس يسئل وهو إلى جنب الكعبة ، عن قول الله تعالى (فخاننَاهُمَا) قال : أمّا إنه لم يكن بالزنا ، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون ، وكانت هذه تدل على الأضياف ، ثم قرأ (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) .

قال ابن عيينة وأخبرني عمار الدهني^٢ أنه سأل سعيد بن جبيرة ، عن ذلك فقال : كان ابن نوح ، إن الله لا يكذب ، قال (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : وقال بعض العلماء : ما فجرت امرأة نبي قط .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمار الدهني ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : قال الله وهو الصادق ، وهو ابنه ، (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سعيد ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس ، قال : ما بغت امرأة نبي قط .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : سألت أبا بشر ، عن قوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) قال : ليس من أهل دينك ، وليس ممن وعدتك أن أنجيهم .

قال يعقوب : قال هشيم : كان عامة ما كان يحدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبيرة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن يعقوب بن قيس ، قال : أتى سعيد بن جبيرة رجل فقال : يا أبا عبد الله ، الذي ذكر الله في كتابه ابن نوح ابنه هو ؟ قال : نعم ، والله إن نبي الله أمره أن يركب معه في السفينة فعصى ، فقال (سَاوِيَ إِلَى جِبَلٍ يَـغْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) — قال يا نوح إنه ليس من أهلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ (لعصية نبي الله .

(١) في تاج العروس : قتة كضبة : أم سليمان بن حبيب المحاربي التميمي ، المشهور ، يعرف بابن قتة . وفي الخلاصة للخزرجي :

سليمان بن حبيب المحاربي ، أبو أيوب الداراني قاضي دمشق من سنة إحدى إلى أن مات سنة ٢٦١ وثقه ابن معين والنسائي .

(٢) راو كوفي ، وثقه أحمد وأبو حاتم . مات سنة ١٣٣ هـ .

حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : أخبرني أبو صخر ، عن أبي معاوية البجلي ، عن سعيد ابن جبير أنه جاء إليه رجل فسأله فقال : أرأيتك ابن نوح : ابنه ؟ فسيح طويلاً ثم قال : لا إله إلا الله ، يحدث الله محمداً (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) وتقول ليس منه ، ولكن خالفه في العمل ، فليس منه من لم يؤمن . حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالوا : ثنا ابن عسّية ، عن أبي هارون الغنوي ، عن عكرمة ، في قوله (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : أشهد أنه ابنه ، قال الله (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة قالوا : هو ابنه . حدثني فضالة بن الفضل الكوفي ، قال : قال بزيغ : سألت رجل الضحاك ، عن ابن نوح فقال : ألا تعجبون إلى هذا الأحق يسألني عن ابن نوح ، وهو ابن نوح ، كما قال الله : قال نوح لابنه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك أنه قرأ (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) . وقوله (لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) قال : يقول : ليس هو من أهلك ، قال : يقول : ليس هو من أهل ولايتك ، ولا ممن وعدتك أن أنجي من أهلك (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) قال : يقول : كان عمله في شرك . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : هو والله ابنه لصلبه .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله (لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) قال : ليس من أهل دينك ، ولا ممن وعدتك أن أنجي ، وكان ابنه لصلبه . حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) يقول : ليس ممن وعدناه النجاة .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) يقول : ليس من أهل ولايتك ، ولا ممن وعدتك أن أنجي من أهلك (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) يقول : كان عمله في شرك . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا خالد بن حيان ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون ، وثابت بن الحجاج قالوا : هو ابنه ولد على فراشه .

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : تأويل ذلك : إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم ، لأنه كان لدينك مخالفاً ، وفي كافراً ، وكان ابنه لأن الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أنه ابنه ، فقال (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) وغير جائز أن يخبر أنه ابنه فيكون بخلاف ما أخبر ، وليس في قوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) دلالة على أنه ليس بابنه ، إذ كان قوله (لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) محتملاً من المعنى ما ذكرنا ، ومحتملاً أنه ليس من أهل دينك ، ثم يحذف الدين فيقال : إنه ليس من أهلك كما قيل (وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا)

وأما قوله (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) فإن القراء اختلفت في قراءته ، فقرأته عامة قراء الأمصار (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) بتنوين عمل ورفع غير .

واختلاف الذين قرءوا ذلك كذلك في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : إن مسألتك إياي هذه عمل غير صالح

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) قال : إن مسألتك إياي هذه عمل غير صالح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) أي سوء (فَلَا تَسْأَلُنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) يقول : سؤالك عما ليس لك به علم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن حمزة الزيات ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) قال : سؤالك إياي عمل غير صالح (فَلَا تَسْأَلُنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) .

وقال آخرون : بل معناه : إن الذي ذكرت أنه ابنك ، فسألتني أن أنجيته عمل غير صالح : أي أنه لغير رشدة ، وقالوا : الهاء في قوله (إِنَّهُ) عائدة على الابن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ابن أبي عَرُوبَةَ ، عن قتادة ، عن الحسن أنه قرأ (عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) قال : ما هو والله بابه .

وروى عن جماعة من السلف أنهم قرءوا ذلك (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) على وجه الخبر عن الفعل الماضي ، وغير منصوبة . ومن روى عنه أنه قرأ ذلك كذلك ابن عباس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قَيْتَةَ ، عن ابن عباس أنه قرأ (عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) ووجهوا تأويل ذلك إلى ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا غُنْدَرٌ ، عن ابن أبي عَرُوبَةَ عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) قال : كان مخالفا له في النية والعمل ، ولا نعلم هذه القراءة قرأ بها أحد من قراء الأمصار إلا بعض المتأخرين . واعتل في ذلك بخبر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قرأ ذلك كذلك غير صحيح السند ، وذلك حديث روى عن شهر بن حوشب ، فمرة يقول عن أم سلمة ، ومرة يقول عن أسماء بنت يزيد ، ولا نعلم لبنت يزيد ، ولا نعلم لشهر سماعا يصح عن أم سلمة .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار : وذلك رفع عمل بالتنوين ، ورفع غير ، يعني أن سؤالك إياي ما تسألني في ابنك المخالف دينك الموالي أهل الشرك في من النجاة من الهلاك ، وقد مضت إجابتي إياك في دعائك (لَا تَدْرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دِيَارًا) ما قد مضى من غير استثناء أحد منهم ، عمل غير صالح ، لأنه مسألة منك إلى أن لا أفعل ما قد تقدم مني القول بأني أفعله في إجابتي مسألتك إياي فعله : فذلك هو العمل غير الصالح . وقوله (فَلَا تَسْأَلُنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)

نهي من الله تعالى ذكره نوحاً أن يسأله عن أسباب أفعاله التي قد طوى علمها عنه وعن غيره من البشر . يقول له تعالى ذكره : إني يا نوح قد أخبرتك عن سؤالك سبب إهلاكى ابنك الذى أهلكته ، فلا تسألن بعدها عما قد طويت علمه عنك من أسباب أفعالى ، وليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين فى مسألتك إياى عن ذلك .

وكان ابن زيد يقول فى قوله (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) أن تبلغ الجهالة بك أن لا آفى لك بوعد وعدتك حتى تسألنى ما ليس لك به علم (وإلا تغفر لى وترحمينى أكن من الخاسرين) .

اختلفت القراء فى قراءة قوله (فلا تسألن ما ليس لك به علم) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (فلا تسألن ما ليس لك به علم) بكسر النون وتخفيفها ، ونحوها بكسرها إلى الدلالة على الياء التى هى كناية اسم الله (فلا تسألن) . وقرأ ذلك بعض المكيين ، وبعض أهل الشام (فلا تسألن) بتشديد النون وفتحها ، بمعنى : فلا تسألن يا نوح ما ليس لك به علم . والصواب من القراءة فى ذلك عندنا تخفيف النون وكسرها : لأن ذلك هو الفصيح من كلام العرب المستعمل بينهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ إِنِّي آعُودُ بِكَ أَن سَأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره مخبراً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عن إنابة نوح عليه السلام بالتوبة إليه من زلته فى مسأله التى سأله ربه فى ابنه (قَالَ رَبِّ إِنِّي آعُودُ بِكَ) أى أستجير بك أن أتكلف مسألتك (ما ليس لى به علم) مما قد استأثرت بعلمه ، وطويت علمه عن خلقك ، فاغفر لى زلتى فى مسألتى إياك ما سألتك فى ابنى وإن أنت لم تغفرها لى وترحمنى ، فتتقذنى من غضبك (أكن من الخاسرين) يقول : من الذين غيبتوا أنفسهم حظوظها وهلكوا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَمِعَتُهُمْ ثَمًّا يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾

يقول تعالى ذكره (يٰنُوحُ اهْبِطْ) من الفلك إلى الأرض (بسلام منا) يقول : بأمن منا أنت ومن

معك من إهلاكنا (وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ) يقول : وبركات عليك ١ (وَعَلَى أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ) يقول : وعلى قرون تجيء من ذرية من معك من ولدك ، فهؤلاء المؤمنون من ذرية نوح الذين سبقت لهم من الله السعادة ، وبارك عليهم قبل أن يخلقهم في بطون أمهاتهم وأصلاّب آبائهم ، ثم أخبر تعالى ذكره نوحا عما هو فاعل بأهل الشقاء من ذريته ، فقال له (وَأُمَّمٌ) يقول : وقرون ، وجماعة (سَنُتَعَمَّعُهُمْ) في الحياة في الدنيا . يقول : نرزقهم فيها ما يمتنعون به إلى أن يبلغوا آجالهم (ثُمَّ يَمُتُّهُمْ مِمَّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : ثم نذيقهم إذا وردوا علينا عذابا مؤلما موجعا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ) . . . إلى آخر الآية ، قال : دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة ودخل في ذلك العذاب والمتاع كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود الحفري ٢ ، عن سفيان ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ) قال : دخل في السلام كل مؤمن ومؤمنة ، وفي الشرك كل كافر وكافرة .

حدثني المثنى . قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك قراءة عن ابن جريح (وَعَلَى أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ) يعني من لم يولد . قد قضى البركات لمن سبق له في علم الله وقضائه السعادة (وَأُمَّمٌ سَنُتَعَمَّعُهُمْ) من سبق له في علم الله وقضائه الشقاوة .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج . عن ابن جريح بنحوه ، إلا أنه قال : (وَأُمَّمٌ سَنُتَعَمَّعُهُمْ) متاع الحياة الدنيا ، ممن قد سبق له في علم الله وقضائه الشقاوة . قال : ولم يهلك الولدان يوم غرق قوم نوح بذنوب آبائهم كالطير والسباع ، ولكن جاء أجلهم مع الغرق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ) ، وَأُمَّمٌ سَنُتَعَمَّعُهُمْ) قال : هبطوا والله عنهم راض ، هبطوا بسلام من الله ، كانوا أهل رحمة من أهل ذلك الدهر ، ثم أخرج منهم نسلا بعد ذلك أمما ، منهم من رحم ، ومنهم من عذب ، وقرأ (وَعَلَى أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ) ، وَأُمَّمٌ سَنُتَعَمَّعُهُمْ) وذلك إنما افرقت الأمم من تلك العصاة التي خرجت من ذلك الماء وسلمت .

حدثت عن الحسين بن الفرج : قال : سمعت أبا معاذ . قال : ثنا عبيد بن سليمان : قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ) . . .

(١) لعله : وبركات عليك .

(٢) هو عمر بن سعد الحفري ، بالعمرى ، كوفي ، وثقه ابن معين (مات سنة ٢٠٣) .

الآية ، يقول : بركات عليك وعلى أمم ممن معك لم يؤلدوا ، أوجب الله لهم البركات ، لما سبق لهم في علم الله من السعادة (وَأُمَمٌ سَتُكْتَبُ عَنْهُمْ) . يعنى : متاع الحياة الدنيا (ثُمَّ يَكْتَسِبُهُمْ مِنْ آدَابِ الْإِيمِ) لما سبق لهم في علم الله من الشقاوة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسين ، أنه كان إذا قرأ سورة هود ، فأتى على (يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ) حتى ختم الآية ، قال الحسن : فأنجى الله نوحا والذين آمنوا ، وهلك المتمتعون حتى ذكر الأنبياء ، كل ذلك يقول : أنجاه الله وهلك المتمتعون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (سَتُكْتَبُ عَنْهُمْ ثُمَّ يَكْتَسِبُهُمْ مِنْ آدَابِ الْإِيمِ) قال : بعد الرحمة .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : أخبرنا عبد الله بن شاذب ، قال : سمعت داود ابن أبي هند يحدث عن الحسن أنه أتى على هذه الآية (اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ يَمُنُّ بِكَ ، وَأُمَمٌ سَتُكْتَبُ عَنْهُمْ ثُمَّ يَكْتَسِبُهُمْ مِنْ آدَابِ الْإِيمِ) قال : فكان ذلك حين بعث الله عادا ، فأرسل إليهم هودا ، فصدقه مصدقون ، وكذبه مكذبون حتى جاء أمر الله ؛ فلما جاء أمر الله أنجى الله هودا والذين آمنوا معه ، وأهلك الله المتمتعين ، ثم بعث الله ثمود ، فبعث إليهم صالحا ، فصدقه مصدقون ، وكذبه مكذبون ، حتى جاء أمر الله ؛ فلما جاء أمر الله أنجى الله صالحا والذين آمنوا معه ، وأهلك الله المتمتعين ، ثم استقر الأنبياء نبيا نبييا على نحو من هذا .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَئِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِمْ إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ
إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : هذه القصة التي أنبأتك بها من قصة نوح وأخبره وأخبر قومه (من أنبياء الغيب) يقول : هي من أخبار الغيب التي لم تشهد لها فتعلمها (نوحيا إليك) يقول : نوحيا إليك نحن فنعرفكها (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) الوحي الذي نوحيه إليك ، فاصبر على القيام بأمر الله ، وتبليغ رسالته ، وما تلقى من مشركي قومك ، كما صبر نوح (إن العاقبة للمتقين) يقول : إن الخير من عواقب الأمور لمن اتقى الله فأدبى فرائضه واجتنب معاصيه فهم الفائزون بما يؤملون من النعيم في الآخرة ، والظفر في الدنيا بالطلبية ، كما كانت عاقبة نوح ، إذ صبر لأمر الله أن نجاه من الهلكة مع من آمن به وأعطاه في الآخرة ما أعطاه من الكرامة ، وغرق المكذبين به فأهلكهم جميعهم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا) القرآن ، وما كان علم محمد صلى الله عليه وسلم وقومه ماصنع نوح وقومه ، لولا ما بين الله في كتابه ؟

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالِإِلَٰهَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هودا ، فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له دون ما تعبدون من دونه من الآلهة والأوثان (مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ) يقول : ليس لكم معبود يستحق العباداة عليكم غيره ، فأخلصوا له العباداة ، وأفردوه بالألوهة (إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ) يقول : ما أنتم في إشراككم مع الآلهة والأوثان إلا أهل فرية مكذبون ، تختلقون الباطل ، لأنه لا إله سواه .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنِ اجْتَرَىٰ عَلَىٰ آلِيَّ الذِّي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل هود لقومه : يا قوم لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العباداة لله وخلع الأوثان والبراءة منها جزاء وثوابا (إِنِ اجْتَرَىٰ عَلَىٰ آلِيَّ الذِّي فَطَرَنِي) يقول : إن ثوابي وجزائي على نصيحتي لكم ، ودعائكم إلى الله ، إلا على الذي خلقتني (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) يقول : أفلا تعقلون أني لو كنت أبتغي بدعايتكم إلى الله غير النصيحة لكم ، وطلب الحظ لكم في الدنيا والآخرة لالتصت منكم على ذلك بعض أعراض الدنيا ، وطلبت منكم الأجر والثواب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنِ اجْتَرَىٰ عَلَىٰ آلِيَّ الذِّي فَطَرَنِي) أي خلقتني .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَىٰ يَوْمِ بُرْسِلِ السَّمَاءِ ۚ عَلَيْكُمْ مَذَرَارٌ وَأَوْزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٣﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل هود لقومه (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) يقول : آمنوا به حق

يغفر لكم ذنوبكم ، والاستغفار : هو الإيمان بالله في هذا الموضع ، لأن هودا صلى الله عليه وسلم إنما دعا قومه إلى توحيد الله ليغفر لهم ذنوبهم ، كما قال نوح لقومه (اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ، وَيُخْرِجْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) ، وقوله (ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ) يقول : ثم توبوا إلى الله من سالف ذنوبكم وعبادتكم غيره بعد الإيمان به (يَرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) يقول : فإنكم إن آمنتم بالله وتبتم من كفركم به ، أرسل قطر السماء عليكم بَدْرَ لكم الغيث في وقت حاجتكم إليه ، ونحيا بلادكم من الجذب والقحط .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (مِدْرَارًا) يقول : يتبع بعضها بعضا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (يَرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) قال : يدر ذلك عليهم قطرا ومطرا .

وأما قوله (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ) فإن مجاهدا كان يقول في ذلك ما حدثني به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ) قال : شدة إلى شدة لكم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد وإسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن رقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين : قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، فذكر مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ) قال : جعل لهم قوة ، فلو أنهم أطاعوه ، زادهم قوة إلى قوتهم ، وذكر لنا أنه إنما قيل لهم (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ) قال : إنه قد كان انقطع النسل عنهم سنين ، فقال هود لهم : إن آمنتم بالله أحبنا الله بلادكم ، ورزقكم المال والولد ، لأن ذلك من القوة . وقوله (وَلَا تَتَّبِعُوا الْبَاطِلَ) يقول : ولا تدبروا عما أدعوكم إليه من توحيد الله ، والبراءة من الأوثان والأصنام مجرمين ، يعني كافرين بالله .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره : قال قوم هود لهود : يا هود ما أتيتنا ببيان ولا برهان على ما تقول ، فنسلم لك ، ونقر بأنك صادق فيما تدعونا إليه من توحيد الله ، والإقرار بنبوتك (وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا) يقول :

وما نحن بتاركى آلهتنا يعنى لقولك : أو من أجل قولك (وما نحنُ كَلِّ بِمُؤْمِنِينَ) يقول : قالوا : وما نحن لك بما تدعى من النبوة والرسالة من الله إلينا بمصدقين .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدْ وَأَنِّي بَرِيٌّ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾
مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴿٥٥﴾

وهذا خبر من الله تعالى ذكره ، عن قول قوم هود أنهم قالوا له ، إذ نصح لهم ودعاهم إلى توحيد الله وتصديقه ، وخلع الأوثان والبراءة منها ، لا تترك عبادة آلهتنا ، وما نقول إلا أن الذى حملك على ذمها والنهى عن عبادتها ، أنه أصابك منها خبل من جنون ، فقال هود لهم : إني أشهد الله على نفسى وأشهدكم أيضا أيها القوم أنى برىء مما تشركون فى عبادة الله من آلهتكم وأوثانكم من دونه (فكيدُونِي جَمِيعًا) يقول : فاحتملوا أنتم جميعا وآلهتكم فى ضررى ومكروهى (ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ) يقول : ثم لا تؤخرون ذلك ، فانظروا هل تنالونى أنتم وهم بما زعمتم أن آلهتكم نالتنى به من السوء .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) قال : أصابك الأوثان بجنون .
حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) قال : أصابك الأوثان بجنون .
حدثنى المثنى ، قال : ثنا ابن دكين ، قال : ثنا سفينان ، عن عيسى ، عن مجاهد (إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) قال : سببت آلهتها وعبتها فأجنتك .
قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) أصابك بعض آلهتنا بسوء : يعنون الأوثان .
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) قال : أصابك الأوثان بجنون .
حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) قال : تصيبك آلهتنا بالجنون .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) قال : ما يحملك على ذم آلهتنا ، إلا أنه أصابك منها سوء .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) قال : إنما تصنع هذا بالهتنا أنها أصابتك بسوء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير : أصابتك آلهتنا بشر .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) يقولون : نخشى أن يصيبك من آلهتنا سوء ، ولا نحب أن تعريك ، يقولون : يصيبك منها سوء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) يقولون : اختلط عقلك فأصابك هذا مما صنعت بك آلهتنا . وقوله (اعْتَرَاكَ) افتعل ، من عراني الشيء يعرفني : إذا أصابك . كما قال الشاعر :

مِنْ الْقَوْمِ يَعْرِوهُ اجْتِرَاءٌ وَمَأْتَمٌ ١

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦١﴾

يقول : إني على الله الذي هو مالكي ومالككم ، والقسم على جميع خلقه توكلت ، من أن تصيبوني أنتم وغيركم من الخلق بسوء ، فإنه ليس من شيء يدب على الأرض إلا والله مالكة وهو في قبضته وسلطانه دليل له خاضع .

فإن قال قائل : وكيف قيل : هو آخذ بناصيتها ، فخص بالآخذ الناصية دون سائر أماكن الجسد ؟ قيل : لأن العرب كانت تستعمل ذلك في وصفها من وصفته بالذلة والخضوع ، فتقول ماناصية فلان إلا بيد فلان ، أي أنه له مطيع يصرفه كيف شاء ، وكانوا إذا أسروا الأسير ، فأرادوا إطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليعتدوا بذلك عليه فخرا عند المفاخرة ، فخطبهم الله بما يعرفون في كلامهم ، والمعنى ما ذكرت . وقوله (إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : إن ربي على طريق الحق ، يجازي المحسن من خلقه بإحسانه ، والمسيء بإساءته لا يظلم أحدا منهم شيئا ، ولا يقبل منهم إلا الإسلام والإيمان به .

(١) هذا شطر بيت لأبي خراش الهذلي ، وصدره :

تَذَكَّرَ ذَحْلًا عِنْدَنَا وَهُوَ فَاتِكُ

(مجاز القرآن لأبي عبيدة الجزء الأول ص ٢٩٠) وفيه اجتراء في موضع اجترام . قال أبو عبيدة : اعتراك : وهو افتعلك من عروته ، أي أصابك . وفي ديوان الهذليين (٢ : ١٤٧) : يعروه : يعتريه ، أي يلم به . وفاتك مقدم على الأمر . ويقال للرجل إذا كان جريئا على الأمر : فاتك .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إن ربي على صراط مستقيم) الحق .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا نَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هو دلقومه (فَإِنْ تَوَلَّوْا) يقول : فان أدبروا معرضين عما أدعوهم إليه من توحيد الله ، وترك عبادة الأوثان (فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ) أيها القوم (مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ) وما على الرسول إلا البلاغ (وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ) يهاكم ربي ، ثم يستبدل ربي منكم قوما غيركم يوحدهونه ، ويخلصون له العبادة (وَلَا نَضُرُّوهُ شَيْئًا) يقول : ولا تقدرين له على ضر إذا أراد إهلاككم أو أهلككم . وقد قيل : لا يضره هلاككم إذا أهلككم لا تنقصونه شيئا ، لأنه سواء عنده كنتم أو لم تكونوا (إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ) يقول : إن ربي على جميع خلقه ذو حفظ وعلم ، يقول : هو الذي يحفظني من أن تنالوني بسوء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَاهُمْ هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره : ولما جاء قوم هود عذابنا (نَجَّيْنَاهُمْ) منه (هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا) بالله (مَعَهُ) بِرَحْمَةٍ مِنَّا) يعني بفضل منه عليهم ونعمة (وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) يقول : نجيناهم أيضا من عذاب غليظ يوم القيامة ، كما نجيناهم في الدنيا من السخطة التي أنزلنا بها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾

يقول تعالى ذكره : وهؤلاء الذين أحلنا بهم نعمتنا وعذابنا عاد ، جحدوا بأدلة الله وحججه ، وعصوا رسله الذين أرسلهم إليهم للدعاء إلى توحيد الله واتباع أمره (وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) يعني كل مستكبر على الله ، حائد عن الحق لا يذعن له ولا يقبله ، يقال منه : عند عن الحق ، فهو يعسند عسودا ، والرجل عائد وعسود ، ومن ذلك قيل للعرق الذي ينفجر فلا يرقأ : عرق عائد : أي ضار ، ومنه

(١) العائد : العرق الذي يستيل دمه ولا يرقأ : وقوله ضار : تفسير بالأبعد ؛ ولعل للفظ يحرف عن صار ، بالصاد ، أي يسمع

له صوت ، أو عن دار ، أي غزير الدم .

قول الراجز : إِنِّي كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْعُنْدَ ۱

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) : المشرك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۚ أَلَا بَعْدَ لَعَادِ قَوْمِ هُودٍ ۝

يقول تعالى ذكره : وأتبع عاد قوم هود في هذه الدنيا غضبا من الله وسخطة يوم القيامة ، مثلها لعنة إلى اللعنة التي سلفت لهم من الله في الدنيا (أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۚ أَلَا بَعْدَ لَعَادِ قَوْمِ هُودٍ) يقول : أبعدهم الله من الخير ، يقال : كفر فلان ربه ، وكفر بربه ، وشكرت لك وشكرتك . وقيل : إن معنى كفروا ربهم : كفروا نعمة ربهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

* وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۚ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۝

يقول تعالى ذكره : وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا ، فقال لهم يا قوم : اعبدوا الله وحده لا شريك له ، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الآلهة ، فالكم من إله غيره ، يستوجب عليكم العبادة ، ولا تجوز الألوهة إلا له (هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ) يقول : هو ابتداء خلقكم من الأرض ، وإنما قال ذلك لأنه خلق آدم من الأرض ، فخرج الخطاب لهم ، إذ كان ذلك فعله بمن هم منه (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) يقول : وجعاكم عُمرارا فيها ، فكان المعنى فيه : أسكنكم فيها أيام حياتكم من قولهم : أعمار فلان فلانا داره ، وهي له عُمرى ٢ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) البيت في (اللسان : عند) ، ولم ينسبه . قال : عند عن الشيء والطريق يعند (ليضرب ويقتل) عنودا ، فهو عنود وعند عندا (من باب فرج) : تباعد وعدل . وناقاة عنود : لا تخالط الإبل ، تباعد عن الإبل ، فترعى ناحية أبدا والجمع عند وعاند وعاندة ، وجمعها جميعا : عواند وعند . قال :

إِذَا رَحَلْتَ فَاجْمَعْكَوْنِي وَسَطًا إِنِّي كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْعُنْدَ ۱

يعنى من الإبل . وهو مع أشطار أخرى في الاقتضاب ص ٤١٥ بدون عزو ، وفي الجمهرة لابن دريد (٢١ : ٢٣٨) وهذان البيتان من مشلور الرجز ، وفيهما من عيوب القافية : الإكفاء : لأنه جمع بين الطاء والذال ، نبه عليه صاحب اللسان . (٢) عمرى بوزن بشرى : أى ينتفع بها طول عمره ، ثم ترد بعده إلى مالكها الأول .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله (وَأَسْتَغْفِرْكُمْ فِيهَا) قال : أَعْمَرَكُمْ فِيهَا.

حدثني المثنى، قال : ثنا أبو حذيفة، قال : ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَأَسْتَغْفِرْكُمْ فِيهَا) يقول : أَعْمَرَكُمْ.

وقوله (فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ) يقول : اعملوا عملا يكون سببا لستر الله عليكم ذنوبكم وذلك الإيمان به، وإخلاص العبادة له دون ماسواه، واتباع رسوله صالح (لَكُمْ تَوْبُوا إِلَيْهِ) يقول : ثم اتركوا من الأعمال ما يكرهه ربكم إلى ما يرضاه ويحبّه (إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) يقول : إن ربي قريب ممن أنخلص له العبادة ورغب إليه في التوبة، مجيب له إذا دعاه.

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّ آلِهَةَ
شَكٍّ مِمَّا نَدْعُوا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : قالت ثمود لصالح نبيمهم (يا صالحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا) : أي كنا نرجو أن تكون فينا سيدا (قَبْلَ هَذَا) القول الذي قلته لنا من أنه مالنا من إله غير الله (أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) يقول : أتنهانا أن نعبد الآلهة التي كانت آبائنا تعبد (وَإِنَّا كَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ) يعنون أنهم لا يعلمون صحة ما يدعوههم إليه من توحيد الله، وأن الألوهة لا تكون إلا له خالصا وقوله (مُرِيبٌ) أي يوجب التهمة من أربته فأنا أريبه إرابة، إذا فعلت به فعلا يوجب له الريبة، ومنه قول الهذلي :

كُنْتُ إِذَا أَتَوْتُهُ مِنْ غَيْبٍ يَشُمُّ عِطْفِي وَيُبْزُ ثَوْبِي
كَأَنَّمَا أَرَبْتُهُ بِرَيْبٍ

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنِكُمْ مِنْ رَبِّ وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يُنْصِرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ
عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : قال صالح لقومه من ثمود (يا قومِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنِكُمْ مِنْ رَبِّ وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ) برهان وبيان من الله قد علمته وأيقنته (وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ) يقول : وآتاني منه النبوة والحكمة والإسلام (فَمَنْ يُنْصِرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ) فمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ

(١) هذه ثلاثة أبيات من مشطور الرجز، أوردتها (اللسان : أن) ونسبها إلى خالد بن زمير، وأورد قبلها بيتا رابعا، وهو قوله : «يا قوم مالي وأبا ذؤيب : قال : ويقال : أتوته أتوا : لغة في أتيته . والعطف : المنكب ، وعطف الرجل والدابة : جانباه عن يمين وشمال ، وشقاه من لدن رأسه إلى وركه ، والجمع : أعطاف ، وعطاف وعطوف . ويبرز ثوبي : يجذبه إليه .

مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ) يقول : فمن الذى يدفع عني عقابه إذا عاقبني إن أنا عصيته ، فيخاصني منه ، فما تزيدوني بعذرکم الذى تعتذرون به من أنکم تعبدون ما كان يعبد آباؤکم غیر تخسیر لکم بخسیرکم حظوظکم من رحمة الله .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ) يقول : ما تزدادون أنتم إلا خسارا .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَقَوْمَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود : إذ قالوا له (وَإِنَّا لَنَرِيكَ شَيْئًا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) وسألوه الآية على ما دعاهم إليه (يَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ) يقول : حجة وعلامة ، ودلالة على حقيقة ما أدعوكم إليه : (فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ) فليس عليكم رزقها ولا مؤنتها (وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ) يقول : لا تقتلوهها ولا تنالوها بعقر (فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) يقول : فإنكم إن تمسوها بسوء يأخذكم عذاب من الله غير بعيد فيهلككم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ ﴿٦٥﴾

يقول تعالى ذكره : فعقرت ثمود ناقة الله ، وفي الكلام محذوف قد ترك ذكره استغناء بدلالة الظاهر عليه ، وهو : فكذبوه فعقروها ، فقال لهم صالح (تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) يقول : استمتعوا في دار الدنيا بحياتكم ثلاثة أيام (ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ) يقول : هذا الأجل الذى أجعلتكم وعد من الله ، وعدكم بانقضائه الهلاك ، ونزول العذاب بكم غير مكذوب ، يقول : لم يكذبكم فيه من أعلمكم ذلك . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ) وذكر لنا أن صالحا حين أخبرهم أن العذاب أتاهم لبسوا الانطاع والأكسية ، وقيل لهم : إن آية ذلك أن تصفروا ألوانكم أول يوم ، ثم تحمر في اليوم الثاني ، ثم تسود في اليوم الثالث . وذكر لنا أنهم لما عقروا الناقة ندموا وقالوا : عليكم الفصيل ، فصعد الفصيل القارة ، والقارة الجبل ، حتى إذا كان اليوم الثالث ، استقبل القبلة وقال : يا رب أى ثلاثا ، قال : فأرسلت الصيحة عند ذلك .

وكان ابن عباس يقول : لو صعدتم القارة لرأيتم عظام الفصيل ، وكانت منازل ثمود بحجر بين الشام والمدينة

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) قال : بقية آجالهم .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة أن ابن عباس قال : لو صعدتم على القارة لرأيتم عظام الفصيل .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : فلما جاء ثمود عذابنا (نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا) به (مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا) يقول : بنعمة وفضل من الله (وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ) يقول : ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذله بذلك العذاب (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ) في بطشه إذا بطش بشيء أهلكه ، كما أهلك ثمود حين بطش بها العزيز ، فلا يغلبه غالب ، ولا يقهره قاهر ، بل يغلب كل شيء ويقهره .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ) قال : نجاه الله برحمة منا ، ونجاه من خزي يومئذ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج . عن أبي بكر بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة قال : قلنا له : حدثنا حديث ثمود ، قال : أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمود : « كانت ثمود قوم صالح ، أعمارهم الله في الدنيا فأطال أعمارهم حتى جعل أحدهم يبنى المسكن من المدثر ، فيهدم والرجل منهم حتى ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فترهين ، فنحتوها وجوفوها ، وكانوا في سعة من معاشهم ، فقالوا : يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا آية نعلم أنك رسول الله ، فدعا صالح ربه ، فأخرج لهم الناقة ، فكان شربها يوما وشربهم يوما معلوما . فإذا كان يوم شربها خلوا عنها وعن الماء وحلبوها لبنا ، ملئوا كل إناء ووعاء وسقاء ، حتى إذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء ، فلم تشرب منه شيئا ، فملئوا كل إناء ووعاء وسقاء ، فأوحى الله إلى صالح : إن قومك سيعقرون ناقتك ، فقال لهم : فقالوا ما كنا لنفعل ، فقال : إلا تعقروها أنتم يوشك أن يولد فيكم مولود ، قالوا : ما علامة ذلك المولود ، فوالله لا نجد إلا قتلناه ، قال : فإنه غلام أشقر أزرق أصهب أحر ، قال : وكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان ، لأحدهما ابن يرغب به عن المناكح ، والآخر ابنة لا يجد لها كفوا ، فجمع بينهما مجلس ، فقال أحدهما لصاحبه : ما يمنعك أن تزوج ابنك ؟ قال : لأجد له كفوا ، قال : فإن ابنتي كفوا له ، وأنا أزوجك ، فزوجاه ، فولد بينهما ذلك المولود ، وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون في الأرض ، ولا

يصلحون ، فلما قال لهم صالح : إنما يعقرها مولود فيكم ، اختاروا ثمانى نسوة قوايل من القرية ، وجعلوا
معهن شرطاً كانوا يطوفون في القرية ، فإذا وجدوا المرأة تمتخض ، نظروا ما ولدها إن كان غلاماً قلبته ،
فنظروا ما هو ، وإن كانت جارية أعرضن عنها ، فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة ، وقلن هذا الذى
يريد رسول الله صالح ، فأراد الشرط أن يأخذوه : فحال جداه بينهم وبينه وقالوا : لو أن صالحاً أراد هذا
قتلناه ، فكان شرّ مولود ، وكان يشيب في اليوم شباب غيره في الجمعة ، ويشب في الجمعة شباب غيره
في الشهر ، ويشب في الشهر شباب غيره في السنة ، فاجتمع الثمانية الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون
وفيهم الشيخان ، فقالوا نستعمل علينا هذا الغلام لمنزلته وشرف جدّه ، فكانوا تسعة ، وكان صالح لا ينام
معهم في القرية ، كان في مسجد يقال له مسجد صالح ، فيه بيت بالليل ، فإذا أصبح أتاهم قوعظهم
وذكرهم ، وإذا أمسى خرج إلى مسجده فبات فيه ، قال حجاج ، وقال ابن جريج : لما قال لهم صالح :
إنه سيولد غلام يكون هلاككم على يديه ، قالوا فكيف تأمرنا ؟ قال : آمركم بقتلهم ، فقتلوهم إلا واحداً ، قال :
فلما بلغ ذلك المولود قالوا : لو كنا لم نقتل أولادنا ، لكان لكل رجل منا مثل هذا ، هذا عمل صالح ، فأتمروا
بينهم بقتله ، وقالوا : نخرج مسافرين والناس يروننا علانية ، ثم نرجع من ليلة كذا من شهر كذا وكذا فرصده
عند مصلاه فنقتله ، فلا يحسب الناس إلا أنا مسافرون كما نحن ، فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه ،
فأرسل الله عليهم الصخرة فرضختهم ، فأصبحوا رضىخاً ، فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم ، فإذا
هم رضىخ ، فرجعوا يصيحون في القرية : أى عباد الله ، أما رضى صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم حتى
قتلهم ، فاجتمع أهل القرية على قتل الناقة أجمعون ، وأحجموا عنها إلا ذلك الابن العاشر ، ثم رجع الحديث
إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وأرادوا أن يمكروا بصالح ، فشتوا حتى أتوا على شرب على
طريق صالح ، فاختموا فيه ثمانية ، وقالوا : إذا خرج علينا قتلناه وأتينا أهله فبيتناهم ، فأمر الله الأرض
فاستوت عليهم ، قال : فاجتمعوا ومشوا إلى الناقة وهى على حوضها قائمة ، فقال الشقى لأحدهم : انثا
فاعقرها ، فأتاها فتعاضمه ذلك ، فأضرب عن ذلك ، فبعث آخر فأعظم ذلك ، فجعل لا يبعث رجلاً إلا
تعاضمه أمرها حتى مشوا إليها ، وتناولوا فضرب عرقوبها ، فوقع تركض ، وأتى رجل منهم صالحاً ، فقال
أدرك الناقة فقد عقرت ، فأقبل ، وخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه : يا نبى الله إنما عقرها فلان ، إنه لا ذنب
لنا ، قال : فانظروا هل تدركون فصيلها ، فإن أدركتموه ، فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب ، فخرجوا
يطلبونه ، ولما رأى الفصيل أمه تضطرب أتى جبلاً يقال له القارة قصيراً ، فصعد وذهبوا ليأخذوه ، فأوحى
الله إلى الجبل ، فطال في السماء حتى ما يناله الطير ، قال : ودخل صالح القرية ، فلما رآه الفصيل بكى حتى
سالت دموعه ، ثم استقبل صالحاً فترغاً رغوّة ، ثم رغا أخرى ، ثم رغا أخرى ، فقال صالح لقومه : لكل
رغوّة أجل يوم (تمتعوا في دأركم ثلاثاً أيام ذلك وعد غير مكذوب) ألا إن آية العذاب أن
اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرة ، واليوم الثانى حمرة ، واليوم الثالث مسودة ، فلما أصبحوا فإذا
وجوههم كأنها طليئت بالخلق ، صغيرهم وكبيرهم ، ذكرهم وأنثاهم ، فلما أمسوا أصبحوا بأجمعهم :

ألا قد مضى يوم من الأجل وحضركم العذاب ؛ فلما أصبحوا اليوم الثالث إذا وجوههم محمرة كأنها خضبت بالدماء ، فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا آية العذاب ، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم : ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب ، فلما أصبحوا اليوم الثالث فإذا وجوههم مسودة كأنها طليت بالقار ، فصاحوا جميعا : ألا قد حضركم العذاب ، فتكفنوا وتحنطوا، وكان حنوطهم الصبر والمنعرج، وكانت أكفانهم الأنطاع ، ثم ألقوا أنفسهم بالأرض ، فجعلوا يقلبون أبصارهم ، فينظرون إلى السماء مرة، وإلى الأرض مرة، فلا يدرون من حيث يأتيهم العذاب من فوقهم من السماء أو من تحت أرجلهم من الأرض خسفا وغرقا، فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت كل شيء له صوت في الأرض ، فتقطعت قلوبهم في صدورهم ، فأصبحوا في دارهم جاثمين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : حدثت أنه لما أخذتهم الصيحة أهلك الله من بين المشارق والمغارب منهم إلا رجلا واحدا كان في حرّم الله ، منعه حرّم الله من عذاب الله ، قيل : ومن هو يا رسول الله ، قال أبو رغال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود لأصحابه « لا يَدْخُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْقَرْيَةَ وَلَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا » ، وأراهم مرتقى الفصيل حين ارتقى في القارة .

قال ابن جريج ، وأخبرني موسى بن عقيبته ، عن عبد الله بن دينار : عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود قال : لا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُتَعَدِّينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ .

قال ابن جريج : قال جابر بن عبد الله « إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى على الحجر ، حميد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بَعْدُ ، فَلَا تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ الْآيَاتِ ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ صَالِحٌ سَأَلُوا رَسُولَهُمْ الْآيَةَ ، فَبَعَثَ اللَّهُ لَهُمُ النَّاقَةَ ، فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ ، وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ ، فَتَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمَ وَرُودِهَا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا « أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما مرّ بوادي ثمود ، وهو عامد إلى تبوك قال : فأمر أصحابه أن يسرعوا السير ، وأن لا ينزلوا به ، ولا يشربوا من مائه ، وأخبرهم أنه وادٍ ملعون ، قال : وذكّر لنا أن الرجل الموسر من قوم صالح كان يعطي المعسر منهم ما يتكفّنون به ، وكان الرجل منهم يلدّحمه لنفسه ولأهل بيته ، لميعاد نبي الله صالح الذي وعدهم ، وحدث من رآهم بالطرق والأفنية والبيوت ، فيهم شبان وشيوخ ، أبقاهم الله عبرة وآية .

حدثنا إسماعيل بن المتوكل الأشجعي من أهل حمص ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا عبد الله بن واقد ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، قال : ثنا أبو الطفيل ، قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ، نزل الحجر فقال « يا أيّها الناس لا تَسْأَلُوا نَبِيَّكُمْ الْآيَاتِ ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ صَالِحٌ سَأَلُوا نَبِيَّهِمْ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ لَهُمْ آيَةً ، فَبَعَثَ اللَّهُ لَهُمُ النَّاقَةَ آيَةً ، فَكَانَتْ تَلِجُ عَلَيْهِمْ

يَوْمَ وُرُودِهِمُ الَّذِي كَانُوا يَتَرَوْنَ مِنْهُ ، ثُمَّ يَحْلُبُونَهَا مِثْلَ مَا كَانُوا يَتَرَوْنَ مِنْ مَائِهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ لَبِئْسَ ، ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ الْفَجِّ ، فَعَتَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَعَقَرُوهَا ، فَوَعَدَهُمُ اللَّهُ الْعَذَابَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَكَانَ وَعْدًا مِنَ اللَّهِ غَيْرَ مَكْذُوبٍ ، فَأَهْلَكَ اللَّهُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ ، فَسَنَعَهُ حَرَمُ اللَّهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، قَالُوا : وَمَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَبُورُغَالٍ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا آلَآءِ
ثُمَّ أَكْفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَلا بُعْدَ لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾

يقول تعالى ذكره : وأصاب الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله ، من عَقَرُوا ناقة الله وكفروهم به الصيحة ، (فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ) قد جَشَمَتَهُمُ الْمَنَآيَا ، وتركهم خموداً بأفئدتهم .

كما حد ثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ) يقول : أصبحوا قد هلكوا (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) يقول : كأن لم يعيشوا فيها ، ولم يعمرها بها .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) كأن لم يعيشوا فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : مثله . وقد بينا ذلك فيما مضى بشواهد فاغنى ذلك عن إعادته .

وقوله (أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ) يقول : ألا إن ثمود كفروا بآيات ربهم فجمحدوها (أَلَا بُعْدَ لِثَمُودَ) يقول : ألا أبعد الله ثمود لنزول العذاب بهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَتْ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ
بِعِجْلٍ حَنِيفٍ ﴿٦٩﴾

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا) من الملائكة ، وهم فيها ذُكِرَ كانوا جبرئيل وملاكين آخرين . وقيل إن الملكين الآخرين كانا ميكائيل وإسرافيل معه (إِبْرَاهِيمَ) يعني إبراهيم خليل الله (بِالْبُشْرَى) يعني : بالبشارة .

واختلفوا في تلك البشارة التي أتوه بها ، فقال بعضهم : هي البشارة بإسحاق ، وقال بعضهم : هي البشارة بهلاك قوم لوط (قَالُوا سَلَامًا) يقول : فسلموا عليه سلاماً ، ونصب سلاماً بإعمال قالوا فيه ، كأنه

قيل : قالوا قولوا وسلموا تسليماً (قال سلام) يقول : قال إبراهيم لهم : سلام : فرفع سلام . بمعنى عليكم السلام ، أو بمعنى سلام منكم . وقد ذكر عن العرب أنها تقول : سِلِّمْ . بمعنى السلام ؛ كما قالوا : حلّ وحلال ، وحرم وحرام . وذكر الفراء أن بعض العرب أنشده :

مَرَرْنَا فَتَقَلُّنَا إِلَيْهِ سِلِّمْ فَسَلِّمَتْ
كَمَا اكْتَلَّ بِالْبَرْقِ الْغَمَامُ اللَّوْائِحُ ١

بمعنى سلام . وقد روى « كما انكل » . وقد زعم بعضهم أن معناه إذا قرئ كذلك : نحن سِلِّمْ لكم ، من المسألة التي هي خلاف المحاربة ، وهذه قراءة عامة قرأها الكوفيون ، وقرأ ذلك عامة قرأها الحجاز والبصرة قالوا : سلاماً ، قال سلام ، على أن الجواب من إبراهيم صلى الله عليه وسلم لهم ، بنحو تسليمهم عليكم السلام . والصواب من القول في ذلك عندي : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، لأن السِّلْم قد يكون بمعنى السلام على ما وصفت ، والسلام بمعنى السلم ، لأن التسليم لا يكاد يكون إلا بين أهل السِّلْم دون الأعداء ، فإذا ذكر تسليم من قوم على قوم ، ورد الآخرون عليهم ، دل ذلك على مسألة بعضهم بعضاً ، وهما مع ذلك قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أهل قدوة في القراءة ، فبأيتهما قرأ القارئ فيصيب الصواب .

وقوله (فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) وأصله مخنوذ ، صرف من مفعول إلى فَعِيل .

وقد اختلف أهل العربية في معناه ، فقال بعض أهل البصرة منهم : معنى المخنوذ : المشوى ، قال : ويقال منه : حنذت فرسى ، بمعنى تَحَنَّنْتَهُ وَعَمَّرْتَهُ ، واستشهد لقوله ذلك ببيت الراجز :

وَرَهَبَا مِنْ حَنِيذِهِ أَنْ يَهْرَجَا ٢

وقال آخر منهم : حَنِيذُ فرسه : أى أضمره ، وقال : قالوا حَنِيذُهُ حَنِيذُهُ حَنِيذُهُ : أى عَرَقَهُ . وقال بعض أهل الكوفة : كل ما انشوى في الأرض إذا خددت له فيه فدفنته ونعمته فهو الحنيد والمخنوذ ، قال : والخيل تَحْنِذُ إذا ألقيت عليها الجلال بعضها على بعض لتعرق ، قال : ويقال : إذا سقيت فاحنيد ، يعنى اخفس ، يريد : أقل الماء وأكثر النبيل .

وأما التأويل ، فإنهم قالوا في معناه ما أنا ذاكره ، وذلك ما حدثني به المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) يقول : نصيح .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : بعجل حصيل البقر ، والحنيد : المشوى النصيح .

(١) البيت أورده صاحب (اللسان : سلم) غير منسوب ، وهو ما أنشده الفراء عن بعض الأعراب ، وفي روايته اختلاف عن رواية المؤلف ، قال الجوهري : وسلم بالكسر السلام ، وقال :

وَقَفُّنَا فَتَقَلُّنَا إِلَيْهِ سِلِّمْ فَسَلِّمَتْ
فَمَا كَانَ إِلَّا وَمَوْهَا بِالْحَيَوَاتِجِ

قال ابن بري : والذي رواه القناني : فقلنا السلام فاتقت من أسيرها وما كان إلا وموها بالحواجب

على هذه الرواية لا يكون هذا البيت هو الذي استشهد به الطبري ، إذ لا شاهد فيه . وأنشده اللسان أيضاً في : (كلل) قال : واكتل : تبسم من ابن الأعرابي ، وأنشد : عرضنا فقلنا إليه سلم . . . الخ .

(٢) البيت للعجاج يصف حماراً وأثاناً (اللسان : حنذ) وقبله : « حتى إذا ما الصيف كان أجماً » . والأمج ، حر وعطش شديد والأخذ بالنفس . والحنذ : شدة الحر ، حنذته الشمس ، أحرقته . وهرج البعير من باب فرج : سدد من شدة الحر ، وثقل الحمل ،

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : قوله (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى) . . . إلى (بِعِجْلٍ حَنِيدٍ) قال : نضيج سخن أنضج بالحجارة . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ) والحنيذ : النضيج .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى : قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِعِجْلٍ حَنِيدٍ) قال : نضيج . قال : وقال الكلبي : والحنيذ : الذي يُحْنَدُ في الأرض ١ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن حفص بن حميد ، عن شمر ، في قوله (فجاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ) قال : الحنيذ : الذي يقطر ماء وقد شوي ، وقال حفص : الحنيذ : مثل حناذ الخيل .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ذبحه ثم شواه في الرضف ٢ فهو الحنيذ حين شواه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو يزيد ، عن يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية (فجاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ) قال : المشوي الذي يقطر .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : الحنيذ : الذي يقطر ماؤه وقد شوي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك (بِعِجْلٍ حَنِيدٍ) قال : نضيج . حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (بِعِجْلٍ حَنِيدٍ) الذي أنضج بالحجارة .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان (فَلَمَّا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ) قال : مشوي .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : حنيذ ، يعني شوي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : الحناذ : الإنضاج .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال التي ذكرناها عن أهل العربية وأهل التفسير متقاربات المعاني بعضها من بعض ، وموضع « أن » في قوله (أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ) نصب بقوله : فلما لبت أن جاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَمْنَحْ إِنَّا نُرْسِلُنَا

إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾

يقول تعالى ذكره : فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تصل إلى العجل الذي أتاها به ، والطعام الذي قدم إليهم

(١) في اللسان : ما حفرته له في الأرض ، ثم لحمته ، قال : وهو من فعل أهل البادية معروف .

(٢) في اللسان : الرضف : الحجارة التي حيت بالنار أو الشمس . واحدها : رضفة ، يسكون الضاد .

نكرهم ، وذلك أنه لما قدّم طعامه صلى الله عليه وسلم إليهم فيما ذكر ، كفّوا عن أكله ، لأنهم لم يكونوا ممن يأكله ، وكان إمساحهم عن أكله عند إبراهيم وهم ضيفانه مستنكرا ، ولم تكن بينهم معرفة ، وراعه أمرهم ، وأوجس في نفسه منهم خيفة .

وكان قتادة يقول : كان إنكاره ذلك من أمرهم كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يَطْعَمَ من طعامهم ، ظنوا أنه لم يجيئ بخير ، وأنه يحدث نفسه بشر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ) قال : كانوا إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ، ظنوا أنه لم يأت بخير ، وأنه يحدث نفسه بشر ، ثم حدثوه عند ذلك بما جاءوا .

وقال غيره في ذلك ما حدثني الحرث ، قال ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن الأسود بن قيس ، عن جندب بن سفيان ، قال : لما دخل ضيف إبراهيم عليه السلام قرب إليهم العجل ، فجعلوا ينكتون بقداح في أيديهم من نبل ، ولا تصل أيديهم إليه ، نكرهم عند ذلك ، يقال منه : نكرت الشيء أنكروه ، وأنكرته أنكروه بمعنى واحد ، ومن نكرت وأنكرت قول الأعشى :

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتُ مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَاةَ

فجمع اللغتين جميعا في البيت ، وقال أبو ذؤيب :

فَنَكِرْنَاهُ فَتَنَفَّرْنَا وَامْتَرَسَتْ بِهِ هَوْجَاءُ هَادِيَّةٌ وَهَادٍ جُرْشُعٌ

وقوله (وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) يقول : أحس في نفسه منهم خيفة وأضررها (قَالُوا لَا تَخَفْ) يقول قالت الملائكة لما رأت ما بإبراهيم من الخوف منهم لا تخف منا وكن آمناء ، فإننا ملائكة ربك أرسلنا إلى قوم لوط .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَا فَلَيْسَ رَأْيَا حَقَّ وَإِسْحَاقَ يَعْقُوبُ ﴿٧١﴾

يقول تعالى ذكره (وَأَمْرَأَتُهُ) سارة بنت هاران بن ناحور بن ساروج بن راعو بن فالغ ، وهي ابنة عم إبراهيم (قَائِمَةٌ) قيل : كانت قائمة من وراء الستر تستمع كلام الرسل وكلام إبراهيم عليه السلام . وقيل : كانت قائمة تخدم الرسل وإبراهيم جالس مع الرسل .

(١) البيت أورده صاحب اللسان : نكر شاهدا على أن العرب تقول : أنكرت الشيء ، وأنا أنكروه إنكارا ، ونكرته مثله ، قال الأعشى . . . البيت ، والبيت منسوب للأعشى ، وهو في ديوانه (طبعة القاهرة ص ١٠١) ولكن بعض العلماء صرح بأنه موضوع في شعر الأعشى ولم يقله . قيل وضعه أبو عمرو بن العلاء . وقيل : حماد ، (انظر الديوان ص ١٠٠) . وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٩٣ : ١) : قال أبو عبيدة : قال يونس : قال أبو عمرو : أنا الذي زدت هذا البيت في شعر الأعشى إلى آخره ، فأتوب إلى الله منه .

(٢) البيت في ديوان الهذليين طبعة دار الكتب المصرية (١ : ٨) وفيه : سطع ، في موضع هوجاء ، وهي رواية أخرى . قال شارحه : يعني : الحميم نكرن الصائد ، فامترست هوجاء ، يعني : الأتان امترست بالفعل : جعلت تكاده وتسير معه . والهوجاء : التي ترفع رأسها لتتقدمه . وهاد : يعني الفعل . وجرشع : منتفخ الجنين ، وأراد : أنه امترس هو بها أيضا .

وقوله (فَضَحِكْتُمْ) اختلف أهل التأويل في معنى قوله (فَضَحِكْتُمْ) وفي السبب الذي من أجله ضحكتم ، فقال بعضهم : ضحكتم الضحك المعروف تعجبا من أنها وزوجها إبراهيم يخدمان ضيفانهم بأنفسهما تكرمة لهم ، وهم عن طعامهم ممسكون لا يأكلون .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : بعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط أقبلت تمشي في صورة رجال شباب ، حتى نزلوا على إبراهيم فتضيفوه ؛ فلما رآهم إبراهيم أجلتهم فراغ إلى أهله ، فجاء بعجل سمين ، فذبحه ، ثم شواه في الرضف ، فهو الحنيد حين شواه ، وأتاهم ففقد معهم ، وقامت سارة تخدمهم ، فذلك حين يقول (وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ) وهو جالس . في قراءة ابن مسعود « فلما قرب به إليهم قال : ألا تأكلون ؟ » قالوا يا إبراهيم إنا لئنا نأكل طعاما إلا بشئ ، قال : فإن لهذا ثمننا ، قالوا : وما ثمنه ؟ قال : تذكرون اسم الله على أوله ، وتحمدونه على آخره ، فنظر جبرئيل إلى ميكائيل فقال : حق لهذا أن يتخذ به خليلا (فَاسْمًا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ) يقول : لا يأكلون ، فزع منهم وأوجس منهم خيفة ؛ فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم وقامت هي تخدمهم ، ضحكتم وقالت : عجبنا لأضيافنا هؤلاء ، إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا .

وقال آخرون : بل ضحكتم من أن قوم لوط في غفلة ، وقد جاءت رسل الله لهلاكهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما أوجس إبراهيم خيفة في نفسه حدثوه عند ذلك بما جاءوا فيه ، فضحكتم امرأته وعجبت من أن قوما أتاهم العذاب وهم في غفلة ، فضحكتم من ذلك وعجبت ، فبشرناها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أنه قال : ضحكتم تعجبا لما فيه قوم لوط من الغفلة ، ومما أتاهم من العذاب .

وقال آخرون : بل ضحكتم ظنا منها بهم أنهم يريدون عمل قوم لوط .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن قيس ، في قوله (وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ) قال : لما جاءت الملائكة ظنت أنهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط .

وقال آخرون : بل ضحكتم لما رأت بزوجه إبراهيم من الرؤع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبي (فَضَحِكْتُمْ) قال : ضحكتم حين راعوا إبراهيم مما رأت من الرؤع بإبراهيم .

وقال آخرون : بل ضحكتم حين بشرت بإسحاق تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سن زوجها

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما أتى الملائكة إبراهيم عليه السلام فرآهم ، راعه هيئتهم وجمالهم ، فسلموا عليه ، وجلسوا إليه ، فقام فأمر بعجل سمين ، فحند له ، فقرب إليهم الطعام ، فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، وسارة وراء البيت تسمع . قالوا : لا تخف إنا نبشرك بغلام حلیم مبارك ، وبشّر به امرأته سارة ، فضحكت وعجبت كيف يكون لى ولد وأنا عجوز وهو شيخ كبير ، فقالوا : أتعجبين من أمر الله ، فإنه قادر على ما يشاء ، فقد وهب الله لكم ، فأبشروا به . وقد قال بعض من كان يتأول هذا التأويل : إن هذا من المقدم الذى معناه التأخير ، وكأن معنى الكلام عنده : وامرأته قائمة ، فبشّرناها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، فضحكت وقالت : يا ويلتنا ألد وأنا عجوز .

وقال آخرون : بل معنى قوله : فضحكت فى هذا الموضع : فحاضت .

ذكر من قال ذلك

حدثني سعيد بن عمرو السكونى . قال : ثنا بقیة بن الوليد . عن على بن هارون ، عن عمرو بن الأزهر ، عن ليث . عن مجاهد . فى قوله (فَضَحِكَتْ) قال : حاضت ، وكانت ابنة بضع وتسعين سنة ، قال : وكان إبراهيم ابن مئة سنة .

وقال آخرون : بل ضحكت سرورا بالأمن منهم لما قالوا لإبراهيم : لا تخف ، وذلك أنه قد كان خافهم وخافتهم أيضا ، كما خافهم إبراهيم ، فلما أمنت ضحكت ، فأتبعوها البشارة بإسحاق . وقد كان بعض أهل العربية من الكوفيين يزعم أنه لم يسمع ضحكت بمعنى حاضت من ثقة . وذكر بعض أهل العربية من البصريين أن بعض أهل الحجاز أخبره عن بعضهم أن العرب تقول ضحكت المرأة : حاضت ، قال : وقد قال : الضحك : الحيض ، وقد قال بعضهم : الضحك : العجب ، وذكر بيت أبى ذؤيب :
فجاءَ بمزجٍ لم يَرَ الناسُ مثلهُ
هو الضحكُ إلا أنه عمَلُ النحلِ^١
وذكر أن بعض أصحابه أنشده فى الضحك بمعنى الحيض :

وَضَحِكُ الْأَرَانِبِ فَوْقَ الصَّفَا كَمِثْلِ دَمِ الْجَنُوفِ يَوْمَ اللَّقَا^٢

قال : وذكر له بعض أصحابه أنه سمع للكُمَيْتِ :

(١) البيت لأبى ذؤيب ، نسبة إليه صاحب اللسان (مزج) شاعدا على أن المزج هو العسل . وفى التهذيب : الشهد ، وقال أبو حنيفة سمي مزجا لأن مزاج كل شراب حلو طيب به . والضحك : الثغر الأبيض ، والضحك العسل ، شبه بالثغر ، لشدة بياضه ، قال أبو ذؤيب : فجاء بمزج . . . الخ . وقيل الضحك هنا : الشهد ، وقيل الزبد ، وقيل : الثلج . والضحك : العجب ، وعليه استشهاد المؤلف بالبيت .

(٢) البيت فى اللسان (ضحك) غير منسوب ، وهو شاعدا على قول العرب : ضحكت الأرنب ضحكا : إذا حاضت . قال : وضحك الأرنب . . . الخ . قال : معنى الحيض فيما زعم بعضهم . قال ابن الأعرابي فى قول تأبط شرا : « تضحك الضبع لقتل هذيل » أى أن الضبع إذا أكلت لحوم الناس أو شربت دماءهم طشت .

فَأَضْحَكَتِ الضَّبَاعُ سَيُوفُ سَعْدٍ بِقَتْلِي مَا دُفِنَ وَلَا وُدِينَا

وقال : يريد الحيض . قال : وبأحرث بن كعب يقولون : ضحكت النخلة : إذا أخرجت الطلع أو البسر . وقالوا : الضحك : الطلع ، قال : وسمعنا من يحكى : أضحك حوضا : أى ملأته حتى فاض ، قال : وكأن المعنى قريب بعضه من بعض كله ، لأنه كأنه شئ ى يمتلئ فيفيض .

وأولى الأقوال التى ذكرت فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى قوله : فضحكت : فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلته عنه .

ولمّا قلنا هذا القول أولى بالصواب لأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم : لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان لاوجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم : لا تخف ، كان الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : فبشرنا سارة امرأة إبراهيم ثوبا منا لها على نكيرها وعجبها من فعل قوم لوط بإسحاق ولدا لها ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، يقول : ومن خلف إسحاق يعقوب من ابنها إسحاق ، والوراء فى كلام العرب : ولد الولد ، وكذلك تأوله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : (وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) قال : الوراء : ولد الولد .

حدثنا عمرو بن على ومحمد بن المثنى ، قال : كل واحد منهما : حدثنى أبو اليسع إسماعيل بن حماد بن أبى المغيرة مولى الأشعرى ، قال : كنت إلى جنب جدى أبى المغيرة بن مهران فى مسجد على بن زيد ، فرأى بنا الحسن بن أبى الحسن ، فقال : يا أبا المغيرة من هذا الفقى ؟ قال : ابنى من ورأى ، فقال الحسن (فَبَشِّرْ نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) .

حدثنا عمرو بن على ومحمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن أبى عدى ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، عن الشعبي ، فى قوله (فَبَشِّرْ نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) قال : ولد الولد : هو الوراء

(١) البيت للكيت كما فى (اللسان : ضحك) والرواية فيه بالوار فى أوله . وهو شاهد على أن الضباع تحيض ، وقد أنكره ابن دريد وقال : من شاهد الضباع عند حيضتها ، فيعلم أنها تحيض . وقال الفراء : وأما قولهم فضحكت : حاضت ، فلم أسمعه من ثقة . قال أبو عمرو (لعله الشيبانى) وسعت أبا موسى الحامض يسأل أبا العباس ثعلبا أو المبرد ، عن قوله « فضحكت » أى حاضت وقال : إنه قد جاء فى التفسير . فقال : ليس فى كلام العرب ، والتفسير مسلم لأهل التفسير . فقال له : فأنت أنشدتنا (لتأبط شرا) :

تَضَحَّكَ الضَّبْعُ لِقَتْلِي هُدَيْلٍ وَتَرَى الذَّنْبَ بِهَا يَسْتَهِيلُ

فقال أبو العباس : تضحك هادنا : تكشر ، وذلك أن الذنب ينازها على القتيل ، فتكشر فى وجهه وعيدا ، فيتركها مع لحم القتيل ويمر (اللسان) .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، في قوله (وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) قال : الوراق : ولد الولد .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبي ، مثله .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو عمرو الأزدي ، قال : سمعت الشعبي يقول :
ولد الولد : هم الولد من الوراق .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : جاء رجل إلى ابن عباس ومعه ابن ابنه . فقال : من هذا معك ؟ قال : هذا ابن ابني ، قال : هذا ولدك من الوراق ، قال : فكأنه شق على ذلك الرجل . فقال ابن عباس : إن الله يقول (فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) فولد الولد : هم الوراق .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما ضحكت سارة وقالت : عجبا لأضيفا هؤلاء ، إنا نخدمهم بأنفسنا تكربة لهم . وهم لا يأكلون طعامنا ، قال لها جبريل : أبشري بولد اسمه إسحاق . ومن وراء إسحاق يعقوب ، فضربت وجهها عجبا ، فذلك قوله (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) وقالت (ءَالِدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) قالت سارة : ما آية ذلك ؟ قال : فأخذ بيده عودا يابساً فلواه بين أصابعه ، فاهتز أخضر ، فقال إبراهيم : هو الله إذا ذبيحا . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فضحكت ، يعني سارة لما عرفت من أمر الله جل ثناؤه ولما تعلم من قوم لوط . فبشروها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، بابن وبابن ابن . فقالت وصكت وجهها ، يقال : ضربت على جبينها (يَأْوِيْلَتَا ءَالِدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ) . . . إلى قوله (إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) . واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء العراق والحجاز ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، برفع يعقوب ، ويعيد ابتداء الكلام بقوله (وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) وذلك وإن كان خبراً مبتدأ ، ففيه دلالة على معنى التبشير وقراءه بعض قراء أهل الكوفة والشام (وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) نصبا ، فأما الشافعي فمنها فذكر أنه كان ينحو بيعقوب نحو النصب بإضمار فعل آخر مشاكل للبشارة ، كأنه قال : ووهبنا له من وراء إسحاق يعقوب ، فلما لم يظهر وهبنا عمل فيه التبشير ، وعطف به على موضع إسحاق ، إذ كان إسحاق وإن كان مخفوضاً فإنه بمعنى المنصوب بعمل بشرنا فيه ، كما قال الشاعر :

جِئْنِي بِمِثْلِ بَنِي بَدْرٍ لِقَوْمِهِمِ أَوْ مِثْلِ أُسْرَةٍ مَسْظُورٍ بِنِ سَيَّارِ
أَوْ عَامِرٍ بِنِ طُفَيْلٍ فِي مَرْكَبِهِ أَوْ حَارِثًا يَوْمَ نَادَى الْقَوْمُ يَا حَارِثَا

(١) البيتان واضحا المعنى . وقد استشهد بهما المؤلف على أن حارثا منصوب بالعطف على المجرور قبله ، وهو عامر وما قبله ، لأنه في معنى المنصوب ، كأنه قال : اذكر عامر بن طفيل أو حارثا ، « واذكر » في معنى : « جئني بمثل » وإن لم يكن في لفظه ، ولذلك جاز عطف المنصوب على المجرور على هذا التأويل .

وأما الكوفيّ منهما فإنه قرأه بتأويل الخفض فيما ذكر عنه، غير أنه نصبه لأنه لا يُجْرَى، وقد أنكر ذلك أهل العلم بالعربية من أجل دخول الصفة بين حرف العطف والاسم، وقالوا: خطأ أن يقال: مررت بعمر في الدار، وفي الدار زيد، وأنت عاطف بزيد على عمرو إلا بتكرير الباء وإعادتها، فإن لم تعد كان وجه الكلام عندهم الرفع، وجاز النصب، فإن قدم الاسم على الصفة جاز حينئذ الخفض، وذلك إذا قلت: مررت بعمر في الدار، وزيد في البيت، وقد أجاز الخفض والصفة معترضة بين حرف العطف والاسم بعض نحويي البصرة.

❦ وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه رفعا، لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب، والذي لا يتناكره أهل العلم بالعربية، وما عليه قراءة الأمصار، فأما النصب فيه فإن له وجهها، غير أني لأحب القراءة به، لأن كتاب الله نزل بأفصح ألسن العرب، والذي هو أولى بالعلم بالذي نزل به من الفصاحة.

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَتْ يَوُوبُ أَيُّ آلٍ دَانَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا أَلَّعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٧﴾

❦ يقول تعالى ذكره : قالت سارة لما بُشِّرَتْ بإسحاق أنها تلد تعجبا مما قيل لها من ذلك، إذ كانت قد بلغت السن التي لا يلد من كان قد بلغها من الرجال والنساء . وقيل : إنها كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة ، وإبراهيم ابن مئة سنة ، وقد ذُكِرَت الرواية فيما روى في ذلك عن مجاهد قبل .
وأما ابن إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كانت سارة يوم بُشِّرَتْ بإسحاق فيما ذكر لي بعض أهل العلم ابنة تسعين سنة ، وإبراهيم ابن عشرين ومئة سنة ، (يا وَيْلَتَا) وهي كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشيء ، والاستنكار للشيء ، فيقولون عند التعجب ويل امه رجلا ما أرجله .

وقد اختلف أهل العربية في هذه الألف التي في : يا وَيْلَتَا ، فقال بعض نحويي البصرة : هذه ألف حقيقة ، إذا وقفت قالت : يا وَيْلَتَاهُ ، وهي مثل ألف الندبة ، فلطفت من أن تكون في السكت ، وجعلت بعدها الهاء لتكون أبين لها وأبعد في الصوت ، وذلك لأن الألف إذا كانت بين حرفين كان لها صدى كندح الصوت يكون في جوف الشيء فيتردد فيه ، فتكون أكثر وأبين ، وقال غيره : هذه ألف الندبة ، فإذا وقفت عليها فجائز ، وإن وقفت على الهاء فجائز ، وقال : ألا ترى أنهم قد وقفوا على قوله (وَيَدْعُوا الْإِنْسَانَ) فحذفوا الواو وأثبتوها ، وكذلك (مَا كُنَّا نَبْغِي) بالياء ، وغير الياء . قال : وهذا أقوى من ألف الندبة وهائها .

(١) الصفة : يريد الجار والمجرور في قوله : « وفي الدار زيد » .

والصواب من القول في ذلك عندي أن هذه الألف ألف الندية ، والوقف عليها بالهاء وغير الهاء جائز في الكلام لاستعمال العرب ذلك في كلامهم .

وقوله (ءألدُ وأنا عجوزُ) تقول : أنى يكون لي ولد وأنا عجوز (وهَذَا بَعْلِي شَيْخًا) والبعل في هذا الموضع : الزوج . وسمي بذلك لأنه قِيمَ أمرها . كما سموا مالك الشيء بعله . وكما قالوا للنخل التي تستغنى بماء السماء عن سقى ماء الأنهار والعيون البعل . لأن مالك الشيء عاقيم به ، والنخل البعل بماء السماء حياته . وقوله (إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) يقول : إن كون الولد من مثلي ومثل بعلي على السن التي بها نحن لشيء عجيب (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) يقول الله تعالى ذكره : قالت الرسل لها : أتعجبين من أمر أمر الله به أن يكون . وقضاء قضاءه الله فيك وفي بعلك ؟ وقوله (رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) يقول : رحمة الله وسعادته لكم أهل بيت إبراهيم . وجعلت الألف واللام خلفا من الإضافة . وقوله (إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) يقول : إن الله محمود في تفضله عليكم بما تفضل به من النعم عليكم وعلى سائر خلقه مجيد . يقول : ذو مجد ومدح وثناء كريم يقال في فعل منه : مجد الرجل يمجده مجادة إذا صار كذلك . وإذا أردت أنك مدحته قلت : مجدته تمجيدها .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ

مُنِيبٌ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذي أوجسه في نفسه من رسلنا حين رأى أيديهم لاتصل إلى طعامه ، وأمن أن يكون قصد في نفسه وأهله بسوء ، وجاءته البشري بإسحاق ، ظل يجادلنا في قوم لوط .

وبنحو الذي قلنا في ذلك : قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) يقول : ذهب عنه الخوف (وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى) بإسحاق . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى) بإسحاق ، ويعقوب ولد من صلب إسحاق ، وأمن مما كان يخاف ، قال : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) وقد قيل معنى ذلك : وجاءته البشري أنهم ليسوا إياه يريدون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى) قال : حين أخبروه أنهم أرسلوا إلى قوم لوط ، وأنهم ليسوا إياه يريدون .

قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، وقال آخرون : بشر بإسحاق .

وأما الرُّوع : فهو الخوف ، يقال منه : راعني كذا يَرُوعُني رَوْعًا : إذا خافه ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم « كيف لك برَوْعة المؤمن » ومنه قول عَنَترة :

مَا رَاعَتْنِي إِلَّا حَمُولَةٌ أَهْلِيهَا وَسَطَ الدِّيَارِ تَسْفُ حَبَّ الْحَمْحَمِ

بمعنى : ما أفرغني .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الرُّوع : الفرق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة . قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) قال : الفرق .

حدثنا الحسن بن يحيى . قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) قال : الفرق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) قال : ذهب عنه الخوف .

وقوله (يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) يقول : يخاصمنا .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يُجَادِلُنَا) : يخاصمنا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وزعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن معنى قوله (يُجَادِلُنَا) يكلمنا ، وقال لأن إبراهيم لا يجادل الله إنما يسأله ويطلب منه ، وهذا من الكلام جهل ، لأن الله تعالى ذكره أخبرنا في كتابه أنه يجادل في قوم لوط ، فقول القائل : إبراهيم لا يجادل ، موها بذلك أن قول من قال في تأويل قوله (يُجَادِلُنَا) يخاصمنا ، أن إبراهيم كان يخاصم ربه جهل من الكلام ، وإنما كان جداله الرسل على وجه الحاجة لهم . ومعنى ذلك : وجاءته البشرية يجادل رسلنا ، ولكنه لما عرف المراد من الكلام حذف الرسل .

(١) البيت لعنرة بن عمرو بن شداد العبسي ، من معلقته المشهورة (مختار الشعر الجاهل بشرح مصطفي السقا) طبعة شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة (الطبعة الثانية ص ٣٧١) . وراعني : أفرغني ، من الرُّوع بالفتح ، وهو الفزع . والحمولة ، بفتح الحاء الإبل التي تعلّق الحمل عليها . والحَمْخَم ، بكسر الحاءين : نبت تعلّفه الإبل . يقول : ما أنذرتني . بارتحالها إلا انقضاء مدة الانتجاع والكاذ . وعلامة ذلك سف الإبل حب الحمخ ، لأنها لم تجد الكاذ ، ووقوفها وسط الديار ، ولم تخرج إلى المرعى كما بدتها في الربيع - جعل ذلك كناية عن قرب العودة إلى الوطن .

وكان جداله إياهم كما حدثنا ابن حميد، قال : ثنا يعقوب القمي، قال : ثنا جعفر، عن سعيد (يُجادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) قال : لما جاء جبرئيل ومن معه قالوا لإبراهيم : (إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) قال لهم إبراهيم : أتهلكون قرية فيها أربع مئة مؤمن ؟ قالوا لا ، قال : أتهلكون قرية فيها ثلاث مئة مؤمن ؟ قالوا لا ، قال : أتهلكون قرية فيها مئتا مؤمن ؟ قالوا لا ، قال : أتهلكون قرية فيها أربع مئة مؤمن ؟ قالوا لا ، وكان إبراهيم يعدّهم أربعة عشر بامرأة لوط ، فسكت عنهم واطمأنت نفسه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الحماني ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : قال الملك لإبراهيم : إن كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُجادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) ذكر لنا أن مجادلتهم إياهم أنه قال لهم : رأيتم إن كان فيها خمسون من المؤمنين أمعدّبوها أنتم ؟ قالوا لا ، حتى صار ذلك إلى عشرة ، قال : رأيتم إن كان فيها عشرة أمعدّبوهم أنتم ؟ قالوا لا ، وهي ثلاث قرى فيها ما شاء الله من الكثرة والعدد .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى . قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يُجادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) قال : بلغنا أنه قال لهم يؤمئذ : رأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين ؟ قالوا : إن كان فيها خمسون لم نعدّ بهم قال : أربعون ، قالوا : وأربعون ، قال : ثلاثون ، قالوا : ثلاثون ، حتى بلغ عشرة ، قالوا : وإن كان فيهم عشرة ، قال : ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير .

قال ابن عبد الأعلى ، قال محمد بن ثور : قال معمر : بلغنا أنه كان في قرية لوط أربعة آلاف ألف إنسان ، أو ما شاء الله من ذلك .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى - قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ) قالوا : إنا أرسلنا إلى قوم لوط فجادلهم في قوم لوط ، قال : رأيتم إن كان فيها مئة من المسلمين أتهلكونهم ؟ قالوا : فلم يزل يحطّ حتى بلغ عشرة من المسلمين ، فقالوا : لانعدّ بهم إن كان فيهم عشرة من المسلمين ، ثم قالوا (يا إبراهيم أعرض عن هذا) إنه ليس فيها إلا أهل بيت من المؤمنين هو لوط وأهل بيته ، وهو قول الله تعالى ذكره (يُجادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) فقالت الملائكة (يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك ولأنهم آتيتهم عذاب غير مردود) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق قال (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى) يعني : إبراهيم جادل عن قوم لوط ليردّ عنهم العذاب ، قال : فيزعم أهل التوراة أن مجادلة إبراهيم إياهم حين جادلهم في قوم لوط ليردّ عنهم العذاب ، إنما قال للرسول فيما يكلمهم به : رأيتم إن كان فيهم مئة مؤمن أتهلكونهم ؟ قالوا لا ، قال : أفرايتم إن كانوا تسعين ؟ قالوا لا ، قال : أفرايتم إن كانوا ثمانين ؟

قالوا لا ، قال : أفرايتم إن كانوا سبعين ؟ قالوا لا ، قال : أفرايتم إن كانوا خمسين ؟ قالوا لا ، قال : كأفرايتم إن كان رجلا واحدا مسلما ؟ قالوا لا ، قال : فلما لم يذكروا لإبراهيم أن فيها مؤمنا واحدا (قال : إن فيها لوطاً) يدفع به عنهم العذاب (قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجيَنَّهُ وأهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) قالوا : يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك ، وإنيهم آتيهم عذاب غير مردود .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حجاج : قال : قال ابن جريج : قال إبراهيم : أتهلكونهم إن وجدتم فيها مئة مؤمن ثم تسعين ، حتى هبط إلى خمسة ، قال : وكان في قرية لوط أربعة آلاف ألف .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة . قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا أبو المثنى ومسلم أبو الحبيل الأشجعي قالا (لما ذهب عن إبراهيم الرُّوعُ) . . . إلى آخر الآية ، قال إبراهيم : أتعذب عالما من عالمك كثيرا فيهم مئة رجل ؟ قال : لا وعزتي ولا خمسين ، قال : فأربعين فثلاثين حتى انتهى إلى خمسة ؟ قال : لا وعزتي لأعذبهم ولو كان فيهم خمسة يعبدونني ، قال الله عز وجل (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) أي لوطا وابنتيه ، قال : فعجل بهم من العذاب قال الله عز وجل (وَتَرَكْنَاهَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) وقال (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) والعرب لا تكاد تتلقى « لما » إذا وليها فعل ماض إلا بماض يقولون : لما قام قمت ، ولا يكادون يقولون : لما قام أقوم . وقد يجوز فيما كان من الفعل له تطاول مثل الجدال والخصومة والقتال ، فيقولون في ذلك : لما لقيته أقاتله ، بمعنى : جعلت أقاتله .

وقوله (إن إبراهيم لحليم أواه منيب) يقول تعالى ذكره : إن إبراهيم لبطيء الغضب متدلل لربه خاشع له ، منقاد لأمره ، منيب رجاء إلى طاعته .

كما حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (أواه منيب) قال : القانت : الرجاء . وقد بينا معنى الأواه فيما مضى باختلاف المختلفين ، والشواهد على الصحيح منه عندنا من القول بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول رسله لإبراهيم : (يا إبراهيم أعرض عن هذا) ، وذلك قيلهم له حين جادلهم في قوم لوط ، فقالوا : دع عنك الجدال في أمرهم ، والخصومة فيه ، (فأنه قد جاء أمر ربك) بعذابهم ، وحق عليهم كلمة العذاب ، ومضى فيهم بهلاكهم القضاء ، (وإنيهم آتيهم عذاب غير مردود) يقول : وإن قوم لوط نازل بهم عذاب من الله غير مدفوع . وقد ذكر الرواية بما ذكرنا فيه ، عن ذلك هنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧﴾

يقول تعالى ذكره : ولما جاءت ملائكتنا لوطاً ، ساءه مجيئهم ، وهو فعل من السوء ، وضاق بهم بمجيئهم ذَرْعًا يقول : وضاحت نفسه غمًّا بمجيئهم ، وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله في حال ما ساءه مجيئهم ، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة ، وخاف عليهم ، فضاق من أجل ذلك بمجيئهم ذَرْعًا ، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه ، ولذلك قال (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) يقول : ساء ظنا بقومه وضاق ذرعا بأضيافه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حذيفة أنه قال : لما جاءت الرسل لوطاً أتوه وهو في أرض له يعمل فيها : وقد قيل لهم والله أعلم : لا تهلكوهم حتى يشهد لوط ، قال : فأتوه فقالوا : إنا متضيفوك الليلة ، فانطلق بهم ، فلما مضى ساعة التفت فقال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ، والله ما أعلم على ظهر الأرض أناساً أحببناهم ، قال : فضى معهم ، ثم قال الثانية مثل ما قال ، فانطلق بهم ، فلما بصرت بهم عجوز السوء امرأته ، انطلقت فأندرتهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال حذيفة ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائي ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال : أتت الملائكة لوطاً وهو في مزرعة له ، وقال الله للملائكة : إن شهد لوط عليهم أربع شهادات فقد أذنت لكم في هالكهم ، فقالوا : يا لوط إنا نريد أن نتضيفك الليلة ، فقال : وما بلغكم من أمرهم ، قالوا : وما أمرهم ؟ قال : أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملاً ، يقول ذلك أربع مرات ، فشهد عليهم لوط أربع شهادات ، فدخلوا معه منزله .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ، فأتوها نصف النهار ، فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها ، وكانت له ابنتان ، اسم الكبرى ريثا ، والصغرى زغرتا ، فقالوا لها يا جارية ، هل من منزل ؟ قالت : نعم ، فمكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ، فرقت عليهم من قومها ، فأتت أباهما فقالت : يا أبتاه أراذك فتیان علی باب المدينة ، ما رأيت وجوه قوم أحسن منهم ، لا يأخذهم قومك فيفضحهم ، وقد كان قومه تنهوه أن يضيف رجلاً ، فقالوا : نخل عنا فلنضيف الرجال ، فجاء بهم ، فلم يعلم أحد إلا أهل بيت لوط ،

(١) في عرائس المجالس للشلبی (قصص الأنبياء) طبعة الحلبي ص ١٠٤ « غيثا » .

فخرجت امرأته فأخبرت قومها ، قالت : إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قَطُّ فجاءه قومه يهرعون إليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : خرجت الرسل فيما يزعم أهل التوراة من عند إبراهيم إلى لوط بالمؤتفكة ، فلما جاءت الرسل لوطا سىء بهم (وَصَاقَ بِهِمْ ذَرَعًا) وذلك من تخوف قومه عليهم أن يفضحوه في ضيفه ، فقال (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) .

وأما قوله (وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) فإنه يقول : وقال لوط : هذا اليوم يوم شديد شره ، عظيم بلاءه . يقال منه : عَصَبَ يَوْمًا هذا يَعْصِبُ عَصَبًا ، ومنه قول عدى بن زيد :

وَكُنْتُ لِرِزَازٍ خَصْمِيكَ لَمْ أُعْرِدْ وَقَدْ سَلَكَكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبٍ^١

وقول الراجز :

يَوْمٌ عَصِيبٌ يَعْصِبُ الْأَبْطَالَ عَصَبَ الْقَوَى السَّلَامَ الطَّوَالَا^٢

وقول الآخر :

وَإِنَّكَ إِلَّا تُرْضَ بِكَرِّ بْنِ وَائِلٍ يَكُنْ لَكَ أَيَّامٌ بِالْعِرَاقِ عَصِيبٌ^٣

وقال كعب بن جعيل :

وَيُلَبِّثُونَ بِالْخَضِيعِ فِئَامٌ عَارِفَاتٌ مِنْهُ بِيَوْمٍ عَصِيبٍ^٤

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : عَصِيبٌ : شديد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) يقول شديد .

حدثنا ابن حميد : قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) أى يوم بلاء وشدة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَوْمٌ عَصِيبٌ) شديد .

(١) في اللسان : يقال : فلان لزاز : خصم ، وجعلت فلانا لزازا لفلان : أى لا يدعه يخالف ولا يماند . وأصل اللزاز : ما يترس به الباب . وعرد الرجل عن قرنته : إذا أحجم ونكل . والتعريد : الفرار ، وقيل سرعة الذهاب في الهزيمة . ويقال : عرد فلان بمحاجتنا : إذا لم يقضها . وسلكوك : أدخلوك . يقال : سلكت الشيء في الشيء فأنسلك ، أى أدخلته فيه فدخل . وقال عدى ابن زيد : وكنت لزاز . . . الخ . والعصيب : الشديد ، وهو من عصب كضرب . قال الراغب : يصح أن يكون بمعنى فاعل ، وأن يكون بمعنى مفعول ، أى يوم مجموع الأطراف ، كقولهم يوم ككتفة حابل ، وحلقة خاتم .

(٢) المصيب الذي اشتد فيه جهد الناس . يقال عصبه الجهد يعصبه إذا اشتد عليه . والقوى الرجل الشديد . والسلام : جمع سلمة وهي شجرة من المصاه ذات شوك ، وورقها القرظ الذي يدبغ به الأديم ، ويمر خوط ورقها لكثرة شوكها فتعصب أغصانها بأن تجمع ، ويشد بدنها إلى بعض بحبل شدا شديدا ، ثم يهصرها الحابط إليه ، ويحبطها به مصاه فيتناثر ورقها للماشية ، ولمن أراد جمع . شبه الشاعر الجهد الذي يعصيب الأبطال يوم الزوال ، يعصب الرجل القوى السلم الطوال .

(٣) هذا الشاهد كالشاهدين قبله في أن معنى اليوم المصيب الشديد شره . يقول : إذا لم تفعل ماتر ضاء قبيلة بكر بن وائل ، فلا بد أن تلقى منهم يوما شديدا شر ، وكانت بكر بن وائل تسكن العراق أو قريبا منه .

(٤) الفئام : الجماعات . قال الجوهري : لا واحد له من لفظه ، يقال : عند فلان فئام من الناس ، وهي الجماعة الكثيرة . والمضيض : القرار من الأرض عند منتقع الليل . والشاهد في قوله : عَصِيبٌ : أى شديد شره .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وقال هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) : أي يوم شديد .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يَتَقَوْمَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾

يقول تعالى ذكره : وجاء لوطا قومه يستحثون إليه يسرعون مع سرعة المشي مما بهم من طلب الفاحشة ، يقال : أهرع الرجل من برد أو غضب أو حمى : إذا أُرعد وهو مهروع ، إذا كان مُعْجَلاً حريصاً ، كما قال الراجز :

ومنه قول مهلهل :

فجاءوا يهرعون وهم أسارى نَقُودُهُمْ عَلَى رَغَمِ الْأَنْوَفِ ۚ
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (يهرعون إليه) قال : يهرولون ، وهو الإسراع في المشي .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد والمحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (وجاءه قَوْمُهُ يهرعون إليه) قال : يسعون إليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : فأتوه يهرعون إليه ، يقول : سراعاً إليه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يهرعون إليه) قال : يسرعون إليه .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وجاءه قَوْمُهُ يهرعون إليه) يقول : يسرعون المشي إليه .

(١) في اللسان : يقال : أهرع الرجل : خف وأرعد من سرعة أو خوف أو حرص أو غضب أو حمى . وفي التنزيل : « وجاءه قومه يهرعون إليه » أي يستحثون إليه ، كأنه يحث بعضهم بعضاً . قال الكسائي : الإهرع : إسراع في رعدة ، يقال : هرعوا وأهرعوا . وقال أبو عبيد : أهرع الرجل إهراعاً : إذا أُنك وهو يرعد من البرد . وقد يكون مهرعان الحمى والغضب وهو حين يرعد . والمهرع أيضاً كالحرص . ومهرع : جمع مهرع .

(٢) البيت لمهلهل بن ربيعة ، أنشده صاحب اللسان (هرع) قال : قال الليث : يهرعون وهم أسارى : يساقون ويمجلون . يقال هرعوا وأهرعوا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قال : يهرولون في المشى .

قال سفيان : (يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) يسرعون إليه .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : قال سفيان بن عيينة في قوله (يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قال : كأنهم يندفعون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، قال : ثنا حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : أقبلوا يسرعون مشيا بين الهرولة والجحمر .

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) يقول : مسرعين .

وقوله (وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَسْعَمُونَ السَّيِّئَاتِ) يقول : من قبل مجيئهم إلى لوط ، كانوا يأتون الرجال في أدبارهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَسْعَمُونَ السَّيِّئَاتِ) قال : يأتون الرجال .

وقوله (قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي) يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه لما جاءوا يراودونه عن ضيفه : هؤلاء يا قوم بناتي ، يعني نساء أمته ، فأنكحوهن (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) قال : أمرهم لوط بتزويج النساء ، وقال : هن أطهر لكم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : وبلغني هذا أيضا ، عن مجاهد ، حدثنا ابن وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) قال : لم يكن بناته ، ولكن كن من أمته ، وكل نبي أبو أمته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) قال : أمرهم أن يتزوجوا النساء ، لم يعرض عليهم سفاحا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا أبو بشر ، سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) قال : ماعرض عليهم نكاحا ولا سفاحا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) قال : أمرهم أن يتزوجوا النساء ، وأراد نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يتي أضيافه ببناته .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر عن الربيع ، في قوله (هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) يعني التزويج .

حدثني أبو جعفر ، عن الربيع ، في قوله (هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) يعني التزويج . حدثني المثني ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : ثنا محمد بن شبيب الزهراني

(۱) المراد ببناته : نساء أمته ، لأنه كلاب لمن ، ولم يرد بناته لصلبه ، فكأنه قال : أمامكم بنات أمي فتزوجوهن .

عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قول لوط (هَوُّ لَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) يعني : نساؤهم هن بناته هو نبيهم ، وقال في بعض القراءة (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) وهو أب لهم .

حدثني موسى بن هارون . قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قالوا : أو لم نهك أن تُضيّف العالمين ، قال (هَوُّ لَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) إن كنتم فاعلين (أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما جاءت الرسل لوطا أقبل قومه إليهم حين أخبروا بهم يهرعون إليه ، فيزعمون والله أعلم أن امرأة لوط هي التي أخبرتهم بمكانهم ، وقالت : إن عند لوط لضيفانا ما رأيت أحسن ولا أجمل قط منهم ، وكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء ، فاحشة لم يسبقهم بها أحد من العالمين . فلما جاءوه قالوا (أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ) أي ألم نقل لك : لا يقربنك أحد ، فإننا لن نجد عندك أحدا إلا فعلنا به الفاحشة (قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) فإنا أفدى ضيفي منكم بهن ، ولم يدعهم إلا إلى الجلال من النكاح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (هَوُّ لَاءِ بَنَاتِي) قال : النساء .

واختلفت القراء في قراءة قوله (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) فقراءته عامة القراء برفع أطهر ، على أن جعلوا هن أسماء ، وأطهر خبره ، كأنه قيل : بناتي أطهر لكم مما تريدون من الفاحشة من الرجال . وذكر عن عيسى بن عمر البصري أنه كان يقرأ ذلك : هن أطهر لكم بنصب أطهر . وكان بعض نحوي البصرة يقول : هذا لا يكون ، إنما ينصب خبر الفعل الذي لا يستغنى عن الخبر إذا كان بين الاسم والخبر هذه الأسماء المضمرة . وكان بعض نحوي الكوفة يقول : من نصبه جعله نكرة خارجة من المعرفة ، ويكون قوله : هن . عمادا للفعل فلا يعمل به . وقال آخر منهم : مسموع من العرب : هذا زيد إياه بعينه ، قال : فقد جعله خبرا لهذا مثل قولك : كان عبد الله إياه بعينه ، قال : وإنما لم يحز أن يقع الفعل ههنا لأن التقريب رد كلام فلم يجتمعا ، لأنه يتناقض . لأن ذلك إخبار عن معهود ، وهذا إخبار عن ابتداء ما هو فيه ، ها أنا ذا حاضر وزيد هو العالم ، فتناقض أن يدخل المعهود على الحاضر ، فلذلك لم يحز .

والقراءة التي لا أستجيز خلافا في ذلك : الرفع (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) لإجماع الحجة من قراء الأمصار عليه مع صحته في العربية ، وبعد النصب فيه من الصحة .

وقوله (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْا فِي ضَيْفِي) يقول : فاتخشوا الله أيها الناس ، واحذروا عقابه في إتيانكم الفاحشة التي تأتونها وتطلبونها (وَلَا تُخْزَوْا فِي ضَيْفِي) يقول : ولا تذلوني بأن تركبوا مني في ضيفي ما يكرهون أن تركبوه منهم ، والضيف في لفظ واحد في هذا الموضع بمعنى جمع ، والعرب تسمى الواحد والجمع ضيفا بلفظ واحد كما قالوا : رجل عدل ، وقوم عدل .

وقوله (أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) يقول : أليس منكم رجل ذو رشد يَنْهَى من أراد ركوب الفاحشة من ضيفي ، فيحول بينهم وبين ذلك ؟

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) أي رجل يعرف الحق وينهى عن المنكر .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٦﴾

يقول تعالى ذكره : قال قوم لوط لوط (لَقَدْ عَلِمْتَ) يالوط (مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ) لأنهن لسن لنا أزواجا .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال (قَالُوا : لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ) : أي من أزواج (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) .

وقوله (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) يقول : قالوا : وإنك يا لوط لتعلم أن حاجتنا في غير بناتك ، وأن الذي نريد هو ما تنهانا عنه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) إننا نريد الرجال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) : أي إن بغيتنا لغير ذلك ، فلما لم يتناهوا ، ولم يردّهم قوله ، ولم يقبلوا منه شيئا مما عرض عليهم من أمور بناته (قَالَ لَوْ أَنِّي بِيَكُمُ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه حين أبوا إلا المضي لما قد جاءوا له من طلب الفاحشة ، وأيس من أن يستجيبوا له إلى شيء مما عرض عليهم (لَوْ أَنِّي بِيَكُمُ قُوَّةٌ) بأنصار تنصروني عليكم وأعوان تعينني (أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) يقول : أو أنضم إلى عشيرة مانعة تمنعني منكم ، لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه مني في أضيافي ، وحذف جواب لو للدلالة الكلام عليه ، وأن معناه مفهوم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال لوط (لَوُاْ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) يقول : إلى جند شديد لقاتلتكم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : العشرة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة (إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : العشرة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن (أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : إلى ركن من الناس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال قوله (أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : بلغنا أنه لم يبعث نبي بعد لوط إلا في ثروة من قومه حتى النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال (لَوُاْ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) أي عشيرة تمنعني ، أو شيعة تنصرتني لحلت بينكم وبين هذا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوُاْ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : يعني به العشيرة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن أن هذه الآية لما نزلت (لَوُاْ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللَّهُ لُوطًا ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ٢ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن مبارك ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللَّهُ أَخِي لُوطًا ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، فَلَأَيَّ شَيْءٍ اسْتَكَانَ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبدة وعبد الرحيم ، عن محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى لُوطٍ إِنْ كَانَ لَيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ لَوُاْ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، مَا بَعَثَ اللَّهُ بَعْدَهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ » قال محمد : والثروة : الكثرة والمنعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني سليمان بن بلال ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

(١) يؤيد ذلك ما فعله عماء عبد المطلب وحزرة ، من الحمامة عنه ، صلى الله عليه وسلم .

(٢) يريد صلى الله عليه وسلم أن الله كان ناصره ومؤيده ، فهو ركنه الشديد ، وسنده القوى .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري ، قال : ثنا سعيد بن تليد ، قال : ثنا عبد الرحمن بن القاسم ، قال : ثنا بكر بن مضر ، عن عمرو بن الحارث ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب الزهري ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رَحِيمَ اللَّهِ لُوطًا ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فذكر مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن محمد ، بن عمرو عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله (أَوْ آوِيَ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) « قَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » ، يعني الله تبارك وتعالى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَمَا بَعَثَ اللَّهُ بَعْدَهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ » .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن أبي يونس ، سمع أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رَحِيمَ اللَّهِ لُوطًا فَإِنَّهُ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » .

قال : ثنا ابن أبي مريم سعيد بن عبد الحكم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية ، أو أتى على هذه الآية قال : « رَحِيمَ اللَّهِ لُوطًا إِنَّ كَانَ لَيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » وذكر لنا أن الله تعالى لم يبعث نبيا بعد لوط عليه السلام إلا في ثروة من قومه ، حتى بعث الله نبيكم في ثروة من قومه . يقال : من أوى إلى ركن شديد : أويت إليك ، فأنا أوى إليك ، أو يا بمعنى صرت إليك وانضممت ، كما قال الراجر :

يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ مِنْ الْأَرْكَانِ فِي عَدَدِ طَيْنَسٍ وَمَجْدِ بَانَ

وقيل : إن لوطا لما قال هذه المقالة وجدت الرسل عليه لذلك .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : قال لوط (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِيَ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) فوجد عليه الرسل وقالوا : إن ركنك لشديد .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا يَكُونُ لُوطًا إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنِصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ

(١) البيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٢٩٤) وقال : العليس : الكثير ، يقال : أتنا بلبن طيس ، وشراب طيس : أي كثير . وفي (اللسان طيس) : العليس : الكثير من الطعام والشراب والماء والعدد الكثير . وقيل هو الكثير من كل شيء . والمجد الباني : المجد الصالح العالي .

أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكَاحًا إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة للوط لما قال لوط لقومه (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) ورأوا مالتقى من الكرب بسببهم منهم (يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ) أرسلنا لإهلاكهم ، ولأنهم لن يصلوا إليك ، وإلى ضيفك بمكروه ، فهون عليك الأمر (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) يقول فإخرج من بين أظهرهم أنت وأهلك ببقية من الليل ، يقال منه : أسرى وسرى ، وذلك إذا سار بليل (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ) .

واختلفت القراءة في قراءة قوله (فَأَسْرِ) فقرأ ذلك عامة قراء المكين والمدنيين (فأسر) وصل بغير همز الألف من سرى . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة (فَأَسْرٍ) بهمز الألف من أسرى ، والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أهل قُدُوة في القراءة ، وهما لغتان مشهورتان في العرب ، معناه واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب في ذلك .

وأما قوله (إِلَّا أَمْرَاتُكَ) فإن عامة القراء من الحجاز والكوفة ، وبعض أهل البصرة ، قرءوا بالنصب (إِلَّا أَمْرَاتُكَ) بتأويل : فأسر بأهلك إلا امرأتك ، وعلى أن لوطا أمر أن يسرى بأهله سوى زوجته ، فإنه نهى أن يسرى بها ، وأمر بتخليفها مع قومها . وقرأ ذلك بعض البصريين (إِلَّا أَمْرَاتُكَ) رفعا ، بمعنى : ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك ، فإن لوطا قد أخرجها معه ، وإنه نهى لوط ومن معه ممن أسرى معه ، أن يلتفت سوى زوجته ، وإنما التفتت فهلكت لذلك .

وقوله (إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ) يقول : إنه مصيب امرأتك ما أصاب قومك من العذاب (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ) يقول : إن موعد قومك الهلاك الصبح ، فاستبطن ذلك منهم لوط ، وقال لهم : بلى عجلوا لهم الهلاك ، فقالوا (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) : أي عند الصبح نزول العذاب بهم . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) : أي إنما ينزل بهم من صبح ليلتك هذه ، فامض لما تؤمر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : فضت الرسل من عند إبراهيم إلى لوط ، فلما أتوا لوطا ، وكان من أمرهم ما ذكر الله ، قال جبرئيل للوط : يَا لُوطُ (إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) فقال لهم لوط : أهلكوهم الساعة ، فقال له جبرئيل عليه السلام : (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) فأنزلت على لوط (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) قال : فأمره أن يسرى بأهله بقطع من الليل ، ولا يلتفت منكم أحد ، إلا امرأته ، قال : فسار ، فلما كانت الساعة التي

أهلكوا فيها أدخل جبرئيل جناحه فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب، فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليها حجارة من سجيل، قال: وسمعت امرأة لوط الهدة^(١) : فقالت : واقوماه ، فأدركها حجر فقتلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : كان لوط أخذ على امرأته أن لاتذيع شيئا من سر أضيافه ، قال : فلما دخل عليه جبرئيل ومن معه ، رأته في صورة لم تر مثالا قطا فانطلقت تسعى إلى قومها ، فأنت النادی فقالت بيدها^(٢) هكذا ، وأقبلوا يهرعون مشيا بين الهرولة والحمز^(٣) : فلما انتهوا إلى لوط قال لهم لوط : ما قال الله في كتابه ، قال جبرئيل (يالوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنُصَلِّبَنَّ بِصَلْبِكَ) قال : فقال بيده : فطمس أعينهم . فجعلوا يطلبونهم ، يلتمسون الخيطان وهم لا يبصرون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حذيفة ، قال : لما بصرت بهم : يعني بالرسول : عجوز السوء امرأته انطلقت فأندرتهم فقالت : إنه تضيّف لوطا قوم مارأيت قوما أحسن وجوها^(٤) قال : ولا أعلمه إلا قالت : ولا أشدّ بياضا ، وأطيب ريحا ، قال : فأتوه يهرعون إليه ، كما قال الله ، فأصفق^(٥) لوط الباب ، قال : فجعلوا يعالجونه ، قال : فاستأذن جبرئيل ربه في عقوبتهم ، فأذن له ، فصفقهم بجناحه ، فتركهم عميانا يترددون في أحيث ليلة ما أتت عليهم قط ، فأخبروه (إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ - فَاسِر بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ) قال : ولقد ذكر لنا أنه كانت مع لوط حين خرج من القرية امرأته ، ثم سمعت الصوت ، فالتفت وأرسل الله عليها حجرا فأهلكها .

وقوله (إِنَّا مَوْعِدُهُمُ الصُّبْحَ الْبَاسِ الصُّبْحُ بَقَرِيبٍ) فأراد نبي الله ما هو أعجل من ذلك ، فقالوا أليس الصبح بقريب ؟

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائي^(٦) ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال : انطلقت امرأته ، يعني امرأة لوط حين رأته ، يعني حين رأت الرسول إلى قومها ، فقالت : إنه قد ضافه الليلة قوم مارأيت مثلهم قط أحسن وجوها ، ولا أطيب ريحا ، فجاءوا يهرعون إليه ، فبادرهم لوط إلى أن يزجهم على الباب ، فقال (هَوْلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنْتُمْ فاعِلِينَ) فقالوا (أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ) فدخلوا على الملائكة ، فتناولتهم الملائكة وطمست أعينهم ، فقالوا : يا لوط جئتنا بقوم سخرة سمرونا كما أنت حتى تصبح ، قال : واحتمل جبرئيل قريات لوط الأربع ، في كل قرية مئة ألف ، فرفعهم على جناحه بين السماء والأرض ، حتى سمع أهل السماء الدنيا أصوات ديتكتهم ، ثم قلبهم ، فجعل الله عاليها سافلها . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال حذيفة : لما دخلوا عليه ، ذهبتم عجوزه ، وعجوز السوء ، فأنت قومها ، فقالت : لقد تضيّف لوطا الليلة قوم مارأيت قوما قط أحسن وجوها منهم ، قال : فجاءوا يسرعون ، فعاجلهم لوط ، فقام ملك فلز الباب ، يقول : فسده ، واستأذن جبرئيل في عقوبتهم ، فأذن له ، فضر بهم جبرئيل بجناحه ، فتركهم عميانا ، فباتوا

(١) الهدة : صوت الفضاخ أبنيتهم . (٢) قالت بيدها : حركتها وأشارت بها .

(٣) الهرولة : مشى سريع يقرب من الجري . والحمز : عدو ليس بالشديد جدا . (٤) لمس : من بابي قتل وضرب .

(٥) أي أحسن وجوها منهم . (٦) أصفق الباب : أغلقه أو زده . (٧) الملائي : كذا كتبه الخزرجي في الخلاصة .

بشر ليلة ، ثم (قالوا إنا رُسُلُ رَبِّكَ ، فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتَكَ) قال : فبلغنا أنها سمعت صوتنا ، فالتفتت فأصابها حجر ، وهي شاذة من القوم ، معلوم مكانها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن حذيفة بنحوه ، إلا أنه قال : فعاجلهم لوط .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما قال لوط (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) بسط حينئذ جبريل عليه السلام جناحيه ، ففقا أعينهم وخرجوا يدوس بعضهم في أدبار بعض عيانا يقولون النجاء النجاء فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض فذلك قوله (وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) وقالوا للوط (إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ) ، فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا) واتبع أدبار أهلك ، يقول : سر بهم ، (وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ) فأخرجهم الله إلى الشام ، وقال لوط : أهلكوهم الساعة ، فقالوا : إنا لم نؤمر إلا بالصبح ، أليس الصبح بقريب ، فلما أن كان السحر خرج لوط وأهله معه امرأته ، فذلك قوله (إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، عن عبد الصمد أنه سمع وهب ابن منبه يقول : كان أهل سدوم الذين فيهم لوط قوما قد استغنوا عن النساء بالرجال ؛ فلما رأى الله ذلك بعث الملائكة ليعذبوهم ، فأتوا إبراهيم ، وكان من أمره وأمرهم ما ذكر الله في كتابه ؛ فلما بشرُوا سارة بالولد ، قاموا وقام معهم إبراهيم عشي ، قال : أخبروني لم بُعِثْتُمْ وما خطبكم ؟ قالوا : إنا أرسلنا إلى أهل سدوم لنندمّرهم ، وإنهم قوم سوء قد استغنوا بالرجال عن النساء ، قال إبراهيم : إن كان فيهم خمسون رجلا صالحا ، قالوا : إذن لنعذبهم ، فجعل ينقص حتى قال أهل البيت ، قال : فإن كان فيها بيت صالح ؟ قال : فلو ط وأهل بيته ، قالوا : إن امرأته هواها معهم ، فلما يئس إبراهيم انصرف ومضوا إلى أهل سدوم ، فدخلوا على لوط ؛ فلما رأته امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم ، فأرسلت إلى أهل القرية إنه قد نزل بنا قوم لم يَرِ قوم قط أحسن منهم ولا أجمل ، فتسامعوا بذلك ، فغشوا دار لوط من كل ناحية وتسوروا عليهم الجدران ، فلقبهم لوط ، فقال : يا قوم لا تفضحون في ضيفي ، وأنا أزوجهم بناتي ، فهن أطهر لكم ، فقالوا : لو كنا نريد بناتك لقد عرفنا مكانهن ، فقال (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) فوجد عليه الرسل ، قالوا : إن ركنك لشديد ، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ، ففسح أحدهم أعينهم بجناحيه ، فطمس أبصارهم ، فقالوا : سحرنا ، انصرفوا بنا حتى نرجع إليه ، فكان من أمرهم ما قد قص الله تعالى في كتابه ، فأدخِل ميكايل وهو صاحب العذاب جناحه حتى بلغ أسفل الأرض ، فقلباها ، ونزلت حجارة من السماء ، فتبعته من لم يكن منهم في القرية حيث كانوا ، فأهلكهم الله ، ونجى لوطا وأهله ، إلا امرأته .

(١) عاجلهم : أي تعجل بطلب العذاب لقرمه لإهلاكهم ، كما هو واضح من حديث السدي بعده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، وعن أبي بكر بن عبد الله وأبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، عن حذيفة دخل حديث بعضهم في بعض ، قال : كان إبراهيم عليه السلام يأتيهم فيقول : ويحكم أنهما كم عن الله أن تعرضوا لعقوبته ، حتى إذا بلغ الكتاب أجله لمحل عذابهم ، وسطوات الرب بهم ، قال : فأنهت الملائكة إلى لوط وهو يعمل في أرض له ، فدعاهم إلى الضيافة ، فقالوا إنا مضيفونك الليلة ، وكان الله تعالى عهد إلى جبريل عليه السلام أن لاتعذبهم حتى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات ، فلما توجه بهم لوط إلى الضيافة ، ذكر ما يعمل قومه من الشر والدواهي العظام ، فشى معهم ساعة ، ثم التفت إليهم ، فقال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ، ما أعلم على وجه الأرض شراً منهم ، أين أذهب بكم إلى قومي ، وهم شر خلق الله ، فالتفت جبرئيل إلى الملائكة فقال : احفظوا هذه واحدة ، ثم مشى ساعة ، فلما توسط القرية وأشفق عليهم ، واستحيا منهم ، قال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ، وما أعلم على وجه الأرض شراً منهم ، إن قومي شر خلق الله ، فالتفت جبرئيل إلى الملائكة ، فقال : احفظوا هاتان اثنتان ، فلما انتهى إلى باب الدار بكى حياء منهم ، وشفقة عليهم وقال : إن قومي شر خلق الله ، أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم على وجه الأرض أهل قرية شراً منهم ، فقال جبريل للملائكة : احفظوا هذه ثلاث قد حق العذاب ، فلما دخلوا ذهبت عجوزهم ، عجوز السوء ، فصعدت فلوحت بثوبها ، فأتاها الفساق يهرعون سراعا ، قالوا : ما عندك ؟ قالت : ضيف لوط الليلة قوما مارأيت أحسن وجوها منهم ، ولا أطيب ريحا منهم ، فهرعوا مسارعين إلى الباب ، فعاجلهم لوط على الباب ، فدافعوه طويلا ، هو داخل ، وهم خارج ، يناشدهم الله ويقول : (هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) فقام الملك فلز الباب ، يقول : فسده ، واستأذن جبرئيل في عقوبتهم ، فأذن الله له ، فقام في الصورة التي يكون فيها في السماء ، فنشر جناحه ، ولجبرئيل جناحان ، وعليه وشاح من در منظوم ، وهو براق الثنايا أجلى الجبين ، ورأسه حُبُّك حُبُّك ، مثل المرجان وهو اللؤلؤ ، كأنه الثلج ، وقدماه إلى الخضرة فقال : (يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنُصَلِّيَنَّكَ إِلَيْكَ) امض يا لوط من الباب ودعني وإياهم فتنحى لوط عن الباب ، فخرج عليهم فنشر جناحه ، فضرب به وجوههم ضربة شدخ أعينهم فصاروا عميا لا يعرفون الطريق ، ولا يهتدون إلى بيوتهم ، ثم أمر لوطا فاحتمل بأهله من ليلته ، قال (فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال لوط لقومه (لَوْ أَنِّي بِيَكُمُ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ إِشْدِيدٍ) والرسول تسمع ما يقول وما يقال له ، ويرون ما هو فيه من كرب ذلك ، فلما رأوا ما بلغه (قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنُصَلِّيَنَّكَ إِلَيْكَ) أي بشيء تكرهه (فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) ، وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ، إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) أي إنما ينزل بهم العذاب من صبح ليلتك هذه ، فامض لما تؤمر .

قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي أنه حدث ، أن الرسول عند ذلك

سَقَعُوا فِي وُجُوهِ الَّذِينَ جَاءُوا لَوْطًا مِنْ قَوْمِهِ ، يراودونه عن ضيفه ، فرجعوا عميانا ، قال : يقول الله :
(وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله
(بَقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) قال : بطائفة من الليل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بَقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ)
بطائفة من الليل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله
(بَقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) قال : جوف الليل .

وقوله (وَاتَّبِعْ أَذْوَارَهُمْ) يقول : واتبع أذبار أهلِكَ ، ولا يلتفت منكم أحد .

وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ،
عن مجاهد (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ) قال : لا ينظر وراءه أحد (إِلَّا أَمْرًا تَكَّ) وروى عن عبد الله
ابن مسعود أنه كان يقرأ (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا أَمْرًا تَكَّ) .

حدثني بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال
في حرف ابن مسعود (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا أَمْرًا تَكَّ) وهذا يدل على صحة القراءة
بالنصب .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ ﴿٨٢﴾
مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

يقول تعالى ذكره : ولما جاء أمرنا بالعذاب ، وقضائنا فيهم بالهلاك (جَعَلْنَا عَالِيَهَا) يعني على
قرينهم (سَافِلَهَا ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا) يقول : وأرسلنا عليها (حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) .
واختلف أهل التأويل في معنى سجيل ، فقال بعضهم : هو بالفارسية سِنَّك وكل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،
في قوله (مِنْ سِجِّيلٍ) بالفارسية ، أولها حجر ، وآخرها طين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير (حِجَارَةٌ مِنْ سِجِّيلٍ)
قال : فارسية أعربت سنك وكل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : السجيل : الطين .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة (مِنْ سِجِّيلٍ)
قالا : من طين .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد ، عن
وهب قال : سجيل بالفارسية : سنك وكل .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (حِجَارَةٌ مِنْ سِجِّيلٍ)
أما السجيل فقال ابن عباس : هو بالفارسية : سنك وجل ، سنك : هو الحجر ، وجل هو الطين ، يقول :
أرسلنا عليهم حجارة من طين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (حِجَارَةٌ
مِنْ سِجِّيلٍ) قال : طين في حجارة .

وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله
(حِجَارَةٌ مِنْ سِجِّيلٍ) قال : السماء الدنيا . قال : والسماء الدنيا اسمها سجيل ، وهي التي أنزل الله على قوم
لوط . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول : السجيل : هو من الحجارة الصلب الشديد
ومن الضرب ، ويستشهد على ذلك بقول الشاعر :

ضَرَبًا تَوَاصَى بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّيلًا ۱

وقال بعضهم : تحوّل اللام نونا ، وقال آخر منهم : هو فعيل من قول القائل : أسجلته : أرسلته ، فكأنه من
ذلك : أى مرسله عليهم . وقال آخر منهم : بل هو من سجلت له سجلا من العطاء ، فكأنه قيل : منحوا ذلك
البلاء فأعطوه ، وقالوا أسجله : أهمله . وقال بعضهم : هو من السَّجِيل ، لأنه كان فيها علم كالكتاب . وقال
آخر منهم : بل هو طين يطبخ كما يطبخ الآجر ، وينشد بيت الفضل بن عباس :

مَنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلُ مَا جِدًّا ۲
يَمْتَلَأُ الدَّلْوُ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ ۱

فهذا من سجّلت له سجلا : أعطيته .

والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله المفسرون ، وهو أنها من طين ، وبذلك وصفها الله في كتابه
في موضع ، وذلك قوله (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ . مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ)
وقد روى عن سعيد بن جبير أنه كان يقول : هي فارسية ونبطية .

(١) البيت للفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب (اللسان : سجل) وأنشد البيت قال ابن بري : أصل المساجلة أن يستق تساقيان
فيخرج كل واحد منهما في سجله مثل ما يخرج الآخر ، فأيهما نكل فقد غلب فضر به العرب مثلا للمفاخرة ، فإذا قيل فلان يساجل فلانا ،
فمعناه أنه يخرج من الشرف مثل ما يخرج الآخر فأيهما نكل فقد غلب ، وتساجلوا : أى تفاخروا ، ومنه قولهم : الحرب سجال . اهـ .
والكرب : هو الحبل الذي يشد على الدلو بعد المنين ، وهو الحبل الأول ، فإذا انقطع المنين بق الكرب . والجمع : أكراب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : فارسية ونبطية سج ايل ، فذهب سعيد بن جبير في ذلك إلى أن اسم الطين بالفارسية جل لا ايل ، وأن ذلك لو كان بالفارسية لكان سجيل لا سجيل ، لأن الحجر بالفارسية يدعى سرج والطين جيل ، فلا وجه لكون الياء فيها وهي فارسية . وقد بينا الصواب من القول عندنا في أول الكتاب بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وقد ذكر عن الحسن البصري أنه قال : كان أصل الحجارة طينا فشددت .

وأما قوله (مَنضُودٍ) فإن قتادة وعكرمة يقولان فيه ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة (مَنضُودٍ) يقول : مصفوفة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَنضُودٍ) يقول : مصفوفة .

وقال الربيع بن أنس فيه ، ما حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، في قوله (مَنضُودٍ) قال : نضد بعضه على بعض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر الهذلي بن عبد الله : أما قوله (مَنضُودٍ) فإنها في السماء منصودة : معدة ، وهي من عدة الله التي أعد للظلمة .

وقال بعضهم : منصود : يتبع بعضه بعضا عليهم ، قال : فذلك نضده .

والصواب من القول في ذلك ما قاله الربيع بن أنس ، وذلك أن قوله (مَنضُودٍ) من نعت سجيل ، لا من نعت الحجارة ، وإنما أمطر القوم حجارة من طين ، صفة ذلك الطين أنه نضد بعضه إلى بعض ، فيصير حجارة ، ولم يمتطروا الطين فيكون موصوفا بأنه تتابع على القوم بمجيئه ، وإنما كان جائزا أن يكون على ما تأوله هذا المتأول لو كان التنزيل بالنصب منصودة فيكون من نعت الحجارة حينئذ .

وأما قوله (مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ) فإنه يقول : معلمة عند الله ، أعلمها الله ، والمسومة من نعت الحجارة ، ولذلك نصبت ونعت بها .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مُسَوِّمَةٌ) قال : معلمة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، قال ابن جريج : مسومة لإنشا كل حجارة الأرض .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة (مُسَوِّمَةٌ) قالوا : مطوقة بها نضح من حمرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مُسَوِّمَةٌ) عليها سبأ معلومة حدثت بعض من رآها أنها حجارة مطوقة عليها ، أو بها نضح من حمرة ليست كحجارتكم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله (مُسَوِّمَةٌ) قال : عليها سبأ خطوط .

حدثني موسى بن هارون . قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (مُسَوِّمَةٌ) قال : المسومة : المختمة .

وأما قوله (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) فإنه يقول تعالى ذكره مهتدا مشركي قريش : وما هذه الحجارة التي أمطرناها على قوم لوط من مشركي قومك يا محمد ببعيد أن يمتطروها إن لم يتوبوا من شركهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو عتاب الدلال سهل بن حماد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبان بن تغلب عن مجاهد ، في قوله (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) قال : أن يصيبهم ما أصاب القوم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) قال : يرهب بها من يشاء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) يقول : ما أجاز الله منها ظلما بعد قوم لوط .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) يقول : لم يبرأ منها ظالم بعدهم .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب ، عن قتادة ، في قوله (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) قال : يعني ظالمى هذه الأمة ، قال : والله ما أجاز منها ظلما بعد .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) يقول : من ظلمة العرب إن لم يتوبوا فبعدوا بها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر الهذلي بن عبد الله ، قال يقول : (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) من ظلمة أمتك ببعيد ، فلا يأمنها منهم ظالم .

وكان قلبُ الملائكةِ على أرضِ سدومِ سافِلها، كما حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: ثنا الأعمش، عن مجاهد، قال: أخذ جبرئيل عليه السلام قوم لوط من سَرَحهم ودورهم، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم أكفأهم.

حدثنا به أبو كريب مرةً أخرى عن مجاهد، قال: أدخل جبرئيل جناحه تحت الأرض السفلى من قوم لوط، ثم أخذهم بالجناح الأيمن، فأخذهم من سرحهم ومواشيهم ثم رفعها.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، كان يقول (فلَمَّا جاءَ أمرُنا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا) قال: لما أصبحوا غدا جبرئيل على قريتهم، ففتقها من أركانها، ثم أدخل جناحه، ثم حملها على خوافي جناحه.

قال: ثنا شبل، قال: فحدثني هذا ابنُ أبي نجيح، عن إبراهيم بن أبي بكر، قال: ولم يسمعه ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: فحملها على خوافي جناحه بما فيها، ثم صعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم قلبها، فكان أول ما سقط منها شرفها، فذلك قول الله (جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ) قال مجاهد: فلم يصب قوما ما أصابهم؛ إن الله طمس على أعينهم، ثم قلب قريتهم، وأمطر عليهم حجارة من سِجِّيلٍ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: بلغنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروة القرية الوسطى، ثم ألوى بها إلى السماء، حتى سمع أهل السماء ضواغى كلابهم، ثم دمر بعضها على بعض فجعل عاليها سافلها ثم أتبعهم الحجارة. قال قتادة: وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذُكر لنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروتها الوسطى، ثم ألوى بها إلى جوف السماء حتى سمعت الملائكة ضواغى كلابهم، ثم دمر بعضها على بعض ثم أتبع شدَّان القوم ٢ صخرا، قال: وهي ثلاث قرى يقال لها سدوم، وهي بين المدينة والشام. قال: وذُكر لنا أنه كان فيها أربعة آلاف ألف. وذُكر لنا أن إبراهيم عليه السلام كان يُشْرِف ٣ يقول: سدوم يوم مآلك.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما أصبحوا، يعنى قوم لوط، نزل جبرئيل، فاقتلع الأرض من سبع أرضين، فحملها حتى بلغ السماء الدنيا، فذلك حين يقول (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) المنقلبة حين أهوى بها جبرئيل الأرض فاقتلعها بجناحه، فمن لم يمت حين أسقط الأرض أمطر الله عليه، وهو تحت الأرض الحجارة، ومن كان منهم شاذّا في الأرض وهو قول الله (فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ) ثم تتبّعهم في القرى، فكان الرجل يأتيه الحجر فيقتله، وذلك قول الله تعالى (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ).

(١) ضواغى: جمع ضاغ، يقال: ضغنا الذئب والسنور والثلعب يصفو ضغوا وضغاء: صوت وصاح.

(٢) شدان القوم: من تفرق منهم.

(٣) يشرف: يرتفع على شيء عال، وينظر إلى سدوم مرتقبا لها شرا.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر وأبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنا أن جبرئيل عليه السلام لما أصبح نشر جناحه ، فانتصف به أرضهم بما فيها من قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها وجميع ما فيها ، فضمها في جناحه ، فحوها وطواها في جوف جناحه ، ثم صعد بها إلى السماء الدنيا ، حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب ، وكانوا أربعة آلاف ألف ، ثم قلبها فأرسلها إلى الأرض منكوسة ، دمدم بعضها على بعض ، فجعل عاليها سافلها ، ثم أتبعها حجارة من سجيل ، حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن كعب القرظي ، قال : حدثت أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : بعث الله جبرئيل عليه السلام إلى المؤتفكة قرية لوط عليه السلام التي كان لوط فيها ، فاحتملها بجناحه ، ثم صعد بها حتى أن أهل السماء الدنيا ليسمعون نباح كلابها وأصوات دجاجها ، ثم كفأها على وجهها ، ثم أتبعها الله بالحجارة ، يقول الله (جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) فَأَهْلَكَهَا اللَّهُ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْمُؤْتَفِكَاتِ ، وَكَانَ خَمْسَ قُرَيَاتٍ صَنْعَةَ ، وَصَعُودَ ، وَعُثْرَةَ ، وَدُومًا ، وَسُدُومَ ؛ وَسُدُومُ هِيَ الْقَرْيَةُ الْعَظْمَى ، وَنَجَّى اللَّهُ لُوطًا وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهِ ، إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ فِيمَنْ هَلَكَ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالْإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره (وَ) أرسلنا (إلى) ولد (مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا) فلما أتاهم (قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) يقول : أطيعوه ، وتذللوا له بالطاعة لما أمركم به ونهاكم عنه ، ما لكم من إله غيره ، يقول : ما لكم من معبود سواه يستحق عليكم العبادة غيره (وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ) يقول : ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكيالكم وميزانكم ، (إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ) واختلف أهل التأويل في الخير الذي أخبر الله عن شعيب أنه قال للمدين إنه يراهم به ، فقال بعضهم : كان ذلك رخص السعر وحذرهم غلاءه .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا عبد الله بن داود الواسطي ، قال : ثنا محمد بن موسى ، عن الديال بن عمرو ، عن ابن عباس (إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ) قال : رخص السعر (وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ) قال : غلاء سعر .

حدثني أحمد بن علي النصرى ، قال : ثنى عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا صالح بن رستم ، عن الحسن ، وذكر قوم شعيب قال (إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ) قال : رخص السعر .

(١) كذا في الأصل . ولعله أحمد بن عبد الله بن علي بن سويد بن منجوف السدوسي البصري ، وقد ينسب إلى جده توفي سنة ٢٥٢

(من خلاصة الخزرجي)

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبي عامر الخراز ، عن الحسن ، في قوله (إِنِّي أَرَاكُمْ بِبَحْتٍ) قال : الغنى ورخص السعر . وقال آخرون : عني بذلك : إني أرى لكم مالا وزينة من زين الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (إِنِّي أَرَاكُمْ بِبَحْتٍ) قال : يعني خير الدنيا وزينتها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنِّي أَرَاكُمْ بِبَحْتٍ) أبصر عليهم قشرا من قشر الدنيا وزينتها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (إِنِّي أَرَاكُمْ بِبَحْتٍ) قال : في دنياكم ، كما قال الله تعالى (إِن تَرَكَ بَحْتًا) سماه خيرا لأن الناس يسمون المال خيرا .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما أخبر الله عن شعيب أنه قال لقومه ، وذلك قوله (إِنِّي أَرَاكُمْ بِبَحْتٍ) يعني بخير الدنيا ، وقد يدخل في خير الدنيا المال وزينة الحياة الدنيا ، ورخص السعر ، ولا دلالة على أنه عني بقبيله ذلك بعض خيرات الدنيا دون بعض ، فذلك على كل معاني خيرات الدنيا التي ذكر أهل العلم أنهم كانوا أوتوها ، وإنما قال ذلك شعيب ، لأن قومه كانوا في سعة من عيشهم ، ورخص من أسعارهم ، كثيرة أموالهم ، فقال لهم : لا تنقصوا الناس حقوقهم في مكاييلكم وموازينكم ، فقد وسع الله عليكم رزقكم (وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ) بمخالفتكم أمر الله وبخسكم الناس أموالهم في مكاييلكم وموازينكم عذاب يوم يحيط) يقول : أن ينزل بكم عذاب يوم يحيط بكم عذابه ، فجعل المحيط نعتا لليوم ، وهو من نعت العذاب ، إذ كان مفهوما معناه ، وكان العذاب في اليوم ، فصار كقولهم جبتك محترقة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَقُومُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ

مُفْسِدِينَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه : أوفوا الناس الكيل والميزان بالقسط ، يقول : بالعدل ، وذلك بأن توفوا أهل الحقوق التي هي مما يكال أو يوزن حقوقهم على ما وجب لهم من التمام بغير بخس ، ولا نقص .

وقوله (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) يقول : ولا تنقصوا الناس حقوقهم التي يجب عليكم أن توفوهم كيلا أو وزنا أو غير ذلك .

(١) القشر : الثياب التي تلبس (السان)

كما حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا علي بن صالح ، بن حنبل ، قال : بلغني في قوله (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) قال : لا تنقصوهم .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) يقول : لا تظلموا الناس أشياءهم .
 وقوله (وَلَا تَعْشُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) يقول : ولا تسيروا في الأرض تعملون فيها بمعاصي الله .
 كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَلَا تَعْشُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) قال : لا تسيروا في الأرض .
 وحدثت عن المسيب ، عن أبي روق ، عن الضحاك (وَلَا تَعْشُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) يقول : لا تسعوا في الأرض مفسدين ، يعنى : نقصان الكيل والميزان .

القول في تأويل قوله تعالى

بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٥١﴾

بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ (بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ) ما أبقاء الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان بالقسط ، فأحله لكم ، خير لكم من الذى يبقى لكم ببخسكم الناس من حقوقهم بالمكيال والميزان (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول : إن كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده ، وحلاله وحرامه . وهذا قول روى عن ابن عباس بإسناد غير مرتضى عند أهل النقل .

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : معناه : طاعة الله خير لكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ) قال : طاعة الله خير لكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، بن أبي بزة ، عن مجاهد (بَقِيَّتُ اللَّهِ) قال : طاعة الله (خَيْرٌ لَّكُمْ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بَقِيَّتُ اللَّهِ) قال : طاعة الله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد (بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ) قال : طاعة الله خير لكم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ) قال : طاعة الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه . وقال آخرون : معنى ذلك : حظكم من ربكم خير لكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَقِيَّتُ اللَّهَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) : حظكم من ربكم خير لكم .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (بَقِيَّتُ اللَّهَ خَيْرٌ لَّكُمْ) قال : حظكم من الله خير لكم .
وقال آخرون : معناه : رزق الله خير لكم .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن ذكره ، عن ابن عباس (بَقِيَّتُ اللَّهَ) قال رزق الله .
وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (بَقِيَّتُ اللَّهَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) قال : الهلاك في العذاب ، والبقية في الرحمة .
وإنما اخترت في تأويل ذلك القول الذي اخترته ، لأن الله تعالى ذكره إنما تقدم إليهم بالنهي عن بخس الناس أشياءهم في المكيال والميزان ، وإلى ترك التطفيف في الكيل ، والبخس في الميزان ، دعاهم شعيب ، فتعقيب ذلك بالخبر عما لهم من الحظ في الوفاء في الدنيا والآخرة أولى ، مع أن قوله (بَقِيَّتُ) إنما هي مصدر من قول القائل بَقِيَّتْ بَقِيَّةٌ من كذا ، فلا وجه لتوجيه معنى ذلك إلا إلى بقية الله التي أبقاها لكم مما لكم بعد وفائكم الناس حقوقهم ، خير لكم من بقيتكم من الحرام ، الذي يبقی لكم من ظلمكم الناس ، ببخسكم إياهم في الكيل والوزن .
وقوله (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ) يقول : وما أنا عليكم أيها الناس برقيب أرقبكم عند كيالكم ووزنكم هل توفون الناس حقوقهم أم تظلمونهم ، وإنما على أن أبلغكم رسالة ربي فقد أبلغتكموها .
القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا يَشْعِبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَشْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّ فِعْلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾

يقول تعالى ذكره : قال قوم شعيب (يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَشْرَكَ) عبادة (مَا يَعْبُدُ) آبَاؤُنَا (مِنْ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ) (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) من كسر الدراهم وقطعها ، وبخس الناس في الكيل والوزن (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ) وهو الذي لا يحمل الغضب أن يفعل ما لم يكن ليفعله في حال الرضا (الرَّشِيدُ) يعنى : رشيد الأمر في أمره إياهم أن يتركوا عبادة الأوثان .

كما حدثنا محمود بن خداس ، قال : ثنا حماد بن خالد الحياط ، قال : ثنا داود بن قيس ، عن زيد ابن أسلم ، في قول الله (أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَشْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا)

ما نَشَاءُ ، إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ) قال : كان مما نهاهم عنه حذف الدراهم ، أو قال : قطع الدراهم . الشك من حماد .

حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : ثنا ابن أبي قُدَيْكٍ ، عن أبي مودود ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : بلغني أن قوم شعيب عذبوا في قطع الدراهم ، وجدت ذلك في القرآن (أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : عذب قوم شعيب في قطعهم الدراهم ، فقالوا (يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) .

قال : ثنا حماد بن خالد الحياط ، عن داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم ، في قوله (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) قال : كان مما نهاهم عنه : حذف الدراهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) قال : نهاهم عن قطع الدنانير والدراهم ، فقالوا : إنما هي أموالنا نفعل فيها ما نشاء ، إن شئنا قطعناها ، وإن شئنا حرقناها ، وإن شئنا طرحناها . قال : وأخبرنا ابن وهب ، قال : وأخبرني داود بن قيس المري أنه سمع زيد بن أسلم يقول في قول الله (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) قال زيد : كان من ذلك قطع الدراهم .

وقوله (أَصْلَاتُكَ) كان الأعمش يقول في تأويلها ما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري عن الأعمش ، في قوله (أَصْلَاتُكَ) قال : قراءتك .

فإن قال قائل : وكيف قيل : أَصْلَاتُكَ تأمرُك أن نترك ما يعبد آباؤنا ، أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء ، وإنما كان شعيب نهاهم أن يفعلوا في أموالهم ما قد ذكرت أنه نهاهم عنه فيها ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما توهمت . وقد اختلف أهل العربية في معنى ذلك ، فقال بعض البصريين : معنى ذلك : أَصْلَاتُكَ تأمرُك أن نترك ما يعبد آباؤنا ، أو أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء ، وليس معناه : تأمرُك أن نفعل في أموالنا ما نشاء ، لأنه ليس بذا أمرهم .

وقال بعض الكوفيين نحو هذا القول ، قال : وفيها وجه آخر يجعل الأمر كالنهي ، كأنه قال : أَصْلَاتُكَ تأمرُك بذا ، وتنهانا عن ذا ، فهي حينئذ مردودة ، على أن الأولى منصوبة بقوله تأمرُك ، وأن الثانية منصوبة عطفاً بها على ما التي في قوله (مَا يَعْْبُدُ) . وإذا كان ذلك كذلك ، كان معنى الكلام : أَصْلَاتُكَ تأمرُك أن نترك ما يعبد آباؤنا ، أو أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء . وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأه

(۱) حرق الحديد ونحوه بالمهرد يحرقه (كنصر وضرب) حرقا ، وحرقه (بالتشديد) : برده ، وحك بعضه ببعض .

(ما نَشَاءُ) ، فمن قرأ ذلك كذلك فلامؤنة فيه ، وكانت أن الثانية حينئذ معطوفة على أن الأولى .
وأما قولهم لشعيب : (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) فإنهم أعداء الله ، قالوا ذلك له استهزاء به ،
ولأنما سفهوه وجهلوه بهذا الكلام ، وبما قلنا من ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) قال : يستهزئون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) المستهزئون يستهزئون بأنك لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ يَتْلُو آرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ
أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا
تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : يا قوم أرأيتم إن كنت على بيان وبرهان من ربّي فيما أدعوكم إليه من عبادة الله ، والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام ، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال (وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا) يعني حلالا طيبا (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُوْخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ) يقول : وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعل بخلافه ، بل لأفعل إلا بما أمركم به ، ولا أنتهى إلا عما أنهاكم عنه .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُوْخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ) يقول : لم أكن لأنهاكم عن أمر أركبه ، أو آتية (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ) يقول : ما أريد فيما أمركم به وأناهاكم عنه ، إلا إصلاحكم وإصلاح أمركم (مَا اسْتَطَعْتُ) يقول : ما قدرت على إصلاحه لئلا ينالكم من الله عقوبة منكرة ، بخلافكم أمره ، ومعصيتكم رسوله (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ) يقول : وما إصابتي الحق في محاولتي لإصلاحكم وإصلاح أمركم إلا بالله ، فإنه هو المعين على ذلك إن لايعني عليه . لم أصب الحق فيه .

وقوله (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) يقول : إلى الله أفوض أمري ، فإنه ثقتي وعليه اعتمادى في أموري .
وقوله (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) وإليه أقبل بالطاعة وأرجع بالتوبة .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) قال : أرجع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) قال : أرجع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) قال : أرجع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَقَوْمٍ لَا يُجْرِمُونَكَ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه : (ويا قوم لا يجرم منكم شِقَاقِي) يقول : لا يحملنكم عداوتي وبغضى ، وفراق الدين الذى أنا عليه ، على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله ، وعبادة الأوثان ، وبخس الناس فى المكيال والميزان ، وترك الإنابة والتوبة ، فيصيبكم (مثل ما أصاب قوم نوح) من الغرق (أو قوم هود) من العذاب (أو قوم صالح) من الرجفة (وما قوم لوط) الذين ائتمنتم الأرض (منكم) ببعيد . هلاكهم ، أفلا تتعظون به وتعتبرون ؟ يقول : فاعتبروا بهؤلاء ، واحذروا أن يصيبكم بشِقَاقِي مثل الذى أصابهم .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لا يجرم منكم شِقَاقِي) يقول : لا يحملنكم فراقى (أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ) . . . الآية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لا يجرم منكم شِقَاقِي) يقول : لا يحملنكم شِقَاقِي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لا يجرم منكم شِقَاقِي) قال عداوتي وبغضائى وفراقى .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ) قال : إنما كانوا حديثا منهم قريبا . . . يعنى قوم نوح وعاد وثمود وصالح .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ) قال : إنما كانوا حديثي عهد قريبا بعد نوح وثمود .

قال أبو جعفر : وقد يحتمل أن يقال : معناه : وما دار قوم لوط منكم ببعيد .

(١) يظهر أن لفظة « يعنى » محرومة بقلم الناسخ من لفظة « بعد » .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل شعيب لقومه (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) أيها القوم من ذنوبكم بينكم وبين ربكم التي أنتم عليها مقيمون من عبادة الآلهة والأصنام ، وبجنس الناس حقوقهم في المكاييل والموازين (ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) يقول : ثم ارجعوا إلى طاعته ، والانتفاء إلى أمره ونهيه (إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ) يقول : هو رحيم بمن تاب وأناب إليه أن يعذبه بعد التوبة . (وَدُودٌ) يقول : ذو محبة لمن أناب وتاب إليه يوده ويحبه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَكَ نَفِيسٌ وَآلُؤُلَاهُ طُكَّ لِرَجْمِكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : قال قوم شعيب لشعيب (يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ) : أي مانعنا حقيقة كثير مما تقول ، وتخبرنا به (وَإِنَّا لَكَ نَفِيسٌ) ذكر أنه كان ضريرا ، فلذلك قالوا له (إِنَّا لَكَ نَفِيسٌ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا أسد بن زيد الجصاص ، قال : أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (وَإِنَّا لَكَ نَفِيسٌ) قال : كان أعمى .

حدثنا عباس بن أبي طالب ، قال : ثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن سفيان ، عن سعيد ، مثله .

حدثنا أحمد بن الوليد الرملي ، قال : ثنا إبراهيم بن زياد وإسحاق بن المنذر ، وعبد الملك بن زيد ، قالوا : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، مثله .

قال : ثنا عمرو بن عون ومحمد بن الصباح ، قالا : سمعنا شريكا يقول ، في قوله (وَإِنَّا لَكَ نَفِيسٌ) ضَعِيفًا) قال : أعمى .

حدثنا سعدويه ، قال : ثنا عباد ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، قوله (وَإِنَّا لَكَ نَفِيسٌ) ضَعِيفًا) قال : كان ضعيف البصر ، قال سفيان : وكان يقال له خطيب الأنبياء .

قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا عباد ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد (وَإِنَّا لَكَ نَفِيسٌ) ضَعِيفًا) قال : كان ضريرا البصر .

وقوله (وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ) يقول : يقولون : ولولا أنت في عشيرتك وقومك لرجمناك ،
يعنون : لسببناك . وقال بعضهم : معناه لقتلناك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ)
قال : قالوا : لولا أن نتى قومك ورهطك لرجمناك (وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ) يعنون : ما أنت ممن يكرم
علينا ، فيعظم علينا إذلاله وهو آئنه ، بل ذلك علينا هين .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ يَقَوْمِ أَرْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّيْ بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : يا قوم أَعَزَّزْتُمْ قَوْمَكُمْ ، فكانوا أَعَزَّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ ،
واستخففتهم بربكم ، فجعلتموه خلف ظهوركم ، لا تأتمرون لأمره ، ولا تخافون عقابه ، ولا تعظمونه حق
عظمته ، يقال للرجل إذا لم يقض حاجة الرجل : نبذ حاجته وراء ظهره : أى تركها لا يلتفت إليها ، وإذا
قضاها قيل : جعلها أمامه ونُصِبَ عِذْبُهُ . ويقال : ظهرت بحاجتى ، وجعلتها ظهريّة : أى خلف ظهرك ،
كما قال الشاعر :

وَجَدْنَا بَنِي الْبَرِّ صَاءٍ مِّنْ وَلَدِ الظَّهْرِ

بمعنى : أنهم يظهرون بحوائج الناس فلا يلتفتون إليها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك : قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
(قَالَ يَقَوْمِ أَرْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا) وذلك أن قوم شعيب
ورَهْطُهُ كانوا أَعَزَّ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ . وصَغُرَ شأنُ اللَّهِ عندهم عز ربنا وجل ثناؤه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس :
(وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا) قال : قفا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَا قَوْمِ أَرْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ
اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا) يقول : عززتم قومكم ، وأظهرتم بربكم .

(١) هذا عجز بيت لأرطاة بن سبية (اللسان : ظهر) . وصدده :

فَمَنْ مَّسْبُغٍ أَبْنَاءَ مَرَّةٍ أَنَّنَا

وجاء فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (١ : ٢٩٨) قال بعد الشاهد : أى من الذين يظهرون بهم ، ولا يلتفتون إلى أرحامهم . وانظروا
فى (اللسان : ظهر) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : لم تراقبوه في شيء إنما تراقبون قومي (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) يقول : عززتم قومكم وأظهرتم بربكم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : لم تراقبوه في شيء ، إنما تراقبون قومي ، واتخذتموه وراءكم ظهرياً لا تخافونه . حدثنا الحسين بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (أَرْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ) قال : أعزتم قومكم ، واغتررتم بربكم ، سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل قال : قال سفيان (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) كما يقول الرجل للرجل : خافت حاجتي خالف ظهرك ، فاتخذتموه وراءكم ظهرياً : استخفتم بأمره ، فإذا أراد الرجل قضاء حاجة صاحبه جعلها أمامه بين يديه ، ولم يستخف بها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : الظهري الفضل ، مثل الجمال يخرج معه بابل ظهارية فضل لا يحمل عليها شيئاً إلا أن يحتاج إليها ، قال : فيقول : إنما ربكم عندكم مثل هذا إن اجتمعتم إليه ، وإن لم تحتاجوا إليه فليس بشيء . وقال آخرون : معنى ذلك : واتخذتم ما جاء به شعيب وراءكم ظهرياً ، فالهاء في قوله (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ) على هذا من ذكر ما جاء به شعيب عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : تركتم ما جاء به شعيب .

قال : ثنا جعفر بن عون ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : نبذوا أمره .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : نبذتم أمره .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : هم رهط شعيب تركهم ما جاء به وراء ظهورهم ظهرياً .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) قال : استثنواهم رهط شعيب ، وتركهم ما جاء به شعيب وراء ظهورهم ظهرياً .

❦ وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك لقرب قوله (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) من

(١) لعل كلمة « تركهم » محرفة عن كلمة « تركوا » .

قوله (أَرْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ) فكانت الهاء في قوله (وَأَتَّخِذُ مَثْوًى) بأن تكون من ذكر الله لقرب جوارها منه أشبه وأولى .

وقوله (إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) يقول : إن ربي محيط علمه بعمالكم ، فلا يخفى عليه منه شيء ، وهو مجازيكم على جميعه عاجلا وآجلا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ ۖ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه (ويا قوم اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) يقول : على تمكنكم ، يقال منه : الرجل يعمل على مكيته ومكينته : أى على اثثاده ، ومكن الرجل يمكن مكننا ومكانة ومكانا .

وكان بعض أهل التأويل يقول في معنى قوله (على مَكَانَتِكُمْ) : على منازلكم . فعنى الكلام إذن : ويا قوم اعْمَلُوا عَلَىٰ تَمَكُّنِكُمْ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي تَعْمَلُونَهُ (إِنِّي عَامِلٌ) على تودة من العمل الذى أعمله (سَوْفَ تَعْلَمُونَ) أينا الجانى على نفسه والخطي عليها ، والمصيب فى فعله : المحسن إلى نفسه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ ۖ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۖ ﴾ :

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه شعيب لقومه الذى يأتیه منا ومنكم أيها القوم (عَذَابٌ يُخْزِيهِ) يقول : يذله ويهينه (وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ) يقول : ويخزي أيضا الذى هو كاذب فى قوله وخبره منا ومنكم . (وَأَرْتَقِبُوا) : أى انتظروا وتفقدوا من الرقبة ، يقال منه : رَقَبْتُ فلانا أرقبه رِقْبَةً . وقوله (إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ) يقول : إني أيضا ذو رِقْبَةٍ لذلك العذاب معكم ، وناظر إليه بمن هو نازل منا ومنكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره : ولما جاء قضاؤنا فى قوم شعيب بعداينا نجينا شعيبا رسوانا ، والذين آمنوا به ، فصدقوه على ما جاءهم به من عند ربهم مع شعيب ، من عذابنا الذى بعثنا على قومه ، برحمة منا له ، ولما آمن به ، واتبعه على ما جاءهم به من عند ربهم ، وأخذت الذين ظلموا الصيحة من السماء أخذتهم فأهلكتهم بكفرهم برهم ، وقيل : إن جبريل عليه السلام ، صاح بهم صيحة أخرجت أرواحهم من أجسامهم (فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) على ركبهم وصترعى بأفئدتهم .

(١) لم أجد هذا المصدر فى اللسان ولا فى التاج .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۖ أَلَا بُعْدَ لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

يقول تعالى ذكره : كأن لم يعش قوم شعيب الذين أهلكهم الله بعذابه ، حين أصبحوا جائعين في ديارهم قبل ذلك ، ولم يغنوا من قوتهم : غنيت بمكان كذا : إذا أقمت به ، ومنه قول النابغة :
غَنَيْتَ بِذَلِكَ إِذْ هُمْ لِي جِيرَةٌ مِنْهَا بَعَطُفِ رِسَالَةٍ وَتَوَدُّدِ
وكما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا) قال : يقول : كأن لم يعيشوا فيها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة مثله .
وقوله (أَلَا بُعْدَ لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ) يقول تعالى ذكره : ألا بُعد الله مدين من رحمته باحلال نعمته كما بعدت ثمود ، يقول : كما بعدت من قبلهم ثمود من رحمته بانزال سخطه بهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ فَاتَّبَعُوهُ أَمَرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا على توحيدنا ، وحجة تبين لمن عاينها وتأملها بقلب صحيح ، أنها تدل على توحيد الله ، وكذب كل من ادعى الربوبية دونه ، وبطول قول من أشرك معه في الألوهة غيره (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) يعني إلى أشراف جنده وتبأعه (فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ) يقول : فكذب فرعون وملؤه موسى ، وجحدوا وحدانية الله ، وأبوا قبول ما أتاهم به موسى من عند الله ، واتبع ملأ فرعون دون أمر الله ، وأطاعوه في تكذيب موسى ، ورد ما جاءهم به من عند الله عليه ، يقول تعالى ذكره (وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) يعني : أنه لا يرشد أمر فرعون من قبله في تكذيب موسى إلى خير ، ولا يهديه إلى صلاح ، بل بورده نارجهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيُئْسَ الْوَرْدُ ﴿٩٨﴾

(١) البيت للنابغة الذبياني (مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص ١٧٣) وغنيت : أقامت وعاشت . يقول : أقامت على مودتك وهي جارة لك فكانت تتودد إليك ، وتعرض لك ، وتعطف رسائلها عليك . والرواية فيه « لك جيرة » بالخطاب ، على طريق التجريد ، وهي رواية في البيت . وقد تقدم هذا البيت مشروحا في الجزء (١١ ص ١٠٢) من هذا التفسير .

﴿يقول تعالى ذكره : يقدم فرعون قومه يوم القيامة يقودهم ، فيمضي بهم إلى النار حتى يورد هموما ، ويصلبهم سعيها (وَبِئْسَ الْوِرْدُ) يقول : وبئس الورد الذي يردونه . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال : فرعون يقدم قومه يوم القيامة : يمضي بين أيديهم حتى يهجم بهم على النار .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول : يقود قومه فأوردهم النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس قوله (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول : أضلهم فأوردهم النار .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سمع ابن عباس يقول في قوله (فَأُورِدَهُمُ النَّارَ) قال : الورد : الدخول .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فَأُورِدَهُمُ النَّارَ) كان ابن عباس يقول : الورد في القرآن أربعة أورد في هود . قوله (وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ) ، وفي مريم (وَلَا مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) ، وورد في الأنبياء (حَصَّبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) ، وورد في مريم أيضا (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَارِدًا) كان ابن عباس يقول : كل هذا الدخول ، والله ليردن جهنم كل بر وفاجر (ثُمَّ نَزَجْنَاهُ لَدُنْكَ أَتَقْوُوا ، وَنَذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يئس الرفض المرفود ﴿٩١﴾

﴿يقول الله تعالى ذكره : وأتبعهم الله في هذه ، يعني في هذه الدنيا مع العذاب الذي عجله لهم فيها من الغرق في البحر لعنته (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول : وفي يوم القيامة أيضا يلعنون لعنة أخرى .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد (وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال : لعنة أخرى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال زيد وا بلعنته لعنة أخرى ، فتلك لعنتان .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يئس الرفض المرفود) اللعنة في أثر اللعنة .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : (وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال : زيدوا لعنة أخرى ، فتلك لعنتان .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فِي هَذِهِ)
قال : في الدنيا (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) أردفوا بلعنة أخرى زيدوها ، فتلك لعنتان .
وقوله (بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ) يقول : بئس العون المعان اللعنة المزيدة ، فيها أخرى منها . وأصل
الرفد : العون ، يقال منه : رَفَدَ فلان فلانا عند الأمير يرفده رَفْدًا بكسر الراء ، وإذا فَتُحَتْ ، فهو السَّقَى
في القدح العظيم ، والرَّفْد : القدح الضخم ، ومنه قول الأعشى :
رُبَّ رَفْدٍ هَرَقَتْهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأُسْرَى مِنْ مَعَشَرَ أَقْتَالِ
ويقال : رَفَدَ فلان حائطه ، وذلك إذا أسنده بِخَشَبَةٍ لثَلَا يَسْقُطُ . والرَّفْدُ بفتح الراء المصدر ، يقال منه :
رَفَدَهُ يُرَفِّدُهُ رَفْدًا . والرَّفْد : اسم الشيء الذي يُعْطَاهُ الإنسان وهو المَرْفُودُ .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (بِئْسَ
الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ) قال : لعنة الدنيا والآخرة .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِئْسَ الرَّفْدُ
الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ) قال : لعنهم الله في الدنيا ، وزيد لهم فيها اللعنة في الآخرة .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ) قال : لعنة في الدنيا ، وزيدوا فيها لعنة في الآخرة .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ) يقول : ترادفت عليهم اللعنتان من الله لعنة في الدنيا ، ولعنة في الآخرة .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : أصابهم لعنتان في الدنيا ،
رَفَدَتْ إحداهما الأخرى ، وهو قوله (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : هذا القصص الذي ذكرناه لك في هذه السورة ، والأنباء

(١) البيت للأعشى الأكبر ميمون (وهو الحادي والسبعون في قصيدته الأولى بديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٣) . والرَّفْد : القدح الضخم الذي يخلب فيه . كنى به عن الموت . وأقتال : أصحاب ترات . جمع قتل . بكسر القاف . وهو العدو ، والقرن : ورواية المؤلف : أقبال : جمع قيل ، وهي الملك الصغير دون الملك الأعظم . ولعلها تحريف من الناسخ . والقصيدة في مدح الأسود بن المنذر اللخمي . وفي (اللسان : رَفَدَ) : الرَفْد بالكسر الإناء الذي يخلب فيه . وقال الأصمعي : الرَفْد ، بالفتح . وقال شمر : رَفَدَ (بفتح الراء وكسرهما) .

الذى أنبأناكه فيها من أخبار القرى التى أهلكنا أهلها بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسله، نقصه عليك فنخبرك به، (مِنْهَا قَائِمٌ) يقول ۱ : منها بذيانه بائد بأهله هالك ۱ ومنها قائم بذيانه عامر ، ومنها حصيد بذيانه خراب متداع ، قد تعنى أثره دارس ، من قولهم : زرع حصيد : إذا كان قد استؤصل قطعه ، وإنما هو محصود ، ولكنه صرف إلى فعيل كما قد بينا في نظائره .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن ابن عباس ، قوله (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُمْ عَلَيْكَ) ، مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) يعنى بالقائم : قرى عامرة والحصيد : قرى خاملة .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) قال : قائم على عروشها ، وحصيد : مستأصلة .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنْهَا قَائِمٌ) يرمى مكانه (وَحَصِيدٌ) لا يرمى له أثر .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (مِنْهَا قَائِمٌ) قال : نخاو على عروشه (وَحَصِيدٌ) : ملزق بالأرض .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن الأعمش (مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) قال : خرب بذيانه .
حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش (مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) قال : الحصيد : ما قد خرب بذيانه .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) منها قائم يرمى أثره ، وحصيد باد لا يرمى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ

لَتَجَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَابُعٍ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : وما عاقبنا أهل هذه القرى التى اقتصصنا نبأها عليك يا محمد بغير استحقاق منهم عقوبتنا ، فنكون بذلك قد وضعنا عقوبتناهم فى غير موضعها ، (وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) يقول :

(١ - ١) ظاهر من المقام أن القرى نومان ، منها عامر ، ومنها دائر ، فلمل العبارة الأولى زائدة من الناسخ .

ولكنهم أوجبوا لأنفسهم بمعصيتهم الله ، وكفرهم به ، عقوبته وعذابه ، فأحلوا بها ما لم يكن لهم أن يحلوه بها ، وأوجبوا لها ما لم يكن لهم أن يوجبوه لها (فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) يقول : فما دفعت عنهم آلهتهم التي يدعونها من دون الله ، ويدعونها أربابا من عقاب الله وعذابه إذا أحله بهم ربهم من شيء ، ولا ردت عنهم شيئا منه (لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ) يا محمد ، يقول : لما جاء قضاء ربك بعذابهم ، فحق عليهم عقابه ، ونزل بهم سخطه (وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْسِيبٍ) يقول : وما زادتهم آلهتهم عند مجيء أمر ربك هؤلاء المشركين بعقاب الله غير تخسير وتدمير وإهلاك ، يقال منه : تبيته أتبيه تنبييا ، ومنه قولهم للرجل : تبا لك ، قال جرير :

عَرَادَةُ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمٍ لُوطٍ أَلَا تَسِيًّا لِمَا فَعَلُوا تَبَابًا

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا سعيد بن سلام أبو الحسن البصري ، قال : ثنا سفيان ، عن نسير بن ذعلوق ، عن ابن عمر في قوله (وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْسِيبٍ) قال : غير تخسير .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (غير تَتْسِيبٍ) قال : تخسير .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (غير تَتْسِيبٍ) يقول : غير تخسير .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (غير تَتْسِيبٍ) قال :

غير تخسير . وهذا الخبر من الله تعالى ذكره ، وإن كان خبرا عن مضي من الأمم قبلنا ، فإنه وعيد من الله جل ثناؤه لنا أيها الأمة ، أنا إن سلكننا سبيل الأمم قبلنا في الخلاف عليه وعلى رسوله ، سلك بنا سبيلهم في العقوبة ، وإعلام منه لنا أنه لا يظلم أحدا من خلقه ، وأن العباد هم الذين يظلمون أنفسهم .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : اعتذر ، يعني ربنا جل

ثناؤه إلى خلقه ، فقال (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ) مما ذكرنا لك من عذاب من عذبنا من الأمم (وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ) حتى بلغ (وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْسِيبٍ) قال : ما زادهم الذين كانوا يعبدونهم غير تنبيي .

(١) البيت لجرير بن عطية بن الخطي (ديوانه طبع القاهرة بشرح الصاوي ، من قصيدته التي يهجو فيها الراعي النخيري : ص ٧٢) .

وعرادة النخيري : «راوية الراعي ، وجاء محرفا في رواية المؤلف : «عراة» . وقوله «لما فعلوا» : في الديوان : «لما عملوا» . والتيت : الحسرة والإهلاك كما في لسان العرب ، وأنشد البيت في التاج . وقال إنه من هجاء جرير في رجل اسمه عرادة بفتح العين ، سمي باسم البنات ، وفيه : «صنعوا» في مكان : «فعلوا» .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : وكما أخذت أيها الناس أهل هذه القرى التي اقتصصت عليك نبأ أهلها بما أخذتهم به من العذاب ، على خلافهم أمرى ، وتكذيبهم رسلى ، وجمودهم آياتى ، فكذلك أخذى القرى وأهلها إذا أخذتهم بعقابى وهم ظالمة لأنفسهم بكفرهم بالله ، وإشراكهم به غيره ، وتكذيبهم رسله (إنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ) يقول : إنَّ أخذ ربكم بالعقاب من أخذه أليم ، يقول : موجع (شَدِيدٌ) الإيجاع ، وهذا أمر من الله تحذير لهذه الأمة أن يسلكوا فى معصيته طريق من قبلهم من الأمم الفاجرة ، فيحل بهم ما حل بهم من المثلات . كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن يزيد بن أبي بردة ، عن أبيه ، عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ يُمْلِي ، وَرُبَّمَا أُمْهَل ، قال : يُمَهِّلُ الظَّالِمَ حَتَّى إِذَا أَخْذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة) . حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : إن الله حذر هذه الأمة سطوته بقوله (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة) ، إنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (وكان عاصم الجحدري يقرأ ذلك (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة) وذلك قراءة لأستجير القراءة بها لخلافها مصاحف المسلمين ، وما عليه قراءة الأمصار .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لِّلنَّاسِ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره : إن فى أخذنا من أهل القرى التي اقتصصنا خبرها عليكم أيها الناس الآية ، يقول : لعبرة وعظة لمن خاف عقاب الله وعذابه فى الآخرة من عباده ، وحجة عليه لربه ، وزاجرا يزرجه عن أن يعصى الله ويخالفه فيما أمره ونهاه ، وقيل : بل معنى ذلك : إن فيه عبرة لمن خاف عذاب الآخرة بأن الله سيقى له بوعدبه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ) إنا سوف نرى لهم بما وعدناهم فى الآخرة ، كما وفينا للأنبياء أنا ننصرهم وقوله (ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لِّلنَّاسِ) يقول تعالى ذكره : هذا اليوم ، يعنى يوم القيامة (يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لِّلنَّاسِ) ، يقول : يحشر الله الناس من قبورهم ، فيجمعهم فيه للجزاء والثواب والعقاب ، (وَذَلِكَ

(۱) قراءة الجحدري : أخذ ، بصورة المصدر ، وبصورة الفعل الماضى ، كما فى القرطبي .

يَوْمَ مَشْهُودٌ) يقول : وهو يوم تشهده الخلائق لا يتخلف منهم أحد ، فينتقم حينئذ من عصي الله ،
ونخالف أمره ، وكذب رساله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، في قوله (ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ
وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٌ) قال : يوم القيامة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن علي بن
زيد ، عن يوسف المكي عن ابن عباس ، قال : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم القيامة . ثم قرأ
(ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٌ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن ابن عباس ،
قال : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم القيامة ، ثم تلا هذه الآية (ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ،
وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٌ) .

حدثت عن المسيب عن جويهر ، عن الضحاك ، قوله (ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ، وَذَلِكَ
يَوْمَ مَشْهُودٌ) قال : ذلك يوم القيامة ، يجتمع فيه الخلق كلهم ، ويشهده أهل السماء وأهل الأرض .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : وما تؤخر يوم القيامة عنكم أن نجيثكم به إلا لأن يقضى ، فقضى له أجل فعدّه
وأحصاه ، فلا يأتي إلا لأجله ذلك ، لا يتقدم مجيئه ، قبل ذلك ، ولا يتأخر .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ
فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ
فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَحْذُورٍ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : يوم يأتي يوم القيامة أبها الناس ، وتقوم الساعة لا تكلم نفس إلا بإذن ربها .
واختلفت القراء في قراءة قوله (يَوْمَ يَأْتِي) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة باثبات الياء فيها (يَوْمَ)

يَأْتِي لَا تُكَلِّمُ نَفْسًا) . وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة وبعض الكوفيين بإثبات الياء فيها في الوصل وحذفها في الوقف، وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بحذف الياء في الوصل والوقف (يَوْمَ يَأْتِ لَا تُكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ) .

والصواب من القراءة في ذلك عندي (يَوْمَ يَأْتِ) بحذف الياء في الوصل والوقف اتباعاً لخط المصحف، وأنها لغة معروفة لهذيل، تقول: ما أدر ما تقول، ومنه قول الشاعر:

كَفَّاكَ كَفًّا مَا تُلِيْقُ دِرْهَمًا جُودًا وَأُخْرَى تُعْطِي بِالسَّيْفِ الدِّمَا

وقيل (لَا تُكَلِّمُ) وإنما هي لا تتكلم، فحذف إحدى التائين اجتزاء بدلالة الباقية منهما عليها، وقوله (فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) يقول: فمن هذه النفوس التي لا تكلم يوم القيامة إلا بإذن ربها، شقي وسعيد، وعاد على النفس، وهي في اللفظ واحدة بذكر الجميع في قوله (فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) يقول: تعالى ذكره (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فَنُفِئُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ) لهم، وهو أول نهاق الحمار وشبهه، (وشهيق) وهو آخر نهيقه إذا رده في الخوف عند فراغه من نهاقه، كما قال رؤبة بن العجاج:

حَشْرَجَ فِي الْخَوْفِ سَحِيلًا أَوْ شَهَقَ حَتَّى يُقَالُ نَاهِقٌ وَمَا نَهَقَ^٢

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ) يقول: صوت شديد وصوت ضعيف.
قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن أبي العالية، في قوله (لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ) قال: الزفير في الخلق، والشهيق في الصدر.
حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية بنحوه.

(١) البيت أورده صاحب اللسان في «ليق» غير منسوب. وقال: يقال: فلان ما يليق شيئاً من سخائه: أي ما يملك. وما يليق بكفه درهم (ثلاثي): أي ما يحتبس وما يليقه هو: أي ما يحبس. ولا يلصق به، وقال: كفأك... الخ. والشاهد في البيت حذف الياء من «تعطى» على لغة هذيل.

وقال الفراء (معاني القرآن، مصورة جامعة القاهرة، ٢: ١٤٧) كل ياء أو واو تسكنان وما قبل الواو مضموم وما قبل الياء مكسور، فإن العرب تحذفها، وتجتزئ بالضممة من الواو، وبالكسرة من الياء، أنشدني بعضهم: «كفأك كف...» البيت.
(٢) البيتان من مشطور الرجز، وهما في (ديوان رؤبة بن العجاج، طبعة ليبسك سنة ١٩٠٣ وهما آل ٨٥، ٨٦ ص ١٠٦).
وحشرج: من الحشرجة، وهي تردد صوت النفس، وهي الفراغة في الصدر. وسحل البغل والحمار يسجل بفتح الهاء وكسرهما في المضارع، سحلاً وسحالا: نهق. وشهق، بفتح الهاء وكسرهما شهيقاً وشهاقاً: ردد البكاء في صدره، وشهيق الحمار: آخر صوته، وزفيره: أوله. ويقال: الشهيق: رد النفس، والزفير: إخراجها. وقال الزجاج في قوله تعالى: «لهم فيها زفير وشهيق»: الزفير والشهيق: من أصوات المكروبين. قال: والزفير من شديد الأنين وقبيحه. والشهيق: الأنين الشديد المرتفع جداً.
قال: وزعم بعض أهل اللغة من البصريين والكوفيين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار من النهيق. والشهيق بمنزلة آخر صوته في الشهيق. وروى عن الربيع: الزفير في الخلق والشهيق: في الصدر.

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : صوت الكافر في النار صوت الحمار ، أوله زفير ، وآخره شهيق .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ومحمد بن معمر البحراني ، ومحمد بن المثنى ، ومحمد بن بشار ، قالوا : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سليمان بن سفيان ، قال : ثنا عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر عنهما ، قال : « لما نزلت هذه الآية (فَفِيهِمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا نبي الله ، فعلام عملنا على شيء قد فرغ منه ، أم على شيء لم يفرغ منه ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : على شيء قد فرغ منه يا معمر ، وجرت به الأقدام ، ولكن كل ميسر لما خلق له » اللفظ لحديث ابن معمر .

وقوله (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) ، إن ربك فعال لما يريد) يعني تعالى يعني ذكره بقوله (خالدين فيها) لاثنين فيها ، ويعني بقوله (ما دامت السموات والأرض) أبداً وذلك أن العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبداً ، قالت : هذا دائم دوام السموات والأرض . بمعنى أنه دائم أبداً وكذلك يقولون : هو باق ما اختلف الليل والنهار ، وما سمر لنا سمر ، وما لألات العفر بأذناها يعنون بذلك كله أبداً ، فخطبهم جل ثناؤه بما يتعارفون به بينهم ، فقال (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض) . والمعنى في ذلك : خالدين فيها أبداً .

وكان ابن زيد يقول في ذلك بنحو ما قلنا فيه : حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض) قال : ما دامت الأرض أرضاً ، والسماء سماء ، ثم قال : (إلا ما شاء ربك) . واختلف أهل العلم والتأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : هذا استثناء استثناه الله في أهل التوحيد أنه يخرجهم من النار إذا شاء بعد أن أدخلهم النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق) . خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) قال : الله أعلم بشيائهم . وذكر لنا أن ناساً يصيبهم سفع^٢ من النار بذنوب أصابوها ، ثم يدخلهم الجنة حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) والله أعلم بشيئته : ذكر لنا أن ناساً يصيبهم سفع من النار بذنوب أصابتهم ، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته ، يقال لهم الجهنميون .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا شيبان بن فروخ ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة ، وتلا هذه الآية (فَأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق) . . . إلى قوله (لما يريد) فقال عند

(١) لألات العفر بأذناها : حركتها .

(٢) السفع بالتحريك : السواد والشحوب . وقيل نوع من السواد ليس بالكثير . (اللسان) .

ذلك : ثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ - قال قتادة : ولا نقول مثل ما يقول أهل حروراء » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن أبي مالك ، يعني ثعلبة ، عن أبي سنان ، في قوله (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقَقُوا فَتَنِيَ النَّارَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ) . خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك) قال : استثناء في أهل التوحيد :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الضحاك بن مزاحم (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقَقُوا فَتَنِيَ النَّارَ) . . . إلى قوله (خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك) قال : يخرج قوم من النار فيدخلون الجنة ، فهم الذين استثنى لهم :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عامر بن جشيب ، عن خالدين معدان في قوله (لا يثيبن فيها أحقابا) ، وقوله (خالدين فيها إلا ما شاء ربك) أنهما في أهل التوحيد . وقال آخرون : الاستثناء في هذه الآية في أهل التوحيد ، إلا أنهم قالوا : معنى قوله (إلا ما شاء ربك) إلا أن يشاء ربك أن يتجاوز عنهم ، فلا يدخلهم النار ، ووجهوا الاستثناء إلى أنه من قوله (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقَقُوا فَتَنِيَ النَّارَ - إلا ما شاء ربك) لا من الخلود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : ثنا ابن التيمي ، عن أبيه ، عن أبي نضرة ، عن جابر أو أبي سعيد ، يعني الخدرى ، أو عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في قوله (إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) قال : هذه الآية تأتي على القرآن كله ، يقول : حيث كان في القرآن (خالدين فيها) تأتي عليه .

قال : وسمعت أبا مجلز يقول : هو جزاؤه ، فإن شاء الله تجاوز عن عذابه .

وقال آخرون : عنى بذلك أهل النار وكل من دخلها .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المسيب عن ذكره ، عن ابن عباس (خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض) لا يموتون ، ولا هم منها يخرجون ما دامت السماوات والأرض (إلا ما شاء ربك) قال : استثناء الله ، قال : يأمر النار أن تأكلهم ، قال : وقال ابن مسعود : ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد ، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن بيان ، عن الشعبي ، قال : جهنم أسرع الدارين عمرا ، وأسرعهما خرابا .

وقال آخرون : أخبرنا الله بمشيئته لأهل الجنة ، فعرفنا معنى ثنياه بقوله (عطاء غير مجد) أنها

(۱) عامر بن جشيب ، بفتح الجيم وكسر المعجمة : أبو خالد الحمصي ، عن خالد بن معدان ، وعنه معاوية بن صالح . قال الدارقطني : ثقة ، لم يسمع من أبي الدرداء (خلاصة الخرجي) .

في الزيادة على مقدار مدة السماوات والأرض ، قال : ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار ، وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة ، وجائز أن تكون في النقصان .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا بن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك) فقرأ حتى بلغ (عطاء غير مجدوذ) قال : وأخبرنا بالذي يشاء لأهل الجنة ، فقال : عطاء غير مجدوذ ، ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار .

وأول هذه الأقوال في تأويل هذه الآية بالصواب ، القول الذي ذكرنا عن قتادة والضحاك ، من أن ذلك استثناء في أهل التوحيد من أهل الكبائر أنه يدخلهم النار ، خالدين فيها أبدا ، إلا ما شاء من تركهم فيها أقل من ذلك ، ثم يخرجهم فيدخلهم الجنة ، كذا قد بينا في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال بالصحة في ذلك ، لأن الله جل ثناؤه أوعد أهل الشرك به الخلود في النار ، وتظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغير جائز أن يكون استثناء في أهل الشرك ، وأن الأخبار قد تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الله يدخل قوما من أهل الإيمان به بذنوب أصابوها النار ، ثم يخرجهم منها ، فيدخلهم الجنة ، فغير جائز أن يكون ذلك استثناء في أهل التوحيد قبل دخولها مع صحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا ، وأنا إن جعلناه استثناء في ذلك كذا قد دخلنا في قول من يقول : لا يدخل الجنة فاسق ، ولا النار مؤمن ، وذلك خلاف مذاهب أهل العلم ، وما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فسد هذان الوجهان فلا قول ، قال به القدوة من أهل العلم إلا الثالث ، ولأهل العربية في ذلك مذهب غير ذلك سئذ كره بعد ، ونبينه إن شاء الله تعالى . وفوله (إن ربك فعّال لما يريد) يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد لا يمنعه مانع من فعل ما أراد فعله بمن عصاه وخالف أمره من الانتقام منه ، ولكنه يفعل ما يشاء ، فيمضي فعله فيهم وفيمن شاء من خلائقه فعله وقضائه .

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والحجاز والبصرة وبعض الكوفيين (وأما الذين سعدوا) بفتح السين . وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة (وأما الذين سعدوا) بضم السين ، بمعنى : رزقوا السعادة .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان فبايتهما قرأ القارئ فصيب الصواب . فإن قال قائل : وكيف قيل (سعدوا) فيما لم يسم فاعله ، ولم يقل : أسعدوا ، وأنت لا تقول في الخبر فيما سمي فاعله سعه الله ، بل إنما تقول : أسعده الله . قيل : ذلك نظير قولهم : هو مجنون محبوب فيما لم يسم فاعله ، فإذا سموا فاعله ، قيل : أجنه الله وأحبه ، والعرب تفعل ذلك كثيرا . وقد بينا بعض ذلك فيما مضى من كتابنا هذا .

وتأويل ذلك : وأما الذين سَعِدُوا بِرَحْمَةِ اللَّهِ ، فهم في الجنة خالدون فيها ما دامت السماوات والأرض ، يقول : أبدا ، إلا ما شاء ربك .

فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : إلا ما شاء ربك من قدر ما مكثوا في النار قبل دخولهم الجنة ، قالوا : وذلك فيمن أخرج من النار من المؤمنين ، فأدخل الجنة . ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الضحاك ، في قوله (وأما الذين سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) قال : هو أيضا في الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة ، يقول : خالدون في الجنة ما دامت السماوات والأرض ، (إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) يقول : إلا ما مكثوا في النار حتى أدخلوا الجنة . وقال آخرون : معنى ذلك : إلا ما شاء ربك من الزيادة على قدر مدة دوام السماوات والأرض ، قالوا : وذلك هو الخلود فيها أبدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن أبي مالك ، يعني ثعلبة ، عن أبي سنان (وأما الذين سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) قال : ومشيئته خلودهم فيها ، ثم أتبعها فقال (عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ) . واختلف أهل العربية في وجه الاستثناء في هذا الموضع ، فقال بعضهم : في ذلك معنيان : أحدهما أن يجعله استثناء يستثنى ولا يفعله ، كقولك : والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك ، وعزمتك على ضربه^٢ ، قال : فكذلك قال (خالدون فيها ما دامت السماوات والأرض إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) ولا يشاؤه . قال : والقول الآخر : أن العرب إذا استثنيت شيئا كثيرا مع مثله ومع ما هو أكثر منه كان معنى إلا ومعنى الواو « سوى » فمن ذلك قوله (خالدون فيها ما دامت السماوات والأرض) سوى ما شاء الله من زيادة الخلود ، فيجعل « إلا » مكان « سوى » فيصلح ، وكأنه قال : خالدون فيها ما دامت السماوات والأرض سوى ما زادهم من الخلود والأبد . ومثله في الكلام أن تقول : لي عليك ألف إلا الألفين اللذين قبله^٣ ، يقال : وهذا أحب الوجهين إلى لأن الله لا يخلف وعده . وقد وصل الاستثناء بقوله (عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ) فدل على أن الاستثناء لهم بقوله في الخلود غير منقطع عنهم .

وقال آخر منهم بنحو هذا القول ، وقالوا : جائز فيه وجه ثالث ، وهو أن يكون استثنى من خلودهم في الجنة احتباسهم عنها ما بين الموت والبعث ، وهو البرزخ إلى أن يصيروا إلى الجنة ، ثم هو خلود الأبد ، يقول : فلم يغيروا عن الجنة إلا بقدر إقامتهم في البرزخ .

(١) القائل : هو الفراء في كتابه معاني القرآن ، في سورة هود . (٢) في معاني القرآن : وعزيمتك على ضربه .

(٣) في معاني القرآن : مقدار ما كانت . (٤) في معاني القرآن : اللذين من قبل فلان .

وقال آخر منهم : جائز أن يكون دوام السماوات والأرض بمعنى الأبد على ما تعرف العرب وتستعمل وتستثنى المشيئة من دوامها ، لأن أهل الجنة وأهل النار قد كانوا في وقت من أوقات دوام السماوات والأرض في الدنيا ، لافي الجنة ، فكأنه قال : خالدين في الجنة ، وخالدين في النار ، دوام السماء والأرض إلا ما شاء ربك من تعميرهم في الدنيا قبل ذلك .

وأولى الأقوال في ذلك عندني بالصواب ، القول الذي ذكرته عن الضحاك ، وهو (وأما الذين سعيذوا فسنى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ، إلا ما شاء ربك) من قدر مكثهم في النار ، من لدن دخولها ، إلى أن أدخلوا الجنة ، وتكون الآية معناها الخصوص ، لأن الأشهر من كلام العرب في « إلا » توجيهها إلى معنى الاستثناء ، وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها إلا أن يكون معها دلالة تدل على خلاف ذلك ولا دلالة في الكلام ، أعني في قوله (إلا ما شاء ربك) تدل على أن معناها غير معنى الاستثناء المفهوم في الكلام فيوجه إليه .

وأما قوله (عطاء غير مجذوذ) فإنه يعني عطاء من الله غير مقطوع عنهم ، من قولهم : جذذت الشيء أجذذه جذاً : إذا قطعته ، كما قال النابغة :

تَجْدُذُ السَّلَوقِ الْمُضَاعَفَ نَسْجَهُ
وَيُوقِدُنَ بِالْصَّفَاحِ نَارَ الْحُبَابِ ١

يعني بقوله : تجذذ : تقطع .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك (عطاء غير مجذوذ) قال : غير مقطوع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عطاء غير مجذوذ) يقول : غير منقطع .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (عطاء غير مجذوذ) يقول : عطاء غير مقطوع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مجذوذ ، قال : مقطوع .

(١) البيت للنابغة الذبياني (انظر مختار الشعر الجاهل بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ص ١٦١) . والرواية فيه « تقد : في موضع « تجذذ » . قال في اللسان : الجذذ : كسر الشيء الصلب ، جذذته كسرته وقطعته . وجذذه يجذذه جذاً ، فهو مجذوذ وجذيد » وقال في (قد) : القد : القطع المستأصل ، والشق طولاً ، والانقذاد : الانشقاق . وقال ابن دريد : هو القطع المستطيل . اهـ . والقد قطع الجلد وشق الثوب ونحو ذلك . وشربه بالسيف ففده بنصفين . والسلوق : درع ينسب إلى سلوق ، وهي مدينة باليمن ، وقيل بالشام . والمضاعف : الذي نسج حلقتين حلقتين . والضفاح : حجارة عراض . والمقصود هنا : ما يجمل على الرأس من البيض ، وعلى الساعد من الحديد . والحباب : ذباب له شعاع بالليل . يقول : إذا اصطدمت السيوف بالدروع ، أخرجت نارا كضوء الحباب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (عطاءٌ غيرَ مجذوذٍ) قال : غير مقطوع .
 قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : مثله .
 قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، مثله .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، مثله .
 قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قوله (عطاءٌ غيرَ مجذوذٍ) قال : أما هذه فقد أمضاها ، يقول : عطاء غير منقطع .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (عطاءٌ غيرَ مجذوذٍ) غير مزروع منهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءُ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَنُوفِّهُمُ
 نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فلا تك في شك يا محمد مما يعبد هؤلاء المشركون من قومك من الآلهة والأصنام أنه ضلال وباطل ، وأنه بالله شرك ، ما يعبد هؤلاء إلا كما يعبد آباؤهم من قبل ، يقول : إلا كعبادة آباؤهم من قبل عبادتهم لها ، يخبر تعالى ذكره أنهم لم يعبدوا ما عبدوا من الأوثان إلا اتباعاً منهم منهاج آباؤهم ، واقتفاء منهم آثارهم في عبادتهموها ، لآعن أمر الله إياهم بذلك ، ولا بحجة تبينوها توجب عليهم عبادتها ؛ ثم أخبر جل ثناؤه نبيه ما هو فاعل بهم لعبادتهم ذلك ، فقال جل ثناؤه (وَإِنَّا لَنُوفِّهُمُ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ) يعني : حظهم مما وعدتهم أن أوفيتهموه من خير أو شر ، غير منقوص ، يقول : لا أنقصهم مما وعدتهم ، بل أتمم ذلك لهم على التمام والكمال .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَإِنَّا لَنُوفِّهُمُ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ) قال : ما وعدوا فيه من خير أو شر .
 حدثنا أبو كريب ومحمد بن بشار ، قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله ، إلا أن أبا كريب قال في حديثه : من خير أو شر .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد عن ابن عباس (وَإِنَّا لَنُوفِّهُمُ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ) قال : ما قدر لهم من الخير والشر .
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (وَإِنَّا لَنُوفِّهُمُ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ) قال : ما يصيبهم من خير أو شر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَإِنَّا لَمُوفُوهُمْ نَصِيْبَهُمْ) غير مستقوص) قال : نصيبهم من العذاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاحْخُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾

يقول تعالى ذكره مسلماً نبيه في تكذيب مشركي قومه إياه ، فيما أتاهم به من عند الله بفعل بني إسرائيل بموسى فيما أتاهم به من عند الله ، يقول له تعالى ذكره : ولا يحزنك يا محمد تكذيب هؤلاء المشركين لك ، وامن لما أمرك به ربك من تبليغ رسالته ، فإن الذي يفعل بك هؤلاء من رد ما جئتهم به عليك من النصيحة من فعل ضرباً منهم من الأمم قبلهم ، وسنة من سندهم ؛ ثم أخبره جل ثناؤه بما فعل قوم موسى به ، فقال (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) يعني التوراة ، كما آتيناك الفرقان ، فاختلف في ذلك الكتاب قوم موسى فكذب به بعضهم وصدق به بعضهم ، كما قد فعل قومك بالفرقان من تصديق بعض به ، وتكذيب بعض (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) يقول تعالى ذكره : ولولا كلمة سبقت يا محمد من ربك بأنه لا يعجل على خلقه بالعذاب ، ولكن يتأنى حتى يبلغ الكتاب أجله (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) يقول : لقضى بين المكذب منهم به والمصدق بإهلاك الله المكذب به منهم ، وإنجائه المصدق به (وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) يقول : وإن المكذبين به منهم لفي شك من حقيقته أنه من عند الله مريب ، يقول : يريبهم فلا يدرون أحق هو أم باطل ، ولكنهم فيه ممترون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِن كَلَّا لَيُوفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته جماعة من قراء أهل المدينة والكوفة (وَإِن) مشددة (كَلَّا) لما مشددة .

واختلف أهل العربية في معنى ذلك ، فقال بعض نحوي الكوفيين : معناه : إذا قرئ كذلك : وإن كلاً لما ليوفيه ربك أعمالهم ، ولكن لما اجتمعت الميمات حذفت واحدة فبقيت ثلثان ، فأدغمت واحدة في الأخرى ، كما قال الشاعر :

وَلَئِنِّي لَمَّا أُصْدِرُ الْأَمْرَ وَجْهَهُ إِذَا هُوَ أَعْيَا بِالنَّبِيْسِلِ مَصَادِرُهُ ١

(١) أورد البيت القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (طبعة دار الكتب المصرية ٩ : ١٠٥) وروايته فيه (بالسبيل) ، في موضع (بالنبيل) . استشهد به كما استشهد المؤلف على أن « لما » أصلها « لمن ما » فقلبت النون ميماً ، واجتمعت ثلاث ميمات فحذفت الوسطى ، فصارت « لما » . وما على هذا القول بمعنى (من) : تقديره : وإن كلاً لمن الذين ، كقولهم : « وإني . . . البيت .

ثم تخفف كما قرأ بعض القراء (والبغى يعظكم) يخفف الياء مع الياء ، وذكر أن الكسائي أنشده :

وَأَشْمَتَ الْعُدَاةَ بِنَا فَأُضْحُوا لَدَى يَتَبَاشِرُونَ بِمَا لَقِينَا

وقال : يريد : لدى يتباشرون بما لقينا ، فحذف ياء ، لحركتهن واجتماعهن ؛ قال : ومثله :

كَانَ مِنْ أَخْرَها الْقَادِمِ مَحْرِمِ تَجْدِ فَارِعِ الْمَخَارِمِ

وقال : إلى القادم ، فحذف اللام عند اللام .

وقال آخرون : معنى ذلك إذا قرئ كذلك (وإن كلاً) شديداً وحققاً ليوفينهم ربك أعمالهم ، قال :

وإنما يراد إذا قرئ ذلك كذلك (وإن كلاً) بالتشديد والتنوين ، ولكن قارئ ذلك كذلك حذف منه

التنوين ، فأخرجه على لفظ «فعللى» لما كما فعل ذلك في قوله (ثم أرسلنا رسلنا تترى) فقرأ تترى بعضهم

بالتنوين ، كما قرأ من قرأ (لما) بالتنوين ، وقرأ آخرون بغير تنوين ، كما قرأ (لما) بغير تنوين من قرأه ،

وقالوا : أصله من اللهم من قول الله تعالى (وَأَكْلُوا السُّرَاتِ أَكْلًا لَمًّا) يعنى : أكلاً شديداً .

وقال آخرون : معنى ذلك إذا قرئ كذلك : وإن كلاً إلا ليوفينهم ، كما يقول القائل : لقد قمت

عنا ، وبالله إلا قمت عنا . ووجدت عامة أهل العلم بالعربية ينكرون هذا القول ، ويأبون أن يكون جائزاً

توجيه «لما» إلى معنى «إلا» في اليمين خاصة ؛ وقالوا : لو جاز أن يكون ذلك بمعنى إلا جاز أن يقال :

قام القوم لما أخاك ، بمعنى : إلا أخاك ، ودخولها في كل موضع صلح دخول إلا فيه ، وأنا أرى أن

ذلك فاسد من وجه هو أبين مما قاله الذين حكينا قولهم من أهل العربية إن في فساده ، وهو أن إثبات للشيء

وتحقيق له ، وإلا أيضاً تحقيق أيضاً ، وإنما تدخل نقضاً للحد قد تقدمها ، فإذا كان ذلك معناها ، فواجب

أن تكون عند متاؤها التأويل الذى ذكرنا عنه ، أن تكون بمعنى الجحد عنده ، حتى تكون إلا نقضاً لها ،

وذلك إن قاله قائل ، قول لا يخفى جهل قائله ، اللهم إلا أن يخفف قارئ «إن» فيجعلها بمعنى «إن» التى

تكون بمعنى الجحد ، وإن فعل ذلك فسدت قراءته ذلك كذلك أيضاً من وجه آخر ، وهو أنه يصير حينئذ

ناصباً لكل بقوله : ليوفينهم ، وليس في العربية أن ينصب م بعد «إلا» من الفعل الاسم الذى قبلها ، لا تقول

قال القرطبي : وزيف الزجاج هذا القول ، وقال : «من» : اسم على حرفين فلا يجوز حذفه . وقال الفراء في معاني القرآن (مصورة

جامعة القاهرة ص ١٤٨ ج ٢) : وأما من شدد لما ، فإنه والله أعلم ، أراد : لمن ما ليوفينهم ، فلما اجتمعت ثلاث ميمات ، حذف

واحدة ، فبقيت ثنتان ، فأراد غمت في صاحبها ، كما قال الشاعر :

وَلَمَّا أُصْدِرَ الْأَمْرَ وَجْهَهُ إِذَا هُوَ أَعْيَا بِالنَّبِيلِ مَصْدَرُهُ

(١) البيت من شواهد الكسائي ، أنشده الفراء في معاني القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٩٥ ٢٤٠ ج ٢ ص ١٤٨) ، وهو

شاهد على التخفيف بحذف بعض الحروف المكررة في الكلمة ، قال : بعد الكلام على تخفيف لما : وبعد الشاهد السابق مباشرة : «ثم

يخفف ، كما قرأ بعض القراء : «والبغى يعظكم» بحذف الياء عند الياء . أنشد الكسائي : «وأشمت العداة بنا فأضحوا» . البيت

معناه : لدى يتباشرون ، فحذف لاجتماع الياء .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٥٩ ٢٤٠ ج ٢ : ١٤٨) وهو مثل الشاهد قبله شاهد

على التخفيف بحذف بعض الحروف . قال بعد أن أنشد البيت : أراد : إلى القادم ، فحذف اللام .

العرب : ما زيدا إلا ضربت ، فيفسد ذلك إذا قرئ كذلك من هذا الوجه إلا أن يرفع رافع الكل ، فيخالف بقراءته ذلك كذلك قراءة القراء ، وخط مصاحف المسلمين ، ولا يخرج بذلك من العيب بخروجه من معروف كلام العرب . وقد قرأ ذلك بعض قراء الكوفيين (وإن كلاً) بتخفيف إن ونصب كلا (كلاً) مشددة . وزعم بعض أهل العربية أن قارئ ذلك كذلك أراد « إن » الثقيلة فخففها . وذكر عن أبي زيد البصري أنه سمع : كأن ثدييه حقان ، فنصب بكأن ، والنون مخففة من كأن ؛ ومنه قول الشاعر :

وَوَجْهَهُ مُشْرِقٌ فِي النَّحْرِ كَأَن ثَدْيَيْهِ حَقَّانِ ١

وقرأ ذلك بعض المدنيين بتخفيف « إن » ونصب « كلاً » وتخفيف « كلاً » . وقد يحتمل أن يكون قارئ ذلك كذلك قصد المعنى الذي حكيناه عن قارئ الكوفة من تخفيفه نون « إن » وهو يريد تشديدها ، ويريد بما التي في « كلاً » التي تدخل في الكلام صلة ، وأن يكون قصد إلى تحميل الكلام معنى : وإن كلا ليوفينهم ؛ ويجوز أن يكون معناه : كان في قراءته ذلك كذلك : وإن كلاً ليوفينهم أي ليوفين كلاً ، فيكون نيته في نصب كل ، كانت بقوله : ليوفينهم ، فإن كان ذلك أراد ، ففيه من القبح ما ذكرت من خلافه كلام العرب ، وذلك أنها لا تنصب بفعل بعد لام اليمين اسماً قبلها .

وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز والبصرة « وإن » مشددة (كلاً كلاً) مخففة (ليوفينهم) ، ولهذه القراءة وجهان من المعنى : أحدهما : أن يكون قارئها أراد : وإن كلاً لمن ليوفينهم ربك أعمالهم ، فيوجه « ما » التي في « لما » إلى معنى « من » ، كما قال جل ثناؤه (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) وإن كان أكثر استعمال العرب لها في غير بني آدم ، وينوي باللام التي في « لما » اللام التي يتلقى بها « إن » جواباً لها ، وباللام التي في قوله (ليوفينهم) لام اليمين دخلت فيما بين ما وصلتها ، كما قال جل ثناؤه (وإن منكم لمن ليبطئن) وكما يقال هذا ما لغيره أفضل منه . والوجه الآخر : أن يجعل « ما » التي في « لما » بمعنى « ما » التي تدخل صلة في الكلام ، واللام التي فيها هي اللام التي يجاب بها ، واللام التي في (ليوفينهم) هي أيضاً اللام التي يجاب بها « إن » كررت وأعيدت ، إذ كان ذلك موضعها ، وكانت الأولى مما تدخلها العرب في غير موضعها ، ثم تعيدها بعد في موضعها ، كما قال الشاعر :

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي لَمْ يَكُونُوا أَعَزَّةً لِبُعْدٍ لَقَدِّ لَاقِيَتْ لَابُدَّ مَصْرَعاً ٢

وقرأ ذلك الزهري فيما ذكر عنه : (وإن كلاً) بتشديد إن و (كلاً) بتنوينها ، بمعنى : شديداً وحقاو جميعاً .

(١) البيت من أبيات الكتاب السيبويه (١ : ٢٨١) قال الأعلم في توجيهه : الشاهد فيه : تخفيف كأن وحذف اسمها . والتقدير كأنه ثدياه حقان . قال : ويجوز كأن ثدييه ، على إعمال كأن مخففة . والهاء في ثدييه : عائدة على الوجه أو النحر . والمعنى : كأن ثدي صاحبه حقان .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ٢٤٠٩٥ ج ٢ : ص ١٤٨) قال : وإذا عجلت العرب باللام في غير موضعها ، أعادوها إليه ، كقولك : إن زيدا لإليك لحسن . كان موقع اللام في « لحسن » ، فلما أدخلت في إليك ، أعيدت في « لحسن » . ومثله قول الشاعر :

ولو أن قومي لم يكونوا أعزة البيت

أدخلها في بعد وليس بموضعها . ومثله قول أبي الجراح : « إني لبحمد الله لصالح » .

﴿ وَأَصْحَ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ مَخْرَجًا عَلَى كَلَامِ الْعَرَبِ الْمُسْتَفِيزِ فِيهِمْ قِرَاءَةٌ مِنْ قَرَأَ (وَأَنَّ) بِتَشْدِيدِ نُونِهَا ، (كُلًّا كَلَّمَ) بِتَخْفِيفِ مَا (لِيُؤْفِقِيَنَّهُمْ رَبُّكَ) بِمَعْنَى : وَإِنْ كُلَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَصَصْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ قَصَصَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ، لَمْ يُوَفِّهِمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ بِالصَّالِحِ مِنْهَا ، بِالْخِزِيلِ مِنَ الثَّوَابِ ، وَبِالطَّالِحِ مِنْهَا بِالشَّدِيدِ مِنَ الْعِقَابِ ، فَتَكُونُ « مَا » بِمَعْنَى « مِنْ » وَاللَّامُ الَّتِي فِيهَا جَوَابًا لِأَنَّ ، وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ (لِيُؤْفِقِيَنَّهُمْ) لَامُ قَسَمٍ .

وقوله (إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يَقُولُ : تَعَالَى ذَكَرُهُ : إِنْ رَبُّكَ بِمَا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُكُونَ بِاللَّهِ ، مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ ، خَبِيرٌ ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ عَمَلِهِمْ بَلْ يَخْبِرُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيَعْلَمُهُ وَيَحِيطُ بِهِ حَتَّى يَجَازِيَهُمْ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ جَزَاءَهُمْ .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَاسْتَقِمْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ عَلَى أَمْرِ رَبِّكَ ، وَالَّذِينَ الَّذِينَ ابْتِغَاكَ بِهِ ، وَالِدَعَاءَ إِلَيْهِ ، كَمَا أَمَرَكَ رَبُّكَ (وَمَنْ تَابَ مَعَكَ) يَقُولُ : وَمَنْ رَجَعَ مَعَكَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ مِنْ بَعْدِ كُفْرِهِ (وَلَا تَطْغَوْا) يَقُولُ : وَلَا تَعْدُوا أَمْرَهُ إِلَى مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ (إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يَقُولُ : إِنْ رَبُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِمَا تَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا ، طَاعَتِهَا وَمَعْصِيَتِهَا بِصِيرٌ ذُو عِلْمٍ بِهَا ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَهُوَ لَجَمِيعِهَا مُبْصِرٌ ، يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرُهُ : فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ وَأَنْتُمْ عَامِلُونَ بِخِلَافِ أَمْرِهِ ، فَإِنَّهُ ذُو عِلْمٍ بِمَا تَعْمَلُونَ ، وَهُوَ لَكُمْ بِالْمُرْصَادِ .

وَكَانَ ابْنُ عِيْنَةَ يَقُولُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) مَا حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ ، عَنْ سَفْيَانَ : فِي قَوْلِهِ (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) قَالَ : اسْتَقِمْ عَلَى الْقُرْآنِ . حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ (وَلَا تَطْغَوْا) قَالَ : الطَّغْيَانُ : خِلَافُ اللَّهِ وَرُكُوبُ مَعْصِيَتِهِ ذَلِكَ الطَّغْيَانُ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَرْكُؤُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرُهُ : وَلَا تَمِيلُوا أَيُّهَا النَّاسُ إِلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ ، فَتَقْبَلُوا مِنْهُمْ وَتَرْضُوا أَعْمَالَهُمْ ، فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ بِفِعْلِكُمْ ذَلِكَ ، وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ نَاصِرٍ يُنصِرُكُمْ ، وَوَلَّى يَلِيكُمْ (ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) يَقُولُ : فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لَمْ يُنصِرْكُمْ اللَّهُ ، بَلْ يَخْلِيكُمْ مِنْ نَصْرَتِهِ ، وَيَسْلُطُ عَلَيْكُمْ عَدُوَّكُمْ وَبِمَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) يعني : الركون إلى الشرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول : لاترضوا أعمالهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول : لاترضوا أعمالهم ، يقول : الركون : الرضا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) قال : لاترضوا أعمالهم فتمسكم النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) قال : قال ابن عباس : ولا تميلوا إلى الذين ظلموا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) يقول : لاتلحقوا بالشرك ، وهو الذي خرجتم منه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) قال : الركون : الإدهان ، وقرأ (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيَسُدُّهُنَّ) قال : تركن إليهم ، ولا تنكر عليهم الذي قالوا ، وقد قالوا العظيم من كفرهم بالله وكتابه ورسله . قال : وإنما هذا لأهل الكفر وأهل الشرك وليس لأهل الإسلام ، أما أهل الذنوب من أهل الإسلام ، فإله أعلم بذنوبهم وأعمالهم ، ما ينبغي لأحد أن يبالغ على شيء من معاصي الله ، ولا يركن إليه فيها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ
ذِكْرَى لِّلَّذِينَ

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأقم الصلاة يا محمد ، يعني صلّ طرفي النهار ، يعني الغداة والعشي .

واختلاف أهل التأويل في التي عنيت بهذه الآية من صلوات العشي بعد إجماع جميعهم على أن التي عنيت من صلاة الغد : الفجر ، فقال بعضهم : عنيت بذلك صلاة الظهر والعصر ، قالوا : وهما من صلاة العشي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ) قال : الفجر ، وصلاتي العشي ، يعني : الظهر ، والعصر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد مثله .
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ،
 في قوله (أقيم الصلاة طرقي النهار) قال : صلاة الفجر ، وصلاة العشي .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أفلح بن سعيد ، قال : سمعت محمد
 ابن كعب القرظي يقول (أقيم الصلاة طرقي النهار) قال : فطرفا النهار : الفجر والظهر والعصر .
 حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي (أقيم
 الصلاة طرقي النهار) قال : الفجر ، والظهر ، والعصر .
 وقال آخرون : بل عني بها : صلاة المغرب .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (أقيم
 الصلاة طرقي النهار) يقول : صلاة الغداة وصلاة المغرب .
 حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن عوف ، عن الحسن (أقيم الصلاة طرقي النهار) قال :
 صلاة الغداة ، والمغرب .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أقيم الصلاة طرقي
 النهار) الصبح ، والمغرب .
 وقال آخرون : عني بها : صلاة العصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله (أقيم الصلاة
 طرقي النهار) قال : صلاة الفجر ، والعصر .
 قال : ثنا زيد بن حباب ، عن أفلح بن سعيد القبائي ، عن محمد بن كعب (أقيم الصلاة طرقي
 النهار) الفجر ، والعصر .
 حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، في قوله (أقيم الصلاة
 طرقي النهار) قال : صلاة الصبح وصلاة العصر .
 حدثني الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : قال الله
 نبيه (أقيم الصلاة طرقي النهار) قال : طرفي النهار : الغداة ، والعصر .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أقيم الصلاة طرقي النهار)
 يعني صلاة العصر والصبح .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن
 (أقيم الصلاة طرقي النهار) الغداة ، والعصر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن أفلح بن سعيد ، عن محمد بن كعب (أقيم الصلاة طرقي النهار) الفجر ، والعصر .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرّة ، عن الحسن (أقيم الصلاة طرقي النهار) قال : الغداة ، والعصر .

وقال بعضهم : بل عني بطرقي النهار : الظهر ، والعصر ؛ ويقولون (زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) : المغرب ، والعشاء ، والصبح .

وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : هي صلاة المغرب كما ذكرنا عن ابن عباس . وإنما قلنا : هو أولى بالصواب لإجماع الجميع على أن صلاة أحد الطرفين من ذلك صلاة الفجر ، وهي تصلى قبل طلوع الشمس ؛ فالواجب إذ كان ذلك من جميعهم إجماعاً أن تكون صلاة الطرف الآخر المغرب ، لأنها تصلى بعد غروب الشمس ، ولو كان واجباً أن يكون مراداً بصلاة أحد الطرفين قبل غروب الشمس وجب أن يكون مراداً بصلاة الطرف الآخر بعد طلوعها ، وذلك ما لا نعلم قائلًا قاله إلا من قال : عني بذلك صلاة الظهر والعصر ، وذلك قول لا نحيل فساداً ، لأنهما إلى أن يكونا جميعاً من صلاة أحد الطرفين أقرب منهما إلى أن يكونا من صلاة طرفي النهار ، وذلك أن الظهر لا شك أنها تصلى بعد مضي نصف النهار في النصف الثاني منه ، فحال أن تكون من طرف النهار الأول ، وهي في طرفه الآخر ، فإذا كان لا قائل من أهل العلم يقول : عني بصلاة طرف النهار الأول صلاة بعد طلوع الشمس ، وجب أن يكون غير جائز أن يقال : عني بصلاة طرف النهار الآخر : صلاة قبل غروبها . وإذا كان ذلك كذلك صح ما قلنا في ذلك من القول ، وفسد ما خالفه .

وأما قوله (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) فإنه يعني : ساعات من الليل ، وهي جمع زُلْفَةٍ ، والزلفة : الساعة والمنزلة والقربة . وقيل : إنما سميت المزلفة وُجِّعَ من ذلك لأنها منزل بعد عرفة . وقيل : سميت بذلك لازدلاف آدم من عرفة إلى حواء وهي بها ؛ ومنه قول العجاج في صفة بعير :

نَاجٍ طَوَاهُ الْأَيْنُ مِمَّا وَجَّعًا طَيَّ اللَّيَالِي زُلْفًا فَزُلْفًا ١

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والعراق (وَزُلْفًا) بضم الزاي وفتح اللام . وقرأه بعض أهل المدينة بضم الزاي واللام ، كأنه وجَّعه إلى أنه واحد ، وأنه بمنزلة الحلم . وقرأه بعض المكين (وَزُلْفًا) بضم الزاي وتسكين اللام .

وأعجب القراءات في ذلك إلى ، أن أقرأها (وَزُلْفًا) بضم الزاي وفتح اللام ، على معنى جمع زُلْفَةٍ ،

(١) البيتان للعجاج من مشطور الرجز (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٨٤) . وهما في وصف حمل . والناجي : المسرع في السير . وطواه : هزله وأضره . والأين : الإعياء والتعب . ووجف : سار مسرعاً . والوجيف : ضرب من السير فيه اضطراب . وزلفاً بضم الزاي : قال في اللسان : منزلة بعد منزلة ، ودرجة بعد درجة .

كما تجمع غرفة عُرف ، وحجرة حُجَر . وإنما اخترت قراءة ذلك كذلك ، لأن صلاة العشاء الآخرة إنما تصلى بعد مضي زلف من الليل ، وهي التي عنيت عندي بقوله (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) .
وبنحو الذي قلنا في قوله (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال جماعة من أهل التأويل :
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال : الساعات من الليل صلاة العتمة .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) يقول : صلاة العتمة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن عوف ، عن الحسن (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال : العشاء .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، قال : كان ابن عباس يعجبه التأخير بالعشاء ، ويقرأ (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال : ساعة من الليل : صلاة العتمة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال : العتمة ، وما سمعت أحدا من فقهاءنا ومشايخنا ، يقول : العشاء ما يقولون إلا العتمة .
وقال قوم : الصلاة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأقامتها زلفا من الليل ، صلاة المغرب والعشاء .
ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع ، واللفظ ليعقوب ، قالوا : ثنا ابن عليه ، قال : ثنا أبو رجاء عن الحسن (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال : هما زلفتان من الليل : صلاة المغرب ، و صلاة العشاء .
حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالوا : ثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن ، في قوله (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثني الحسن بن علي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال : زلفا من الليل : المغرب ، والعشاء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هُمَا زُلْفَتَا اللَّيْلِ : الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ » .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : قد بين الله مواقيت الصلاة في القرآن ، قال (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) قال : دلوكها : إذا زالت عن بطن السماء ، وكان لها في الأرض فيء ، وقال (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ) الغداة ، والعصر . (وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) المغرب ، والعشاء . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هُمَا زُلْفَتَا اللَّيْلِ الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) قال : يعني صلاة المغرب ، وصلاة العشاء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أفلح بن سعيد ، قال : سمعت محمد ابن كعب القرظي يقول (زُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) المغرب ، والعشاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن أفلح بن سعيد ، عن محمد بن كعب ، مثله .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي (وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) المغرب ، والعشاء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن عاصم بن سليمان ، عن الحسن ، قال : زلفنا الليل : المغرب ، والعشاء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جويهر ، عن الضحاك ، في قوله (وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عاصم ، عن الحسن (وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن جويهر ، عن الضحاك (وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عاصم ، عن الحسن (زُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) صلاة المغرب والعشاء .
وقوله (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ) يقول تعالى ذكره : إِنَّ الْإِنَابَةَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، والعمل بما يرضيه ، يذهب آثام معصية الله ، ويكفر الذنوب .

ثم اختلف أهل التأويل في الحسنات التي عنى الله في هذا الموضع اللاتي يذهبن السيئات ، فقال بعضهم : هن الصلوات الخمس المكتوبات .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن الحريري ، عن أبي الورد بن ثمامة ، عن أبي محمد

ابن الحضرمي ، قال : ثنا كعب في هذا المسجد ، قال : والذي نفس كعب بيده إن الصلوات الخمس
لهنّ الحسنات التي يذهب السيئات ، كما يغسل الماء الدرن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أفلح ، قال : سمعت محمد بن كعب
القرظي يقول في قوله (إنّ الحسنات يذهب السيئات) قال : هنّ الصلوات الخمس .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عبد الله بن مسلم ، عن
سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إنّ الحسنات يذهب السيئات) قال : الصلوات الخمس .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد (إنّ الحسنات) الصلوات .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة جميعاً ، عن عوف ،
عن الحسن (إنّ الحسنات يذهب السيئات) قال : الصلوات الخمس .

حدثني زريق بن الشَّخْبِ ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن
جبير ، عن ابن عباس (إنّ الحسنات يذهب السيئات) قال : الصلوات الخمس .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله
تعالى (إنّ الحسنات يذهب السيئات) قال : الصلوات الخمس .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، قال :
الصلوات الخمس .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن
عبد الله (إنّ الحسنات يذهب السيئات) قال : الصلوات الخمس .

قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سعيد الجريري ، قال : ثنا أبو عثمان ، عن سلمان ،
قال : والذي نفسي بيده ، إن الحسنات التي يمحو الله بهنّ السيئات ، كما يغسل الماء الدرن : الصلوات
الخمس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن
عباس (إنّ الحسنات يذهب السيئات) قال : الصلوات الخمس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مزينة بن زيد ، عن مسروق :
(إنّ الحسنات يذهب السيئات) قال : الصلوات الخمس .

حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، وعبد الله بن أبي زياد القطوني ، قالا : ثنا عبد الله بن يزيد ، قال :
أخبرنا حيوة ، قال : أخبرنا أبو عقيل زهرة بن معبد القرشي من بني تميم من رهط أبي بكر الصديق رضي
الله عنه ، أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان رحمه الله يقول : جلس عثمان يوماً وجلسنا معه ، فجاء المؤذن
فدعا عثمان بماء في إناء أظنه سيكون فيه قدر مدّ ، فتوضأ ، ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتوضأ وضوءي هذا ، ثم قال « مَنْ تَوَضَّأَ وَضُوءِي هَذَا ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى صَلَاةَ الظُّهْرِ غُفِرَ لَهُ »

(١) لم أجده زريق بن الشَّخْبِ فيما بين لدى من كتب الرجال .

ما كان بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَلَاةِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَلَاةِ الظُّهْرِ ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ ، ثُمَّ لَعَلَّهُ يُبَيِّتُ لَيْلَةً يَتَمَرَّغُ ، ثُمَّ إِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى الصُّبْحَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، وَهُنَّ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ » .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبو زرعة ، قال : ثنا حيوة ، قال : ثنا أبو عقيل ، زهرة بن معبد ، أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قال : جلس عثمان بن عفان يوما على المقاعد ، فذكر نحوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه قال : « وَهُنَّ الْحَسَنَاتُ ، إِنْ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ » .

حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مریم ، قال : أخبرنا نافع بن يزيد ، ورشد بن بن سعد ، قالا : ثنا زهرة بن معبد ، قال : « سمعت الحرث مولى عثمان بن عفان ، يقول : جلس عثمان بن عفان يوما على المقاعد ، ثم ذكر نحو ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه قال : « وَهُنَّ الْحَسَنَاتُ ، إِنْ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ » .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جُعِلَتْ الصَّلَوَاتُ كَفَّارَاتٍ لِمَا بَيْنَهُنَّ » ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ : (إِنْ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ) .

حدثنا ابن سيار القزاري ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن أبي عثمان النهدي ، قال : « كنت مع سلمان تحت شجرة ، فأخذ غصنا من أغصانها يابسا فهزه حتى تحات ورقه ، ثم قال : هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كنت معه تحت شجرة ، فأخذ غصنا من أغصانها يابسا فهزه حتى تحات ورقه ، ثم قال : « أَلَا تَيْسَأَلُنِي لِمَ أَفْعَلُ هَذَا يَا سَلْمَانَ ؟ فَقُلْتُ : وَلِمَ تَفْعَلُهُ ؟ فَقَالَ : إِنْ الْمُسْلِمَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ كَمَا تَحَاتُّ هَذَا الْوَرَقُ » ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ) . . . إِلَى آخِرِ الْآيَةِ » .

وَقَالَ آخَرُونَ : هُوَ قَوْلُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد (إِنْ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ) قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

وأولى التأويلين بالصواب في ذلك قول من قال في ذلك : هنَّ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، لصحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواترها عنه ، أنه قال : « مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ مَثَلُ نَهْرٍ جَارٍ

على باب أحدكم يَنْتَغِمِسُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَازَا يُبْقِيَنَّ مِنْ دَرَنِهِ «، وإن ذلك في سياق أمر الله بإقامة الصلوات، والوعد على إقامتها، الجزيل من الثواب عقيبتها أولى من الوعد، على ما لم يجر له ذكر من صالحات سائر الأعمال إذا خصَّ بالقصد بذلك بعض دون بعض.

وقوله (ذلكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ) يقول تعالى: هذا الذي أوعدت عليه من الركون إلى الظنم وتهددت فيه، والذي وعدت فيه من إقامة الصلوات اللواتي يذهبن السيئات تذكراً ذكَّرت بها قوما يذكرون وعد الله، فيرجون ثوابه ووعيده، فيخافون عقابه، لا من قد طبع على قلبه، فلا يجيب داعياً، ولا يسمع زاجراً، وذكر أن هذه الآية نزلت بسبب رجل نال من غير زوجته ولا ملك يمينه بعض ما يحرم عليه، فتأب من ذنبه ذلك.

ذكر الرواية بذلك

حدثنا هناد بن السري، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن إبراهيم، عن علقمة والأسود، قالوا: قال عبد الله بن مسعود: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إني عابحت امرأة في بعض أقطار المدينة، فأصبت منها ما دون أن أمسها، فأنا هذا، فاقض في ما شئت، فقال عمر: لقد سترك الله، لو سترت على نفسك، قال: ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً، فقام الرجل، فانطلق، فأتبعه النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً، فدعاه، فلما أتاها قرأ عليه (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ) فقال رجل من القوم: هذا له يا رسول الله خاصة؟ قال: بَلَى لِلنَّاسِ كَافَّةً».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن سماك بن حرب، عن إبراهيم، عن علقمة والأسود، عن عبد الله، قال: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني لقيت امرأة في البستان، فضممتها إلى وباشرتها وقبلتها، وفعلت بها كل شيء غير أني لم أجامعها، فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ)، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقرأها عليه، فقال عمر: يا رسول الله، أله خاصة، أم للناس كافة؟ قال: لا، بَلَى لِلنَّاسِ كَافَّةً» ولفظ الحديث لابن وكيع.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا إسرائيل، عن سماك بن حرب، أنه سمع إبراهيم بن زيد، يحدث عن علقمة والأسود، عن ابن مسعود، قال: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني وجدت امرأة في بستان، ففعلت بها كل شيء غير أني لم أجامعها، قبلتها ولزمتها، ولم أفعل غير ذلك، فافعل بي ما شئت، فلم يقل له رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، فذهب الرجل، فقال عمر: لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه، فأتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره، فقال: رُدُّوهُ عَلَيَّ، فردَّوه، فقرأ عليه (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ، إِنَّ

الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ ، قال : فقال معاذ بن جبل : أله وحده يا نبي الله ، أم للناس كافة ؟ فقال : بَلِّ لِلنَّاسِ كَافَّةً .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود عن عبد الله ، قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أخذت امرأة في البستان فأصبت منها كل شيء ، غير أني لم أنكحها ، فاصنع بي ما شئت ، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ذهب دعاه ، فقرأ عليه هذه الآية (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلي ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت إبراهيم يحدث عن خاله الأسود ، عن عبد الله « أن رجلا لقي امرأة في بعض طرق المدينة ، فأصاب منها ما دون الجماع ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فنزلت (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ) ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ) فقال معاذ بن جبل : يا رسول الله ، لهذا خاصة ، أو لنا عامة ؟ قال : بَلِّ لَكُمْ عَامَّةً .

حدثنا أبو المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، قال : أنبأني سماك ، قال : سمعت إبراهيم يحدث عن خاله ، عن ابن مسعود أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : « لقيت امرأة في حش بالمدينة ، فأصبت منها ما دون الجماع » . . . نحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم البغدادي ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن إبراهيم عن خاله ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : جاء فلان بن معتب رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله دخلت على امرأة ، فنلت منها ما ينال الرجل من أهله ، إلا أني لم أواقعها ، فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجيبه حتى نزلت هذه الآية (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ) ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ (. . . الآية ، فدعاه فقرأها عليه) .

حدثني يعقوب وابن وكيع قالا : ثنا ابن عليه ، وحدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، وحدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان جميعا ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن ابن مسعود « أن رجلا أصاب من امرأة شيئا لا أدرى ما بلغ ، غير أنه مادون الزنا ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فنزلت (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ) ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ (فقال الرجل : ألي هذه يا رسول الله ؟ قال : لِمَنْ أَخَذَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي ، أَوْ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا) حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا قبيصة ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن ريد ، قال : كنت مع سلمان ، فأخذ غصن شجرة يابسة فحته وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ كَمَا يَسْتَحَاتُّ هَذَا الْوَرَقُ » ، ثم قال : (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة وحسين الجعفي عن زائدة ، قال : ثنا عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ ، قال : « أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما ترى في رجل لى امرأة لا يعرفها ، فليس يأتي الرجل من امرأته شيئا إلا قد أتاه منها ، غير أنه لم يجامعها ، فأنزل الله هذه الآية (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : تَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى ، قال معاذ : قلت يا رسول الله ، أله خاصة ؟ أم للمؤمنين عامة ؟ قال : بَلَى لِلْمُؤْمِنِينَ عَامَّةً » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى « أن رجلا أصاب من امرأة ما دون الجماع ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، يسأله عن ذلك ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أنزلت (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) . . . الآية ، فقال معاذ : يا رسول الله ، أله خاصة ، أم للناس عامة ؟ قال : هِيَ لِلنَّاسِ عَامَّةً » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

حدثني عبد الله بن أحمد بن شويه ، قال : ثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : ثنا عمرو بن الحرث ، قال : ثنا عبد الله بن سالم ، عن الزبيدي ، قال : ثنا سليم بن عامر « أنه سمع أبا أمامة يقول : إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : أقم في حدّ الله ، مرة واثنين ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقيمت الصلاة ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة ، قال : أَيْنَ هَذَا الْقَائِلُ : أَقِمُ فِي حَدِّ اللَّهِ ؟ قال : أناذا ، قال : هَلْ أَتَمَمْتَ الْوُضُوءَ وَصَلَّيْتَ مَعَنَا آيِفًا ؟ قال : نَعَمْ ، قال : فَانْكَ مِنْ خَطِيئَتِكَ كَمَا وَلَدَتْكَ أُمُّكَ ، فَلَا تَعُدْ ، وأنزل الله حينئذ على رسوله (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) . . . الآية » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل « أنه كان جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل فقال : يا رسول الله ، رجل أصاب من امرأة ما لا يحل له ، لم يدع شيئا يصيبه الرجل من امرأته إلا أتاه ، إلا أنه لم يجامعها ، قال : يَتَوَضَّأُ وَوُضُوءًا حَسَنًا ثُمَّ يُصَلِّي ، فأنزل الله هذه الآية (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) . . . الآية ، فقال معاذ : هِيَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ خَاصَّةٌ ، أم للمسلمين عامة ؟ قال : بَلَى لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيى بن جعدة « أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكر امرأة وهو جالس مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنه لحاجة ، فأذن له ، فذهب يطلبها ، فلم يجدها ، فأقبل الرجل يريد أن يبشر النبي صلى الله عليه وسلم بالمطر فوجد المرأة جالسة على غدير ، فدفع في صدرها وجلس بين رجلها ، فصار ذكره مثل الهدية ، فقام نادما حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بما صنع ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم

اسْتَغْفِرَ رَبَّكَ وَصَلَّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، قال : وتلا عليه (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ) . . . الآية .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى ابن طلحة ، عن أبي اليسر بن عمرو الأنصاري « قال : أتتني امرأة تبتاع مني بدرهم تمرا ، فقلت : إن في البيت تمرا أجود من هذا ، فدخلت فأهويت إليها ، فقبلتها ، فأتيت أبا بكر فسألته ، فقال : استر على نفسك وتب ، واستغفر الله ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أَخْلَفْتَ رَجُلًا غَازِيَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا ؟ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنِّي مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى تَمْنَيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ سَاعَتُكَ ، قال : فَأَطْرَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاعَةً ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَقَالَ : أَيُّنَ أَبُوالْيُسْرِ ، فَجِئْتُ فَقَرَأَ عَلَيَّ (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ) . . . إِلَى (ذِكْرِي لِلذَّكَرَيْنِ) قال إنسان له : يا رسول الله خاصة ، أم للناس عامة ؟ قال : للناس عامة » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي اليسر قال : « لقيت امرأة فالتزمتها ، غير أني لم أنكحها ، فأتيت عمر بن الخطاب ، فقال : اتق الله واستر على نفسك ، ولا تخبرن أحدا ، فلم أصبر حتى أتيت أبا بكر رضي الله عنه ، فسألته ، فقال اتق الله واستر على نفسك ، ولا تخبرن أحدا ، قال : فلم أصبر حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فقال له : هل جهزت غازيا ؟ قلت : لا ، قال : فهل خلعت غازيا في أهله ؟ قلت : لا ، فقال لي حتى تمنيت أني كنت دخلت في الإسلام تلك الساعة ، قال : فلما وليت دعائي ، فقرأ عليَّ (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ) فقال له أصحابه : ألهذا خاصة ، أم للناس عامة ، فقال : بَلَّ لِلنَّاسِ عَامَةً » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « أن رجلا أصاب من امرأة قبله ، فأتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله هلكت ، فأنزل الله (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكَرَيْنِ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن سليمان التيمي ، قال : « ضرب رجل على كفل امرأة ، ثم أتى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فكلما سأل رجلا منهما عن كفارة ذلك ، قال : أمغزية هي ؟ قال : نعم ، قال : لأدرى ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك ، فقال : أمغزية هي ؟ قال : نعم ، قال : لأدرى ، حتى أنزل الله (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء ، في قول الله تعالى (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ) « أن امرأة دخلت على رجل يبيع الدقيق ، فقبلها فأسقط في يده ، فأتى عمر ، فذكر ذلك له ، فقال : اتق الله ولا تكن امرأة غاز ،

فقال الرجل : هي امرأة غاز ، فذهب إلى أبي بكر فقال مثل ما قال عمر ، فذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم جميعا ، فقال له كذلك ، ثم سكت النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يجبههم ، فأنزل الله (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ) الصلوات المفروضات (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عطاء بن أبي رباح ، قال : أقبلت امرأة حتى جاءت إنسانا يبيع الدقيق لتبتاع منه ، فدخل بها البيت ، فلما خلا له قبلها ، قال : فسقط في يديه ، فانطلق إلى أبي بكر ، فذكر ذلك له ، فقال : أبصر لا تكونن امرأة رجل غار ، فبينما هم على ذلك ، نزل في ذلك (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ) قبل لعطاء : المكتوبة هي ؟ قال : نعم هي المكتوبة ، فقال ابن جريج ، وقال عبد الله بن كثير : هي المكتوبات .

قال ابن جريج ، عن يزيد بن رومان « أن رجلا من بني غنم ، دخلت عليه امرأة فقبلها ، ووضع يده على دبرها ، فجاء إلى أبي بكر رضي الله عنه ، ثم إلى عمر رضي الله عنه ، ثم أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية (أَقِمِ الصَّلَاةَ) . . . إلى قوله (ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) فلم يزل الرجل الذي قبل المرأة يذكر ، فذلك قوله (ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) » .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾

يقول تعالى ذكره : و صبر يا محمد على ما تلقى من مشركي قومك من الأذى في الله والمكروه ، رجاء جزيل ثواب الله على ذلك ، فإن الله لا يضيع ثواب عمل من عمل فأطاع الله ، واتباع أمره ، فيذهب به ، بل يوفره أحوج ما يكون إليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾

يقول تعالى ذكره : فهلا كان من القرون الذين قصصت عليك نهمهم في هذه السورة الذين أهلكهم بمعصيتهم لإيأى ، وكفرهم برسلى من قبلكم (أُولُوا بَقِيَّةً) يقول : ذو بقية من الفهم والعقل ، يعتبرون مواعظ الله ، ويتدبرون حججه ، فيعرفون ما لهم في الإيمان بالله ، وعليهم في الكفر به (يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ) يقول : ينهون أهل المعاصي عن معاصيهم ، أهل الكفر بالله عن كفرهم به في أرضه (إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ) يقول : لم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا يسيرا ، فلأنهم كانوا ينهون عن الفساد في الأرض ، فنجاهم الله من عذابه ، حين أخذ من

كان مقبلاً على الكفر بالله عذابه ، وهم أتباع الأنبياء والرسل ، ونصب قليلاً ، لأن قوله (إِلَّا قَلِيلًا) استثناء منقطع مما قبله ، كما قال : (إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا) ، وقد بينا ذلك في غير موضع بما أغنى عن إعادته .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : اعتذر فقال (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ) . . . حتى بلغ (إِلَّا قَلِيلًا) مَنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ) فإذا هم الذين نجوا حين نزل عذاب الله ، وقرأ (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ) .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ) . . . إلى قوله (إِلَّا قَلِيلًا) مَنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ) قال : يستقلهم الله من كل قوم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، قال : سألني بلال ، عن قول الحسن في العذر ، قال : فقال : سمعت الحسن يقول (قِيلَ يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ، وَأُومِسْ سَمْتَعْتَهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال : بعث الله هوداً إلى عاد ، فنجى الله هوداً والذين آمنوا معه ، وهلك المتمتعون . وبعث الله صالحاً إلى ثمود ، فنجى الله صالحاً وهلك المتمتعون ، فجعلت أستقرية الأمم ، فقال : ما أراه إلا كان حسن القول في العذر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا) مَنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ . أي لم يكن من قبلكم من ينهى عن الفساد في الأرض (إِلَّا قَلِيلًا) مَنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ .
وقوله (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ) يقول تعالى ذكره : واتبع الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله ما أترفوا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ) قال : ما أنظروا فيه .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ) من دنياهم ، وكأن هؤلاء وجهوا تأويل الكلام : واتبعوا الذين ظلموا الشيء الذي أنظرهم فيه ربهم من نعم الدنيا ولذاتها ، إيثارة على عمل الآخرة ، وما ينجيهم من عذاب الله .
وقال آخرون : معنى ذلك : واتبع الذين ظلموا ما تجبروا فيه من الملك ، وعتوا عن أمر الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ) قال : في ملكهم وتجبرهم ، وتركوا الحق .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه ، إلا أنه قال : وتركهم الحق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث محمد بن عمرو سواء .

❦ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت ، فكفروا بالله ، اتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا ، فاستكبروا وكفروا بالله ، واتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا ، فاستكبروا عن أمر الله وتجبروا ، وصدّوا عن سبيله ، وذلك أن المترف في كلام العرب : هو المنعم الذي قد غدّى باللذات ، ومنه قول الراجز :

تَهْدِي رُءُوسَ الْمُسْتَرْفِينَ الصُّدَادَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَنَادِ
وقوله (وَكَانُوا مُجْرِمِينَ) يقول : وكانوا مكتسبي الكفر بالله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ١١٧

❦ يقول تعالى ذكره : وما كان ربك يا محمد ليهلك القرى التي أهلكتها ، التي قصّ عليك نبأها ، ظلما وأهلها مصلحون في أعمالهم ، غير مسيئين ، فيكون إهلاكه إياهم مع إصلاحهم في أعمالهم ، وطاعتهم ربهم ظلما ، ولكنه أهلكتها بكفر أهلها بالله ، وتماديهم في غيهم ، وتكذيبهم رسلهم ، وركوبهم السيئات . وقد قيل : معنى ذلك : لم يكن ليهلكهم بشركهم بالله ، وذلك قوله بظلم ، يعني : بشرك ، وأهلها مصلحون فيما بينهم لا يتظالمون ، ولكنهم يتعاطون الحق بينهم وإن كانوا مشركين ، وإنما يهلكهم إذا تظالموا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا بَرَأُولَ مَخْلُفِينَ ١١٨

وَمَتَّكَ كَلِمَةً رَبُّكَ لِأَمَلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١١٩

(١) هذان البيتان تقدم الكلام عليهما في التفسير (٧ : ١٣١) وهما لرؤية بن النجاج (ديوانه ص ٤٠) وترتيبهما في الأرجوزة (١٠٢ ، ١٠٤) وجاء في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٣٠١) وقال بعدهما : المتباد : من ماد يمد . وفي اللسان (نماد) : المتباد : المطلوب منه العطاء ، مفتعل (اسم مفعول) . وأنشد لرؤية : تهدي . الخ قال : أي المتفضل على الناس ، وهو المستعطي المشلول وماد زيد عمرا إذا أعطاه .

يقول تعالى ذكره : ولو شاء ربك يا محمد لجعل الناس كلها جماعة واحدة على ملة واحدة ، ودين واحد . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) يقول : لجعلهم مسلمين كلهم .

وقوله (وَلَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفِينَ) يقول تعالى ذكره : ولا يزال الناس مختلفين (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) ثم اختلف أهل التأويل في الاختلاف الذي وصف الله الناس أنهم لا يزالون به ، فقال بعضهم : هو الاختلاف في الأديان ، فتأويل ذلك على مذهب هؤلاء ، ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتى من بين يهودي ونصراني ومجوسي ، ونحو ذلك . وقال قائلو هذه المقالة : استثنى الله من ذلك من رحمهم ، وهم أهل الإيمان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء (وَلَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفِينَ) قال : اليهود والنصارى والمجوس . والخليفة هم الذين رحم ربك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا قبيصة ، قال : ثنا سفيان ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء (وَلَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفِينَ) قال : اليهود والنصارى والمجوس (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : هم الخليفة .

حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا منصور بن عبد الرحمن ، قال : قلت للحسن ، قوله (وَلَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) . قال : الناس مختلفون على أديان شتى ، إلا من رحم ربك ، فمن رحم غير مختلفين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أي ، عن حسن بن صالح ، عن ليث ، عن مجاهد (وَلَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحق .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن منصور بن عبد الرحمن ، قال : سئل الحسن ، عن هذه الآية (وَلَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : الناس كلهم مختلفون على أديان شتى (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) فمن رحم غير مختلف ، فقلت له : ولذلك خلقهم ، فقال : خلق هؤلاء لجنته ، وهؤلاء لناره ، وخلق هؤلاء لرحمته ، وخلق هؤلاء لعذابه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحق .

قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قوله (وَلَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الحق وأهل الباطل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحق .

قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحق ليس فيهم اختلاف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا بن يمان ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عكرمة (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : اليهود والنصارى (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل القبلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحق .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : لا يزالون مختلفين في الهوى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) فأهل رحمة الله أهل جماعة وإن تفرقت دورهم وأبدانهم ، وأهل معصيته أهل فرقة وإن اجتمعت دورهم وأبدانهم .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : من جعله على الإسلام .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الحسن بن واصل ، عن الحسن (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) .

قال : ثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحق .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا يزالون مختلفين في الرزق ، فهذا فقير ، وهذا غني . ذكر من قال ذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، أن الحسن قال : مختلفين في الرزق ، سفر بعضهم لبعض . وقال بعضهم : مختلفين في المغفرة والرحمة أو كما قال .

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وممل وأهواء شتى (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) فآمن بالله ، وصدق رسله ، فلم يمتدحوا في توحيد الله ، وتصديق رسله ، وما جاءهم من عند الله .

وإنما قلت : ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك ، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ففي ذلك دليل وإصح أن الذي قبله من ذكر

خبره عن اختلاف الناس ، إنما هو خبر عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار ، ولو كان خبراً عن اختلافهم في الرزق لم يعقب ذلك بالخبر عن عقابهم وعذابهم .
وأما قوله (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وللإختلاف خلقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع . وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) قال : للاختلاف .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، قال : ثنا منصور بن عبد الرحمن ، قال : قلت للحسن : ولذلك خلقهم ، فقال : خلق هؤلاء الجنة ، وخلق هؤلاء النار ، وخلق هؤلاء لرحمته ، وخلق هؤلاء لعذابه .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علي ، عن منصور ، عن الحسن ، مثله .
حدثني المثني ، قال : ثنا المعلى بن أسد ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن الحسن ، بنحوه .

قال : ثنا الحجاج بن المهمل ، قال : ثنا حماد ، عن خالد الحذاء ، أن الحسن قال في هذه الآية (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) قال : خلق هؤلاء لهذه ، وخلق هؤلاء لهذه .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هود بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، قال (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) قال : أما أهل رحمة الله فإنهم لا يختلفون اختلافاً يضرهم .
حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) قال : خلقهم فريقين : فريقاً يرحم فلا يختلف ، وفريقاً لا يرحم يختلف ، وذلك قوله (فَمِنْهُمْ شَقِيحٌ وَسَعِيدٌ) .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، في قواه (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : يهود ونصارى ومجوس (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : من جعله على الإسلام (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) قال : مؤمن وكافر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا شبيب ، قال : سئل مالك عن قول الله (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) ولذلك خلقهم قال : خلقهم ليكونوا فريقين : فريق في الجنة ، وفريق في السعير . وقال آخرون : بل معنى ذلك : وللرحمة خلقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن حسن بن صالح ، عن لبث ، عن مجاهد (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) قال : للرحمة .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (وَلَئِنْ خَلَقْنَاهُمْ) قال للرحمة .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .
 قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو حفص ، عن ليث ، عن مجاهد ،
 مثله ، إلا أنه قال : للرحمة خلقهم .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَئِنْ خَلَقْنَاهُمْ)
 قال : للرحمة خلقهم .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن ذكره عن ثابت ، عن الضحاك (وَلَئِنْ خَلَقْنَاهُمْ)
 قال : للرحمة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني الحكم بن
 أبان ، عن عكرمة (وَلَئِنْ خَلَقْنَاهُمْ) قال : أهل الحق ومن اتبعه لرحمته .
 حدثني سعد بن عبد الله ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن
 ابن عباس ، في قوله (وَلَا يَزَالُُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَئِنْ خَلَقْنَاهُمْ) للرحمة (خَلَقْنَاهُمْ)
 ولم يخلقهم للعذاب .

﴿ وَأَوَّلَى الْقَوْلِينَ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ ﴾ ، قول من قال : وللإختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم ، لأن الله جلّ
 ذكره ، ذكر صنفين من خلقه : أحدهما أهل إختلاف وباطل . والآخر أهل حق ثم عقب ذلك بقوله
 (وَلَئِنْ خَلَقْنَاهُمْ) ، فعمّ بقوله « وَلَئِنْ خَلَقْنَاهُمْ » صفة الصنفين ، فأخبر عن كل فريق منهما أنه
 ميسر لما خلق له .

﴿ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَإِنْ كَانَ تَأْوِيلُ ذَلِكَ كَمَا ذَكَرْتُ ، فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمُخْتَلِفُونَ غَيْرَ مَلُومِينَ عَلَى إِخْتِلَافِهِمْ ،
 إِذْ كَانَ لِذَلِكَ خَلْقُهُمْ رِبِّهِمْ ، وَأَنْ يَكُونَ الْمُتَمَتِّعُونَ هُمُ الْمَلُومِينَ ؟ قِيلَ : إِنْ مَعْنَى ذَلِكَ بِخِلَافِ مَا إِلَيْهِ ذَهَبَتْ .
 وَإِنَّمَا مَعْنَى الْكَلَامِ : وَلَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفِينَ بِالْبَاطِلِ مِنْ أَدْيَانِهِمْ وَمِلَلِهِمْ (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ)
 فهذه للحق ، ولعلمه ، وعلى علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم أنه يكون فيهم المؤمن والكافر ، والشقيّ
 والسعيد خلقهم ، فعنى اللام في قوله (وَلَئِنْ خَلَقْنَاهُمْ) بمعنى « على » كقولك للرجل : أكرمك على
 بركي ، وأكرمك لبركي .

وأما قوله (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَآنَ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) لعلمه السابق
 فيهم أنهم يستوجبون صليها بكفرهم بالله ، وإخلافهم أمره . وقوله (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ) قسم كقول
 القائل : حلفي لأزورك ، وبدا لي لا تينك ، ولذلك تلقيت بلام اليين .
 وقوله (مِنْ الْجِنَّةِ) وهى ما اجتن عن أبصار بنى آدم والناس ، يعنى : وبنى آدم ، وقيل : لأنهم
 سموا جنة ، لأنهم كانوا على الجنان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك : وإنما سموا الجنة أنهم كانوا على الجنان ، والملائكة كلهم جنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك ، قال : الجنة : الملائكة .

وأما معنى قول أبي مالك : هذا أن إبليس كان من الملائكة ، والجن ذريته ، وأن الملائكة تسمى عنده الجن لما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾

يقول تعالى ذكره (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ) يا محمد (مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ) الذين كانوا قبلك (مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) فلا تجزع من تكذيب من كذبتك من قومك ، ورد عليك ما جئتهم به ، ولا يضق صدرك ، فتترك بعض ما أنزلت إليك من أجل أن قالوا (لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ ، أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ) إذا علمت ما لى من قبلك من رسل من أممها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) قال : لتعلم ما لفيت الرسل قبلك من أممهم .

واختلف أهل العربية في وجه نصب كلا ، فقال بعض نحوي البصرة : نصب على معنى : ونقص عليك من أنباء الرسل ما ثبت به فؤادك كلا ؛ كأن الكل منصوب عنده على المصدر من نقص بتأويل : ونقص عليك ذلك كل القصص ، وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية ، وقال : ذلك غير جائز ، وقال : إنما نصب كلا بنقص ، لأن كلا بنيت على الإضافة كان معها إضافة أو لم يكن ، وقال : أراد كله نقص عليك ، وجعل ما ثبت ردًا على كلا ، وقد بينت الصواب من القول في ذلك .

وأما قوله (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وجاءك في هذه السورة الحق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن خليل بن جعفر ، عن أبي إياس ، عن أبي موسى (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع . وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن خليل بن جعفر ، عن أبي إياس معاوية بن قرّة ، عن أبي موسى : مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سعيد بن عامر ، قال : ثنا عوف ، عن أبي رجاء ، عن ابن عباس ، في قوله (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن عمرو العنبري ، عن ابن عباس (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن رجل من بني العنبر ، قال : خطبنا ابن عباس فقال (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : سمعت ابن عباس قرأ هذه السورة على الناس حتى بلغ (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عوف ، عن مروان الأصغر ، عن ابن عباس أنه قرأ على المنبر (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) فقال : في هذه السورة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (وَجَاءَكَ) في هذه السورة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبيرة ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : هذه السورة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعيد ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ)
قال : في هذه السورة .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال :
ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن البصري يقول في قول الله تعالى (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
الْحَقُّ) قال : يعني في هذه السورة .
وقال آخرون : معنى ذلك : وجاءك في هذه الدنيا الحق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالوا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة :
(وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) قال : في هذه الدنيا .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن قتادة
(وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) قال : كان الحسن يقول : في الدنيا .
وأولى التأويلين بالصواب في تأويل ذلك ، قول من قال : وجاءك في هذه السورة الحق ، لإجماع
الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله .
فإن قال قائل : أو لم يحى النبي صلى الله عليه وسلم الحق من سور القرآن إلا في هذه السورة ؟ فيقال :
وجاءك في هذه السورة الحق ، قيل له : بلى قد جاءه فيها كلها .
فإن قال : فما وجه خصوصه إذن في هذه السورة بقوله (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) ؟ قيل : إن معنى
الكلام : وجاءك في هذه السورة الحق مع ما جاءك في سائر سور القرآن ، أو إلى ما جاءك من الحق في سائر
سور القرآن ، لأن معناه : وجاءك في هذه السورة الحق دون سائر سور القرآن .
وقوله (وَمَوْعِظَةٌ) يقول : وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله ، وتبين لهم عبره ممن كفر به ،
وكذب رسله (وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول : وتذكرة تذكّر المؤمنين بالله ورسله كي لا يغفلوا عن
الواجب لله عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴾ ﴿١٦١﴾ ﴿ وَانظُرُوا إِلَيْنَا مِنْظُورًا ﴾ ﴿١٦٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للذين لا يصدقونك ، ولا يقرّون
بوحداية الله : اعملوا على مكانتكم ، يقول : على هيئتكم وتمكنكم ما أنتم عاملوه ، فلما عاملون ما نحن

عاملوه من الأعمال التي أمرنا الله بها ، وانتظروا ما وعدكم الشيطان ، فإننا منتظرون ما وعدنا الله من حربكم ونصرتنا عليكم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ) قال : يقول : انتظروا مواعيد الشيطان إياكم على ما يزين لكم إنا منتظرون .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١٧﴾

يقول تعالى ذكره لذبيعه محمد صلى الله عليه وسلم : والله يا محمد ملك كل ما غاب عنك في السماوات والأرض ، فلم تطلع عليه ، ولم تعلمه ، كل ذلك بيده وبعلمه ، لا يخفى عليه منه شيء ، وهو عالم بما يعملونه مشركو قومك ، وما إليه مصير أمرهم من إقامة على الشرك ، أو إقلاعه عنه وتوبته (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ) يقول : وإلى الله معاد كل عامل وعمله ، وهو مجاز جميعهم بأعمالهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ) قال : فيقضى بينهم بحكمه بالعدل . يقول (فَاَعْبُدْهُ) يقول : فاعبد ربك يا محمد (وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) يقول : وفوض أمرك إليه ، وثق به وبكفايته ، فإنه كافي من توكل عليه .

وقوله (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : وما ربك يا محمد بساه عما يعمل هؤلاء المشركون من قومك ، بل هو محيط به لا يعزب عنه شيء منه ، وهو لهم بالمرصاد ، فلا يحزنك إعراضهم عنك ، ولا تكذبيهم بما جثتهم به من الحق ، وامض لأمر ربك فإنك بأعيننا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب ، قال : خاتمة التوراة ، خاتمة هود .

آخر تفسير سورة هود ، والحمد لله المعبود المقصود .

(١٢) سُوْرَةُ يُوسُفَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْخَلَاءُ عَشْرَةٌ وَمِائَتٌ

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾

حدثني أبو جعفر محمد بن جرير : قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل ، في تأويل قوله (الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) ، والقول الذي نختاره في تأويل ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته ههنا .

وأما قوله (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : تلك آيات الكتاب المبين : بين حلاله وحرامه ، ورشده وهداه .

ذكر من قال ذلك

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا الوليد بن سلمة الفلستيني ، قال : أخبرني عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، في قول الله تعالى (الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) قال : بين حلاله وحرامه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) أي والله لمبين تركيبه هداة ورشده .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) قال : بين الله رشده وهداه .

وقال آخرون في ذلك بما حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا الوليد بن سلمة ، قال : ثنا ثور ابن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن معاذ أنه قال في قول الله عز وجل (الْكِتَابِ الْمُبِينِ) قال بين الحروف التي سقطت عن ألسن الأعاجم وهي ستة أحرف .

والصواب من القول في ذلك عندى أن يقال : معناه : هذه آيات الكتاب المبين ، لمن تلاه وتدبر مافيه ، من حلاله وحرامه ونهيه ، وسائر ما حواه من صنوف معانيه ، لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه مبين ، ولم يخص إبانته عن بعض ما فيه دون جميعه ، فذلك على جميعه ، إذ كان جميعه مبينا عما فيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾

يقول تعالى ذكره : إنا أنزلنا هذا الكتاب المبين قرآنا عربيا على العرب ، لأن لسانهم وكلامهم عربى ، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ، ليعقلوه ، ويفقهوا منه ، وذلك قوله عز وجل (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِيسَ

الْغَافِلِينَ ﴿٤﴾

❦ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : نحن نقص عليك يا محمد أحسن القصص بوحينا إليك هذا القرآن ، فنخبرك فيه عن الأخبار الماضية ، وأنباء الأمم السالفة ، والكتب التي أنزلناها في العصور الخالية (وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) يقول تعالى ذكره : وإن كنت يا محمد من قبل أن نوحيه إليك لمن الغافلين عن ذلك ، لا تعلمه ، ولا شيئا منه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) من الكتب الماضية ، وأمور الله السالفة في الأمم (وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسئلة أصحابه إياه أن ينقص عليهم .

ذكر الرواية بذلك

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا حكام الرازي ، عن أيوب ، عن عمرو الملائى ، عن ابن عباس ، قال : قالوا : يا رسول الله ، لو قصصت علينا ؟ قال : فنزلت (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أيوب بن سيار أبي عبد الرحمن ، عن عمرو بن قيس ، قال : قالوا : يا نبي الله ، فذكر مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن المسعودي ، عن عون بن عبد الله ، قال : مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة ، فقالوا : يا رسول الله حدثنا ، فأنزل الله عز وجل (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ) ، ثم ملوا ملة أخرى فقالوا : يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن ، يعنون القصص ، فأنزل الله (الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) ، فأرادوا الحديث ، فدلهم على أحسن الحديث ، وأرادوا القصص ، فدلهم على أحسن القصص .

حدثنا محمد بن سعيد العطار ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا خلاد الصفار ، عن عمرو بن قيس ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد ، قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ، قال : فتلاه عليهم زمانا ، فقالوا : يا رسول الله ، لو قصصت علينا ؟ فأنزل الله (الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) . . . إلى قوله (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) . . . الآية . قال : ثم تلاه عليهم زمانا ، فقالوا : يا رسول الله لو حدثتنا ؟ فأنزل الله تعالى (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا) قال خلاد : وزادوا فيه رجلا

آخر ، قالوا : يا رسول الله ، أو قال أبو يحيى : ذهبت من كتابي كلمة ، فأنزل الله (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿١٥١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإن كنت يا محمد لمن الغافلين عن نبي يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحاق : يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا : يقول : إنى رأيت فى منامى أحد عشر كوكبا . وقيل : إن رؤيا الأنبياء كانت وحيا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) قال : كانت رؤيا الأنبياء وحيا .

وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) قال : كانت الرؤيا فيهم وحيا . وذكر أن الأحد العشر الكواكب التي رآها فى منامه ساجدة مع الشمس والقمر ، ما حدثني على بن سعيد الكندى ، قال : ثنا الحكم بن ظهير ، عن السدى ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر ، قال : « أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من يهود يقال له بستانة اليهودى ، فقال له : يا محمد أخبرنى عن الكواكب التي رآها يوسف ساجدة له ، ما أسماؤها ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يجبه بشيء ، ونزل عليه جبرئيل وأخبره بأسمائها ، قال : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، فقال : هل أنت مؤمن ؟ إن أخبرتك بأسمائها ؟ قال : نعم ، فقال : جَرَّبانُ والطَّارِقُ ، والدَّيَّالُ ، وذُو الكَتِيفَيْنِ ، وقَابَسٌ ، وَوَثَّابٌ ، وعمودَانِ ، والفَلَيْقُ ، والمُصْبِحُ ، والضَّرُوحُ ، وذُو الفَرَّغِ ، والضِّيَاءُ ، والنورُ ، فقال اليهودى : والله إنها لأسماؤها . »

وقوله (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) يقول : والشمس والقمر رأيتهم فى منامى سجودا . وقال (سَاجِدِينَ) والكواكب والشمس والقمر إنما يخبر عنها بفاعلة وفاعلات ، لا بالواو والنون ، إنما هى علامة جمع أسماء ذكور بنى آدم أو الجن أو الملائكة . وإنما قيل ذلك كذلك ، لأن السجود من أفعال من يجمع أسماء ذكورهم بالياء والنون ، أو الواو والنون ، فأخرج جمع أسمائها مخرج جمع أسماء من يفعل ذلك ، كما قيل (يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِينَكُمْ) وقال : رأيتهم وقد قيل : إنى رأيت أحد عشر كوكبا ، فكرر الفعل ، وذلك على لغة من قال : كلمت أخاك كلمته ، توكيدا للفعل بالتكرير . وقد قيل : إن الكواكب الأحد عشر كانت إخوته ، والشمس والقمر أبويه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) إخوته أحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر ، يعنى بذلك : أبويه .
حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا شريك ، عن السدي ، في قوله (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) . . . الآية ، قال : رأى أبويه وإخوته سجودا له ، فإذا قيل له عمن قال إن كان حقا ، فإن ابن عباس فسرہ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) قال : الكواكب : إخوته ، والشمس والقمر : أبواه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) إخوته (وَالشَّمْسَ) أمه (وَالْقَمَرَ) أبوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : قال سفيان : كان أبويه وإخوته .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک ، قوله (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) هم إخوة يوسف (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) هما أبواه .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) . . . الآية ، قال : أبواه وإخوته . قال : فنعاه إخوته وكانوا أنبياء ، فقالوا : مارضى أن يسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه حين بلغهم .

وروى عن ابن عباس أنه قال : الكواكب إخوته ، والشمس والقمر : أبوه ونخالته ، من وجه غير محمود ، فكرهت ذكره .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ يَبْنَئِي لَأَنْقَضُصُ رُءُوكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾

❦ يقول جل ذكره (قَالَ) يعقوب لابنه يوسف (يَا بُنَيَّ لَأَنْقَضُصُ رُءُوكَ) هذه (عَلَى إِخْوَتِكَ) فيحسدوك (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) يقول : فيبغوك الغوائل ، ويناصبوك العداوة ، ويطيعوا فيك الشيطان (إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) يقول : إن الشيطان لآدم وبنيه عدو ، وقد أبان لهم عداوته وأظهرها . يقول : فاحذر الشيطان أن يغري إخوتك بك ، بالحسد منهم لك إن أنت قصصت عليهم رويك . وإنما قال يعقوب ذلك ، لأنه قد كان تبين له من إخوته قبل ذلك حسده .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزي ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : نزل يعقوب الشام ، فكان همه يوسف وأخاه ، فحسده إخوته لما رأوا حبّ أبيه له ، ورأى يوسف في المنام كأن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رآهم له ساجدين فحدث بها أباه فقال (يا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) . . . الآية .

واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) فقال بعض نحوي البصرة : معناه : فيتخذوا لك كيذا ، وليست مثل (إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) تلك أرادوا أن يوصل الفعل إليها باللام ، كما يوصل بالباء ، كما تقول : قدمت له طعاما : تريد قدمت إليه . وقال : (يَا كُلُّنَا مَا قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ) ، ومثله قوله (قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ) قال : وإن شئت كان : فيكيدوا لك كيذا ، في معنى : فيكيدوك ، وتجعل اللام مثل (لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) وقد قال لربهم يرهبون ، إنما هو بمكان : ربهم يرهبون . وقال بعضهم : أدخلت اللام في ذلك ، كما تدخل في قولهم : حمدت لك ، وشكرت لك ، وحمدتك ، وشكرتك ، وقال : هذه لام عليها الفعل ، فكذلك قوله (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) تقول : فيكيدوك ، ويكيدوا لك فيقصدوك ، ويقصدوا لك ، قال : وكيدا : توكيد .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ
كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل يعقوب لابنه يوسف ، لما قص عليه رؤياه (وكذلك يجتبيك ربك) وهكذا يجتبيك ربك . يقول : كما أراك ربك الكواكب والشمس والقمر لك سجودا ، فكذلك يصطفيك ربك .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن العنقزي ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة (وكذلك يجتبيك ربك) قال : يصطفيك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وكذلك يجتبيك ربك) ، وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فاجتباها واصطفاه وعلمه من عبر الأحاديث ، وهو تأويل الأحاديث . وقوله (وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) يقول : ويعلمك ربك من علم ما يثول إليه أحاديث الناس عما يرونه في منامهم ، وذلك تعبير الرؤيا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) قال : عبارة الرؤيا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ

(الأحاديث) قال : تأويل الكلام : العلم والحلم ، وكان يوسف أعبر الناس ، وقرأ (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) .

وقوله (وَيُسَمِّي نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) باجتماعه إياك ، واختياره وتعليمه إياك تأويل الأحاديث (وعلى آل يعقوب) يقول : وعلى أهل دين يعقوب وملته ، من ذريته وغيرهم (كَمَا أَتَمَّمَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ) باتخاذهما هذا خليلا ، وتنجيته من النار ، وفدية هذا بذبح عظيم . كالذي حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن عكرمة ، في قوله (وَيُسَمِّي نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) وعلى آل يعقوب كَمَا أَتَمَّمَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ) قال : فنعمته على إبراهيم أن نجاه من النار ، وعلى إسحاق أن نجاه من الذبح . وقوله (إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول : إن ربك عليم بمواضع الفضل ، ومن هو أهل للاجتماع والنعمة ، حكيم في تدبيره خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

* لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ) الأحد عشر (آيَاتٌ) يعني عبرة وذكر (لِلِّسَّائِلِينَ) يعني السائلين عن أخبارهم وقصصهم . وإنما أراد جل ثناؤه بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه يقال : إن الله تبارك وتعالى إنما أنزل هذه السورة على نبيه ، يعلمه فيها ما لقي يوسف من إخوته وإذابته من الحسد ، مع تكرمه الله إياه ، تسلياً له بذلك ، مما يلقي من إذابته وأقاربه من مشركي قريش . كذلك كان ابن إسحاق يقول .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة : عن ابن إسحاق ، قال : إنما قص الله تبارك وتعالى على محمد خبر يوسف ، وبغى إخوته عليه ، وحسداهم إياه حين ذكر رؤياه لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بغى قومه وحسداه حين أكرمه الله عز وجل بنبوته ليتأسى به .

واختلفت القراء في قراءة قوله (آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ) فقرأته عامة قراء الأمصار آيات على الجماع . وروى عن مجاهد وابن كثير أنهما قرأ ذلك على التوحيد .

والذي هو أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك على الجماع ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : لقد كان في يوسف وإخوته آيات لمن سأل عن شأنهم ، حين قالوا لإخوة يوسف (لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ) من أمه (أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ) يقولون : ونحن جماعة ذوو عدد

أحد عشر رجلاً، والعصبة من الناس هم عشرة فصاعداً، قيل إلى خمسة عشر فصاعداً عشر، ليس لها واحد من لفظها، كالنفر والرهط (إِنَّ أَبَانَا لَنَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) يعنون: إن أبانا يعقوب لنى خطأ من فعله، في إشارته يوسف وأخاه من أمه علينا بالهبة، ويعنى بالمبين أنه خطأ، يبين عن نفسه أنه خطأ لمن تأمله ونظر إليه، وبتحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو بن محمد العنقزي، عن أسباط، عن السدي (إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا) قال: يعنون بنيامين، قال: وكانوا عشرة.
قال: ثنا عمرو بن محمد، عن أسباط، عن السدي (إِنَّ أَبَانَا لَنَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) قال: في ضلال من أمرنا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) قال: العصبة: الجماعة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾

يقول جل ثناؤه: قال إخوة يوسف بعضهم لبعض: اقتلوا يوسف أو اطرحوه في أرض من الأرض يعنون مكاناً من الأرض (يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ) يعنون: يخل لكم وجه أبيكم من شغله بيوسف، فإنه قد شغله عنا، وصرف وجهه عنا إليه (وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) يعنون أنهم يتوبون من قتلهم يوسف، وذنبيهم الذي يركبونه فيه، فيكونون بتوبتهم من قتله من بعد هلاك يوسف قوماً صالحين. وبتحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو بن محمد، عن أسباط، عن السدي (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ) وبتحو الذي قلنا في ذلك، قال: تتوبون مما صنعتم، أو من صنعكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبِكِ الْجَبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾

يقول تعالى ذكره: قال قائل من إخوة يوسف (لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ) وقيل إن قائل ذلك روبيل كان ابن خالة يوسف.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ) ذكر لنا أنه روبيل كان أكبر القوم ، وهو ابن خالة يوسف ، فنهاهم عن قتله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (اقْتُلُوا يُوسُفَ) . . . إلى قوله (إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) قال : ذكر لي والله أعلم أن الذي قال ذلك منهم روبيل الأكبر من بني يعقوب ، وكان أقصدهم فيه رأيا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ) قال : كان أكبر إخوته ، وكان ابن خالة يوسف ، فنهاهم عن قتله . وقيل : كان قاتل ذلك منهم شمعون .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ) قال : هو شمعون . وقوله (وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ) يقول : وألقوه في قعر الجب حيث يغيب خبره . واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة (غَيَابَاتِ الْجُبِّ) على الجماع . وقرأ ذلك عامة قراء سائر الأمصار (غَيَابَةِ الْجُبِّ) بتوحيد الغيبة . وقراءة ذلك بالتوحيد أحب إلى ، والجب : بئر . وقيل : إنه اسم بئر بيت المقدس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ) قال : بئر بيت المقدس .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (غَيَابَةِ الْجُبِّ) قال : بئر بيت المقدس . والغيبة : كل شيء غيب شيئا فهو غيبة ، والجب : البئر غير المطوية . وبهجو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ) في بعض نواحيها : في أسفلها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة ، قوله (وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ) يقول : في بعض نواحيها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، مثله .

نجدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَأَلْقَوْهُ فِي غِيَابَةِ الْحُبِّ) قال : قالها كبيرهم الذي تخلف ، قال : والحب : بئر بالشأم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
(الْقَوَاهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ) يعني : الركية .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : الجبّ : البئر .

وقوله (يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ) يقول : يأخذه بعض مارّة الطريق من المسافرين (إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) يقول : إِنْ كُنْتُمْ فاعلين ما أقول لكم ، فذكر أنه التقطه بعض الأعراب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ) قال : التقطه ناس من الأعراب .

وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ (تَلَسَّقِيْطُهُ بِعَعْضِ السَّيَّارَةِ) بالتاء ، حدثني بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنى حجاج ، عن هارون ، عن مطر الوراق ، عن الحسن ، وكان الحسن ذهب في تأنيثه بعض السيارة ، إلى أن فعل بعضها فعلها ، والعرب تفعل ذلك في خبر كان عن المضاف إلى مؤنث يكون الخبر عن بعضه خبراً عن جميعه ، وذلك كقول الشاعر :

أَرَى مَرَّةً السَّنِينَ أَخَذَنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السَّرَّارُ مِنَ الْهَيْلَالِ ١
فَقَالَ : أَخَذَنَ مِنِّي ، وَقَدْ ابْتَدَأَ الْخَبْرَ عَنِ الْمَرَادِ ، إِذْ كَانَ الْخَبْرُ عَنِ الْمَرَّةِ خَبْرًا عَنِ السَّنِينَ ، وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ :
إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ سَيِّدٌ فَدَعَانَتْ لَهُ أَهْلُ الْقُرَى وَالْكَثَائِسِ ٢

فقال : دانت له ، والخبر عن أهل القرى ، لأن الخبر عنهم كالخبر عن القرى ، ومن قال ذلك ، لم يقل : فدانت له غلام هند ، لأن الغلام لو أتى من الكلام . لم تدلّ هند عليه . كما يدل الخبر عن القرية على أهلها ، وذلك أنه لو قيل : فدانت له القرى ، كان معلوماً أنه خبر عن أهلها ، وكذلك بعض السيارة ، لو ألقى البعض ، فقيل : تلتقطه السيارة ، علم أنه خبر عن البعض أو الكل ، ودلّ عليه الخبر عن السيارة .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا نَأْمُرُكَ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِاحُونَ ﴿١١﴾

❦ يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف إذ تأمرنا بينهم ، وأجمعوا على الفرقة بينه وبين والده يعقوب

(١) السرار : الليلة التي يخفى فيها الهلال آخر الشهر . والشاهد في أخذن ، فقد أنثه بالنون ، التي تعود على مر السنين ، لأن المر وإن كان مذكرا إلا أنه لما أضيف إلى السنين ، اكتسب منها التأنيث .

(٢) البيت من شواهد الكسائي أورده الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ج ٢ ص ١٥٠ - ١٥١) قال الفراء :
والعرب إذا أضافت المذكر إلى المؤنث ، وهو فعل له أو بعض له ، قالوا فيه بالتأنيث والتذكير ، وأنشدونا . . . أورد بعض
شواهد منها بيت الشاهد . ثم قال : وإنما جاز هذا كله ، لأن الثاني يكنى من الأول ؛ ألا ترى أنه لو قال : تلتقطه السيارة ، لجاز
وكنى من بعض . ولا يجوز أن يقول : ضربتني غلام جاريتك ، لأنك لو ألقيت الغلام ، لم تدخل الجارية على معناه .

لوالدهم يعقوب (يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَى يَوْسُفَ) فتركه معنا إذا نحن خرجنا خارج المدينة إلى الصحراء (وَنَحْنُ لَهُ نَاصِحُونَ) نحوطه ونكأوه .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾

واختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة (يَرْتَع وَيَلْعَب) بكسر العين من يرتع وبالياء في يرتع ويلعب ، على معنى : يفتعل من الرعى : ارتعت فأنا أرتعى ، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى : أرسله معنا غدا يرتع الإبل ، ويلعب (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) .
وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب) بالياء في الحرفين جميعا ، وتسكين العين من قولهم : رتع فلان في ماله : إذا هلى فيه ونعم ، وأنفقه في شهواته ، ومن ذلك قولهم في مثل من الأمثال : القيد والرتعة ؛ ومنه قول القطامي :

أَكُنْمُرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمِثَّةَ الرِّتَاعَا

وقرأ بعض أهل البصرة (نَرْتَع) بالنون (وَنَلْعَب) بالنون فيهما جميعا ، وسكون العين من نرتع .
حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : كان أبو عمرو يقرأ (نَرْتَع وَنَلْعَب) بالنون ، قال : فقلت لأبي عمرو : كيف يقولون : نلعب وهم أنبياء ؟ قال : لم يكونوا يومئذ أنبياء .

وأولى القراءة في ذلك عندى بالصواب ، قراءة من قرأ في الحرفين كليهما بالياء ، ويجزم العين في يرتع ، لأن القوم إنما سألوا إياهم إرسال يوسف معهم ، وخدعوه بالخبر عن مسألتهم إياه ذلك عما ليوست في إرساله معهم من الترح والسرور والنشاط ، بخروجه إلى الصحراء وفسحتها ، ولعبه هنالك ، لا بالخبر عن أنفسهم . وبذلك أيضا جاء تأويل أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب) يقول : يسع وينشط .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (يَرْتَع وَيَلْعَب) قال : يلهو ، وينشط ، ويسعى .

(١) البيت للقطامي (اللسان : عطا) قال : وقول القطامي : « وبعد عطائك . . الخ » ليس على حذف الزيادة ، ألا ترى أن في عطا ألف فعال الزائدة ، ولو كان على حذف الزيادة لقال : « وبعد عطوك » . وقال البغدادى في الخزانة (٣ : ٤٤٢) شاهد على أن العطاء هنا بمعنى الإعطاء ، ولهذا عمل عمله . والمفعول الثانى مخذوف ، أى بعد إعطائك المنة الرتاع إياى . قال : وأورده شراح الألفية على أن العطاء اسم مصدر . وهو من قصيدة يمدح بها القطامي زفر بن الحارث الكلابى ، وحض قيسا وتغلب على الصلح . قال : وقال شارح ديوان الرتاع : البراعية . يقول : ألحونك بعد هذا وقد مننت على وأطلقتى . وفى اللسان : الرتع : الرعى فى الحصب . اهـ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : ينشط ، ويلهو .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، بنحوه .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : يسعى ، ويلهو .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قوله (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : يتلهى ويلعب .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : يتلهى ويلعب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : ينشط ويلعب .

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) : يلهو .
قال : ثنا حسين بن علي ، عن شيبان ، عن قتادة (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : ينشط ، ويلعب .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا نعيم بن ضمضم العامري ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم ، في قوله (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : يسعى ، وينشط .
وكان الذين يقرعون ذلك (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) بكسر العين من يرتع ، يتأولونه على الوجه الذي حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) قال : يرعى غنمه ، وينظر ويعقل ، فيعرف ما يعرف الرجل .

وكان مجاهد يقول في ذلك بما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، (قواه) (نَرْتَعْ) : يحفظ بعضنا بعضا ، نتكالا ، نتحارس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (نَرْتَعْ) قال : يحفظ بعضنا بعضا : نتكالا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .
وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، بنحوه .
فتأويل الكلام : أرسله معنا غدا نلهو ونلعب وننعم ، وننشط في الصحراء ، ونحن حافظوه من أن يناله شيء يكرهه أو يؤذيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لهم : إني ليحزني أن تذهبوا به معكم إلى الصحراء ، مخافة عليه من الذئب أن يأكله ، وأنتم عنه غافلون لا تشعرون .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَسِرُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف لوالدهم يعقوب : لئن أكل يوسف الذئب في الصحراء ، ونحن أحد عشر رجلا معه نحفظه ، وهم العصبة : (إِنَّا إِذًا لَّخَسِرُونَ) يقول : إنا إذا العجزة هالكون .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْحَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾

وفي الكلام متروك حذف ذكره اكتفاء بما ظهر عما ترك ، وهم فأرسله معهم ، فلما ذهبوا به ، (واجتمعوا) يقول : واجمع رأيهم وعزموا على (أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْحَبِّ) .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قوله (إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ) . . . الآية ، قال : لن أرسله معكم ، إني أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون (قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَسِرُونَ) فأرسله معهم ، فأخرجوه وبه

عليهم كرامة ؛ فلما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة ، وجعل أخوه يضربه ، فيستغيث بالآخر فيضربه ، فجعل لا يرى منهم رحما ، فضر به حتى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح ويقول : يا أبتاه يا يعقوب ، لو تعلم

ما صنع بابنك بنو الإماء ؛ فلما كادوا يقتلونه قال يهوذا : أليس قد أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه ، فانطلقوا به إلى الحب ليطرحوه ، فجعلوا يدلونه في البئر ، فيتعلق بشفير البئر ، فربطوا يديه ، ونزعوا قميصه ،

فقال : يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتواري به في الحب ؛ فقالوا : ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك ، قال : إني لم أر شيئا ، فدلوه في البئر ، حتى إذا بلغ نصفها القوة إرادة أن يموت ، وكان

في البئر ماء ، فسقط فيه ، ثم أوى إلى صخرة فيها ، فقام عليها ؛ قال : فلما ألقوه في البئر جعل يبكي ، فنادوه ، فظن أنها رحمة أدركتهم ، فلباهم ، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه ، فقام يهوذا فمنعهم ،

وقال : قد أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه ، وكان يهوذا يأتيه بالطعام وقوله (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا) فأدخلت الواو في الجواب ، كما قال امرؤ القيس :

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى بَيْنَا بَطْنُ حَبْتِ ذِي حِقَافٍ عَمَقْنَقْلٍ ١
فَادْخَلَ الْوَاوِ فِي جَوَابِ لَمَّا ، وَإِنَّمَا الْكَلَامُ : فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ انْتَحَى بِنَا ، وَكَذَلِكَ (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا) لَأَنَّ قَوْلَهُ « أَجْمَعُوا » هُوَ الْجَوَابُ .

وقوله (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ) يقول : وأوحينا إلى يوسف لتخبرن إخوتك بأمرهم هذا : يقول : بفعلهم هذا الذي فعلوه بك (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) يقول : وهم لا يعلمون ولا يدرون . ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عناه الله عز وجل بقوله (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) فقال بعضهم : عني بذلك : أن الله أوحى إلى يوسف أن يوسف سينبئ إخوته بفعلهم به ما فعلوه من إلقاءه في الحب ، وبيعهم إياه ، وسائر ما صنعوا به من ضيعهم ، وإخوته لا يشعرون بوحي الله إليه بذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ) إلى يوسف .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا) قال : أوحينا إلى يوسف : لتنبئن إخوتك .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) قال : أوحى إلى يوسف وهو في الحب أن سينبئهم بما صنعوا ، وهم لا يشعرون بذلك الوحي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ) قال : إلى يوسف .

وقال آخرون : معنى ذلك : وأوحينا إلى يوسف بما إخوته صانعون به ، وإخوته لا يشعرون بإعلام الله إياه بذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بما أطلع الله عليه يوسف من أمرهم وهو في البر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ)

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر (مختار الشعر الجاهل بشرح مصطلحي السقا ، طبعة الحلبي ص ٢٧) وأجزنا : قطعنا . والساحة : الفناء . والحي : القبيلة ، والجمع الأحياء . وانتحى : اعترض . والحب : أرض مطمئنة ، والحقف من الرمل : المعوج . ويروي : ركام ، أي بعضه فوق بعض : والعنقل : المتعقد ، المتداخل . ويروي : ذى قفاف ، جمع قف : وهو ما غلط وارتفع من الأرض ، ولم يبلغ أن يكون جبلا بعضه في بعض . قال الزوزني في شرحه للمفصلات السبع : وزعم أبو عبيدة وأكثر الكوفيون أن الواو في : وانتحى مقحمة زائدة ، وهو عندهم جواب لما . قال : وكذلك قولهم في الواو في قوله تعالى : « ونادينا أن يا إبراهيم » . والواو لا تقحم زائدة في جواب لما عند البصريين ، والجواب يكون محذوفا في مثل هذا الموضع ، تقديره في البيت : فلما كان كذا وكذا تنعمت وتمتع بها ، والجواب قوله : « بصرت » . وفي الآية : فإزا وظفرا بما أحبا . وحذف جواب لما كثير في التنزيل وكلام العرب .

(لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) قال : أوحى الله إلى يوسف وهو في الحب أن ينبئهم بما صنعوا به ، وهم لا يشعرون بذلك الوحي .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة بنحوه ، إلا أنه قال : أن سينبئهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن يوسف سينبئهم بصنيعهم به ، وهم لا يشعرون أنه يوسف . ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) يقول : وهم لا يشعرون أنه يوسف .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا صدقة بن عبادة الأسدي ، عن أبيه ، قال : سمعت ابن عباس يقول : لما دخل إخوة يوسف ، فعرفهم وهم له منكرون ، قال : جيء بالنصواح فوضعه على يده ، ثم نقره ، فطن ، فقال : إنه ليخبرني هذا الحمام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف يدنيه دونكم ، وإنكم انطلقتم به ، فألقيتموه في غيابة الحب ، قال : ثم نقره ، فطن ، ، فأنتم أباكم فقلتم : إن الذئب أكله . وجئتم على قميصه بدم كذب . قال : فقال بعضهم لبعض : إن هذا الحمام ليخبره بخبركم ، قال ابن عباس : فلا نرى هذه الآية نزلت إلا فيهم (لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَلْعِنَةٍ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾

يقول جل ثناؤه : وجاء إخوة يوسف أباهم بعدما ألقوا يوسف في غيابة الحب (عِشَاءَ يَبْكُونَ) وقيل : إن معنى قوله (نَسْتَبِقُ) نتفضل من السباق .

كما حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أقبلوا على أبيهم عشاء يبكون . فلما سمع أصواتهم ، فزع وقال : ما لكم يا بني ؟ هل أصابكم في غنمكم شيء ؟ قالوا : لا . قال : فما فعل يوسف ؟ قالوا : يا أبانا (إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَلْعِنَةٍ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ) فبكى الشيخ وصاح بأعلى صوته وقال : أين القميص ؟ فجاءوه بالقميص عليه دم كذب ، فأخذ القميص فطرحه على وجهه ، ثم بكى حتى تخضب وجهه من دم القميص .

وقوله (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا) يقولون : وما أنت بمصدقنا على قيلنا إن يوسف أكله الذئب (وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) .

كما حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا عمرو بن محمد . عن أسباط ، عن السدي (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا)

قال : بمصدق لنا (وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) ١ إما خبر عنهم أنهم غير صادقين ، فذلك تكذيب منهم أنفسهم ، أو خبر منهم عن أبيهم أنه لا يصدقهم لو صدقوه ، فقد علمت أنهم لو صدقوا أباهم الخبر صدقهم ؟ قيل : ليس معنى ذلك بواحد منهما ، وإنما معنى ذلك : وما أنت بمصدق لنا ولو كنا من أهل الصدق الذين لا يهتمون لسوء ظنك بنا وتهمتك لنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) وسماه الله كذباً ، لأن الذين جاءوا بالقميص وهو فيه كذبوا ، فقالوا ليعقوب : هو دم يوسف : ولم يكن دمه ، وإنما كان دم سخلة ٢ فيا قيل ، ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سخلة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سخلة شاة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سخلة ، يعني : شاة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سخلة شاة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : كان ذلك الدم كذباً ، لم يكن دم يوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سخلة شاة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : بدم سخلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : ذبحوا جدياً من الغنم ، ثم لطخوا القميص بدمه ، ثم أقبلوا إلى أبيهم ، فقال يعقوب : إن كان هذا الذئب لرحيماً كيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه ؟ يا بني يا يوسف ما فعل بك بنو الإماء ؟

(١) لعله : فإن قال قائل : قوله : ولو كنا . . . الخ .

(٢) السخلة : ولد الشاة : من المعز والضأن ، ذكرها كان أو أنثى .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفیان الثوري ، عن سماك بن حرب ، عن سعيد ابن جبیر ، عن ابن عباس (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : لو أكله السبع لخرق القميص . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالده ، قال : ثنا سفیان بإسناده عن ابن عباس مثله ، إلا أنه قال : لو أكله الذئب لخرق القميص .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفیان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، في قوله (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : لو كان الذئب أكله لخرقه . حدثني عبيد الله بن أبي زياد ، قال : ثنا عثمان بن عمرو ، قال : ثنا قرّة ، عن الحسن ، قال : جيء بقميص يوسف إلى يعقوب ، فجعل ينظر إليه فيرى أثر الدم ، ولا يرى فيه خرقا ، قال : يا بني ما كنت أعهد الذئب حلما .

حدثنا أحمد بن عبد الصمد الأنصاري ، قال : ثنا أبو عاصم العمدي ، عن قرّة ، قال : سمعت الحسن يقول : لما جاءوا بقميص يوسف ، فلم ير يعقوب شكّا ، قال : يا بني ، والله ما عهدت الذئب حلما . حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، عن عمران بن مسلم ، عن الحسن ، قال : لما جاء إخوة يوسف بقميصه إلى أبيهم ، قال : جعل يملّبه ، فيقول : ما عهدت الذئب حلما ، أكل ابني ، وأبقى على قميصه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : لما أتوا نبي الله يعقوب بقميصه ، قال : ما أرى أثر سبع ولا طعن ولا خرق . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِدَمٍ كَذِبٍ) الدم كذب ، لم يكن دم يوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مجالد ، عن الشعبي ، قال : ذبحوا جدليا ، ولطخوه من دمه ، فلما نظر يعقوب إلى القميص صحيفا ، عرف أن القوم كذبوه ، فقال لهم : إن كان هذا الذئب حلما ، حيث رحم القميص ، ولم يرحم ابني ، فعرف أنهم قد كذبوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفیان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : لما أتى يعقوب بقميص يوسف ، فلم ير فيه خرقا ، قال : كذبتكم ، لو أكله السبع لخرق قميصه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق الأزرق ، ويعلى ، عن زكريا ، عن سماك ، عن عامر ، قال : كان في قميص يوسف ثلاث آيات حين جاءوا على قميصه بدم كذب . قال : وقال يعقوب : لو أكله الذئب لخرق قميصه . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد . قال : ثنا زكريا ، عن سماك ، عن عامر ، قال : إنه كان يقول : في قميص يوسف ثلاث آيات ، حين أتى على وجه أبيه فارتدت بصيرا ، وحين قد من دبر ، وحين جاءوا على قميصه بدم كذب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سيبك ، عن عامر ، قال : كان في قميص يوسف ثلاث آيات : الشق ، والدم ، وألقاه على وجه أبيه فارتد بصيرا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرّة ، عن الحسن ، قال : لما جرى بقميص يوسف إلى يعقوب ، فرأى الدم ، ولم ير الشق ، قال : ما عهدي الذئب حلما .

قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا قرّة ، عن الحسن ، بمثله .

فإن قال قائل : كيف قيل (بدم كذب) وقد علمت أنه كان دما لاشك فيه ، وإن لم يكن كان دم يوسف ؟ قيل : في ذلك من القول وجهان : أحدهما : أن يكون قيل (بدم كذب) لأنه كذب فيه كما يقال : الليلة الهلال ، وكما قيل : (فَمَا رَجَعَتْ تِجَارَتُهُمْ) وذلك قول كان بعض نحوي البصرة يقوله . والوجه الآخر : وهو أن يقال : هو مصدر بمعنى مفعول ، وتأويله : وجاءوا على قميصه بدم مكذوب ، كما يقال : ماله عقل ولا معقول ، ولا له جلد ، ولا له مجلود ، والعرب تفعل ذلك كثيرا ، تضع مفعولا في موضع المصدر ، والمصدر في موضع مفعول ، كما قال الراعي :

حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرَكُوا لِعِظَامِهِمْ لَحْمًا وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولًا

وذلك كان يقوله بعض نحوي الكوفة .

وقوله (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا) يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لبنيه الذين أخبروه أن الذئب أكل يوسف مكذبا لهم في خبرهم ذلك : ما الأمر كما تقولون (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا) يقول : بل زينت لكم أنفسكم أمرا في يوسف وحسنته ففعلتموه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا) قال : يقول : بل زينت لكم أنفسكم أمرا .

وقوله (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) يقول : فصبري على ما فعلتم بي في أمر يوسف ، صبر جميل ، أو فهو صبر جميل . وقوله (وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) يقول : والله أستعين على كفايتي شر ما تصفون من الكذب . وقيل : إن الصبر الجميل : هو الصبر الذي لا جزع فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) قال : ليس فيه جزع .

(١) البيت للراعي النميري ، من قصيدة له يمدح عبد الملك بن مروان ويشكو من السعاة (جباة الزكاة) . وقد وردت في جمهرة أشعار العرب لابن أبي الخطاب القرشي (ص ١٧٢ - ١٧٦) يقول : إن السعاة ضربوا عريف القوم وهو رئيسهم بالسياط الأصباحية (في البيت قبله) حتى لم يتركوا على عظامه لحما ، ولا أبقوا في فؤاده عقلا . والمقول : مصدر بمعنى العقل . وأورده الفراء في معاني القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ج ٢ ص ١٥١) قال : وقوله « وجاءوا على قميصه بدم كذب » معناه مكذوب . والعرب تقول : للكذب مكذوب ، وليس له عقد رأي ، ومعقود رأي ، فيجعلون المصدر في كثير من الكلام مفعولا ، ويقولون : هذا أمر ليس له معنى ، يريدون معنى ، قال الشاعر : « إن أخا المجلود من صبرا » . وقال آخر « حتى إذا لم يتركوا . . . » البيت .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (فَصَّيِّرُ جَمِيلٌ) في غير جزع .
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم . عن عبد الرحمن بن يحيى ، عن حبان بن أبي جبلة ، قال :
« سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله (فَصَّيِّرُ جَمِيلٌ) قال : صبر لاشكوى فيه ، قال : من
بث فلم يصبر » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم . قال : أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى . عن حبان بن
أبي جبلة « أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله (فَصَّيِّرُ جَمِيلٌ) قال : صَبْرٌ لاشكوى فيه » .
قال : ثنا الحسين . قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج . عن مجاهد (فَصَّيِّرُ جَمِيلٌ) : ليس فيه جزع .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة . قال : ثنا ورقاء . عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد
في قوله (فَصَّيِّرُ جَمِيلٌ) : قال : في غير جزع .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن بعض أصحابه ، قال :
يقال ثلاث من الصبر : أن لا تحدث بوجعك . ولا بمصيبتك . ولا تزكى نفسك .
قال : أخبرنا الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت . أن يعقوب النبي صلى الله عليه وسلم كان قد سقط
حاجباه ، فكان يرفعهما بخرقه . فقيل له ما هذا ؟ قال : طول الزمان ، وكثرة الأحزان ، فأوحى الله تبارك
وتعالى إليه : يا يعقوب أتشكوني ؟ قال : يارب خطيئة أخطأتها ، فاغفرها لي .
وقوله (وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد ، عن
قتادة (وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) : أي على ما تكذبون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَى هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : وجاءت مارة الطريق من المسافرين (فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ) وهو الذي يرد المبل
والمنزل ، ووروده إياه : مصيره إليه ودخوله (فَأَدْلَى دَلْوَهُ) يقول : أرسل دلوه في البئر ، يقال :
دليت الدلو في البئر إذا أرسلتها فيه ، فإذا استقيت فيها قلت : دلوت أدلو دلوا ، وفي الكلام محذوف

استغنى بدلالة ما ذكر عليه فترك ، وذلك : فأدلى دلوه ، فتعلق به يوسف فخرج ، فقال المدلى : (يا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ) .

وبالذي قلنا في ذلك ، جاءت الأخبار عن أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وجاءت سيارةٌ فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه) فتعلق يوسف بالحبل فخرج ، فلما رآه صاحب الحبل نادى رجلا من أصحابه يقال له بشرى (يا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه) فتشبث الغلام بالدلو ، فلما خرج قال : يا بشرى هذا غلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة ، قوله (فأرسلوا واردهم) يقول : أرسلوا رسولهم ، فلما أدلى دلوه تشبث بها الغلام (قال يا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ) .

واختلفوا في معنى قوله (يا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ) فقال بعضهم : ذلك تبشير من المدلى دلوه أصحابه في إصابته يوسف بأنه أصاب عبدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قال يا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ) تباشروا به حين أخرجه ، وهي بئر بأرض بيت المقدس ، معلوم مكانها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ) قال : بشرهم واردهم حين وجد يوسف .

وقال آخرون : بل ذلك اسم رجل من السيارة بعينه ناداه المدلى لما خرج يوسف من البئر متعلقا بالحبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ) قال : نادى رجلا من أصحابه يقال له : بشرى ، فقال (يا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا خلف بن هشام ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس بن الربيع ، عن السدي ، في قوله (يا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ) قال : كان اسم صاحبه بشرى .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي ، في قوله (يا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ) قال : اسم الغلام بشرى . قال : يا بشرى ، كما تقول : يا زيد . واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأ ذلك عامة القراء من أهل المدينة (يا بُشْرَى) بإثبات ياء الإضافة ، غير أنه أدغم الألف في البناء طلبا للكسرة التي تلزم ما قبل ياء الإضافة من المتكلم في قولهم : غلامى وجاريتى في كل حال ، وذلك من لغة طي . كما قال أبو ذؤيب :

سَبَقُوا هَوًى وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمْ فَتُخَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ (١) .
 وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (يا بُشْرَى) بإرسال الياء وترك الإضافة ؛ وإذا قرئ ذلك كذلك ،
 احتمل وجهين من التأويل : أحدهما : ما قاله السدي ، وهو أن يكون اسم رجل دعاه المستقي باسمه ، كما
 يقال : يا زيد ، ويا عمرو ، فيكون بشرى في موضع رفع بالنداء . والآخر : أن يكون أراد إضافة
 البشرية إلى نفسه ، فحذف الياء وهو يريد بها ، فيكون مفردا ، وفيه نية الإضافة ، كما تفعل العرب في النداء
 فتقول : يا نفس اصبري ، ويا نفس اصبري ، ويا بني لاتفعل ، ويا بني لاتفعل ، فتفرد وترفع ، وفيه
 نية الإضافة ، وتضيف أحيانا فتكسر ، كما تقول : يا غلام أقبل ، ويا غلامي أقبل .
 وأعجب القراءة في ذلك إلى قراءة من قرأه بإرسال الياء وتسكينها ، لأنه إن كان اسم رجل بعينه ، كان
 معروفا فيهم ، كما قال السدي ، فذلك هي القراءة الصحيحة لاشك فيها ، وإن كان من التبشير فإنه يحتمل
 ذلك إذا قرئ كذلك على ما بينت . وأما التشديد والإضافة في الياء فقراءة شاذة لأرى القراءة بها ، وإن
 كانت لغة معروفة لإجماع الحجة من القراء على خلافها .
 وأما قوله (وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : وأسرّه الوارد
 المستقي ، وأصحابه من التجار الذين كانوا معهم ، وقالوا لهم : هو بضاعة استبضعناها بعض أهل مصر ،
 لأنهم خافوا إن علموا أنهم اشتروه بما اشتروه به ، أن يطلبوا منهم فيه الشراكة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد
 (وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً) قال : صاحب الدلو ومن معه قالوا لأصحابهم : إنما استبضعناه خيفة أن يشركوهم
 فيه إن علموا بثمانه ، وتبعهم إخوته يقولون للمدلى وأصحابه : استوثق منه لا يأتق ، حتى وقفوه بمصر ،
 فقال : من يتاعنى ويبشر ، فاشتراه الملك ، والملك مسلم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه ،
 غير أنه قال : خيفة أن يستشركوهم إن علموا به ، وتبعهم إخوته يقولون للمدلى وأصحابه : استوثقوا منه
 لا يأتق . حتى أوقفوه بمصر ، وسائر الحديث مثل حديث محمد بن عمرو .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .
 قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه ، غير
 أنه قال : خيفة أن يشاركوهم فيه إن علموا بثمانه .

(١) البيت لأبي ذؤيب يرثي أولاده (ديوان المهذلين طبعة دار الكتب المصرية ١ : ٢) . وهوى : هوى ، وهذه لغة هذيل ،
 يقلبون ألف المقصور المضاف إلى الياء ياء ، ثم يدغمونها ، فيقولون هذه عصي في عصاي . وأعنقوا : أسرعوا . فتخرموا : أي أخذوا
 واحدا واحدا . وهو من شواهد النحويين . ورواء القراء في معاني القرآن ، عن القاسم بن منبأ باختلاف عن رواية الطبري هنا ، قال :
 تَرَكَوْا هَوًى وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمْ فَفَقَدْتُهُمْ وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج . عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : خيفة أن يستشركوهم فيه إن علموا ثمنه ، وقال أيضا : حتى أوقفوه بمصر .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وأَسْرُوهُ بِضَاعَةً) قال : لما اشتراه الرجلان فَرَقَا من الرُّفْقَةِ أن يقولوا اشتريناه ، فيسألوهم الشركة ، فقالا : إن سألونا ما هذا ؟ قلنا بضاعة استبضعناه أهل الماء ، فذلك قوله (وأَسْرُوهُ بِضَاعَةً) بينهم .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأسره التجار بعضهم من بعض .
ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (وأَسْرُوهُ بِضَاعَةً) قال : أسره التجار بعضهم من بعض .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (وأَسْرُوهُ بِضَاعَةً) قال : أسره التجار بعضهم من بعض .
وقال آخرون : معنى ذلك : وأسروا بيعه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وأَسْرُوهُ بِضَاعَةً) قال : أسروا بيعه .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن مجاهد (وأَسْرُوهُ بِضَاعَةً) قال : قالوا لأهل الماء : إنما هو بضاعة .
وقال آخرون : إنما عني بقوله (وأَسْرُوهُ بِضَاعَةً) إخوة يوسف أنهم أسروا شأن يوسف أن يكون أخاهم ، قالوا : هو عبد لنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وأَسْرُوهُ بِضَاعَةً) يعني إخوة يوسف أسروا شأنه ، وكنتموا أن يكون أخاهم ، فكتم يوسف شأنه مخافة أن تقتله إخوته ، واختار البيع ، فذكره إخوته لوارد القوم ، فنادى أصحابه قال (يا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ) يُبَاعُ فباعه إخوته .
وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : وأسروا يوسف وأورد القوم المُدِّي دلو ، ومن معه من أصحابه من رُفِقته السيارة أمر يوسف أنهم اشتروه خيفة منهم أن يستشركوهم ، وقالوا لهم : هو بضاعة أَبْضَعَهَا معنا أهل الماء ، وذلك أنه عتق ييب الخبر عنه ، فلا أن يكون ماوليه من الخبر خبرا عنه ، أشبه من أن يكون خبرا عن هو بالخبر عنه غير متصل .

وقوله (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : والله ذو علم بما يعمل به يوسف ومشتروه في أمره لا يخفى عليه من ذلك شيء . ولكنه ترك تغيير ذلك ليمضي فيه وفيهم حكمه السابق في علمه ، وليرى إخوة يوسف ويوسف وأباه قدرته فيه . وهذا ، وإن كان خبرا من الله تعالى ذكره عن يوسف نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإنه تذكير من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، وتسليية منه له عما كان يلقي من أقربائه وأنسابه المشركين من الأذى فيه . يقول له : فاصبر يا محمد على ما نالك في الله ، فإنني قادر على تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون ، كما كنت قادرا على تغيير ما لقي يوسف من إخوته في حال ما كانوا يفعلون به ما فعلوا ، ولم يكن تركي ذلك لوان يوسف على ، ولكن لماضي علمي فيه وفي إخوته ، فكذلك تركي تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون لغير هوان بك على ، ولكن لسابق علمي فيك وفيهم ، ثم يصير أمرك وأمرهم إلى علوك عليهم ، وإذعانهم لك ، كما صار أمر إخوة يوسف إلى الإذعان ليوسف بالسؤدد عليهم وعلو يوسف عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٤﴾

❦ يعني تعالى ذكره بقوله (وَشَرَوْهُ) به ، وباع إخوة يوسف يوسف ، فأما إذا أراد الخبر عن أنه ابتاعه ، قال : اشتريته ، ومنه قول ابن مفرغ الحميري :

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَةً

يقول : بعت بردا ، وهو عبد كان له .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، أنه كره الشراء والبيع للبدوي ، قال : والعرب تقول : اشترى كذا وكذا : أي بع كذا وكذا ، وتلا هذه الآية (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) يقول : باعوه ، وكان بيعه حراما .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : إخوة يوسف أحد عشر رجلا باعوه حين أخرجه المدلي بدلوه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بمثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وثنا إسحاق ، قال :

ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٢٠٤) على أن شريت بمعنى بعت ، وفي (اللسان : شري) : وشاهد شريت

بمعنى بعت قول يزيد بن مفرغ وقد باع غلامه بردا ، فندم بعد بيعه :

شَرَيْتُ بُرْدًا وَلَوْلَا مَا تَكَنَّفَنِي مِنْ الْخَوَادِثِ مَا فَارَقْتُهُ أَبَدًا

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَشَرَوْهُ) قال : قال ابن عباس : فبيع بينهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : باعوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس فباعه إخوته بثمن بخص .

وقال آخرون : بل عني بقوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) السيارة أنهم باعوا يوسف بثمن بخص .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) وهم السيارة الذين باعوه .

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : تأويل ذلك : وشروا إخوة يوسف يوسف بثمن بخص ، وذلك أن الله عز وجل قد أخبر عن الذين اشتروه أنهم أسروا شراء يوسف من أصحابهم خيفة أن يستشركوهم بادعائهم أنه بضاعة ، ولم يقولوا ذلك إلا رغبة فيه أن يخلص لهم دونه ، واسترخاصا لثمنه الذي ابتاعوه به ، لأنهم ابتاعوه ، كما قال جل ثناؤه (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) ولو كان مبتاعوه من إخوته فيه من الزاهدين لم يكن لقيلمهم لرفقائهم هو بضاعة معنى ، ولا كان لشرايهم إياه وهم فيه من الزاهدين وجه ، إلا أن يكونوا كانوا مغلوبا على عقولهم ، لأنه محال أن يشتري صحيح العقل ما هو فيه زاهد من غير إكراه مكره له عليه ، ثم يكذب في أمره الناس بأن يقول : هو بضاعة ، لم أشره مع زهده فيه ، بل هذا القول من قول من هو بسبعته ضنين ، لنفاستها عنده ، ولما يرجو من نفيس الثمن لها ، وفضل الربح .

وأما قوله (بَخْسٍ) فإنه يعني : نقص ، وهو مصدر من قول القائل : بخت فلانا حقه : إذا ظلمته ، يعني : ظلمه فنقصه عما يجب له من الوفاء ، أخصه بخصا ، ومنه قوله (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) وإنما أريد بثمن مبخوس : منقوص ، فوضع البخص وهو مصدر ، مكان مفعول ، كما قيل (بَدَمٌ كَذِبٌ) وإنما هو بدم مكذوب فيه .

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : قيل (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) لأنه كان حراما عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : البخص : الحرام .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن الحسين بن الفرج . قال : سمعت أبا معاذ

يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : كان ثمنه بخصا حراما ، لم يحل لهم أن يأكلوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : باعوه بثمن بخس ، قال : كان بيعه حراما ، وشراؤه حراما .
حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : حرام .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) يقول : لم يحل لهم أن يأكلوا ثمنه .
وقال آخرون : معنى البخس هنا : الظلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : البخس : هو الظلم ، وكان بيع يوسف و ثمنه حراما عليهم .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال قتادة (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : ظلم .
وقال آخرون : غنى بالبخس في هذا الموضع : القليل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن جابر ، عن عامر ، قال : البخس : القليل .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن عكرمة ، مثله . وقد بينا الصحيح من القول في ذلك .
وأما قوله (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) فإنه يعني عز وجل أنهم باعوه بدراهم غير موزونة ، ناقصة غير وافية لزهدهم كان فيه . وقيل : إنما قيل معدودة ليعلم بذلك أنها كانت أقل من الأربعين لأنهم كانوا في ذلك الزمان . لا يزنون ما كان وزنه أقل من أربعين درهما ، لأن أقل أوزانهم وأصغرها كان الأوقية ، وكان وزن الأوقية أربعين درهما ، قالوا : وإنما دل بقوله (مَعْدُودَةٍ) على قلة الدراهم التي باعوه بها ، فقال بعضهم : كان عشرين درهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن زهير ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : إن ما اشترى به يوسف عشرون درهما .
حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك . عن أبي إسحاق . عن أبي عبيدة ، عن عبد الله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) قال : عشرون درهما .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن . قال : ثنا سفيان . عن أبي إسحاق . عن نوف البكالي ، في قوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) قال : عشرون درهما .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع : وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق عن نوف البكالي (بخمس دراهم) قال : كانت عشرين درهما .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن نوف ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في قوله (بشمّن بخمس دراهم معدودة) قال : عشرون درهما .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (دراهم معدودة) قال : كانت عشرين درهما .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ذكر لنا أنه بيع بعشرين درهما ، وكانوا فيه من الزاهدين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي إدريس ، عن عطية ، قال : كانت الدراهم عشرين درهما اقتسموها ، درهمين درهمين .
وقال آخرون : بل كان عددها اثنين وعشرين درهما ، أخذ كل واحد من إخوة يوسف وهم أحد عشر رجلا ، درهمين درهمين منها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أسباط . قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (دراهم معدودة) قال : اثنين وعشرين درهما .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (دراهم معدودة) قال : اثنان وعشرون درهما لإخوة يوسف أحد عشر رجلا .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (دراهم معدودة) قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .
وقال آخرون : بل كانت أربعين درهما .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن عكرمة (دراهم معدودة) قال : أربعين درهما .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : باعوه ولم يبلغ ثمنه الذي باعوه به أوقية ، وذلك أن الناس كانوا يتبايعون في ذلك الزمان بالأواق . فما قصر عن الأوقية ، فهو عدد . يقول الله (وشروّه بشمّن بخمس دراهم معدودة) أي لم يبلغ الأوقية .

ﷺ والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة ، ولم يحدد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد ، ولا وضع عليه دلالة في كتاب ، ولا خبر من الرسول صلى الله عليه وسلم وقد يحتمل أن يكون كان عشرين ، ويحتمل أن يكون كان اثنين وعشرين ، وأن يكون كان أربعين ، وأقل من ذلك وأكثر ، وأى ذلك كان فإنها كانت معدودة غير موزونة ، وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين ، ولا في الجهل به دخول ضرر فيه ، والإيمان بظاهر التنزيل فرض ، وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه .

وقوله (وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) يقول تعالى ذكره : وكان إخوة يوسف في يوسف من الزاهدين ؟ لا يعلمون كرامته عند الله ، ولا يعرفون منزلته عنده ، فهم مع ذلك يحبون أن يحولوا بينه وبين والده ليخلو لهم وجهه منه ، ويقطعوه عن القرب منه لتكون المنافع التي كانت مصروفة إلى يوسف دونهم مصروفة إليهم . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي مرزوق ، عن جوير ، عن الضحاك (وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) قال : لم يعلموا بنبوته ومنزلته من الله .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، في قوله (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ) فنزلت على الحب (فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ) فاستقى من الماء فاستخرج يوسف ، فاستبشروا بأنهم أصابوا غلاما لا يعلمون علمه ولا منزلته من ربه ، فزهدوا فيه فباعوه وكان بيعه حراما ، وباعوه بدراهم معدودة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك (وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) قال إخوته زهدوا ، فلم يعلموا منزلته من الله ، ونبوته ، ومكانه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : إخوته زهدوا فيه ، لم يعلموا منزلته من الله عز وجل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْثَاهُ أَكْرَمِيْ مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾

ﷻ يقول جل ثناؤه : وقال الذي اشترى يوسف من بائعه بمصر ، وذكر أن اسمه قطفير .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عبي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس

قال : كان اسم الذي اشتراه قطفير . وقيل : إن اسمه إطفير بن روحيب ، وهو العزيز . وكان على خزائن مصر ، وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد : رجل من العماليق .

كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . وقيل : إن الذي باعه بمصر كان مالك بن ذعر بن ثويب بن عنقاء بن مديان بن إبراهيم .

كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن السائب ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ) واسمها فيما ذكر ابن إسحاق : راعيل بنت رعائيل .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (أَكْرَمِي مَشْوَاهُ) يقول : أكرمي موضع مقامه وذلك حيث يثوى ويقم فيه ، يقال : ثوى فلان بمكان كذا : إذا أقام فيه . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة : قوله (أَكْرَمِي مَشْوَاهُ) منزلته ، وهي امرأة العزيز .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج . عن ابن جريج ، قوله (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ أَكْرَمِي مَشْوَاهُ) قال : منزلته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، اشتراه الملك ، والملك مسلم .

وقوله (عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) ذكر أن مشري يوسف قال هذا القول لامرأته حين دفعه إليها ، لأنه لم يكن له ولد ، ولم يأت النساء ، فقال لها : أكرمي عسى أن يكفيني بعض ما نعانى من أمورنا إذا فهم الأمور التي نكلّفها وعرفها : أو نتخذ ولدًا : يقول : أو نتبناه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . قال : كان إطفير فيما ذكر لي رجلاً لا يأتى النساء وكانت امرأته راعيل امرأة حسناء ناعمة طاعمة في ملك ودنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : « أفرس الناس ثلاثة : العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته (أَكْرَمِي مَشْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) وأبو بكر حين تفرس في عمر . والتي قالت (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد . قال : ثنا أسباط . عن السدي . قال : انطلق بيوسف إلى مصر ، فاشتراه العزيز ملك مصر فانطلق به إلى بيته . فقال لامرأته (أَكْرَمِي مَشْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : «أفرس الناس ثلاثة : العزيز حين قال لامرأته (أَكْرِمِي مَثْوَاهُ) والقوم فيه زاهدون ، وأبو بكر حين تفرّس في عمر فاستخلفه . والمرأة التي قالت (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ) » .
وقوله (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ) يقول عز وجل : وكما أنقذنا يوسف من أيدي إخوته ، وقد همّوا بقتله ، وأخرجناه من الحب بعد أن ألقى فيه . فصيرناه إلى الكرامة ، والمنزلة الرفيعة عند عزيز مصر ، كذلك مكنا له في الأرض ، فجعلناه على خزائنها .
وقوله (وَلِنُعَلِّمَهُ مِيزَاتٍ وَأَوَّلِي الْأَحَادِيثِ) يقول تعالى ذكره : وكى نعلم يوسف من عبارة الرؤيا مكنا له في الأرض .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مِيزَاتٍ وَأَوَّلِي الْأَحَادِيثِ) قال : عبارة الرؤيا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا عمرو بن محمد . قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلِنُعَلِّمَهُ مِيزَاتٍ وَأَوَّلِي الْأَحَادِيثِ) قال : تعبير الرؤيا .

حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل . عن ابن أبي نجيح (وَلِنُعَلِّمَهُ مِيزَاتٍ وَأَوَّلِي الْأَحَادِيثِ) قال : عبارة الرؤيا .

وقوله (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ) يقول تعالى ذكره : والله مستول على أمر يوسف يسوسه ويدبره ويحوطه . والهاء في قوله (عَلَى أَمْرِهِ) عائدة على يوسف .

وروى عن سعيد بن جبیر في معنى غالب ، ما حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ) قال : فعال .

وقوله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أكثر الناس الذين زهدوا في يوسف ، فباعوه بثمن خسيس . والذين صار بين أظهرهم من أهل مصر حين بيع فيهم . لا يعلمون ما الله بيوسف صانع ، وإليه يوسف من أمره صائر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَءَاثَمَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٦﴾

يقول تعالى ذكره : لما بلغ يوسف أشده : يقول : لما بلغ منتهى شدته وقوته في شبابه وحده ، وذلك فيما بين ثمانى عشرة إلى ستين سنة . وقيل إلى أربعين سنة . يقال منه : مضت أشد الرجل : أى شدته . وهو جمع مثل الأضر والأسر لم يسمع له بواحد من لفظه . ويجب في القياس أن يكون واحده شدة ، كما واحد الأضر ضر . وواحد الأسر . كما قال الشاعر :

هل غير أن كثر الأشد وأهلكك حارب المسلموك أكثير الأموال

وقال حميد :

وقد أتى لو تعتب العواذل بعد الأشد أربع كوامل^٢

وقد اختلف أهل التأويل في الذي عني الله به في هذا الموضع من مبلغ الأشد ، فقال بعضهم : عني به ثلاث وثلاثون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع والحسن بن محمد ، قالا : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ولما بلغ أشده) قال : ثلاثا وثلاثين سنة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .
حدثت عن علي بن الهيثم ، عن بشر بن المفضل ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، قال : سمعت ابن عباس يقول في قوله (ولما بلغ أشده) قال : بضعا وثلاثين سنة .
وقال آخرون : بل عني به : عشرون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن علي بن المسيب ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، في قوله (ولما بلغ أشده) قال : عشرين سنة .

وروى عن ابن عباس من وجه غير مرضي أنه قال : ما بين ثمان عشرة سنة إلى ثلاثين ، وقد بينت معنى الأشد .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر أنه آتى يوسف لما بلغ أشده حكما وعلما . والأشد : هو انتهاء قوته وشبابه ، وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثمان عشرة سنة ، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين سنة ، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، ولا دلالة في كتاب الله

(١) في اللسان : الأشد : مبلغ الرجل الحكمة والمعرفة . وذلك ما بين الثمان عشرة والثلاثين . قال الفراء : الأشد : واحدا : شد (بالفتح) في القياس . قال : ولم أسمع لها بواحد . وقال سيبويه : واحدا : شدة ، كنمة وأنعم . وقال ابن جني : قال أبو عبيد : هو جمع أشد ، على حذف الزيادة . قال : وقال أبو عبيدة : ربما استكروها على حذف هذه الزيادة في الواحد ، وأنشد بيت عنترة :

عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارُ كَأَنَّمَا خَضِبَ الْبَسَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْلِيمِ

أي أشد النهار ، يعني أعلاه وأتمه . قال ابن سيده : وذهب أبو عثمان ، فيما روينا عن أحمد بن يحيى عنه : أنه جمع لا واحدا . وقال السيرافي : في القياس : شد وأشد ، كما يقال : قد وأقد . وقال مرة أخرى : هو جمع لا واحد له . وقد يقال : بلغ أشده ، (بفتح الشين) ، وهي قليلة .

(٢) هذا الشاهد كالذي قبله ، وقد أوضحناه بما يكفي من نصوص اللغويين .

ولا أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا في إجماع الأمة على أيّ ذلك كان ، وإذا لم يكن ذلك موجوداً من الوجه الذي ذكرت ، فالصواب أن يقال فيه ، كما قال عزّ وجلّ ، حتى تثبت حجة بصفة ما قيل في ذلك من الوجه الذي يجب التسليم له ، فيسلم لها حينئذ .

وقوله (آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) يقول تعالى ذكره : أعطيناه حينئذ الفهم والعلم . كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (حُكْمًا وَعِلْمًا) قال : العقل والعلم قبل النبوة .

وقوله (وكذلك نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول تعالى ذكره : وكما جزيت يوسف فأتيته بطاعته إياي الحكم والعلم ، ومكنته في الأرض ، واستنقذته من أيدي إخوته الذين أرادوا قتله ، كذلك نجزى من أحسن في عمله ، فأطاعني في أمري وانتهى عما نهيت عنه من معاصي ، وهذا وإن كان مخرج ظاهره على كلّ محسن ، فإن المراد به محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم ، يقول له عزّ وجلّ : كما فعلت هذا بيوسف من بعد ما لقي من إخوته مالتى ، وقاسى من البلاء ما قاسى . فكنته في الأرض ، ووطأت له في البلاد ، فكذلك أفعل بك ، فأنجيك من مشركى قومك الذين يقصدونك بالعداوة ، وأمكن لك في الأرض ، وأوتيك الحكم والعلم ، لأن ذلك جزائى أهل الإحسان في أمري ونهى .

حدثني المثنى . قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وكذلك نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول : المهتدين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره : وراودت امرأة العزيز ، وهى التى كان يوسف في بيتها عن نفسه أن يواقعها . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ولما بلغ أشده راودته التى هو في بيتها عن نفسه : امرأة العزيز .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ) قال : أحبته .

قال : ثنا أبو ، عن إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : قالت تعاله . وقوله (وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ) يقول : وغلقت المرأة أبواب البيوت عليها وعلى يوسف لما أرادت منه ، وراودته عليه ، بابا بعد باب .

وقوله (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة (هَيْتَ

(لَكَ) بفتح، الهاء والتاء، بمعنى : هلم لك وادن وتقرّب . كما قال الشاعر لعلّ بن أبي طالب رضي الله عنه :

أبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخَا الْعِرَاقِ إِذَا أَتَيْتَنَا
إِنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ عُنُقٌ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَنَا

يعنى : تعال واقرب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، تأوله من قرأه كذلك .

حدثني محمد بن عبد الله المخرمي ، قال : ثنا أبو الجواب ، قال : ثنا عمار بن زريق ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس (هَيْتَ لَكَ) قال : هلم لك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (هَيْتَ لَكَ) قال : هلم لك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال (هَيْتَ لَكَ) تقول : هلم لك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زرّ بن حبیش . أنه كان يقرأ هذا الحرف (هَيْتَ لَكَ) نصبا : أى هلم لك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس ، قوله (هَيْتَ لَكَ) قال : تقول : هلم لك .

حدثني أحمد بن سهيل الواسطي ، قال : ثنا قرّة بن عيسى ، قال : ثنا النضر بن عليّ الخزري ، عن عكرمة ، مولى ابن عباس ، فى قوله (هَيْتَ لَكَ) قال : هلم لك ، قال : هى بالخورانية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) قال : كان الحسن يقول : هلم لك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن (هَيْتَ لَكَ) يقول بعضهم : هلم لك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) قال : هلم لك ، وهى بالقبطية .

(١) البيتان فى مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٣٠٥) قال : يريد على بن أبي طالب رحمه الله ، أى تعال وتقرّب وادنه ، وكذلك لفظ « هيت » للثنين ، والجميع من الذكر والأنثى سواء ، إلا أن العدد فيما بعدها ، تقول : هيت لكما ، وهيت لكن . . . وعنق إليك : ما قلون إليك : وفى اللسان : وذكر ابن جنى : أن هيت فى البيت بمعنى أسرع . قال : وفيه أربع لغات : « هيت » بفتح الهاء والتاء . و « هيت » بكسر الهاء وفتح التاء . و « هيت » بكسر الهاء وضم التاء . قال الأخفش : هيت لك مفتوحة : هلم لك . قال : وكسر بعضهم التاء ، وهى لغة ، فقال : هيت لك . وروى الأزهري عن أبي زيد قال : هيت لك ، بالعبرانية : هيتا لج ، أى تعال ، أعربه القرآن . وعنق إليك : ماقلون إليك ، متطعمون .

حدثنا الحسن بن محمد . قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن عمرو ، عن الحسن (هَيَّتَ لَكَ) قال : كلمة بالسريانية : أى عليك .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (هَيَّتَ لَكَ) قال : هلم لك .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا خلف بن هشام ، قال : ثنا محبوب ، عن قتادة ، عن الحسن (هَيَّتَ لَكَ) قال : هلم لك .

قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم ، عن زر (هَيَّتَ لَكَ) : أى هلم . حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الثوري ، قال : بلغني في قوله (هَيَّتَ لَكَ) قال هلم لك .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا أبو عبيد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن خالد الحذاء ، عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ (هَيَّتَ لَكَ) وقال : تدعوه إلى نفسها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (هَيَّتَ لَكَ) قال : لغة عربية تدعوه بها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : لغة بالعربية تدعوه بها إلى نفسها .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث محمد ابن عمرو سواء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن (هَيَّتَ لَكَ) بفتح الهاء والتاء ، وقال : تقول : هلم لك .

حدثني الحرث ، قال أبو عبيدة : كان الكسائي يحكيها ، يعنى (هَيَّتَ لَكَ) قال : وقال : وهى لغة لأهل حوران وقعت إلى الحجاز ، معناها : «تعال» قال : وقال أبو عبيد : سألت شيخا عالما من أهل حوران ، فذكر أنها لغتهم يعرفها .

حدثنا ابن خيم ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (هَيَّتَ لَكَ) قال : تعال . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقَالَتْ هَيَّتَ لَكَ) قال هلم لك إلى .

وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين (وَقَالَتْ هَيَّتُ لَكَ) بكسر الهاء وضم التاء والهمز ، بمعنى : تهيات لك ، من قول القائل : هئت للأمر أهىء هيئة . ومن روى ذلك عنه ابن عباس ، وأبو عبد الرحمن السلمي وجماعة غيرهما .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا الحجاج ، عن هارون ، عن أبان العطار ، عن قتادة ، أن ابن عباس قرأها كذلك مكسورة الهاء مضمومة التاء ، قال أحمد ، قال أبو عبيد : لأعلمها إلا مهموزة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن أبان العطار ، عن عاصم ، عن أبي عبد الرحمن السلمي (هَيْتُ لَكَ) أي تهيأت لك .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان عكرمة يقول : تهيأت لك . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال (هَيْتُ لَكَ) قال عكرمة : تهيأت لك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم بن بهدلة . قال : كان أبو وائل يقول : (هَيْتُ لَكَ) : أي تهيأت لك . وكان أبو عمرو بن العلاء والكسائي ينكران هذه القراءة . حدثت عن علي بن المغيرة ، قال : قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : شهدت أبا عمرو وسأله أبو أحمد ، أو أحمد ، وكان عالما بالقرآن ، عن قول من قال (هَيْتُ لَكَ) بكسر الهاء وهمز الياء ، فقال : أبو عمرو ينسب أي باطل جعلها ، فعلت من تهيأت ، فهذا الخندق ، فاستعرض العرب حتى تنتمى إلى اليمن ، هل تعرف أحدا يقول : هت لك ؟

حدثني الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : لم يكن الكسائي يحكى (هَيْتُ لَكَ) عن العرب .

وقرأ ذلك عامة قرآء أهل المدينة (هَيْتُ لَكَ) بكسر الهاء وتسكين الياء وفتح التاء .

وقرأه بعض المكيين (هَيْتُ لَكَ) بفتح الهاء وتسكين الياء وضم التاء .

وقرأه بعض البصريين ، وهو عبد الله بن إسحاق (هَيْتُ لَكَ) بفتح الهاء وكسر التاء ، وقد أنشد بعض الرواة بيتا لطرفة بن العبد في هَيْتُ بفتح الهاء وضم التاء ، وذلك :

لَيْسَ قَوْمِي بِالْأَبْعَدِينَ إِذَا مَا قَالَ دَاعٍ مِنَ الْعَشِيرَةِ هَيْتُ

وأولى القراءة في ذلك ، قراءة من قرأه (هَيْتُ لَكَ) بفتح الهاء والتاء ، وتسكين الياء ، لأنها اللغة المعروفة في الغرب دون غيرها ، وأنها فيما ذكر قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، قال ابن مسعود : قد سمعتُ القراءة فسمعتهم متقاربين ، فاقروا كما علمتم ، وإياكم والتنطع والاختلاف ، فإنما هو كقول أحدكم : هلم وتعال . ثم قرأ عبد الله (هَيْتُ لَكَ) فقلت : يا أبا عبد الرحمن إن ناسا يقرءونها (هَيْتُ لَكَ) فقال عبد الله : إني أقرؤها كما علمت أحب إلي .

(١) أصله على زعمهم : هيت ، بوزن فعلت ، ثم حذفت الياء ، فصار وزنه : فلت .

(٢) لم أجدها هذا البيت في شعر طرفة الذي بين أيدينا . والشاهد فيه أن « هيت » تبني على الضم عند بعض العرب ، وقد تبني على الكسر ، وعلى الفتح ، وهو الأكثر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقرأ هذه الآية (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) قال : فقالوا له : ما كنا نقرأها إلا (هَيْتَ لَكَ) فقال عبد الله إني أقرأها كما علمت أحب إلى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن منصور ، عن أبي وائل ، قال : قال عبد الله (هَيْتَ لَكَ) فقال له مسروق : إن ناسا يقرءونها (هَيْتَ لَكَ) فقال : دعوني ، فاني أقرأ كما أقرئت أحب إلى . حدثني المثني ، قال : ثنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن ابن مسعود قال (هَيْتَ لَكَ) بنصب الهاء والتاء وبلا همز .

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثني ، أن العرب لا تثنى (هَيْتَ لَكَ) ولا تجمع ولا تؤنث ، وأنها تصوره في كل حال ، وإنما يتبين العدد بما بعد ، وكذلك التأنيث والتذكير ، وقال : تقول للواحد : هيت لك ، وللأثنين : هيت لكما ، وللجمع : هيت لكم ، وللنساء : هيت لكن .

وقوله (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ) يقول جل ثناؤه : قال يوسف إذ دعت المرأة إلى نفسها ، وقالت له : هلم إني : أعتصم بالله من الذي تدعوني إليه ، وأستجير به منه .

وقوله (إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ) يقول : إن صاحبك وزوجك سيدي . كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي) قال : سيدي .

قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح (إِنَّهُ رَبِّي) قال : سيدي . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شاذان ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ) قال : سيدي ، يعني : زوج المرأة . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي) يعني : إطفير ، يقول : إنه سيدي .

وقوله (أَحْسَنَ مَثْوَايَ) يقول : أحسن منزلي ، وأكرمني وأتمنني فلا أخونه . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال (أَحْسَنَ مَثْوَايَ) أمني على بيته وأهله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أَحْسَنَ مَثْوَايَ) فلا أخونه في أهله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أَحْسَنَ مَثْوَايَ) قال : يريد يوسف سيده زوج المرأة .

وقوله (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) يقول : إنه لا يدرك البقاء ، ولا ينجح مَنْ ظلم ، ففعل ما ليس له فعله ، وهذا الذي تدعوني إليه من الفجور ظلم وخيانة لسيدى الذى ائتمنى على منزله .
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) قال : هذا الذى تدعوني إليه ظلم ، ولا يفلح من عمل به .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِنَّ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْخَلَصِينَ ﴿٢٤﴾

ذكر أن امرأة العزيز لما همت بيوسف ، وأرادت مراودته ، جعلت تذكر له محاسن نفسه ، وتشوقه إلى نفسها .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِنَّ وَهَمَّ بِهَا) قال : قالت له : يا يوسف ما أحسن شعرك ، قال : هو أول ما ينتثر من جسدى ، قالت : يا يوسف ما أحسن وجهك ، قال : هو للتراب يأكله ، فلم تزل حتى أطمعته ، فهمت به وهمَّ بها ، فدخل البيت ، وغلقت الأبواب ، وذهب ليحلّ سراويله ، فإذا هو بصورة يعقوب قائما في البيت قد عضّ على أصبعه يقول : يا يوسف تواقعها ، فإنما مثلكَ ما لم تواقعها مثل الطير في جوف السماء لا يطاق ، ومثلك إذا واقعها مثله إذا مات ووقع إلى الأرض ، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لا يعمل عليه ، ومثلك إن واقعها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، فربط سراويله ، وذهب ليخرج يشتدّ ، فأدركته ، فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه ، فخرقة حتى أخرجه منه ، وسقط ، وطرحه يوسف ، واشتدّ نحو الباب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أكبت عليه ، يعنى المرأة تطمعه مرة ، وتخيفه أخرى ، وتدعوه إلى لذّة من حاجة الرجال في جمالها وحسنها ومملكتها ، وهو شاب مستقبل يجد من شبق الرجال ما يجد الرجل حتى رقى لها مما يرى من كلفها به ، ولم يتخوف منها حتى همَّ بها وهمت به ، حتى خلكوا في بعض بيوته . ومعنى الهمّ بالشىء في كلام العرب : حديث المرء نفسه بمواقفته ، ما لم يواقع . فأما ما كان من همّ يوسف بالمرأة وهما به ، فإن أهل العلم قالوا في ذلك ما أنا ذاكره :

وذلك ما حدثنا أبو كريب وسفيان بن وكيع ، وسهل بن موسى الرازى ، قالوا : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، سئل عن همّ يوسف ما بلغ ؟ قال : حلّ الهميان ، وجلس منها مجلس الخاتن ، لفظ الحديث لأبي كريب .

حدثنا أبو كريب ، وابن وكيع ، قالوا : ثنا ابن عيينة ، قال : سمع عبيد الله بن أبي يزيد ابن عباس في (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِنَّ وَهَمَّ بِهَا) قال : جلس منها مجلس الخاتن ، وحلّ الهميان .

حدثنا زياد بن عبد الله الحسافى ، وعمرو بن على ، والحسن بن محمد ، قالوا : ثنا سفيان بن عيينة ،

عن عبد الله بن أبي يزيد ، قال : سمعت ابن عباس سئل : ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : حلّ الهميان ، وجلس منها مجلس الخاتن .

حدثني زياد بن عبد الله : قال : ثنا محمد بن أبي عدي ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سألت ابن عباس : ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : استلقت له ، وجلس بين رجلها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة (وَلَقَدْ كَهَّمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : استلقت له ، وحلّ ثيابه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس (وَلَقَدْ كَهَّمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) ما بلغ ؟ قال : استلقت له ، وجلس بين رجلها ، وحلّ ثيابه ، أو ثيابها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سألت ابن عباس : ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : استلقت على قفاها . وقعد بين رجلها لينزع ثيابه . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع . وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سئل ابن عباس . عن قوله (وَلَقَدْ كَهَّمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : حلّ الهميان ، يعنى السراويل .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع . قالوا : ثنا ابن إدريس . قال : سمعت الأعمش . عن مجاهد . في قوله (وَلَقَدْ كَهَّمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : حلّ السراويل حتى التبان . واستلقت له .

حدثنا زياد بن عبد الله الحسائي ، قال : ثنا مالك بن سعيد ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد . في قوله (وَلَقَدْ كَهَّمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : حلّ سراويله ، حتى وقع على الثبان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ كَهَّمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : جلس منها مجلس الرجل من امرأته .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة . قال : ثنا شبل ، قال : ثنى القاسم بن أبي بزة (وَلَقَدْ كَهَّمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : أما كهّمها به ، فاستلقت له . وأما همم بها : فإنه قعد بين رجلها ، ونزع ثيابه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنى حجاج بن محمد ، عن ابن جريج . قال : أخبرني عبد الله بن أبي مليكة ، قال : قلت لابن عباس : ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : استلقت له . وجلس بين رجلها ينزع ثيابه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا يحيى بن اليمان . عن سفيان . عن علي بن بذيمة ، عن سعيد بن جبيرة وعكرمة ، قالوا : حلّ السراويل . وجلس منها مجلس الخاتن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقري . عن شريك . عن جابر . عن مجاهد (وَلَقَدْ كَهَّمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : استلقت ، وحلّ ثيابه حتى بلغ الثبان .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز . قال : ثنا قيس . عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبيرة (وَلَقَدْ كَهَّمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : أطلق تكة سراويله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، قال : شهدت ابن عباس سئل عن همّ يوسف ما بلغ ؟ قال : حلّ الهميان ، وجلس منها مجلس الخاتن .

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا وهو لله نبي ؟ قيل : إن أهل العلم اختلفوا في ذلك ، فقال بعضهم : كان ممن ابتلى من الأنبياء بخطيئة ، فإنما ابتلاه الله بها ، ليكون من الله عز وجل على وجل إذا ذكرها ، فيجد في طاعته إشفاقاً منها ، ولا يتكل على سعة عفو الله ورحمته .

وقال آخرون : بل ابتلاه الله بذلك ليعرفهم موضع نعمته عليهم ، بصفحته عنهم ، وتركه عقوبته عليه في الآخرة .

وقال آخرون : بل ابتلاه الله بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله ، وترك الإياس من عفوهم إذا تابوا .

وأما آخرون ، ممن خالف أقوال السلف ، وتأولوا القرآن بآرائهم ، فإنهم قالوا في ذلك أقوالاً مختلفة ، فقال بعضهم : معناه : ولقد هممت المرأة بيوسف ، وهمّ بها يوسف أن يضربها ، أو يناها بمكروه لهما به مما أرادته من المكروه ، لولا أن يوسف رأى برهان ربه ، وكفه ذلك عما همّ به من أذاها ، لأنها ارتدعت من قبيل نفسها . قالوا : والشاهد على صحة ذلك قوله (كذلك لينصرف عنه السوء والفحشاء) قالوا : فالسوء : هو ما كان همّ به من أذاها ، وهو غير الفحشاء .

وقال آخرون منهم : معنى الكلام : ولقد هممت به ، فتناهى الخبر عنها ، ثم ابتدئ الخبر عن يوسف ، فقيل : وهمّ بها يوسف ، لولا أن رأى برهان ربه ، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى أن يوسف لم يهمّ بها ، وأن الله إنما أخبر أن يوسف لولا رؤيته برهان ربه لم يهمّ بها ، ولكنه رأى برهان ربه فلم يهمّ بها ، كما قيل (وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) . ويفسد هذين القولين أن العرب لا تقدم جواب « لولا » قبلها ، لا تقول : لقد قمت لولا زيد ، وهي تريد : لولا زيد لقد قمت ، هذا مع خلافاهما جميع أهل العلم بتأويل القرآن الذين عنهم يؤخذ تأويله .

وقال آخرون منهم : بل قد هممت المرأة بيوسف ، وهمّ يوسف بالمرأة ، غير أن همهما كان تمثيلاً منهما بين الفعل والترك ، لا عزم ولا إرادة ، قالوا : ولا حرج في حديث النفس ، ولا في ذكر القلب إذا لم يكن معهما عزم ولا فعل . وأما البرهان الذي رآه يوسف ، فترك من أجله الواقعة الخطيئة ، فإن أهل العلم يختلفون فيه ، فقال بعضهم : نودي بالهي عن الواقعة الخطيئة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : نودي : يا يوسف أتزني ، فتكون كالطير وقع ريشه ، فذهب يطير ، فلا ريش له .

قال : ثنا ابن عيينة . عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، قال : لم يتعظ على النداء حتى رأى برهان ربه ، قال : تمثال صورة وجه أبيه ، قال سفيان : عاضاً على أصبعه ، فقال : يا يوسف تزني ، فتكون كالطير ذهب ريشه ؟

حدثني زياد بن عبد الله الحسائي ، قال : ثنا محمد بن أبي عدي ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة . قال : قال ابن عباس : نودي : يا ابن يعقوب لا تكن كالطائر له ريش ، فإذا زني ذهب ريشه . أو قعد لاريش له . قال : فلم يتعظ على النداء ، فلم يزد على هذا . قال ابن جريج : وحدثني غير واحد ، أنه رأى أباه عاضاً على أصبعه .

حدثني أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن نافع عن ابن عمر ، عن ابن أبي مليكة . قال : قال ابن عباس (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : نودي فلم يسمع ، فقليل له : يا ابن يعقوب تريد أن تزني ، فتكون كالطير نئيف فلا ريش له .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا سلمة . عن طلحة ، عن عمرو الحضرمي ، عن ابن أبي مليكة : قال : بلغني أن يوسف لما جلس بين رجلي المرأة . فهو يخل هميانه نودي : يا يوسف بن يعقوب لا تزني . فإن الطير إذا زني تنثر ريشه فأعرض . ثم نودي فأعرض . فتشغل له يعقوب عاضاً على أصبعه ، فقام . حدثني المثنى . قال : ثنا قبيصة بن عقبة . قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس . قال : نودي : يا ابن يعقوب لا تكن كالطير إذا زني ذهب ريشه . ، وبقى لاريش له ، فلم يتعظ على النداء . ففزع .

حدثنا الحسن بن محمد . قال : ثنا خجاج بن محمد . عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن أبي مليكة . قال : قال ابن عباس : نودي : يا ابن يعقوب لا تكونن كالطائر له ريش ، فإذا زني ذهب ريشه : قال : أو قعد لاريش له . فلم يتعظ على النداء شيئاً ، حتى رأى برهان ربه . ففترق ففر . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق . قال : أخبرنا ابن عيينة . عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة . قال : قال ابن عباس : نودي : يا ابن يعقوب أتزني ، فتكون كالطير وقع ريشه ، فذهب بطير فلا ريش له .

حدثني يونس . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : أخبرني نافع بن يزيد . عن همام بن يحيى . عن قتادة . قال : نودي يوسف فقيل : أنت مكتوب في الأنبياء تعمل عمل السفهاء .

حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا يحيى بن يمان . عن ابن جريج . عن ابن أبي مليكة ، قال : نودي يوسف بن يعقوب تزني ، فتكون كالطير تنف فلا ريش له .

وقال آخرون : البرهان الذي رأى يوسف فكف عن الواقعة الخطيئة من أجله : صورة يعقوب عليهما السلام يتوعدده .

(۱) كذا في الأصل . وفي الدر المنثور (۴ : ۱۴) من رواية للقاسم بن أبي هريرة : « فلم يمرض للنداء » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزي ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : رأى صورة أو تمثال وجه يعقوب عاضاً على أصبعه ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن العنقزي ، عن إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : مثل له يعقوب ، فضرب في صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : رأى تمثال وجه أبيه قائلاً بكفه هكذا ، وبسط كفه ، فخرجت شهوته من أنامله . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان . عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : مُثِّلَ له يعقوب عاضاً على أصابعه . فضرب صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، في قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : رأى صورة يعقوب واضعاً أناملته على فيه يتوعده ، ففرّ .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : سمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدث ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَقَدْ كَفَّرْ بِهِنَّ وَهَمَّ بِهِنَّ) قال : حين رأى يعقوب في سقف البيت ، قال : فنزعت شهوته التي كان يجدها حتى خرج يسعى إلى باب البيت . فتبعته المرأة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع . وحدثنا ابن وكيع . قال : ثنا أبي . عن قرة بن خالد السدوسي . عن الحسن ، قال : زعموا - والله أعلم أن سقف البيت انفرج . فرأى يعقوب عاضاً على أصابعه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن ، في قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : رأى تمثال يعقوب عاضاً على أصبعه يقول : يوسف . يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن ، نحوه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن العنقزي ، قال : أخبرنا سفيان الثوري ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : رأى تمثال وجه يعقوب ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن علي بن بديمة ، عن سعيد بن جبير ، قال : رأى صورة فيها وجه يعقوب عاضاً على أصابعه ، فدفع في صدره ، فخرجت شهوته من أنامله ، فكل ولد يعقوب ولد له اثنا عشر رجلاً إلا يوسف ، فإنه نقص بتلك الشهوة ، ولم يولد له غير أحد عشر .

(١) قائلا : محركا يده مشيراً بها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، أن حميد ابن عبد الرحمن أخبره أن البرهان الذي رأى يوسف يعقوب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عيسى بن المنذر . قال : ثنا أيوب بن سويد . قال : ثنا يونس بن يزيد الإيلي . عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير . عن منصور ، عن مجاهد (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : مثل له يعقوب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : يعقوب .

حدثنا الحسن بن محمد . قال : ثنا شبابة . قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى . قال : ثنا أبو حذيفة . قال : ثنا شبل . عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى . قال : ثنا أبو حذيفة . وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال :

أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : مثل له يعقوب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى . قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أنه

قال : جلس منها مجلس الرجل من أهوائه حتى رأى صورة يعقوب في الجدار .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد . في قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ)

قال : مُثَّلَّ له يعقوب .

حدثني المثنى . قال : ثنا أبو حذيفة . قال : ثنا شبل . عن القاسم بن أبي بزة ، قال : نودي : يا ابن

يعقوب . لا تكونن كالطير له ريش . فإذا زنى قعد ليس له ريش . فلم يعرض للنداء وقعد ، فرفع

رأسه . فرأى وجه يعقوب عاضاً على أصبعه . فقام مرعوباً استحياء من الله تعالى ذكره ، فذلك قول الله

سبحانه وتعالى : (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) وجه يعقوب .

حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا أبي ، عن النضر بن عريج . عن عكرمة ، قال : مثل له يعقوب عاضاً

على أصابعه .

حدثنا أبو كريب . قال : ثنا وكيع . عن نضر بن عريج . عن عكرمة . مثله .

حدثني الحارث . قال : ثنا عبد العزيز . قال : ثنا قيس . عن أبي حصين . عن سعيد بن جبيرة ، قال :

مثل له يعقوب . فدفع في صدره . فخرجت شهوته من أنامله .

قال : ثنا عبد العزيز . قال : ثنا سفيان . عن علي بن بديمة . قال : كان يولد لكل رجل منهم

اثنا عشر ابناً إلا يوسف . ولد له أحد عشر من أجل ما خرج من شهوته .

حدثني يونس : قال أخبرنا ابن وهب ، قال : قال أبو شريح : سمعت عبيد الله بن أبي جعفر يقول : بلغ من شهوة يوسف أن خرجت من بنانه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن محمد الخراساني ، قال : سألت محمد بن سيرين ، عن قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : مثل له يعقوب عاضاً على أصابعه يقول : يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله ، اسمك في الأنبياء ، وتعمل عمل السفهاء ؟

حدثني محمد بن عبد الأعلى : قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن يونس ، عن الحسن ، في قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : رأى يعقوب عاضاً على أصبعه يقول : يوسف .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال قتادة : رأى صورة يعقوب ، فقال : يا يوسف تعمل عمل الفجار ، وأنت مكتوب في الأنبياء ؟ فاستحيا منه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) رأى آية من آيات ربه ، حجزه الله بها عن معصيته ، ذكر لنا أنه مثل له يعقوب حتى كلمه ، فعصمه الله ونزع كل شهوة كانت في مفاصله .

قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، أنه مثل له يعقوب وهو عاضاً على أصبع من أصابعه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي سالم ، عن أبي صالح ، قال : رأى صورة يعقوب في سقف البيت عاضاً على أصبعه يقول : يا يوسف ، يا يوسف ، يعني قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، ويونس عن الحسن ، في قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : رأى صورة يعقوب في سقف البيت عاضاً على أصبعه .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي سالم ، عن أبي صالح مثله ، وقال عاضاً على أصبعه يقول : يوسف ، يوسف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : نظر يوسف إلى صورة يعقوب عاضاً على أصبعه يقول : يا يوسف ، فذاك حيث كف ، وقام فاندفع .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سالم وأبي حصين ، عن سعيد بن جبیر (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : رأى صورة فيها وجه يعقوب عاضاً على أصابعه ، فدفع في صدره ، فخرجت شهوته من بين أنامله .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعیم ، قال : ثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : رأى تمثال وجه أبيه ، فخرجت الشهوة من أنامله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : تمثال صورة يعقوب في سقف البيت .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، قال : رأى يعقوب عاضا على يده .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر ، في قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : يعقوب ضرب بيده على صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) آية من ربه . يزعمون أنه مثل له يعقوب ، فاستحيا . وقال آخرون : بل البرهان الذي رأى يوسف ما أوعده الله عز وجل على الزنا أهله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي مودود ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي ، قال : رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت ، فإذا كتاب في حائط البيت (لَا تَقْرَبُوا الزَّانَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي مودود ، عن محمد بن كعب ، قال : رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت حين هم ، فرأى كتابا في حائط البيت (لَا تَقْرَبُوا الزَّانَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا) .

قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : لولا ما رأى في القرآن من تعظيم الزنا .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني نافع بن يزيد ، عن أبي صخر ، قال : سمعت القرظي يقول في البرهان الذي رأى يوسف : ثلاث آيات من كتاب الله (إِنَّ عَلَيْكُمْ لَخَافِظِينَ) . . . الآية ، وقوله (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ) . . . الآية ، وقوله (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) .

قال نافع : سمعت أبا هلال يقول مثل قول القرظي ، وزاد آية رابعة (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَةَ) . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) فقال : ما حرّم الله عليه من الزنا . وقال آخرون : بل رأى تمثال الملك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلَقَدْ كَتَبْنَا بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) يقول : آيات ربه أرى تمثال الملك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان بعض أهل العلم فيما بلغني يقول :

البرهان الذي رأى يوسف ، فصرف عنه السوء والفحشاء : يعقوب عاضاً على أصبعه ، فلما رآه انكشف هارباً . ويقول بعضهم : إنما هو خيال لطيف سنده حين دنا من الباب ، وذلك أنه لما هرب منها واتبعته ، ألقياها لدى الباب .

﴿ وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ عَنْ هَمِّ يَوْسُفَ وَامْرَأَةِ الْعَزِيزِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ ، لَوْلَا أَنْ رَأَى يَوْسُفَ بَرهَان ربه ، وذلك آية من آيات الله ، زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة ، وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب ، وجائز أن تكون صورة الملك ، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا ، ولا حجة للعذر قاطعة بأي ذلك من أي . والصواب أن يقال في ذلك ، ما قاله الله تبارك وتعالى ، والإيمان به ، وترك ما عدا ذلك إلى عالمه .

وقوله (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ) يقول تعالى ذكره : كما أرينا يوسف برهانا على الزجر عما هم به من الفاحشة : كذلك نسب له في كل ما عرض له من همهم به فيما لا يرضاه ما يزجره ويدفعه عنه . كي نصرف عنه ركوب ما حرمنا عليه . وإتيان الزنا ، لنظهره من دنس ذلك .

وقوله (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) اختلف القراء في قراءة ذلك . فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) بفتح اللام من المخلصين ، بتأويل : إن يوسف من عبادنا الذين أخلصناهم لأنفسنا . واختارناهم لنبوتنا ورسالتنا . وقرأ ذلك بعض قراء البصرة (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) بكسر اللام . بمعنى : أن يوسف من عبادنا الذين أخلصوا توحيدنا وعبادتنا ، فلم يشركوا بنا شيئاً ، ولم يعبدوا شيئاً غيرنا .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بهما جماعة كثيرة من القراء ، وهما متفقتا المعنى ، وذلك أن من أخلصه الله لنفسه ، فاختره ، فهو مخلص لله التوحيد والعبادة ، ومن أخلص توحيد الله وعبادته ، فلم يشرك بالله شيئاً . فهو ممن أخلصه الله ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب مصيب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ وَالْفَيَّاسِيْدَ هَالِكًا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾

﴿ قَالَ يَتْلُو جَلَّ ثَنَاؤُهُ : وَاسْتَبَقَ يَوْسُفَ وَامْرَأَةَ الْعَزِيزِ بَابَ الْبَيْتِ . أما يوسف ففراراً من ركوب الفاحشة لما رأى برهان ربه ، فزجره عنها . وأما المرأة فطلبها يوسف لتقضي حاجتها منه التي راودته عليها ، فأدركته فتعلقت بقميصه ، فجذبتته إليها مانعة له من الخروج من الباب ، فقدته من دبر ، يعني : شقته من خلف لا من قدام ، لأن يوسف كان هو الهارب ، وكانت هي الطالبة .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاسْتَبَقَ الْبَابَ) قال : استبق هو والمرأة الباب (وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ) . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما رأى برهان ربه ، انكشف عنها حاربا ، واتبعته ، فأخذت قميصه من دبر فشقت عليه .

وقوله (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ) يقول جل ثناؤه : وصادفا سيدها وهو زوج المرأة لدى الباب يعنى : عند الباب .

كالذى حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا) قال : سيدها : زوجها (لَدَى الْبَابِ) قال : عند الباب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن أشعث ، عن الحسن ، عن زيد بن ثابت ، قال : السيد : الزوج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة ، قوله (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ) أى عند الباب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ) قال : جالسا عند الباب وابن عمها معه « فلما رآته (قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا) إنه راودنى عن نفسى ، فدفعته عن نفسى ، فشقت قميصه : قال يوسف : بل هى راودتنى عن نفسى ، وفررت منها فأدركنى : فشقت قميصى . فقال ابن عمها : تبیان هذا فى القميص : فإن كان القميص قد من قبل ، فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ، فأتى بالقميص ، فوجده قد من دبر (قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ . يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرَ لَدُنْكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ) إطفير قائما على باب البيت ، (فَقَالَتْ) وهابته (مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ولطخته مكانها بالسيئة فرقا من أن يتهمها صاحبها على القبيح . فقال هو : وصدقه الحديث (هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي) .

وقوله (قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا) يقول تعالى ذكره : قالت امرأة العزيز لزوجها لما ألفتها عند الباب ، فخافت أن يتهمها بالفجور : ما ثواب رجل أراد بامرأتك الزنا إلا أن يسجن فى السجن أو إلا عذاب أليم . يقول : موجه . وإنما قال (إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) لأن قوله (إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ) بمعنى إلا السجن . فعطف العذاب عليه . وذلك أن « أن » وما عملت فيه بمنزلة الاسم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٣٠﴾

يقول تعالى ذكره : قال يوسف لما قذفته امرأة العزيز بما قذفته من إرادته الفاحشة منها مكذبا لها فيما قذفته به ، ودفعها لما نُسب إليه ما أنا راودتها عن نفسها ، بل هي راودتني عن نفسي ، وقد قيل : إن يوسف لم يرد ذكر ذلك لو لم تقذفه عند سيدها بما قذفته به .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن نوف الشيباني ، قال : ما كان يوسف يريد أن يذكره حتى (قالت ماجزأء من أراد بأهلك سوءا) . . . الآية ، قال : فغضب فقال : هي راودتني عن نفسي .

وأما قوله (وشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) فإن أهل العلم اختلفوا في صفة الشاهد ، فقال بعضهم : كان صبيا في المهد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : تكلم أربعة في المهد وهم صغار : ابن ماشطة بنت فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى بن مريم عليه السلام .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي بكر الهذلي ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة ، قال : عيسى ، وصاحب يوسف ، وصاحب جريج ، يعني تكلموا في المهد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا زائدة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (وشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) قال : صبي .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (وشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) قال : كان في المهد صبيا .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أيوب بن جابر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (وشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) قال : صبي .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبیر ، قال : كان صبيا في مهده .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن هلال بن يساف (وشهد شاهد من أهلها) قال : صبى في المهده .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي مرزوق ، عن جوير ، عن الضحاك (وشهد شاهد من أهلها) قال : صبى أنطقه الله ، ويقال : ذرأى برأيه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : أخبرنا عفان ، قال : ثنا حماد ، قال : أخبرني عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبیر . عن ابن عباس . عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تَكَلَّمَتْ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ ، فَذَكَرَ فِيهِمْ شَاهِدٌ يُوسُفَ » .

حدثت عن الحسين بن الفرج . قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وشهد شاهد من أهلها) يزعمون أنه كان صبيا في الدار .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي . قال : ثنى عمي . قال : ثنى أبي . عن أبيه . عن ابن عباس ، قوله : (وشهد شاهد من أهلها) قال : كان صبيا في المهده .

وقال آخرون : كان رجلا ذا لحية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان ذا لحية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن ابن أبي مليكة . عن ابن عباس (وشهد شاهد من أهلها) قال : كان من خاصة الملك .

وبه قال : حدثنا أبي . عن عمران بن حدير ، سمع عكرمة يقول (وشهد شاهد من أهلها) قال : ما كان بصبي . ولكن كان رجلا حكيما .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا عبد الملك بن الصباح ، قال : ثنا عمران بن حدير ، عن عكرمة ، وذكر عنده (وشهد شاهد من أهلها) فقالوا : كان صبيا ، فقال : إنه ليس بصبي ولكنه رجل حكيم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وشهد شاهد من أهلها) قال : كان رجلا .

حدثنا ابن بشار . قال : ثنا عبد الرحمن . قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وشهد شاهد من أهلها) قال : رجل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (وشهد شاهد من أهلها) قال : رجل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر (وشهيد)
شاهد من أهلها) قال : رجل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا إسرائيل . عن سماك ، عن عكرمة ،
عن ابن عباس (وشهيد شاهد من أهلها) قال : ذولحية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال ابن عمها كان
الشاهد من أهلها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة
عن ابن عباس (وشهيد شاهد من أهلها) قال : ذولحية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو غسان ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،
قال : كان ذا لحية .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن ابن أبي مليكة (وشهيد
شاهد من أهلها) قال : كان من خاصة الملك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة ، قوله (وشهيد شاهد من أهلها) قال
رجل حكيم كان من أهلها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور . عن معمر . عن قتادة ، قوله (وشهيد شاهد
من أهلها) قال : رجل حكيم من أهلها .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور . عن مجاهد (وشهيد شاهد من
أهلها) قال : كان رجلا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون . قال : أخبرنا هشيم ، عن بعض أصحابه ، عن الحسن ،
في قوله (وشهيد شاهد من أهلها) قال رجل له رأى أشار برأيه .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا سلمة . عن ابن إسحاق (وشهيد شاهد من أهلها) قال : يقال : إنما
كان الشاهد مشيرا رجلا من أهل إطفير . وكان يستعين برأيه . إلا أنه قال : أشهد إن كان قميصه قد من
قبل لقد صدقت . وهو من الكاذبين .

وقيل : معنى قوله (وشهيد شاهد) : حكم حاكم .

حدثت بذلك عن الفراء ، عن معلى بن هلال ، عن أبي يحيى . عن مجاهد .

وقال آخرون : إنما عني بالشاهد : القميص المقدود .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في
قول الله (وشهيد شاهد من أهلها) قال : قميصه مشقوق من دبر . فتلك الشهادة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَشَهِيدٌ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) قميصه مشقوق من دُبُر ، فذلك الشهادة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن ليث ، عن مجاهد (وَشَهِيدٌ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) لم يكن من الإنس .

قال : ثنا حفص ، عن ليث ، عن مجاهد (وَشَهِيدٌ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) قال : كان من أمر الله ، ولم يكن إنسيا .

والصواب من القول في ذلك ، قول من قال : كان صبيا في المهدي للخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه ذكر من تكلم في المهدي ، فذكر أن أحدهم صاحب يوسف . فأما ما قاله مجاهد من أنه التميمي الممدود فما لا معنى له ، لأن الله تعالى ذكره أخبر عن الشاهد الذي شهد بذلك أنه من أهل المرأة فقال (وَشَهِيدٌ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) ولا يقال للتميم ، هو من أهل الرجل ولا المرأة .

وقوله (إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِّنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) لأن المطلوب إذا كان هاربا فإنما يؤتى من قبل دبره ، فكان معلوما أن الشق لو كان من قُبُل لم يكن هاربا مطلوبا ، ولكن كان يكون طالبا مدفوعا ، وكان يكون ذلك شهادة على كذبه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال : أشهد إن كان قميصه قُدَّ من قُبُل لقد صدقت وهو من الكاذبين ، وذلك أن الرجل إنما يريد المرأة مقبلا (وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ) وذلك أن الرجل لا يأتي المرأة من دبر ، وقال : إنه لا ينبغي أن يكون في الحق إلا ذلك . فلما رأى إطفير قميصه قُدَّ من دبر عرف أنه من كيديها ، فقال (إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِ كُنَّ إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . قال : قال : يعني الشاهد من أهلها : التميمي يفضي بينهما (إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِّنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِ كُنَّ إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ) وإنما حذف أن التي تتلفي بها الشهادة ، لأنه ذهب بالشهادة إلى معنى القول ، كأنه قال : وقال قائل من أهلها : إن كان قميصه كما قيل (يُوَصِّيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِي كَرِهَ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ) لأنه ذهب بالوصية إلى القول .

وقوله (فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِّنْ دُبُرٍ) خبر عن زوج المرأة : وهو القائل لها : إن هذا الفعل من كيد كن : أي صانع كن ، يعني من صنيع النساء ، إن كيد كن عظيم . وقيل : إنه خبر عن الشاهد أنه القائل ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿١٩﴾

وهذا فيما ذكر عن ابن عباس ، خبر من الله تعالى ذكره عن قيل الشاهد أنه قال للمرأة وليوسف ،
يعنى بقوله (يُوسُفُ) يا يوسف (أَعْرِضْ عَنْ هَذَا) يقول : أعرض عن ذكر ما كان منها إليك فيما
راودتك عليه فلا تذكره لأحد .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا)
قال : لا تذكره (وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكَ) أنت زوجك ، يقول : سليه أن لا يعاقبك على ذنبك الذي أذنبت ،
وأن يصفح عنه فيستره عليك (إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ) ، يقول : إنك كنت من المذنبين في مراودة
يوسف عن نفسه ، يقال منه : خطئ في الخطيئة يَخْطِئُ خَطْئًا وَخَطِئًا ، كما قال جل ثناؤه (إِنَّهُ كَانَ
خَطِئًا كَبِيرًا) والخطأ في الأمر ، وحكى في الصواب أيضا الصَّوْبُ ١ ، والصوب كما قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ إِنَّمَا خَطِئِي وَصَوَّبِي عَلَى وَإِنْ مَا أَهْلَكْتُ مَا ٢

وينشد بيت أمية :

عِبَادُكَ يَخْطِئُونَ وَأَنْتَ رَبُّ بَكَفَيْكَ الْمَنَايَا وَالْحُتُومُ ٣

من خطئ الرجل . وقيل (إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ) لم يقل : من الخطائيات ، لأنه لم يقصد بذلك
قصد الخبر ، عن النساء ، وإنما قصد به الخبر عمن يفعل ذلك فيخطئ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا
فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٠﴾

(١) إن لم يكن مكررا فهو مبتدأ خبره كما قال الخ .

(٢) البيت لأوس بن غلفاء (اللسان : صوب) وقوله بيت آخر :

أَلَا قَالَتْ أُمَامَةُ يَوْمَ غُولٍ تَقْطَعُ بِابْنِ غُلْفَاءَ الْحِبَالُ

قوله « مال » : بالرفع ، أى إن الذى أهلكك إنما هو مال . يريد : إن هلك المال فلا خير ، فعرضى موفور لم يثلم . ورواية
اللسان : « دعيني » في موضع : « لعمرك » .

(٣) البيت لأمية بن أبي الصلت الفقي (اللسان : خطئ) والشرط الثاني فيه « كريم لاتليق بك الذموم » . وفي اللسان : (حتم) :

حَبَانِي رَبَّنَا وَلَهُ عَسَوْنَا بِكَفَيْهِ الْمَنَايَا وَالْحُتُومُ

وقد أورده صاحب الصحاح كرواية المؤلف والمنابا : جمع منية ، وهى الموت . والحتوم : جمع حتم ، بمعنى القضاء .

وفي (اللسان : ذم) لأمية بن أبي الصلت :

سَلَامُكَ رَبَّنَا فِي كُلِّ فَجْرٍ بِرِيثًا مَا تَعَنَّتْكَ الذُّمُومُ

قال : والذموم : العيوب . وتعننته : قصده أو لحفته .

يقول تعالى ذكره : وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز في مدينة مصر ، وشاع من أمرهما فيها ما كان ، فلم ينكتم . وقلن : امرأة العزيز تراود فتاها : عبدها عن نفسه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة . عن ابن إسحاق ، قال : وشاع الحديث في القرية ، وتحدث النساء بأمره وأمرها . وقلن (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) أي عبدها . وأما العزيز فإنه الملك في كلام العرب ، ومنه قول أبي دواد :

دُرَّةٌ غاصَّ علكيَّها تاجرٌ جليَّتْ عندَ عزيزٍ يومَ طَلَّ^١

يعنى بالعزيز : الملك ، وهو من العزّة .

وقوله (قد شغفها حبًّا) يقول : قد وصل حب يوسف إلى شغاف قلبها ، فدخل تحتها حتى غلب على قلبها ، وشغاف القلب : حجابها وغلافه الذي هو فيه ، وإياه عني النابغة الذبياني بقوله :

وقد حال همّ دون ذلك داخل^٢ دخول شغاف تبثغيه الأصابع^٣

وينجو الذي قلنا في ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد . قال : ثنا حمّاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمرو بن دينار ، أنه سمع عكرمة يقول ، في قوله (شغفها حبًّا) قال : دخل حبه تحت الشغاف .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (قد شغفها حبًّا) قال : دخل حبه في شغافها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قد شغفها حبًّا) قال : دخل حبه في شغافها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قد شغفها حبًّا) قال : كان حبه في شغافها .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء . عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث الحسن بن محمد . عن شبابة .

(١) البيت لأبي دواد الإيادي . جملة المؤلف شاهدا على أن العزيز بمعنى الملك ، والعزيز في الأصل : وصف بمعنى القوى ذي المنعة ، ثم قيل الملك مجازا ، ولا مانع من المجاز ما وجدت العلاقة والقرينة . ولم أجدها العزيز بمعنى الملك في اللسان ، ولا في الأساس .
(٢) البيت للنابغة الذبياني (اللسان : شغف) . والرواية فيه :

وقد حال همّ دون ذلك والج مكان الشغاف تبثغيه الأصابع

والشغاف ، بالضم : داء يأخذ تحت الشرايف من الشق الأيمن ، قال النابغة . . البيت يعنى أصابع الأطباء . ويروى : « ولوج الشغاف » . والشغاف ، بالفتح : غلاف القلب ، وهو جلدة دونه كالحجاب . ورواية البيت في مختار الشعر الجاهل بشرح مصطلق السقا ، طبعة الحلبي صفحة ١٥٦ :

وقد حال همّ دون ذلك شاغل مكان الشغاف تبثغيه الأصابع

بفتح الشين من الشغاف .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي . قال : ثنا عبيد الله بن علي ، قال : ثنا أبي . عن أبيه . عن ابن عباس . قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) يقول : علقها حبا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس . قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : عليها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع . قال : ثنا أبي ، عن أبيه عن أيوب بن عائذ الطائي عن الشعبي (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : المشغوف : المحب ، والمشغوف : المحنون .

وبه قال : حدثنا أبي ، عن أبي الأشهب ، عن أبي رجاء والحسن (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : أحدهما قد بطنها حبا ، وقال الآخر : قد صدقها حبا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن : في قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : قد بطنها حبا . قال يعقوب : قال أبو بشر : أهل المدينة يقولون : قد بطنها حبا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء . عن الحسن . قال : سمعته يقول في قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : بطنها حبا وأهل المدينة يقولون ذلك .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن قرّة ، عن الحسن (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : قد بطن بها حبا .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : بطنها حبه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة . عن الحسن (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : بطن بها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : استبطنا حبا إياه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) أي قد علقها . حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : قد علقها حبا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا الحارثي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : هو الحب اللازق بالقلب . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، في قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) يقول : هلك عليه حبا ، والشغاف : شغاف القلب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : والشغاف : جلدة على القلب يقال لها : لسان القلب ، يقول : دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب .

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار بالغين (قَدَّ شَغَفَهَا) على معنى ما وصفت من التأويل . وقرأ ذلك أبو رجاء (قَدَّ شَعَفَهَا) بالعين .

حدثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن أبي رجاء (قَدَّ شَغَفَهَا) . قال : ثنا خلف ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي الأشهب ، أو عوف عن أبي رجاء (قَدَّ شَغَفَهَا حُبًّا) بالعين .

قال : ثنا خلف ، قال : ثنا محبوب ، قال : قرأه عوف (قَدَّ شَعَفَهَا) . قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون ، عن أسيد ، عن الأعرج (قَدَّ شَغَفَهَا حُبًّا) وقال : شغفها إذا كان هو يحبها ، ووجه هؤلاء معنى الكلام إلى أن الحب قد عمها . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول : هو من قول القائل : قد شُعِفَ بها ، كأنه ذهب بها كل مذهب من شغف الجبال ، وهي رءوسها .

وروى عن إبراهيم النخعي أنه قال : الشغف : شغف الحب . والشعف : شعف الدابة حين تدعر . حدثني بذلك الحارث ، عن القاسم ، أنه قال : يروى ذلك عن أبي عوانة ، عن مغيرة عنه . قال الحارث : قال القاسم : يذهب إبراهيم إلى أن أصل الشغف : هو الذعر . قال : وكذلك هو كما قال إبراهيم في الأصل ، إلا أن العرب ربما استعارت الكلمة فوضعها في غير موضعها ، قال امرؤ القيس :
أَتَقْتُلْنِي وَقَدَّ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةُ الرَّجُلُ الطَّالِي

(١) البيت لامرؤ القيس (مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطلح السقا طبعة الحلبي ص ٣٩) والرواية فيه : « أَيْقَتُلْنِي وَقَدَّ شَعَفْتُ » بالياء في يقتلني ، وبالفين في « شغفت » ، ومعناه : بلغ حبى شغاف قلبها وهو حجابها . والمهنوءة : الناقة التي تهنأ ، أى تطلق بالقطران . يقول : بلغ حبى لها شغاف قلبها ، كما بلغ القطران داخل الحرب في الناقة المطلية به ، وهى تستلذه حتى يكاد يفشى عليها . ويروى شعفت بالعين ، والشعف : إحراق الحب القلب ، مع لذة يجدها ، كما أن البعير إذا هنى بالقطران يجد له لذة مع حرقة . وقبل البيت أبيات ، قال :

وَرَضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَى إِذْ لَالٍ
عَلَيْهِ الْقَتَامُ سَيِّئُ الظَّنِّ وَالْبَالِ
لِيَقْتُلْنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَّالٍ
وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنِّيَابِ أَغْوَالِ
وَلَيْسَ بِذَى سَيْفٍ وَلَيْسَ بِنَبَّالٍ
كَمَا شَغَفَ الْمَهْنُوءَةُ الرَّجُلُ الطَّالِي

وَصِرْنَا إِلَى الْحُسْتَى وَرَقَّ كَلَامُنَا
فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقًا وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا
يَغْطُ غَطِيطَ الْبَكْرِ شُدَّ خِنَاقُهُ
أَيْقَتُلْنِي وَالْمَشْرِفُ مُضَاجِعِي
وَلَيْسَ بِذَى رُمُحٍ فَيَسْطَعُنْنِي بِهِ
أَيْقَتُلْنِي وَقَدَّ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا

(وفى اللسان : شغف) : « لتقتلني » . ونظن أنه تحريف . قال : يقول : أحرقت فؤادها بحبى ، كما أحرقت الطالبي هذه المهنوءة ، ففؤادها طائر من لذة الهناء ، لأن المهنوءة تجدد للهواء لذة مع حرقة . وقوله تعالى : « قد شغفها حبا » : قرئت بالعين وبالفين . فمن قرأها بالعين المهملة فعناء : تيمها . ومن قرأها بالفين المعجمة ، فعناء أصاب شغافها . وقال : ومعنى شغف بفلان : إذا ارتفع حبه إلى أعلى المواضع من قلبه قال : وهذا مذهب الفراء . وقال غيره : الشعف : الذعر . فالمعنى : هو مذخور غائف قلق . والشغف : شغف الدابة حين تدعر ، ثم نقله العرب من الذواب إلى الناس .

قال : وشعف المرأة من الحب ، وشعف المهنوءة من الذُّعر ، فشبه لوعة الحب وجواه بذلك .
وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : إن الشَّغْفَ والشَّغْفَ مختلفان ، والشَّغْفُ في البغض ، والشَّغْفُ في الحب .
وهذا الذي قاله ابن زيد لا معنى له ، لأن الشَّغْفَ في كلام العرب بمعنى عموم الحب أشهر من أن يجهله ذو علم بكلامهم .

والصواب في ذلك عندنا من القراءة (قَدْ شَغَفَهَا) بالغين لإجماع الحجة من القراء عليه .
وقوله (إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) قلن : إنا لنرى امرأة العزيز في مراودتها فتاها عن نفسه ، وغلبة حبه عليها لى خطأ من الفعل ، وجور عن قصد السبيل مبين ، لمن تأمله ، وعلمه أنه ضلال وخطأ غير صواب ، ولا سداد ، وإنما كان قيله من ذلك ، وتحدثن بما تحدثن به من شأنها وشأن يوسف مكرها منهن فيما ذكر لترين يوسف .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : فلما سمعت امرأة العزيز بمكر النسوة اللاتي قلن في المدينة ما ذكره الله عز وجل عنهن ، وكان مكرهن ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ) يقول : بقولهن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أظهر النساء ذلك من قولهن : تراود عبدها مكرها بها لترين يوسف ، وكان يوصف لهن بحسنه وجماله (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ) : أي بحديثهن ، أرسلت إليهن : يقول : أرسلت إلى النسوة اللاتي تحدثن بشأنها وشأن يوسف (وَأَعْتَدَتْ) أفعلت من العتاد ، وهو العدة ، ومعناه : أعدت لهن متكنا يعني مجلسا للطعام ، وما يتكنن عليه من الخمارق والوسائد ، وهو مفتعل من قول القائل : اتكأت ، يقال ألقى له متكنا ، يعني : ما يتكى عليه .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن البيان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا) قال : طعاما وشرابا ومتكنا .

قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكِّئًا) قال : يتكئن عليه .
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس :
(وأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكِّئًا) قال : مجلسا .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن أنه كان يقرأ (مُتَكِّئًا)
ويقول : هو المجلس والطعام .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن يزيد : من قرأ (مُتَكِّئًا) خفيفة ، يعني طعاما . ومن قرأ
(مُتَكِّئًا) يعني المتكأ ، فهذا الذي ذكرنا عن ذكرنا عنه من تأويل هذه الكلمة ، هو معنى الكلمة ،
وتأويل المتكأ ، وأنها أعدت للنسوة مجلسا فيه متكأ وطعام وشراب وأترج . ثم فسر بعضهم المتكأ بأنه الطعام
على وجه الخبر ، عن الذي أعد من أجله المتكأ ، وبعضهم عن الخبر عن الأترج ، إذ كان في الكلام ،
وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سَكِينًا ، لأن السكين إنما تعد للأترج ، وما أشبهه مما يقطع به .

وبعضهم على البزماورد ، حدثني هارون بن حاتم المقرئ ، قال : ثنا هشيم بن الزبرقان ، عن أبي روق
عن الضحاك ، في قوله (وأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكِّئًا) قال : البزماورد .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : المتكأ : هو المنرق يتكأ عليه ، وقال : زعم قوم أنه الأترج ، قال :
وهذا أبطل باطل في الأرض ، ولكن عسى أن يكون مع المتكأ أترج يأكلونه . وحكى أبو عبيد القاسم بن
سلام ، قول أبي عبيدة ، ثم قال : والفقهاء أعلم بالتأويل منه . ثم قال : ولعله بعض ما ذهب من كلام
العرب ، فإن الكسائي كان يقول : قد ذهب من كلام العرب شيء كثير انقرض أهله ، والقول في أن
الفقهاء أعلم بالتأويل من أبي عبيدة ، كما قال أبو عبيد : لاشك فيه ، غير أن أبا عبيدة لم يبعد من الصواب
في هذا القول ، بل القول كما قال من أن من قال للمتكأ هو الأترج ، إنما بين المعد في المجلس الذي فيه
المتكأ ، والذي من أجله أعطيت السكاكين ، لأن السكاكين معلوم أنها لاتعد للمتكأ إلا لتخريقه ، ولم
يُعْطَيْنِ السكاكين لذلك ؛ ومما يبين صحة ذلك القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ، من أن المتكأ هو المجلس .
ثم روى عن مجاهد عنه ، ما حدثني به سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا
أبو كدينة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكِّئًا ، وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ
مِنْهُنَّ سَكِينًا) قال : أعطهن أترجا ، وأعطت كل واحدة منهن سكينا ، فبين ابن عباس في رواية
مجاهد هذه ما أعطت النسوة ، وأعرض عن ذكر بيان معنى المتكأ ، إذ كان معلوما معناه .

ذكر من قال في تأويل المتكأ ما ذكرنا

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن
عباس (وأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكِّئًا) قال : الأترج .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، قال : حدثت عن ابن عباس
أنه كان يقرأها (مُتَكِّئًا) مخففة ، ويقول : هو الأترج .

(۱) البزماورد : هو الرقاق المعروف مع الاعم . وقيل : هو الطعام المعروف بلقمة الناصح .

حدثنا ابن وكيع، قال : ثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية (وَأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَّكِنًا) قال الطعام .
حدثني يعقوب والحسن بن محمد ، قالا : ثنا ابن عليّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله
(وَأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَّكِنًا) قال : طعاما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عليّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .
حدثنا ابن بشار وابن وكيع ، قالا : ثنا غندر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ،
في قوله (وَأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَّكِنًا) قال : طعاما .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير نحوه .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال :
من قرأ (مُتَّكِنًا) فهو الطعام ، ومن قرأها (مُتَّكِنًا) فحفظها ، فهو الأترج .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،
في قوله (مُتَّكِنًا) قال : طعاما .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . وحدثني المثنى
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد القرشي ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ،
قال : من قرأ (مُتَّكِنًا) خفيفة ، فهو الأترج .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، بنحوه .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، قال : سمعت بعضهم يقول : الأترج .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَّكِنًا) : أي طعاما .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .
قال : ثنا يزيد ، عن أبي رجاء ، عن عكرمة ، في قوله (مُتَّكِنًا) قال : طعاما .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
(وَأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَّكِنًا) يعني الأترج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَّكِنًا) والمتكأ : الطعام .
قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (وَأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَّكِنًا) قال : الطعام .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَّكِنًا)
قال : طعاما .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سلمان ، قال : سمعت الضحاك يقول

في قوله (مُتَّكِّثًا) فهو كل شيء يحز بالسكين ، قال الله تعالى ذكره مخبرا عن امرأة العزيز ، والنسوة اللاتي تحدثن بشأنها في المدينة (وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا) يعني بذلك جل ثناؤه : وأعطت كل واحدة من النسوة اللاتي حضرنها سكيناً لتقطع به من الطعام ما تقطع به ، وذلك ما ذكرت أنها آتتهن إما من الأترج ، وإما من البزماورد ، أو غير ذلك مما يقطع بالسكين .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا) وأترجا يأكله .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا) قال : أعطتهن أترجا ، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا) ليحترزن به من طمامهن .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا) وأعطتهن أترجا وعسلا ، فكن يحترزن الترنج بالسكين ، ويأكلن بالعسل ، وفي هذه الكلمة بيان صحة ما قلنا وأخبرنا في قوله (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِّثًا) وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن إيتاء امرأة العزيز النسوة السكاكين ، وترك ماله آتتهن السكاكين ، إذ كان معلوماً أن السكاكين لا تدفع إلى من دعى إلى مجلس إلا لقطع ما يؤكل إذا قطع بها ، فاستغنى بفهم السامع بذكر إيتائها صواحباتها السكاكين عن ذكر ماله آتتهن ذلك ، فكذلك استغنى بذكر اعتدادها لهن المتكأ عن ذكر ما يعتد له المتكأ مما يحضر المجالس من الأطعمة والأشربة والفواكه ، وصنوف الالتواء لفهم السامعين بالمراد من ذلك ، ودلالة قوله (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِّثًا) عليه . فأما نفس المتكأ فهو ما وصفنا خاصة دون غيره .

وقوله (وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ) يقول تعالى ذكره : وقالت امرأة العزيز ليوسف (اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ) فخرج عليهن يوسف (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ) يقول جل ثناؤه : فلما رأين يوسف أعظمته وأجللته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شاذان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَكْبَرْنَهُ) : أعظمته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله . حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح . قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) الترنج : ثمرة حامضة تشبه الليمون ، ولكنها أكبر ، وفيها استطالة ، ورائحتها قوية ، وقشرها أصفر .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ) : أي أعظمته .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وَقَالَتْ اخْرِجْ عَلَيَّهِنَّ)
ليوسف (فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ) : عظمته .

حدثنا إسماعيل بن سيف العجلي ، قال : ثنا علي بن عباس ، قال : سمعت السدي يقول في قوله
(فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ) قال : أعظمته .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (اخْرِجْ عَلَيَّهِنَّ) فخرج
(فَلَمَّا رَأَيْتَهُ) أعظمته وبهتن .

حدثنا إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا عبد الصمد بن علي الهاشمي ، عن أبيه ، عن جده ، في قوله
(فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ) قال : حضن .

حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله
(فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ) يقول : أعظمته .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى بن أبي زائدة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد
مثله . وهذا القول ، أعنى القول الذي روى عن عبد الصمد ، عن أبيه ، عن جده ، في معنى (أَكْبَرْتَهُ)
أنه حضن ، إن لم يكن عني به أنهم حضن من إجلالهم يوسف ، وإعظامهم لما كان الله قسم له من البهاء
والجمال ، ولما يجد من مثل ذلك النساء عند معايتن إياه ، فقول لامعني له ، لأن تأويل ذلك : فلما
رأين يوسف أكبره . فالهاء التي في أكبره من ذكر يوسف ، ولا شك أن من المحال أن يحضن يوسف .
ولكن الخبر إن كان صحيحا عن ابن عباس على ما روى ، فخلق أن يكون كان معناه في ذلك أنهم حضن لما
أكبرن من حسن يوسف وجماله في أنفسهن . ووجدن ما يجد النساء من مثل ذلك . وقد زعم بعض الرواة
أن بعض الناس أنشده في أكبرن ، بمعنى حضن ، بيتا لأحسب أن له أصلا ، لأنه ليس بالمعروف عند
الرواة ، وذلك :

نَأَتْ فِي النِّسَاءِ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلَا نَأَتْ فِي النِّسَاءِ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارًا

وزعم أن معناه : إذا حضن .

(١) البيت ورد في (اللسان : كبر) قال : وأما قوله تعالى : « فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ » . فأكثر المفسرين يقول : أعظمته . وروى
عن مجاهد أنه قال : أكبرته : حضن . وليس ذلك بالمعروف في اللغة . وأنشد بعضهم : « نَأَتْ النِّسَاءُ . . . البيت » . قال أبو منصور
الأزهري : وإن صحت هذه اللفظة في اللغة بمعنى الحيض ، فلها مخرج حسن ، وذلك أن المرأة أول ما تحيض ، فقد خرجت
من حد الصغر إلى حد الكبر ، فقليل لها : أكبرت : أي حاضت ، فدخلت في حد الكبر ، الموجب عليها الأمر والنهي . وروى
عن أبي الهيثم أنه قال : سألت رجلا من طييء : فقلت : يا أبا طييء ، ألك زوجة ؟ قال : لا ، والله ما تزوجت ، وقد وعدت
في ابنة عم لي . قلت : وما سببها ؟ قال : قد أكبرت أو كبرت . قلت : ما أكبرت ؟ قال : حاضت . قال أبو منصور : فلفظة
الطائي أن إكبار المرأة أول حيضها . إلا أن هاء الكناية في قوله تعالى : « أَكْبَرْتَهُ » تنفي هذا المعنى . فالصحيح أنهم لما رأين يوسف
راعين جماله ، فأعظمته . وروى الأزهري بسند عن ابن عباس في قوله تعالى : « فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ » قال : حضن . قال أبو منصور :
فإن صحت الرواية سلمنا له ، وجعلنا الهاء في قوله « أَكْبَرْتَهُ » هاء وقفة ، لا هاء كناية ، والله أعلم بما أراد .

وقوله (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) اختلاف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أنهن حزنن بالسكين في أيديهن ، وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج .
ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شهابه ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) حزا حزا بالسكين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : حزا حزا بالسكاكين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : حزا حزا بالسكين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : جعل النسوة يحزنن أيديهن : يحسبن أنهن يقطعن الأترج .

حدثنا إسماعيل بن سيف . قال : ثنا علي بن عابس ، قال : سمعت السدي يقول : كانت في أيديهن سكاكين مع الأترج . فقطعن أيديهن ، وسالت الدماء ، فقلن : نحن نلومك على حب هذا الرجل ، ونحن قد قطعنا أيدينا وسالت الدماء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب : قال : قال ابن زيد : جعلن يحزنن أيديهن بالسكين ، ولا يحسبن إلا أنهن يحزنن الأترج ، قد ذهبت عقولهن مما رأين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) وحزنن أيديهن . حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا ابن كدينة ، عن حصين ، عن مجاهد . عن ابن عباس . قال : جعلن يقطعن أيديهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : جعلن يحزنن أيديهن ، ولا يشعرون بذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قالت ليوسف : اخرج عليهن ، فخرج عليهن ، فلما رأينه أكبرنه ، وغلبت عقولن عجبا حين رأينه ، فجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التي معهن ما يعقن شيئا مما يصنعن (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) ما هَذَا بِشَرٍّ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهن قطعن أيديهن حتى أبناهن وهن لا يشعرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قطعن أيديهن حتى ألقينها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : قطعن أيديهن حتى ألقينها .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر عنهن أنهن قطعن أيديهن وهن لا يشعرن لإعظام يوسف ، وجائز أن يكون ذلك كان قطعاً بابانة ، وجائز أن يكون كان قطع حَزَّ وخدش ، ولا قول في ذلك أصوب من التسليم لظاهر التنزيل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : أعطى يوسف وأمه ثلث الحسن .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، مثله .

وبه عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : قسم ليوسف وأمه ثلث الحسن .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : أعطى يوسف وأمه ثلث حسن الخلق .

حدثني أحمد بن ثابت ، وعبد الله بن محمد الرازيان ، قالا : ثنا عفان ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا ثابت ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « أُعْطِيَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ شَطْرَ الْحُسَيْنِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي معاذ ، عن يونس ، عن الحسن : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أُعْطِيَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ ثُلُثَ حُسْنِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَأُعْطِيَ النَّاسُ الثُّلُثَيْنِ » أو قال « أُعْطِيَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ الثُّلُثَيْنِ ، وَأُعْطِيَ النَّاسُ الثُّلُثَ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ربيعة الجرشي ، قال : قسم الحسن نصفين ، فأعطى يوسف وأمه سارة نصف الحسن ، والنصف الآخر بين سائر الخلق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ربيعة الجرشي ، قال : قسم الحسن نصفين : فقسم ليوسف وأمه النصف ، والنصف لسائر الناس .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ربيعة الجرشي ، قال : قسم الحسن نصفين ، فجعل ليوسف وسارة النصف ، وجعل لسائر الخلق نصف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عيسى بن يزيد ، عن الحسن : أعطى يوسف وأمه ثلث حسن الدنيا ، وأعطى الناس الثلثين .

وقوله (وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته هامة قرأ الكوفيون (حاشَ لِلَّهِ)

بفتح الشين وحذف الياء . وقرأه بعض البصريين بإثبات الياء حاشى لله ، وفيه لغات لم يقرأ بها (حاشى الله) كما قال الشاعر :

حاشى أبى ثوبانَ إنَّ بهِ ضنّاً عنِ الملكِ حاجةٍ والشَّبَّتمِ

وذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ بهذه اللغة (وحاشى لله) بتسكين السين والألف يجمع بين الساكنين . وأما القراءة فانما هي باحدى اللغتين الأوليين ، فمن قرأ (حاشى لله) بفتح الشين وإسقاط الياء فإنه أراد لغة من قال : حاشى لله ، بإثبات الياء ، ولكنه حذف الياء لكثرة استعمالها على ألسن العرب ، كما حذفت العرب الألف من قولهم : لا أب لغيرك ، ولا أب لشانيك ، وهم يعنون : لا أبا لغيرك ، ولا أبا لشانيك . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يزعم أن لقولهم : حاشى لله ، موضعين في الكلام : أحدهما : التنزيه ، والآخر : الاستثناء ، وهو في هذا الموضع عندنا بمعنى التنزيه لله ، كأنه قيل : معاذ الله .

وأما القول في قراءة ذلك ، فإنه يقال للقارئ الخيار في قراءته بأيّ القراءتين شاء ، إن شاء بقراءة الكوفيين وإن شاء بقراءة البصريين ، وهو (حاشى لله) و (حاشى لله) لأنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان بمعنى واحد ، وما عدا ذلك فلغات لا تجوز القراءة بها ، لأننا لا نعلم قارئاً قرأ بها . وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير : عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ) قال : معاذ الله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (حاشَ لِلَّهِ) : معاذ الله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ) : معاذ الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شهاب ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حاشَ لِلَّهِ) : معاذ الله .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن عمرو ، عن الحسن (حاشَ لِلَّهِ) : معاذ الله .

(۱) البيت منسوب لسيرة بن عمرو الأسدى (مجاز القرآن لأبي عبيدة) ، ونسبه فى المفضليات والأصعيات إلى الجميع ، وهو منقذ بن الطماح الأسدى .

ويقال : حاشيته أى استثنائه . وقال أبو حيان فى تفسيره البحر المحيط : (هـ : ۳۰۰) كذا ينشده ابن عطية وأكثر النحويين ، وهو بيت ركبوا فيه صدر بيت على عجز آخر ، وهما من بيتين ، قال :

حاشى أبى ثوبانَ إنَّ أبَا ثوبانَ لَيْسَ بِبِكَمَّةٍ فَدَمَ

عَمْرُو بْنُ عَبْسٍ اللَّهُ إنَّ بِهِ ضَنْناً عَنِ الْمَلِكِ حَاجَةٍ وَالشَّبَّتِ

وأورده صاحب (اللسان : حشا) كما فى رواية المؤلف ، ونسبه لسيرة بن عمرو .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
 وقوله (ما هَذَا بَشَرًا) يقول : قلن ما هذا بشرا ، لأنهن لم يرين في حسن صورته من البشر أحدا ،
 فقلن : لو كان من البشر لكان كبعض ما رأينا من صورة البشر ، ولكنه من الملائكة لا من البشر .
 كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ
 مَا هَذَا بَشَرًا) : ما هكذا تكون البشر . وهذه القراءة قرأ عامة قرآء الأمصار .
 وقد حدثت عن يحيى بن زياد الفراء ، قال : ثنى دعامة بن رجاء التيمي ، وكان غرّا عن أبي الخويرث
 الحنفي أنه قرأ (ما هَذَا بَشَرِي) : أي ما هذا بمشري ، يريد بذلك أنهن أنكرن أن يكون مثله مستعبدا
 يشترى ويباع ، وهذه القراءة لأستجيز القراءة بها لإجماع قرآء الأمصار على خلافها . وقد بينّا أن ما أجمعت
 عليه ، فغير جائز خلافها فيه . وأما نصب البشر ، فمن لغة أهل الحجاز إذا أسقطوا الباء من الخبر نصبوه ،
 فقالوا : ما عمرو قائما . وأما أهل نجد ، فإن من لغتهم رفعه ، يقولون : ما عمرو قائم ، ومنه قول بعضهم
 حيث يقول :

لَشَتَّانَ مَا أَنْوَى وَيَنْوَى بَنُو أَبِي جميعا ، فَا هَذَانِ مُسْتَوِيَانِ
 تَمْتَنُّوْا إِلَى الْمَوْتِ الَّذِي يَشْعَبُ الْفَتَى وَكُلُّ فِتَى وَالْمَوْتُ يَلْتَقِيَانِ ١

وأما القرآن ، فجاء بالنصب في كل ذلك ، لأنه نزل بلغة أهل الحجاز .

وقوله (إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) يقول : قلن ما هذا إلا ملك من الملائكة .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّ هَذَا إِلَّا
 مَلَكٌ كَرِيمٌ) قال : قلن : ملك من الملائكة .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَةٍ لَّيْسَ جَنَّ
 وَلِيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطعن أيديهن ، فهذا الذي أصابكن في رؤيتكن
 إياه ، وفي نظرة منكن نظرتن إليه ما أصابكن من ذهاب العقل ، وغروب الفهم ولها إلى ، حتى قطعن
 أيديكن ، هو الذي لمتني في حيي إياه ، وشغف فؤادي به ، فقلتن : قد شغف امرأة العزيز فتاها حبا ،
 إنا لراها في ضلال مبين . ثم أقرت لمن بآنها قد راودته عن نفسه ، وأن الذي تحدثن به عنها في أمره حق ،
 فقالت (وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ) مما راودته عليه من ذلك .

كما تحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قالت (فَذَلِكُنَّ)

(١) استشهد المؤلف بهذا الشعر على أن أهل نجد ترفع خبر المبتدأ بعد ما النافية ، ولا يعملونها . أما الحجازيون فينصبون بها خبر
 المبتدأ كما في قوله تعالى : « ما هذا بشرا » . والقرآن نزل بلسانهم . ويشعب الفتى : يفرقه ، أي يبعده عن أهله .

الَّذِي لُمْتُنَانِي فِيهِ ، وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ) : تقول : بعد ما حلّ السراويل استعصى ، لا أدري ما بدا له .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَاسْتَعْصَمَ) : أي فاستعصى .
حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَاسْتَعْصَمَ) يقول : فامتنع .

وقوله (لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ) تقول : ولئن لم يطاوعني على ما أدعوه إليه من حاجتي إليه ليسجن ، تقول : ليجسن في السجن ، وليكونا من أهل الصغار والذلة بالحبس والسجن ، ولأهيننه . والوقف على قوله : ليسجن بالنون لأنها مشددة ، كما قيل : ليطئن .
وأما قوله (وَلَيَكُونَا) فإن الوقف عليه بالآلف لأنها النون الخفيفة ، وهي شبيهة نون الإعراب في الأسماء في قول القائل : رأيت رجلاً عندك ، فإذا وقف على الرجل قيل : رأيت رجلاً ، فصارت النون ألفاً ، فكذلك ذلك في : وليكونا ، ومثله قوله (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ، نَاصِيَةٍ) الوقف عليه بالآلف لما ذكرت ، ومنه قول الأعشى :

وَصَلَّ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا ١

ولما هو : فاعبدن ، ولكن إذا وقف عليه كان الوقف بالآلف .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٥٠﴾

❦ وهذا الخبر من الله يدل على أن امرأة العزيز قد عاودت يوسف في المراودة عن نفسه ، وتوعدته بالسجن والحبس إن لم يفعل مادعته إليه ، فاختار السجن على مادعته إليه من ذلك ، لأنها لو لم تكن عاودته وتوعدته بذلك ، كان محالاً أن يقول (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) وهو لا يدعى إلى شيء ، ولا يخوف بحبس ، والسجن هو الحبس نفسه ، وهو بيت الحبس ، وبكسر السين قرأه قراء الأمصار كلها ، والعرب تضع الأماكن المشتقة من الأفعال مواضع الأفعال فتقول : طلعت الشمس مَطْلِعًا ، وغربت مغْرِبًا ، فيجعلونها وهي أسماء خلفة من المصادر ، فكذلك السجن ، فإذا فتحت السين من السجن ،

(١) البيت للأعشى الأكبر ميمون (ديوانه طبع القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ، ص ١٧) ورواية البيت والذي قبله :

وَذَا النُّصْبِ الْمُنْصُوبِ لَا تَنْسُكُنَّهُ وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا

وَصَلَّ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاحْمَدَا

والشاهد فيه عند النحويين : قلب نون التوكيد الخفيفة عند الوقف ألفاً ، كحكم التنوين .

كان مصدرا صحيحا ، وقد ذكر عن بعض المتقدمين أنه يقرؤه (السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ) بفتح السين ، ولا أستجيز القراءة بذلك لإجماع الحجة من القراء على خلافها . وتأويل الكلام : قال يوسف : يا رب الحبس في السجن أحب إلي مما يدعونني إليه من معصيتك ، ويراودني عليه من الفاحشة .
كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قال رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) : من الزنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يوسف ، وأضاف إلى ربه واستعان به على ما نزل به (رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) : أي السجن أحب إلي من أن آتي ما تكره . وقوله (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) يقول : وإن لم تدفع عني يا رب فعلهن الذي يفعلن بي في مراودتهن إياي على أنفسهن أصب إليهن ، يقول : أميل إليهن ، وأتابعهن على ما يردن مني ، ويهوين من قول القائل : صبا فلان إلى كذا ، ومنه قول الشاعر :

إلى هِنْدٍ صَبَا قَلْبِي وَهِنْدٌ مِثْلُهَا بُصْبِي

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) يقول : أتابعهن .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ) : أي ما أتخوف منهن (أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) قال : إلا يكن منك أنت العون والمنعة ، لا يكن مني ولا عندي .

وقوله (وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) يقول : وأكن بصبوتي إليهن من الذين جهلوا حقك ، وخالفوا أمرك ونهيك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) : أي جاهلا إذا ركبت معصيتك .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٤﴾

﴿٢٤﴾ إن قال قائل : وما وجه قوله (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ) ولا مسألة تقدمت من يوسف لربه ، ولا دعا بصرف كيدهن عنه ، وإنما أخبر ربه أن السجن أحب إليه من معصيته ؟ قيل : إن في إخباره بذلك شكاية منه إلى ربه مما لقي منهن ، وفي قوله (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) معنى دعاء ومسألة

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣١١) قال : أصب إليهن : أي أهواهن وأميل إليهن . قال يزيد بن ضبة

« إلى هند . . . البيت » .

منه ربه صرف كيدهن ، ولذلك قال الله تعالى ذكره (فاستجاب له ربه) وذلك كقول القائل لآخر : إن لا تزرني أهك ، فيجيبه الآخر : إذن أزورك ، لأن في قوله : إن لا تزرني أهك ، معنى الأمر بالزيارة . وتأويل الكلام : فاستجاب الله ليوسف دعاءه ، فصرف عنه ما أرادت منه امرأة العزيز وصواحبها من معصية الله .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فاستجاب له ربه) فصرف عنه كيدهن لأنه هو السميع العلیم) : أي نجاه من أن يركب المعصية فيهن ، وقد نزل به بعض ما حذر منهن .

وقوله (إنه هو السميع) دعاء يوسف حين دعاه بصرف كيد النسوة عنه ، ودعاء كل داع من خلقه (العلیم) بمطلبه وحاجته ، وما يصلحه ، وبجاجة جميع خلقه وما يصلحهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَ جُنَّةٌ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : ثم بدا للعزیز زوج المرأة التي راودت يوسف عن نفسه ، وقيل : بدا لهم ، وهو واحد ، لأنه لم يذكر باسمه ويقصد بعينه ، وذلك نظير قوله (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) وقيل : إن قائل ذلك كان واحدا . وقيل : معنى قوله (ثم بدا لهم) في الرأي الذي كانوا رأوه من ترك يوسف مطلقا ، ورأوا أن يسجنوه (من بعد ما رأوا الآيات) ببرأته مما قذفته به امرأة العزيز ، وتلك الآيات كانت : قد القميص من دبر ، وخمشا في الوجه ، وقطع أيديهن ، كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن نصر بن عوف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات) قال : كان من الآيات قد في القميص وخمش في الوجه . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي وابن نمير ، عن نصر ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات) قال : قد القميص من دبر . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (من بعد ما رأوا الآيات) قال : قد القميص من دبر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (من بعد ما رأوا الآيات) قال : الآيات : حزن أيديهن ، وقد القميص .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قد القميص من دبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتْهُ) ببراءته مما اتهم به من شق قميصه من دُبُر (لَيْسَ جُنَّتْهُ حَتَّى حِينَ) .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ) قال :

الآيات : القميص ، وقطع الأيدي .
وقوله (لَيْسَ جُنَّتْهُ حَتَّى حِينَ) يقول : ليسجنه إلى الوقت الذي يرون فيه رأيهم ، وجعل الله ذلك الحبس ليوسف فيما ذكر عقوبة له من همه بالمرأة ، وكفارة لخطيئته .

حدثت عن يحيى بن أبي زائدة ، عن إسرائيل ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لَيْسَ جُنَّتْهُ حَتَّى حِينَ) عثر يوسف عليه السلام ثلاث عثرات حين هم بها فسجن ، وحين قال (اذْكَرْتِي عِنْدَ رَبِّكَ - فَكَلَبْتُ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سَنِينَ) وأنساه الشيطان ذكر ربه وقال لهم (إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) (قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَتَعْدُ سَرَقَ أَخٌ لَه مِنْ قَبْلُ) .

وذكر أن سبب حبسه في السجن : كان شكوى امرأة العزيز إلى زوجها أمره وأمرها .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتْهُ حَتَّى حِينَ) قال : قالت المرأة لزوجها : إن هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يعتذر إليهم ، ويخبرهم أني راودته عن نفسه ، ولست أطيق أن أعتذر بعذري ، فلما أن تأذن لي فأخرج فأعتذر ، ولما أن تحبسه كما حبستني ، فذلك قول الله تعالى (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتْهُ حَتَّى حِينَ) .

وقد اختلف أهل العربية في وجه دخول هذه اللام في (لَيْسَ جُنَّتْهُ) فقال بعض البصريين : دخلت هاهنا لأنه موضع يقع فيه أي ، فلما كان حرف الاستفهام يدخل فيه دخلته النون ، لأن النون تكون في الاستفهام ، تقول : بدا لهم أيهم يأخذون : أي استبان لهم . وأنكر ذلك بعض أهل العربية ، فقال : هذا يمين ، وليس قوله : هل تقومون بيمين ، ولستقومون ، لا يكون إلا يميناً .

وقال بعض نحوي الكوفة : بدا لهم ، بمعنى : القول ، والقول يأتي بكل : الكلام بالقسم وبلاستفهام ، فلذلك جاز : بدا لهم قام زيد ، وبدا لهم ليقومون . وقيل : إن الحين في هذا الموضع معنى به سبع سنين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن داود ، عن عكرمة (لَيْسَ جُنَّتْهُ حَتَّى حِينَ) قال :

سبع سنين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : ودخل مع يوسف السجن فتيان ، فدل بذلك على متروك قد ترك من الكلام وهو

(ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ سَجُنُهُ حَتَّى حِينَ) فسجنوه وأدخلوه السجن ، ودخل معه فتیان ، فاستغنى بدليل قوله (وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ) على إدخالهم يوسف السجن من ذكره وكان الفتیان فيما ذكر : غلامين من غلمان ملك مصر الأكبر : أحدهما صاحب شرابه ، والآخر صاحب طعامه . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فطرح في السجن : يعنى يوسف ، ودخل معه السجن فتیان ، غلامان كانا للملك الأكبر : الريان بن الوليد ، كان أحدهما على شرابه ، والآخر على بعض أمره ، فى سخطه سخطها عليهما ، اسم أحدهما مجلث ، والآخر نبو ، ونبو الذى كان على الشراب . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ) قال : كان أحدهما خبازا للملك على طعامه ، وكان الآخر ساقيه على شرابه .

وكان سبب حبس الملك الفتيين فيما ذكر ، ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : إن الملك غضب على خبازه ، بلغه أنه يريد أن يسمه ، فحبسه وحبس صاحب شرابه ، ظن أنه ماله على ذلك فحبسهما جميعا ، فذلك قول الله تعالى ودخل معه السجن فتیان .

وقوله (قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ خَمْرًا) ذكر أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه لما أدخل السجن ، قال لمن فيه من الحبسين ، وسألوه عن عمله : إني أعبر الرؤيا ، فقال أحد الفتيين اللذين أدخلوا معه السجن لصاحبه : تعال فلنجرّبه .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : لما دخل يوسف السجن قال : أنا أعبر الأحلام ، فقال أحد الفتيين لصاحبه : هلم نجرب هذا العبد العبراني نترأى له ، فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا ، فقال الخباز : إني أراى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه . وقال الآخر : إني أراى أعصر خمرا .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن عمارة بن القعقاع ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : مارأى صاحب يوسف شيئا ، وإنما كانا تحالما ليجرّبا علمه . وقال قوم : إنما سأله الفتیان عن رؤيا كانا رأياها على صحة وحقيقة ، وعلى تصديق منهما ليوسف لعلمه بتعبيرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما رأى الفتیان يوسف ، قالا : والله يافى لقد أحببناك حين رأيناك .

قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، إن يوسف قال لهم حين قالا له ذلك : أنشد كما الله أن لا تحبانى ، فوالله ما أحببني أحد قط إلا دخل على من حبه بلاء ، لقد أحببني عمى فدخل على من حبه بلاء ، ثم لقد أحببني أبى فدخل على بحبه بلاء ، ثم لقد أحببني زوجة صاحبي هذا ، فدخل على بحبه إياى بلاء ، فلا تحبانى بارك الله فيكما ، قال : فأبيا إلا حبه وإلفه حيث

كان ، وجعلا يعجبهما ما يريان من فهمه وعقله ، وقد كانا رأيا حين أدخلنا السجن رؤيا ، فرأى «مجلث» أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه ، ورأى «نبو» أنه يعصر خمرا ، فاستفتياه فيها وقال له (نَبَّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) إن فعلت .

وعنى بقوله (أَعْصِرْ خَمْرًا) أى إني أرى فى نومي أنى أعصر عنباً . وكذلك ذلك فى قراءة ابن مسعود فيما ذكر عنه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى سلمة الصائغ ، عن إبراهيم بن بشير الأنصارى ، عن محمد ابن الحنفية قال فى قراءة ابن مسعود (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ عِنْبًا) وذكر أن ذلك من لغة أهل عُمان ، وأنهم يسمون العنب خمرا .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول فى قوله (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا) يقول : أعصر عنباً ، وهو بلغة أهل عُمان ، يسمون العنب خمرا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاک (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا) قال : عنباً ، أرض كذا وكذا يدعون العنب خمرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا) قال : عنباً .

حدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبى حمزة ، عن عكرمة ، قال : أتاه فقال : رأيت فيما يرى النائم أنى غرست حبة من عنب ، فنبئت ، فخرج فيه عناقيد فعصرتهن ، ثم سقيتهن الملك ، فقال : تمكث فى السجن ثلاثة أيام ، ثم تخرج فتسقيه خمرا .

وقوله (وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ) نَبَّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ (يقول تعالى ذكره : وقال الآخر من الفتيين : إني أراى فى منامى أحمل فوق رأسى خبزا : يقول : أحمل على رأسى ، فوضعت « فوق » مكان « على » (تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ) يعنى من الخبز .

وقوله (نَبَّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ) يقول : أخبرنا بما يثول إليه ما أخبرناك أنا رأينا فى منامنا ، ويرجع إليه . كما حدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (نَبَّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ) قال : به . قال الحارث . قال أبو عبيد : يعنى مجاهد : أن تأويل الشيء : هو الشيء . قال : ومنه تأويل الرؤيا : إنما هو الشيء الذى تثول إليه .

وقوله (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) اختلف أهل التأويل فى معنى الإحسان الذى وصف به الفتيان يوسف ، فقال بعضهم : هو أنه كان يعود مريضهم ، ويعزى حزينهم ، وإذا احتاج منهم لإنسان جمع له .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن سلمة بن نبيط ،

عن الضحاک بن مزاحم ، قال : کنت جالسا معه ببلخ ، فسئل عن قوله (نَبَّأْنَا بِتَّاءٍ وَيْلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ) قال : قيل له : ما كان إحسان يوسف ؟ قال : كان إذا مرض إنسان قام عليه ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا ضاق أوسع له .

حدثنا إسحاق ، عن أبي إسرائيل ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاک ، قال : سأل رجل الضحاک ، عن قوله (إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ) ما كان إحسانه ؟ قال : كان إذا مرض إنسان في السجن قام عليه ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا ضاق عليه المكان أوسع له .

حدثنا القاسم : قال : ثنا الحسين : قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ) قال : بلغنا أن إحسانه أنه كان يداوى مريضهم ، ويعزى حزينهم ، ويجهد لربه . وقال : لما انتهى يوسف إلى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجائهم ، واشتد بلاؤهم ، فطال حزنهم ، فجعل يقول : أبشروا واصبروا وتؤجروا ، إن لهذا أجرا ، إن لهذا ثوابا ، فقالوا : يا فتى بارك الله فيك ما أحسن وجهك : وأحسن خلقك : لقد بورك لنا في جوارك ، ما نحب أن نكون في غير هذا منذ حبسنا : لما تخبرنا من الأجر والکفارة والطهارة ، فن أنت يا فتى ؟ قال : أنا يوسف بن صفي الله يعقوب ، ابن ذبيح الله إسحاق . بن إبراهيم خليل الله ، وكانت عليه محبة ، وقال له عامل السجن : يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك . ولكن سأحسن جوارك ، وأحسن إيسارك ، فكن في أي بيوت السجن شئت .

حدثنا أبو كريب : قال : ثنا وكيع ، عن خلف الأشجعي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاک في (إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ) قال : كان يوسع للرجل في مجلسه ، ويتعاهد المرضى . وقال آخرون : معناه : (إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ) إذ نبأنا بتأويل رؤيانا هذه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد : قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . قال : اسفתיاه في رؤيائهما ، وقالاه : (نَبَّأْنَا بِتَّاءٍ وَيْلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ) إن فعلت .

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب . القول الذي ذكرناه عن الضحاک و قتادة . فإن قال قائل : وما وجه الكلام إن كان الأمر إذن كما قلت ، وقد علمت أن مسألتهم يوسف أن ينبئهم بتأويل رؤيائهما ليست من الخبر عن صفته بأنه يعود المريض ، ويقوم عليه ، ويحسن إلى من احتاج في شيء ، وإنما يقال للرجل : نبئنا بتأويل هذا فإنك عالم ، وهذا من المواضع التي تحسن بالوصف بالعلم لا بغيره ؟

قيل : إن وجه ذلك أنهما قالاه : نبئنا بتأويل رؤيانا محسنا إلينا في إخبارك إيانا بذلك ، كما نراك تحسن في سائر أفعالك . إنا نراك من المحسنين .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأًا تُكْمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾

يقول تعالى ذكره (قال) يوسف للفتيين اللذين استعبراہ الرؤيا (لَا يَأْتِيَكُمَا) أيها الفتیان فی منامكما (طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأًا تُكْمَا بِتَأْوِيلِهِ) فی یقظتكما (قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا) .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : قال يوسف لهما (لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ) فی النوم (إِلَّا نَبَأًا تُكْمَا بِتَأْوِيلِهِ) فی اليقظة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يوسف لهما (لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ) يقول : فی نومكما (إِلَّا نَبَأًا تُكْمَا بِتَأْوِيلِهِ) . ويعنى بقوله (بِتَأْوِيلِهِ) : ما ينول إليه ويصير ما رأيا فی منامهما من الطعام الذي رأيا أنه أتاها فيهما .

وقوله (ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي) يقول : هذا الذي أذكر أنى أعلمه من تعبير الرؤيا مما علمنى ربى فعلَّمته (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) وجاء الخبر مبتدأ : أى تركت ملة قوم . والمعنى ماملت . وإنما ابتداء بذلك ، لأن فى الابتداء الدليل على معناه .

وقوله (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) يقول : إني برئت من ملة من لا يصدق بالله ، ويقر بوحدايته (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) يقول : وهم مع تركهم الإيمان بوحداية الله لا يقرّون بالمعاد والبعث ، ولا بثواب ولا عقاب ، وكررت « هم » مرتين ، فقليل (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) لما دخل بينهما قوله (بِالْآخِرَةِ) فصارت « هم » الأولى كالملغاة ، وصار الاعتماد على الثانية ، كما قيل (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) وكما قيل (أَيْعِدُكُمْ أَنْتَ كُمْ إِذَا مِيتُمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتَ كُمْ تُخْرِجُونَ) .

يقول فان قال قائل : ما وجه هذا الخبر ومعناه من يوسف ، وأين جوابه الفتية عما سألاه من تعبير رؤياهما من هذا الكلام ؟

قيل له : إن يوسف كره أن يجيبهما عن تأويل رؤياهما لما علم من مكروه ذلك على أحدهما ، فأعرض عن ذكره ، وأخذ في غيره ليعرضها عن مسألته الجواب بما سألاه من ذلك .
وبنحو ذلك ، قال بعض أهل العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله (إِنِّي أُرَانِي أَعْصِرُ

تَخْمَرًا ، وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَتَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ، نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ .
 قال : فكره العبارة لهما ، وأخبرهما بشيء لم يسألاه عنه ليريهما أن عنده علما . وكان الملك إذا أراد قتل
 إنسان ، صنع له طعاما معلوما ، فأرسل به إليه ، (فقال) يوسف (لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ) . . . إلى
 قوله (تَشْكُرُونَ) فلم يدعاه ، فعدل بهما ، وفكره العبارة لهما ، فلم يدعاه حتى يعبر لهما ، فعدل بهما
 وقال (يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) . . . إلى قوله
 (يَعْلَمُونَ) فلم يدعاه حتى عتبر لهما ، فقال (يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ
 تَخْمَرًا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ) قالا : مارأينا شيئا ، إنما كنا نلعب ، قال
 (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) . وعلى هذا التأويل الذي تأوله ابن جريج . فقوله (لَا يَأْتِيَكُمَا
 طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ) في اليقظة لافي النوم ، وإنما أعلمهما على هذا القول أن عنده علم ما يتول إليه أمر الطعام
 الذي يأتيهما من عند الملك ومن عند غيره ، لأنه قد علم النوع الذي إذا أتاهما كان علامة لقتل من أتاه ذلك
 منهما ، والنوع الذي إذا أتاه كان علامة لغير ذلك ، فأخبرهما أنه عنده علم ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٨﴾

﴿٢٨﴾ يعني بقوله (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) واتبعت دينهم لادين أهل الشرك
 (مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) يقول : ما جاز لنا أن نجعل لله شريكا في عبادته وطاعته ، بل
 الذي علينا إفراده بالألوهة والعبادة (ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا) يقول : اتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق
 ويعقوب على الإسلام ، وتركى (مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) ،
 من فضل الله الذي تفضل به علينا ، فأنعم إذ أكرمنا به ، (وَعَلَى النَّاسِ) . يقول : وذلك أيضا من فضل الله
 على الناس ، إذ أرسلنا إليهم دعاة إلى توحيد طاعته (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) يقول :
 ولكن من يكفر بالله لا يشكر ذلك من فضله عليه ، لأنه لا يعلم من أنعم به عليه ، ولا يعرف المتفضل به .
 وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا) أن جعلنا أنبياء (وَعَلَى النَّاسِ) يقول : أن بعثنا إليهم رسلا .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا)
 (وَعَلَى النَّاسِ) ذكركم لنا أن أبا الدرداء كان يقول : يا رب شاكر نعمة غير منعم عليه لا يدري ، ورب
 حامل فقه غير فقيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَصْرِحِي السَّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٥١﴾

ذكر أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه ، قال هذا القول للفتيين اللذين دخلا معه السجن ، لأن أحدهما كان مشركا ، فدعاه بهذا القول إلى الإسلام ، وترك عبادة الآلهة والأوثان ، فقال (يا صاحبي السَّجْنِ) يعني : يا من هو في السجن ، وجعلهما صاحبيه لكونهما فيه ، كما قال الله تعالى لسكان الجنة (فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) وكذلك قال لأهل النار ، وسماهم أصحابها لكونهم فيها وقوله (أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) يقول : أعبادة أرباب شتى متفرقين ، وآلهة لا تنفع ولا تضر خير ، أم عبادة المعبود الواحد الذي لا ثاني له في قدرته وسلطانه : الذي قهر كل شيء فذلله وسخره ، فأطاعه طوعا وكرها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا صاحبي السَّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ) . . . إلى قوله (لَا يَعْزَمُونَ) لما عرف نبي الله يوسف أن أحدهما مقتول دعاهما إلى حظهما من ربهما ، وإلى نصيبهما من آخرتهما .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يا صاحبي السَّجْنِ) يوسف يقول .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم دعاهما إلى الله ، وإلى الإسلام ، فقال (يا صاحبي السَّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) : أي خير أن تعبدوا إلها واحدا ، أو آلهة متفرقة لا تغني عنكم شيئا ؟

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ
إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾

يعني بقوله (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ) : ما تعبدون من دون الله ، وقال (مَا تَعْبُدُونَ) وقد ابتدأ الخطاب بخطاب اثنين ، فقال (يا صاحبي السَّجْنِ) لأنه قصد الخطاب به ، ومن هو على الشرك بالله

مقيم من أهل مصر ، فقال للمخاطب بذلك : ما تعبد أنت ، ومن هو على مثل ما أنت عليه من عبادة الأوثان (إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) ، وذلك تسميتهم أوثانهم آلهة أربابا ، شركا منهم وتشبيها لها في أسمائها التي سموها بها بالله تعالى ، عن أن يكون له مثل أو شبيه (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) يقول : سموها بأسماء لم يأذن لهم بتسميتها ، ولا وَضَعَ لَهُمْ عَلَى أَنْ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ أَسْمَاؤَهَا دَلَالَةً وَلَا حُجَّةً ، ولكنها اختلاق منهم لها وافتراء .

وقوله (إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) يقول : وهو الذى أمر ألا تعبدوا أنتم وجميع خلقه ، إلا الله الذى له الألوهة والعبادة خالصة دون كل ما سواه من الأشياء .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس عن أبي العالية ، فى قوله (إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) قال : أسس الدين على الإخلاص لله وحده لا شريك له .

وقوله (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَسِيمُ) يقول : هذا الذى دعوتكما إليه من البراءة ، من عبادة ما سوى الله من الأوثان ، وأن تخلصا العبادة لله الواحد القهار ، هو الدين القويم الذى لا عوجاج فيه ، والحق الذى لا شك فيه (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أهل الشرك بالله يجهلون ذلك ، فلا يعلمون حقيقته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَصْرَحِي السَّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ
قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾

يقول جل ثناؤه مخبرا عن قيل يوسف للذين دخلا معه السجن (يَا صَاحِبِي السَّجْنِ ، أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا) هو الذى رأى أنه يعصر خمرا ، فيسقى ربه : يعنى سيده ، وهو ملكهم خمرا : يقول : يكون صاحب شرابه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا) قال : سيده .

وأما الآخر ، وهو الذى رأى أن على رأسه خبزا تأكل للطير منه ، فيصلب فتأكل الطير من رأسه ؛ فذكر أنه لما عسبر ما أخبراه به أنهما رأياه فى منامهما ، قالاه : ما رأينا شيئا ، فقال لهما (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) يقول : فرغ من الأمر الذى فيه استفتيتما ، ووجب حكم الله عليكما بالذى أخبرتكما به .

وينحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله قال : قال اللذان دخلا السجن على يوسف : ما رأينا شيئا ، فقال (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عمارة بن القعقاع ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) قال : لما قالا ما قالا ، أخبرهما ، فقالا : ما رأينا شيئا ، فقال (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله في الفتيين اللذين أتيا يوسف ، والرؤيا إنما كانا تحالما ليحرباه ، فلما أول رؤياهما قالا : إنما كنا نلعب ، قال (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : ما رأى صاحبا يوسف شيئا ، إنما كانا تحالما ليحربا علمه ، فقال أحدهما : إني أراي أعصر عنباً ، وقال الآخر : إني أراي أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه ، نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين ، قال : يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرًا ، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ، فلما عبر ، قالا : ما رأينا شيئا ، قال (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) على ما عتبر يوسف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال لجلث : أما أنت فتصلب فتأكل الطير من رأسك ، وقال لنبو : أما أنت فترد على عملك ، فيرضى عنك صاحبك (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) أو كما قال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج (فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) ١ .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) عند قولهما : ما رأينا رؤيا إنما كنا نلعب ، قال : قد وقعت الرؤيا على ما أولت .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) فذكر مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَّ لَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : قال يوسف للذي علم أنه ناج من صاحبيه اللذين استعبراه الرؤيا (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) يقول : اذكُرني عند سيدك ، وأخبره بمظلمتي ، وأناي محبوس بغير جرم .

(١) كذا في أصله المخطوط رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب المصرية ، وهو آخر سطر في (ص ٣٨) . ونسب الكاتب أن يكتب التفسير في أول الصفحة التالية .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يعنى لنبو (اذْكَرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) : أى اذكر للملك الأعظم مظلمتى وحبسى فى غير شىء ، قال : أفعل .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (اذْكَرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال للذى نجا من صاحبي السجن ، يوسف يقول : اذكرنى عند الملك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أسباط (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكَرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال : عند ملك الأرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اذْكَرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) يعنى بذلك الملك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكَرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) الذى نجا من صاحبي السجن للملك يقول يوسف : اذكرنى .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمى أنه لما انتهى به إلى باب السجن قال له صاحب له ، حاجتك أوصنى بحاجتك ، قال : حاجتى أن تذكرنى عند ربك ، ينوى الرب الذى ملك يوسف . وكان قتادة يوجه معنى الظن فى هذا الموضع إلى الظن الذى هو خلاف اليقين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكَرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) وإنما عبارة الرؤيا بالظن ، فيُحقّ الله ما يشاء ويبطل ما يشاء ، وهذا الذى قاله قتادة من أن عبارة الرؤيا ظن ، فإن ذلك كذلك من غير الأنبياء . فأما الأنبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمر أنه كائن ثم لا يكون ، أو أنه غير كائن ثم يكون مع شهادتها على حقيقة ما أخبرت عنه أنه كائن أو غير كائن ، لأن ذلك لو جاز عليها فى أخبارها لم يؤمن مثل ذلك فى كل أخبارها ، وإذا لم يؤمن ذلك فى أخبارها سقطت حجتها على من أرسلت إليه . فإذا كان ذلك كذلك كان غير جائز عليها أن تخبر بخبر إلا وهو حقّ وصدق ، فعلوم إذ كان الأمر على ما وصفت أن يوسف لم يقطع الشهادة على ما أخبر الفتيين اللذين استعبراه أنه كائن ، فيقول لأحدهما : (أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِ رَبَّهُ خَمْرًا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ) ثم يؤكد ذلك بقوله (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) عند قولهما : لم نر شيئا ، إلا وهو على يقين أن ما أخبرهما بحدوثه ، وكونه أنه كائن لا محالة لاشكّ فيه ، وليقينه بكون ذلك قال لناجى منهما (اذْكَرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) فبسيّئ إذن بذلك فساد القول الذى قاله قتادة فى معنى قوله (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا) : وقوله (فَأَنزَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ) وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن غفلة عرضت ليوسف من قبيل الشيطان نسي لها ذكر ربه الذى لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه ، ولكنه زلّ بها ، فأطال من أجلها فى السجن حبسه ، وأوجع لها عقوبته .

كما حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جعفر بن سليمان الضُّبَعِيُّ ، عن بِسْطَامِ بْنِ مَسْلَمٍ ، عن مالك بن دينار ، قال : لما قال يوسف للساقى (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال : قيل : يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا ، لأطيلن حبسك ، فبكى يوسف وقال : يا رب أنسى قلابي كثرة البلوى ، فقلت كلمة ، فويل لإخوتي .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْلا أَنَّهُ » يعنى يوسف « قالَ الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَ مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ » .

حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علي ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللَّهُ يُوسُفَ لَوْلا كَلِمَتُهُ مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ » . يعنى قوله (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال : ثم يبكى الحسن فيقول : نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عثمة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْلا كَلِمَةُ يُوسُفَ مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَوْ لَمْ يَقْبَلْ يُوسُفُ ، يعنى الكلمة التي قال ، مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ » يعنى حيث يبتغى الفرج من عند غير الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ لَمْ يَسْتَعِزْ يُوسُفُ عَلَى رَبِّهِ مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ » . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لَوْلا أَنَّهُ يُوسُفُ اسْتَشْفَعَ عَلَى رَبِّهِ مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ ، وَلَكِنْ إِنَّمَا عَوْقِبَ بِاسْتِشْفَاعِهِ عَلَى رَبِّهِ » .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال له (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال : فلم يذكره حتى رأى الملك الرؤيا ، وذلك أن يوسف أنساه الشيطان ذكر ربه ، وأمره بذكر الملك وابتغاء الفرج من عنده (فَلَمَّا لَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) ، بقوله (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه ، غير أنه قال (فَلَمَّا لَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) عقوبة لقوله (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث محمد ابن عمرو سواء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث المثني ، عن أبي حذيفة .

وكان محمد بن إسحاق يقول : إنما أنسى الشيطان الساقى ذكر أمر يوسف لملكهم .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما خرج : يعنى الذى ظن أنه ناج منهما ، ردّ على ما كان عليه ، ورضى عنه صاحبه ، فأنساه الشيطان ذكر ذلك للملك الذى أمره يوسف أن يذكره فلبث يوسف بعد ذلك فى السجن بضع سنين . يقول جل ثناؤه : فلبث يوسف فى السجن لثقله للناجى من صاحبه السجن من القيل : اذكرنى عند سيدك بضع سنين : عقوبة له من الله بذلك .

واختلف أهل التأويل فى قدر البضع الذى لبث يوسف فى السجن ، فقال بعضهم : هو سبع سنين . ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد أبو عثمة ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لبث يوسف فى السجن سبع سنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَـبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) قال : سبع سنين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عمران أبو الهذيل الصنعاني : قال : سمعت رهبا يقول : أصاب أيوب البلاء سبع سنين ، وترك فى السجن يوسف سبع سنين ، وعذب بختنصر ايجول فى السباع سبع سنين .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : زعموا أنها ، يعنى البضع : سبع سنين ، كما لبث يوسف .

وقال آخرون : البضع : ما بين الثلاث إلى التسع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : سمعت أبا قتادة يقول : البضع : ما بين الثلاث إلى التسع .

حدثنا وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن منصور ، عن مجاهد (بِضْعَ سِنِينَ) قال : ما بين الثلاث إلى التسع .

وقال آخرون : بل هو مادن العشر .

(۱) أى بالمسخ سبعا ، وصار يحوّل فى السباع ، كما يؤخذ من الكامل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس : (بِضْعَ سَنِينَ) دون العشرة .

وزعم الفراء أن البِضْع لا يذكر إلا مع عشر ، ومع العشرين إلى التسعين ، وهو نيف ما بين الثلاثة إلى التسعة ، وقال : كذلك رأيت العرب تفعل ولا يقولون بضع ومئة ، ولا بضع وألف ، وإذا كانت للذكران قيل : بضع .

والصواب في البضع من الثلاث إلى التسع إلى العشر ، ولا يكون دون الثلاث ، وكذلك ما زاد على العقد إلى المئة ، وما زاد على المئة فلا يكون فيه بضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَى يَبْسُتُ يَأْيُهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٢﴾

يعنى جل ذكره بقوله : وقال ملك مصر (إني أرى) في المنام (سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) من البقر (عجاف) وقال : إني أرى : ولم يذكر أنه رأى في منامه ولا في غيره لتعارف العرب بينها في كلامها إذا قال القائل منهم : أرى أني أفعل كذا وكذا أنه خبر عن رؤيته ذلك في منامه وإن لم يذكر النوم ، وأخرج الخبر جل ثناؤه على ما قد جرى به استعمال العرب ذلك بينهم (وسبع سنبلات خضر) يقول : وأرى سبع سنبلات خضر في منامي (وأخر) يقول : وسبعاً أخر من السنبل (يابسات يأيها الملاء) يقول : يا أيها الأشراف من رجالي وأصحابي (أفتوني في رؤياي) فاعبروها (إن كنتم للرؤيا تعبرون) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : إن الله أرى الملك في منامه رؤيا بهالته ، فرأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف : وسبع سنبلات خضر ، وأخر يابسات ، فجمع السحرة والكهنة والخزاة والقافة ، فقصها عليهم (فقالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم إن الملك الريان بن الوليد رأى رؤياه التي رأى ، فبهالته ، وعرف أنها رؤيا واقعة ، ولم يدر ما تأويلها ، فقال للملا حوله من أهل مملكته (إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) . . . إلى قوله (بعالمين) .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

** يقول تعالى ذكره : قال الملأ الذين سألهم ملك مصر عن تعبير رؤياه : رؤياك هذه أضغاث أحلام ، يعنون أنها أخلاط رؤيا كاذبة لاحقيقة لها ، وهى جمع ضِغْث : والضِغْثُ : أصله الخزمة من الحشيش ، يُشَبَّهُ بها الأحلام المختلطة التى لا تأويل لها ، والأحلام جمع حلم ، وهو ما لم يصدق من الرؤيا ، ومن الأضغاث قول ابن مقبل :

خَوْدٌ كَأَنَّ فِرَاشَهَا وَضِعَتْ بِهِ أَضْغَاثُ رِيحَانٍ غَدَاةَ شَمَالٍ ١

ومنه قول الآخر :

يَحْمِي ذِمَارَ جَنَيْنٍ قَلَّ مَانِعُهُ طَاوٍ كَضِغْثِ الْخَلَا فِي الطَّنِ مُكْتَمِينَ ٢
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المشي . قال : ثنا عبد الله . قال : ثنا معاوية . عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أضغاث أحلام) يقول : مشبهة .

حدثني محمد بن سعد . قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (أضغاث أحلام) كاذبة .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . قال : لما قص الملك رؤياه التى رأى على أصحابه . قالوا : أضغاث أحلام : أى فعل الأحلام .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى . قال : ثنا محمد بن ثور . عن معمر . عن قتادة (أضغاث أحلام) قال : أخلاط أحلام (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) .

حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا عمرو بن محمد . عن أبي مرزوق . عن جويبر . عن الضحاك . قال : أضغاث أحلام كاذبة .

قال : ثنا المخاربي . عن جويبر . عن الضحاك . قالوا : أضغاث . قال : كذب .

(١) البيت لابن مقبل . وقال فى اللسان : الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نضفا (بالتحريك) . وقيل الجارية الناعمة والجمع : نخودات ونخود (بضم الخاء فى الأخير) . و (فى اللسان : ضغث) : وأضغاث الأحلام : الرؤيا التى لا يصح تأويلها لاختلاطها . والضغث : الحلم الذى لا تأويل له ، ولا خير فيه . والضغث الخزمة من الحشيش : أو كل ما ملأ الكف من النبات أو الحشيش المختلط . والشمال : الريح الباردة . يريد أن ريح فراشها بعد النوم كأنما وضع فيه صنوف من الريحان تذيب ريحها ريح الشمال القليقة .

(٢) فى (اللسان : ذمر) : الذمار : كل ما يلزم الإنسان حفظه وحياضته وحايته والدفع عنه وإن ضيعه لزمه اللوم . وطار ضامر ، يريد أنه صغير ، والضغث : الخزمة من الزرع والبقل ونحوه . والخلا : الرطب من الحشيش يختل فى الربيع (كالبرسيم) فإذا يهرس فهو حشيش ، يريد أن لا يزال طريا فى بطن أمه كخزمة الخلا فى لبنه ، لم تصلب عظامه . والمكتمن : الخافى المضمهر .

حدث عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (أضغاث أحلام) : هي الأحلام الكاذبة .
 وقوله (وما نحنُ بتأويلِ الأحلامِ بعالمين) يقول : وما نحن بما تتول إليه الأحلام الكاذبة بعالمين . والباء الأولى التي في التأويل من صلة العالمين ، والتي في العالمين الباء التي تدخل في الخبر مع « ما » التي بمعنى الجحد . ورفع أضغاث أحلام ، لأن معنى الكلام : ليس هذه الرؤيا بشيء إنما هي أضغاث أحلام .
 القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَىٰ يُسَبِّحُ لِلْعَلِيِّ أَزْجَعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره : وقال الذي نجا من القتل من صاحبي السجن اللذين استعبرا يوسف الرؤيا ، وادكر . يقول : وتذكر ما كان نسي من أمر يوسف ، وذكر حاجته للملك التي كان سألها عند تعبيره رؤياه أن يذكرها له بقوله : (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ - بَعْدَ أُمَّةٍ) يعني بعد حين .

كالذي حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزّين ، عن ابن عباس (وَاذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : بعد حين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزّين ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عاصم ، عن أبي رزّين ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش (وَاذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ) : بعد حين .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزّين ، قال (وَاذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : بعد حين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزّين ، عن ابن عباس مثله .

قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَاذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ) يقول : بعد حين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَاذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : ذكر بعد حين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) بعد حين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، مثله . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد بن أبي عمرو ، عن قتادة ، عن الحسن ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) : بعد حين .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن كثير (بَعْدَ أُمَّةٍ) : بعد حين . قال ابن جريج ، وقال ابن عباس (بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : بعد سنين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : بعد حين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سيار ، عن عكرمة (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) أي بعد حِقْبَةٍ من الدهر .

وهذا التأويل على قراءة من قرأ (بَعْدَ أُمَّةٍ) بضم الألف وتشديد الميم ، وهي قراءة القراء في أمصار الإسلام .

وقد روى عن جماعة من المتقدمين : أنهم قرءوا ذلك (بَعْدَ أُمَّةٍ) بفتح الألف وتخفيف الميم وفتحها بمعنى بعد نسيان . وذكر بعضهم أن العرب تقول من ذلك : أَمَّهَ الرَّجُلُ يَأْمَهُ أَمَّهًا : إذا نسى ، وكذلك تأوله من قرأ ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (بَعْدَ أُمَّةٍ) ويفسرهما : بعد نسيان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا بهز بن أسد ، عن همام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قرأ (بَعْدَ أُمَّةٍ) يقول : بعد نسيان .

حدثني أبو غسان مالك بن الحليل اليحمدي ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن أبي هارون الغنوي ، عن عكرمة أنه قرأ (بَعْدَ أُمَّةٍ) والأمة : النسيان .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علي ، قال : ثنا أبو هارون الغنوي ، عن عكرمة ، مثله . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : قال هارون ، وثني أبو هارون الغنوي ، عن عكرمة (بَعْدَ أُمَّةٍ) : بعد نسيان .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) : بعد نسيان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس : أي بعد نسيان .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ)
قال : من بعد نسيانه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو اليعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عبد الكريم أبي أمية المعلم ،
عن مجاهد ، أنه قرأ (وَاذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ) .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَاذْكُرْ
بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : بعد نسيان .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت
الضحاك يقول في قوله (وَاذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ) يقول : بعد نسيان ،

وقد ذكر فيها قراءة ثالثة ، وهي ما حدثني به المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ،
عن سفيان ، عن حميد ، قال : قرأ مجاهد (وَاذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ) مجزومة الميم مخففة ، وكأن قارئ ذلك
كذلك أراد به المصدر من قولهم : أُمِّهَ يَا أُمَّهَ أُمِّهَ ، وتأويل هذه القراءة ، نظير تأويل من فتح الألف والميم .
وقوله (أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ) يقول : أنا أخبركم بتأويله (فَأَرْسِلُونِ) يقول : فأطلقوني أمضي
لأنكم بتأويله من عند العالم به . وفي الكلام محذوف قد ترك ذكره استغناء بما ظهر عما ترك ، وذلك فأرسلوه
فأتى يوسف ، فقال له : يا يوسف يا أيها الصديق .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق قال (قَالَ الْمَلِكُ) للملأ حوله (إِنِّي أَرَى
سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِيَانٍ) . . . الآية ، وقالوا له ما قال ، سمع «نبو» من ذلك ماسمع ، ومسألته عن تأويلها
ذكر يوسف ، وما كان عبر له ولصاحبه ، وما جاء من ذلك على ما قال من قوله ، قال (أَنَا أَنبِئُكُمْ
بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ) يقول الله تعالى (وَاذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ) : أي حقبة من الدهر ، فأناه فقال :
يا يوسف إن الملك قد رأى كذا وكذا ، فقص عليه الرؤيا ، فقال فيها يوسف ما ذكر الله تعالى لنا في الكتاب
فجاءهم مثل فلتقى الصبح تأويلها ، فخرج نبو من عند يوسف بما أفهام به من تأويل رؤيا الملك ، وأخبره بما
قال . وقيل : إن الذي نجا منهما إنما قال : أرسلوني ، لأن السجن لم يكن في المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا
وَاذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ) قال ابن عباس : لم يكن السجن في المدينة ،
فانطلق الساقى إلى يوسف ، فقال (أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِيَانٍ) . . . الآيات .

قوله (أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِيَانٍ يَا كَاهِنُ سَبْعٌ عِجَافٌ ، وَسَبْعٌ سُتَبِلَاتٍ خُضِرٌ)

(١) لعل صواب عبارة ابن إسحاق هو « عن ابن إسحاق قال : لما قال الملك : إِنِّي أَرَى سَبْعَ . . . الآية وقالوا له ما قالوا ، وسمع
«نبو» من ذلك ماسمع ، ومسألته عن تأويلها ، ذكر يوسف . . . الخ » .

وَأُخْرَ يَابِسَاتٍ) فإن معناه : أفطنا في سبع بقرات سِيَان رُئِينَ في المنام يأكلهن سبع منها عجاف ، وفي سبع سنبلات خضر رُئِينَ أيضا ، وسبع أخر منهن يابسات . فأما السِيَان من البقر : فإنها السنون المخصبة .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أفطنا في سبع بقرات سِيَان يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ) قال : أما السِيَان : فسنون منها مخصبة . وأما السبع العِجَاف : فسنون مجذبة لا تأبت شيئا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أفطنا في سبع بقرات سِيَان) فالسِيَان المخاصيب ، والبقرات العجاف : هي السنون المَحُولُ المَحْدُوب .

قوله (وَسَبْعٌ سُنْبُلَاتٍ خُضَرٍ وَأُخْرَ يَابِسَاتٍ) أما الخضر : فهن السنون المخاصيب ، وأما اليابسات : فهن المَحْدُوب المَحُول . والعجاف : جمع عجف ، وهي المهازِيل .

وقوله (لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) يقول : كي أرجع إلى الناس فأخبرهم ، لعلهم يعلمون : يقول : ليعلموا تأويل ما سألتك عنه من الرؤيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره : قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك (تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا) يقول : تزرعون هذه السبع السنين ، كما كنتم تزرعون سائر السنين قبلها على عادتكم فيما مضى ، والدأب : العادة ومن ذلك قول امرئ القيس :

كدأبك من أم الحويرة قبلها وجاريتها أم الرباب بما أسل^٢

يعنى كعادتك منها .

وقوله (فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ) وهذا مشورة أشار بها نبي الله صلى الله عليه وسلم على القوم ، ورأى رآه لهم صلاحا يأمرهم باستبقاء طعامهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال لهم نبي الله يوسف (تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا) . . . الآية ، وإنما أراد نبي الله صلى الله عليه وسلم البقاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾

(١) الدأب ، بسكون الهمزة وفتحها : العادة والشأن .

(٢) البيت لامرئ القيس من معلقته المشهورة (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطلق السقا ، طبعة الحلبي ص ٢٤) وكدأبك ، يروى . « كدينك » أى عادتك وشأنك . وأم الحويرة : أخت الحارث بن حصين بن ضمضم من كلب ، وهي امرأة حجر أبي امرئ القيس . وأسلى ، بفتح السين : جبل بعينه . وبكسر السين : ماء بعينه والرواية بالفتح .

يقول : ثم يحيى من بعد السنين السبع التي تررعون فيها دأبا ، سنون سبع شداد : يقول : جُدوب قحطة (يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) يقول : يؤكل فيهن ما قدمتم في إعداد ما أعددتُم لهن في السنين السبعة الخصبية ، من الطعام والأقوات ، وقال جل ثناؤه (يَأْكُلْنَ) فوصف السنين بأنهن يأكلن ، وإنما المعنى : أن أهل تلك الناحية يأكلون فيهن ، كما قيل :

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورٌ سَهُوٌ وَغَفْلَةٌ وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمٌ ٢

فوصف النهار بالسهو والغفلة ، والليل بالنوم ، وإنما يسهي في هذا ويغفل فيه ، وينام في هذا لمعرفة المخاطبين بمعناه ، والمراد منه : إلا قليلا مما تحصنون . يقول : إلا يسيرا مما تحرزونه . والإحصان : التصيير في الحصن وإنما المراد منه : الإحراز .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) يقول : يأكلن ما كنتم اتخذتم فيهن من القوت (إلا قليلا مما تحصنون) . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ) وهن الجُدوب المحول (يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) إلا قليلا مما تحصنون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ) وهن الجُدوب (يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) إلا قليلا مما تحصنون : مما تخرجون . حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (إلا قليلا مما تحصنون) يقول : تحزنون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (تحصنون) : تحزنون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) إلا قليلا مما تحصنون : قال : مما ترفعون .

وهذه الأقوال في قوله (تحصنون) وإن اختلفت ألفاظ قائليها فيه ، فإن معانيها متقاربة ، وأصل الكلمة وتأويلها على ما بينت .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعِصْرُونَ ﴿١٩﴾

(١) يقال : عام قحط ، يسكون الخاء ، وبكسرهما ؛ وقحيط أيضا .

(٢) الشاهد في هذا البيت : إسناد السهو والغفلة إلى اليوم إسنادا مجازيا عقليا ، لأن السهو والغفلة إنما يقعان في النهار ، ولا يقعان منه ، ولكن لما كان النهار هو الزمان الذي يقعان فيه ، فلهذه الملازمة الزمانية ساغ الإسناد إلى زمان الحدث . والعلاقة هي الزمانية .

❦ وهذا خبر من يوسف عليه السلام للقوم عما لم يكن في رؤيا ملكهم ، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله دلالة على نبوته ، وحجة على صدقه .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : ثم زاده الله علم سنة لم يسألوه عنها ، فقال (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) ويعنى بقوله (فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ) بالمطر والغيث .
وبنحو ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ) قال : فيه يغاثون بالمطر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن جوير ، عن الضحاك (فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ) قال : بالمطر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ) قال : أخبرهم بشيء لم يسألوه عنه ، وكان الله قد علمه إياه عام فيه يغاث الناس بالمطر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ) بالمطر .

وأما قوله (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وفيه يعصرون العنب والسمن ، وما أشبه ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : الأعناب والدهن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) السمن دهن ، والعنب خمر ، والزيتون زيتا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ، وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) يقول : يضربهم غيث ، فيعصرون فيه العنب ، ويعصرون فيه الزيت ، ويعصرون من كل الثمرات .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : يعصرون أعنابهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : العنب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن جوير ، عن الضحاك (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : كانوا يعصرون الأعناب والثمار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : يعصرون الأعناب والزيتون والثمار من الحصب ، هذا علم آتاه الله يوسف لم يسئل عنه . وقال آخرون : معنى قوله (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) وفيه يحلبون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني فضالة ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : فيه يحلبون .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا الفرج بن فضالة ، عن علي بن أبي طلحة ، قال : كان ابن عباس يقرأ (وَفِيهِ تَعْصِرُونَ) بالتاء ، يعني تحتلبون .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء أهل المدينة والبصرة والكوفة (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) بالياء ، بمعنى ما وصفت من قول من قال : عصر الأعناب والأدهان . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (وَفِيهِ تَعْصِرُونَ) بالتاء ، وقرأه بعضهم (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) بمعنى : يمتطرون ، وهذه قراءة لأستجير القراءة بها لخلافها ما عليه من قراء الأمصار .

والصواب من القراءة في ذلك أن لقارئه الخيار في قراءته بأي القراءتين الآخرين شاء ، إن شاء بالياء ردّا على الخبر به عن الناس ، على معنى (فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ، وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) أعنابهم وأدهانهم ، وإن شاء بالتاء ردّا على قوله (إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُخَصِّنُونَ) وخطابا به لمن خاطبه بقوله (يَا كُذِّبْنَ مَا قَدْ مَتَّمْ كُنْنَ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُخَصِّنُونَ) لأنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار باتفاق المعنى ، وإن اختلفت الألفاظ بهما ، وذلك أن المخاطبين بذلك كان لاشكّ أنهم أغيثوا وعصروا : أغيث الناس الذين كانوا بناحيهم وعصروا ، وكذلك كانوا إذا أغيث الناس بناحيهم وعصروا ، أغيث المخاطبون وعصروا ، فهما متفقتا المعنى ، وإن اختلفت الألفاظ بقراءة ذلك . وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب يوجه معنى قوله (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) إلى : وفيه ينسجون من الجذب والقحط بالغيث ، ويزعم أنه من العَصْر ، والعصر التي بمعنى المنجاة من قول أبي زبيد الطائي : صَادِيَا يَسْتَنْغِيثُ غَسِيرَ مُغَاثٍ وَلَقَدْ كَانَ عَصْرَةَ الْمَجْنُونِ

أى المقهور ، ومن قول لبيد :

(١) البيت لأبي زبيد الطائي : (اللسان : عصر) قال : وقال أبو عبيدة : هو في العصر ، بالتحريك ، وهو المنجاة . والعصرة والمعصر والمعصر ، بفتح العين وتشديد الصاد المفتوحة ، قال لبيد : « وما كان وقافا بدار معصر » . وقال أبو زيد : صاديا . أى كان ملجأ المكروب .

فَبَاتَ وَأَسْرَى الْقَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ . وَمَا كَانَ وَقَافًا بَغْثِيرٍ مُعْصِرًا .
وذلك تأويل يكفى من الشهادة على خطئه خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين . وأما القول الذى
روى الفرج بن فضالة عن على بن أبى طلحة ، فقوله لأمعنى له ، لأنه خلاف المعروف من كلام العرب ،
وخلاف ما يعرف من قول ابن عباس رضى الله عنهما .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ
إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾

❦ يقول تعالى ذكره : فلما رجع الرسول الذى أرسلوه إلى يوسف ، الذى قال (أَنَا أَنْتَبْتُكُمْ بَيْتًا وَبِلَهٍ
فَأَرْسِلُونِ) فأخبرهم بتأويل رؤيا الملك عن يوسف ، علم الملك حقيقة ما أفناه به من تأويل رؤياه ، وصحة
ذلك ، وقال الملك : ائتوني بالذى تعبى رؤياى هذه .

كالذى حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فخرج « نبو » من عند يوسف بما
أفناه به من تأويل رؤيا الملك حتى أتى الملك ، فأخبره بما قال ، فلما أخبره بما فى نفسه بمثل النهار ،
وعرف أن الذى قال كائن كما قال قال : ائتوني به .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : لما أتى الملك رسوله ، قال :
ائتوني به .

وقوله (فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ) يقول : فلما جاءه رسول الملك يدعوه إلى الملك (قَالَ ارْجِعْ إِلَى
رَبِّكَ) يقول : قال يوسف للرسول : ارجع إلى سيدك (فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ
أَيْدِيَهُنَّ) وأبى أن يخرج مع الرسول وإجابة الملك حتى يعرف صحة أمره عندهم مما كانوا قد فوه به من
شأن النساء ، فقال للرسول : سل الملك ما شأن النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، والمرأة التي سجن بسببها .
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى
رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) والمرأة التي سجن بسبب أمرها عما كان
من ذلك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : لما أتى الملك رسوله فأخبره
(قَالَ ائْتُونِي بِهِ) فلما أتاه الرسول ودعاه إلى الملك أبى يوسف الخروج معه ، وقال (ارْجِعْ إِلَى
رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) . الآية ، قال السدى ، قال ابن عباس :

(١) البيت للبيد . وقد أورد اللسان الشطر الثانى منه كما نقلناه فى الشاهد قبله . والرواية فيه : « بدار معصر » فى مكان :
« بنير معصر » . ونقل التاج البيت كاملا ورواية الشطر الثانى كرواية اللسان .

لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك بشأنه ، ما زالت في نفس العزيز منه حاجة ، يقول : هذا الذي راود امرأته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن رجل ، عن أبي الزناد ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَرْحَمُ اللَّهُ يُوسُفَ إِنْ كَانَ ذَا أُنَاةٍ ، لَوْ كُنْتُ أَنَا الْمُخْبُوسَ ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَىَّ تَخَرَّجْتُ سَرِيعًا ، إِنْ كَانَ لِحَلِيمَا ذَا أُنَاةٍ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ ثُمَّ جَاءَنِي الدَّاعِي لِأَجَبَتُهُ ، إِذْ جَاءَهُ الرَّسُولُ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ » . . . الآية .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني سليمان بن بلال ، عن محمد ابن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنا زكريا بن أبان المقرئ ، قال : ثنا سعيد بن تليد ، قال : ثنا عبد الرحمن بن القاسم ، قال : ثنا بكر بن مضر ، عن عمرو بن الحارث ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لِأَجَبْتُ الدَّاعِي » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا حماد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرأ هذه الآية (ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) ، إِنْ رَبِّي بِكَيْدِيهِنَّ عَلِيمٌ) قال النبي صلى الله عليه وسلم « لَوْ كُنْتُ أَنَا لَأَسْرَعْتُ الْإِجَابَةَ ، وَمَا ابْتَغَيْتُ الْعُذْرَ » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ومحمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ (ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) . . . الآية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لَوْ بُعِثَ إِلَىَّ لَأَسْرَعْتُ فِي الْإِجَابَةِ وَمَا ابْتَغَيْتُ الْعُذْرَ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ وَصَبْرِهِ وَكَرَمِهِ ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ حِينَ سُئِلَ عَنِ الْبَقَرَاتِ الْعِجَافِ وَالسَّمَانِ ، وَلَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ مَا أَخْبَرْتُهُمْ بِشَيْءٍ حَتَّى أَشْتَرِطَ أَنْ يُخْرِجُونِي ، وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ وَصَبْرِهِ وَكَرَمِهِ » .

وَاللَّهُ يُغْفِرُ لَهُ حِينَ أَتَاهُ الرَّسُولُ . وَلَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ لَبَادَرْتُهُمُ الْبَابَ ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْعُذْرُ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ) أراد نبي الله صلى الله عليه وسلم أن لا يخرج حتى يكون له العذر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : أراد يوسف العذر قبل أن يخرج من السجن . وقوله (إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) يقول : إن الله تعالى ذكره ذو علم بصنيعهن وأفعالهن التي فعلن في ويفعلن بغيري من الناس ، لا يخفى عليه ذلك كله ، وهو من وراء جزائن على ذلك ، وقيل : إن معنى ذلك : إن سيدى إطفير العزيز زوج المرأة التي راودتنى عن نفسى ذو علم ببراءتى مما قذفتى به من سوء . القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ
قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ لَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٠﴾

وفي هذا الكلام متروك ، قد استغنى بدلالة ما ذكر عليه عنه وهو فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته ، فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، وامرأة العزيز ، فقال لهن (ما خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ) ؟

كالذى حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فلما جاء الرسول الملك من عند يوسف بما أرسله إليه جميع النسوة (وَقَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ) . ويعنى بقوله (ما خَطْبُكُنَّ) ما كان أمركن ، وما كان شأنكن إذ راودتن يوسف عن نفسه ، فأجبنه (فَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ) ، قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) تقول : الآن تبين الحق وانكشف فظهر (أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ) وإن يوسف لمن الصادقين في قوله (هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي) .

وبمثل ما قلنا في معنى (الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى : قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) قال : تبين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) تبين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ،
عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الآن حَصَّحَصَ الْحَقُّ) الآن تبين الحق .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (الآن حَصَّحَصَ
الْحَقُّ) قال : تبين .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (الآن حَصَّحَصَ
الْحَقُّ) قال : تبين .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، مثله .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قالت راعيل امرأة إطفير العزيز (الآن
حَصَّحَصَ الْحَقُّ) : أي الآن برز الحق وتبين (أنا رَأَوْدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ لَمِنْ الصَّادِقِينَ)
فما كان قال يوسف مما ادّعت عليه .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : قال الملك : ائتوني بهن ، فقال :
(مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَأَوْدَتْكُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ؟ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ)
ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه ، ودخل معها البيت وحلّ سراويله ، ثم شدة بعد ذلك ،
فلا تدري ما بدا له ، فقالت امرأة العزيز (الآن حَصَّحَصَ الْحَقُّ) .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الآن حَصَّحَصَ الْحَقُّ)
تبين . وأصل حصحص : حصّ ، ولكن قيل : حصحص ، كما قيل : فككبوا في كبوا . وقيل :
كفكف في كفّ ، وَذَرَذَرٌ فِي ذَرٍّ . وأصل الحصّ : استئصال الشيء ، يقال منه : حصّ شعره : إذا
استأصله جزاً ، وإنما أريد في هذا الموضع : حصحص الحق : ذهب الباطل والكذب ، فانقطع ، وتبين
الحق فظهر .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَفٍّ لَّمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِبِينَ ﴿٥٦﴾

﴿٥٦﴾ يعني بقوله (ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَفٍّ لَّمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ) هذا الفعل الذي فعلته من ردّي رسول الملك

إليه ، وتركى إجابته والخروج إليه ، ومسألتي إياه أن يسأل النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، عن شأنهن إذ قطعن أيديهن ، إنما فعلته ليعلم أنى لم أخنه فى زوجته بالغيب : يقول : لم أركب منها فاحشة فى حال غيبته عني ، وإذا لم يركب ذلك بمغيبه ، فهو فى حال مشهده إياه أخرى أن يكون بعيدا عن ركوبه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يقول يوسف (ذلك ليعلم) إطفير سيده (أتى لم أخنه بالغيب) أنى لم أكن لأخالفه إلى أهله من حيث لا يعلمه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ذلك ليعلم) أتى لم أخنه بالغيب يوسف يقوله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ذلك ليعلم) أتى لم أخنه بالغيب يوسف يقوله : لم أخن سيدى .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ذلك ليعلم) أتى لم أخنه بالغيب قال يوسف يقوله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ذلك ليعلم) أتى لم أخنه بالغيب قال : هذا قول يوسف .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ، فى قوله (ذلك ليعلم) أتى لم أخنه بالغيب هو يوسف يقول : لم أخن الملك بالغيب .

وقوله (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) يقول : فعلت ذلك ليعلم سيدى أنى لم أخنه بالغيب ، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين : يقول : وأن الله لا يصدّد صنيع من خان الأمانات ، ولا يرشد فعالهم فى خيانتهموها ، واتصل قوله (ذلك ليعلم) أتى لم أخنه بالغيب يقول امرأة العزيز (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) المعرفة السامعين لمعناه ، كاتصال قول الله تعالى (وكذلك يفعلون) بقول المرأة (وجعلوا أعزّة أهلها أذلة) ، وذلك أن قوله (وكذلك يفعلون) خبر مبتدأ ، وكذلك قول فرعون لأصحابه فى سورة الأعراف (فآذا تأمرون) وهو متصل بقول الملائكة (يريد أن يخرجكم من أرضكم) .

والله أعلم .

نمّ الجزء الثانى عشر من تفسير الإمام ابن جرير الطبرى

ويليه الجزء الثالث عشر

وأوله : القول فى تأويل قوله تعالى (وما أبرئ نفسي)

